









892.708
I 1321A
1953
V.3-4

العقود الفريدة

تأليف

الفيقيه احمد بن محمد بن عبدنزه الاندلسي

المتوفى سنة ٥٣٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العرابي

الجزء الثالث

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى: ريشة محمد علي بمصر

جميع حقوق الطبع محفوظة

[الطبعة الثانية]

مطبعة الالاستقامة بالقاهرة

١٣٧٢ - ١٩٥٣

كتاب الجوهرة
في الأمثال

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في العلم والأدب وما يتولدُ منهما ويُنسبُ إليهما من الحكيم

النادرة ، والفِطْنِ البارعة .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشى الكلام وجوهرُ
اللفظ ، وحلى المعاني ، والتي تحيّرُتها العرب ، وقدهتها العجم ، ونطقَ بها كلُّ زمان
وعلى كل لسان . فهي أبقى من الشعر ، وأشرفُ من الخطابة ، لم يسرْ شيءٌ مسيرها ،
ولا عمٌّ عمومها ، حتى قيل : أسيرٌ من مثل .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثلٌ سائرٌ . يعرفه الجاهلُ والخائرُ

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه ، وضربها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كلامه . قال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس ضُربْ مثلاً
فاستمعوا له ﴾ وقال : ﴿ وضربَ اللهُ مثلاً لرجُلَيْنِ ﴾ . ومثل هذا كثير في
آي القرآن .

فأول ما نبدأ به : أمثالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمثال العلماء ،
ثم أمثال أكرم بن صبي وبزرجهر الفارسي : وهي التي كان يستعملها جعفر بن يحيى
في كلامه ؛ ثم أمثال العرب التي رواها أبو عبيد ، وما أشبهها من أمثال العامة : ثم
الأمثال التي استعملها الشعراء في أشعارهم في الجاهلية والإسلام .

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ضرب الله مثلاً صراطاً مُستقيماً ، وعلى جَنَبي الصراط أبوابٌ مفتحة ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجّوا . فالصراط الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي القرآن .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالحبّة من الزرع : يقبلها الريح مرة كذا ومرة كذا . ومثل الكافر مثل الأرزّة الجنيّة على الأرض ، يكون انجافها بمرة .

وسأله حذيفة : أبعاد هذا الثمر خير يا رسول الله ؟ فقال : جماعة على أفناء ، وهُدنة على دخن .

وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها ، فقال : إن مما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلَمّ .

وقال لأبي سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصيد في جرف الفراء . وقال حين ذكر الغلو في العبادة : إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى . وقال صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدّين . قالوا : وما خضراء الدّين ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وذكر الرّبا في آخر الزمان ، وافتتان الناس به ، فقال : من لم يأكله أصابه عُباره .

وقال الإيمانُ قيدَ الفَتك .

وقال صلى الله عليه وسلم : الولد للنمراش وللعاهر الحجر .

وقال في فرس : وجدته بَحراً .

وقال : إن من البيان لسِحراً .

وقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقال : الحرب خدعة .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : أمثال كثيرة غير هذه ، ولكننا لم نذهب

في كل باب إلى استقصائه ، وإنما ذهبنا إلى أن نكتفي بالبعض ، ونستدل بالقليل
٥ على الكثير ، ليكون أسهل مأخذاً للجحفظ ، وأبرأ من المبالغة والهرج . وتفسيرها :

أما المثل الأول ، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله « المؤمن كالخامة والكافر كالأرزة » ، فإنه شبه المؤمن في تصرف

الأيام به وما يناله من بلائها ، بالخامة من الزرع يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا -

والخامة في قول أبي عبيد : القصبه الرطبة من الزرع ؛ والأرزة : واحدة الأرز ،

١٠ وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر . والمجذبة : الثابتة ، وفيها لغتان : جذا يجذو ،

وأجذى يُجذى . والانجعا ف : الانقلاع ، يقال جمعت الرجل ، إذا قلعته وصرعته

وضربت به الأرض .

وقوله لحذيفة : هُدنة على دخن وجماعة على أقداء . أراد ما تنطوى عليه القلوب

من الضغائن والأحقاد ، فشبه ذلك بإغضاء الجنون على الأقداء . والدخن : مأخوذ

من الدخان ، جُعلا مثله لما في الصدور من الغل .

وقوله : إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا أو يُلم . فالحبط - كما ذكر أبو عبيدة

عن الأصمعي : أن تأكل الدابة حتى ينفخ بطنها وتمرض منه ، يقال : حبطت

الدابة تحبط حبطا . وقوله : أو يلم . معناه : أو يتمرب من ذلك . ومنه قوله : إذ ذكر

٢٠ أهل الجنة فقال : إن أحدهم إذا نظر إلى ما أعدَّ الله له في الجنة فلولاً أنه شيء

قضاه الله له لآلم أن يذهب بصره ، يعنى لما يرى فيها . يقول : لقرُب أن

يذهب بصره .

وقوله لأبي سفيان : كل الصيد في جوف الفرا . فمعناه أنك في الرجال كالفرأ

في الصيد ، وهو الخمار الوحشى ، وقال له ذلك يتألفه على الإسلام .

وقوله حين ذكر الغلو في العبادة : إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .
يقول : إن المُغذَّ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عَطِبَتْ راحلته من قبل أن يبلغ حاجته أو يقضى سفره ، فشبهه بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيراً .
وقوله في الربا : من لم يأكله أصابه غباره . إنما هو مثل لما ينال الناس من حرمة ، وليس هناك غبار .

وقوله : الإيمان قيّد الفتك . أى منع منه كأنه قيّد له . وفي حديث آخر : لا يفتك مؤمن .

وقوله في فرس : وجدته بحرا . وإن من البيان لسحرا : إنما هو تمثيل لا على التحقيق .

وكذلك قوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر . معناه أنه لاحق له في نسب الولد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ترفع عصاك عن أهلك . إنما هو الأدب بالقول ، ولم يرد ألا ترفع عنها العصا .

وقوله : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين . معناه أن لدغ مرة يحفظ من أخرى .

وقوله : الحرب خدعة . يريد أنها بالمكر والخديعة .

أمثال روتها العلماء

ابن بشير على
منبر الكوفة

خطب النعمان بن بشير على منبر بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، إني وجدتُ
مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ كَالضَّبِّعِ وَالثَّعْلَبِ أَتْيَا الضَّبَّ فِي جُحْرِهِ ، فَقَالَا : أَبَا حَسَلٍ . قَالَ :
أَجِبْتِكُمَا (١) قَالَا : جُنَّاكَ نَحْتَصِمُ . قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمَ . قَالَتِ الضَّبَّعُ : فَتَحْتُ
عَيْنِي (٢) ، قَالَ : فِعَلِ النِّسَاءِ فَعَلْتِ . قَالَتْ : فَلَقَطْتُ تَمْرَةَ . قَالَ : حُلُوعاً جَنَيْتِ .

(١) في بعض الاصول : « أجبتنا » .

(٢) في بعض الاصول : « عيني » .

قالت : فاخطفها تُعالة . قال : نفسه بِنفى ^(١) - تُعالة اسم الثعلب ، الذكر والأنثى -
 قالت : فلطمته لطمه . قال حقاً قضيت . قالت : فلطمنى أخرى . قال : كان
 حُرّاً فانصر . قالت : فاحكم الآن بيننا . قال حدثت امرأة حديثين فإن لم
 تفهم فأربعة ^(٢) .

- ٥ وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق : ودِدْتُ والله لو أن لى بكم من أهل
 الشام صَرَفَ الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدرى يا أمير المؤمنين
 مامثلنا ومثلكم ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ما قاله أعشى بكر
 حيث يقول :

عَلَّقْتُهَا عَرَضاً وَعَلَّقْتُ رُجُلًا ه غَيْرِي وَعَلَّقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

- ١٠ أَحْبَبْنَاكَ نَحْنُ ، وَأَحْبَبْتَ أَنْتَ أَهْلَ الشَّامِ ، وَأَحْبَبَ أَهْلَ الشَّامِ عَبْدَ الْمَلِكِ
 ابن مروان .

مثل في الرياء

- يحيى بن عبد العزيز : قال : حدثني نُعَيْمٌ عن اسماعيل عن رجل من ولد
 أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، عن وهب بن مُنْبَهٍ قال : نَصَبَ رجل من
 ١٥ بنى إسرائيل فَنَحَا ، فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالى أراك مُنْحِنياً ؟
 قال : لكثرة صلاتى انحنيتُ . قالت : فما لى أراك بادية عظامك ؟ قال : لكثرة
 صيامى بدت عظامى . قالت : فما لى أرى هذا الصُّرْفَ عليك ؟ قال : لزهادتى
 فى الدنيا لِدِسْتِ الصُّرْفِ . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها
 وأقضى بها حوائجى . قالت : فما هذه الحبة فى يدك ؟ قال : قُرْبَانٌ إِنْ مَرَّ بى
 ٢٠ مسكينٌ ناولته إياه . قالت : فإنى مسكينته ! قال : نخنيها . فدنت فقبضت على الحبة ،
 فإذا الفخ فى عنقها . فجعلت تقول : قَعِي قَعِي . تفسيره : لا غررتى ناسك مُرَاءٍ
 بعدك أبداً .

فخ الإسرائيلى
والعصفورة

باد حنيناً
توقلاً

(١) فى مجمع الأمثال : و لنفسه بِنفى الخير .

(٢) ويروى : و فاربع ، أى كعب .

داود بن أبي هند عن الشعبي : أن رجلاً من بني إسرائيل صاد قُبْرَةَ ، فقالت : اسرأبلى وقبرة ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك فأكلك ! قالت : والله ما أشفي من قرم ولا أغني من جوع ، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلني : أما الواحدة فأعلمكها وأنا في يدك ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل . فقال : هات الأولى ، قالت : لا تلهفن على ما فاتك . نفخى عنها : فلما صارت فوق الشجرة قال : هات الثانية . قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون . ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : يا شقي ! لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي ذرة فيها زنة عشرين مثقالاً . قال : فعضّ على شفتيه وتلهّف ثم قال : هات الثالثة . قالت له : أنت قد نسيت الاثنين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ؟ فقد تلهفت ! على إذ فُتِك ، وقلت لك . لا تصدقن بما لا يكون ، أنه يكون ! فصدقت ! أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالاً ، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها ؟

وفي كتاب للهند : مثل الدنيا وآفاتُها ومخاوفُها والموت والمعاد الذي إليه . من أمثال الهند مصير الإنسان :

قال الحكيم : وجدت مثل الدنيا والمغرور بالمملوءة آفات ، مثل رجل ألجأه خوف إلى بئر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ، ووقعت رجلاه على شيء فذهما . فنظر فإذا بحيات أربع قد أطلعن رموسهن من ججورهن ، ونظر إلى أسفل البئر فإذا بشعبان فاغر فاه نحوه ، فرفع بصره إلى الغصن الذي يتعلق به فإذا في أصله جردان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛ فبينما هو مغمم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاة ، إذ نظر فإذا بجانب منه جحر نحل قد صنع شيئاً من عسل ، فتطاعم منه فوجد حلاوته ، فشغلته عن الفكر في أمره وأتماس النجاة لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدرى من تساوره منهن ، وأن الجرذين دائبان في قرص الغصن الذي يتعلق به ، وأنهما إذا قطعاه وقع في لهوة التنين . ولم يزل لاهياً غافلاً حتى هلك .

قال الحكيم : فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف بالبتير ؛ وشبهت
 الأخلاط التي بنى جسد الإنسان عليها ، من المِزتين والبلغم والدم بالحيات الأربع
 وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما في إفناء
 الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛
 وشبهت الموت الذي لا بد منه بالتنين الفاعر فاه ؛ وشبهت الذي يرى الإنسان ويسمع
 ٥ ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التي تطاعمها .

من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب : أسخى من حاتم ، وأشجع من ربيعة بن مُكدم ، وأدهى^(١)
 من قيس بن زهير . وأعز من كليب بن وائل . وأوفى من السموأل . وأذكى
 ١٠ من إياس بن معاوية . وأسود من قيس بن عاصم . وأمنع من الحارث بن
 ظالم . وأبلغ من سُجبان بن وائل . وأحلم من الأحنف بن قيس وأصدق
 من أبي ذر الغفاري . وأكذب من مسيلة الحنفي . وأغيا من باقل . وأمضى
 من سليك المقانِب . وأنعم من خريم الناعم . وأحق من هبنة . وأفنك
 من البرأض .

١٥ من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأم من البسوس . وأحق من دعة . وأمنع من أم قرة وأقود^(٢) من
 ظلمة ، وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التي
 قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ،
 التي يقال لها حرب البسوس .

٢٠

(١) في بعض الأصول : وأنكى .

(٢) في بعض الأصول : وأزنى .

وأم قرظة : امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان يُعلق في بيتها خمسون سيفاً كل سيف منها لذي تحرم لها .

ودُغَة : امرأة من عجل بن لجيم ، تزوجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم .

وزرقاء بنى نُمير : امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن ، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تُنذر قومه الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتهم جيش إلا وقد استعدوا له ، حتى آحتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً أمسكوه أمامهم بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت : إني أرى الشجر قد أقبل إليكم . قالوا لها : قد خرفت ورق عقلك وذهب بصرك . فكذبوها ، وصبحتهم الخيل وأغارت عليهم وقتلت الزرقاء . قال : فقوروا عينها فوجدوا عروق عينها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

وظلمة : امرأة من هذيل زنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا والقود آتخذت تيساً وعنزا ، فكانت تُنزي التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟ قالت : حتى أسمع أنفاس الجماع .

ما تمتلوا به من البهائم

قالوا : أشجع من أسد . وأجبن من الصافر . وأمضى من ليث عفرين . وأحذر من غراب . وأبصر من عقاب . وأزهي من ذباب . وأذل من قراد يمسيم . وأسمع من فرس . وأنوم من فهد . وأعمر من ضب . وأجبن من صفردي . وأحقد من جمل . وأضرع من سنور . وأسرق من زبابة . وأصبر من عود . وأظلم من حية . وأحن من ناب . وأكذب من فاخنة . وأعز من بيض الأنوق . وأجوع من كلبة حومل . وأعز من الأبلق العقوق .

الصافر : ذو الصفير من الطير . العود : المُسن من الجمال . والأنوق : طير يقال إنه يبيض في الهواء ، والزبابة : الفأرة تسرق دود الحرير ، وفاخنة : طير يطير بالرطب في غير أيامه .

ما يضرب به المثل من غير الحيوان

- قالوا : أهدى من النجم . وأجود من الدِّيم . وأصبح من الصُّبح .
 وأسمع من البحر . وأنور من النهار . وأسود من الليل . وأمضى من السَّيل .
 وأحق من رجلة . وأحسن من دُمية . وأنزه من روضة . وأوسع من
 الدهناء . وأنس من جدول . وأضيق من قرار حافر . وأوحش من مفازة .
 ٥ وأثقل من جبل . وأبقى من الوحي في صم الصلاب . وأخف من ريش
 الحواصيل .

ومما ضربوا به المثل

- قولهم : قوس حاجب . وقُرطُ مارية . وحجَّامُ ساباط . وشقائق
 النعمان . وندامة الكسعي . وحديثُ خرافة . وكنزُ النطف . وخفَّا حنين .
 ١٠ وعطرُ منشم .

أما قوس حاجب . فقد فسرنا خبره في كتاب الوفود .

وأما قُرطُ مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي
 وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره
 النابغة بقوله :

١٥

والحارثُ الأعرجُ خير الأنام .

ولماها يعني حسان بن ثابت بقوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم . قبر ابن مارية الكريم المفضل

وأما حجَّامُ ساباط ، فإنه كان يحجمُ الجيوش بنسيته إلى انصرافهم ، من شدة
 كساده ؛ وكان فارسيًا . وساباط . هو ساباط كسرى .

٢٠

ونُسب شقائق النعمان إليه ، لأن النعمان بن المنذر أمر بأن تُحمى وتضرب
 قبه فيها استحسانا لها ، فنُسبت إليه ، والعرب تسميها الشَّقر .

وأما خرافة ؛ فإن أنس بن مالك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعائشة رضى الله عنها : إن من أصدق الأحاديث حديثُ حُرارة ، وكان رجلاً
من بنى عُدرة سبته الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيُخبر به
أهل الأرض فيجدونه كما قال .

وأما كنز النطف ، فهو رجل من بنى يربوع كان فقيراً يحمل الماء على
ظهره فينطف ، أى يقطر ؛ وكان أغار على مالٍ بعث به باذانٌ من اليمن إلى
كسرى ، فأعطى منه يوماً حتى غربت الشمس ، فضربت به العرب المثل في
كثرة المال .

وأما حُفَّا حنين ، فإنه كان إسكافاً من أهل الخيرة ، ساومه أعرابيُّ بخُفنين
فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يغيب الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ أحد الخفنين
فألقاه في طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه . فلما مر
الأعرابي بالخف الأول ، قال ما أشبه هذا بخف حنين ! لو كان معه صاحبه لأخذته .
فلما مرَّ بالآخر ندم على ترك الأول فأناخ راحلته ، وانصرف إلى الأول وقد
كن له حنين ، فوثب على راحلته وذهب بها ؛ وأقبل الأعرابي ليس معه غير
خُفي حنين . فذهبت مثلاً .

وأما عطر مذم ، فإنها كانت امرأة تبيع الخنوط في الجاهلية ، فقيل للقوم
إذا تحاربوا : دقوا عطر مذم . يُراد بذلك طيب الموتى .

وأما ندامة الكسعى ، فإنه رجل رمى فأصاب ، فظن أنه أخطأ فكسر قوسه ،
فلما علم ندم على كسر قوسه . فضرب به المثل .

أمثال أ ك ثم بن صيفي وبزر جمهر الفارسي

العقلُ بالتَّجاربِ . الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ . الصَّدِيقُ مَنْ صَدَّقَ عَيْنِيهِ .
الغريبُ من لم يكن له حبيبٌ ، رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريبٍ . القريبُ من
قَرُبِ نَفْعِهِ . لو تكاشفتم ما تدافنتم . خيرُ أهيكَ من كفاك . وخيرُ
سلاحك ما وقاك . خيرُ إخراجك من لم تخبره . رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ ؛

- وابنُ أبٍ متهمُ الغيب . أخوك من صدقك . الأخُ مرآةُ أخيه . إذا عزَّ أخوك
فهو . مُكرهٌ أخوك لا بطل . تباعدوا في الديارِ وتقاربوا في المحبة . أئى الرجالِ
المهذب . من لك بأخيك كله . إنك إن فرجتَ لاق فرجا . أحسنُ يُحسنُ إليك .
أرحمُ تُرحم . كما تدينُ تُدان . من يرُ يوما ير به ، والدهرُ لا يُغترُّ به . عينُ
عرفتُ فذرفتُ . فى كلِّ خبيرةٍ عبرة . من مأمِنه يؤتى الخذر . لا يعدو المرءُ
رزقه وإن حرص . إذا نزلَ القدرُ عمى البصر : وإذا نزلَ الحينُ نزل بين الأذنِ
والعين . الخمرُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ . الغناءُ رُقِيَةُ الزناء . القناعةُ مالٌ لا ينفد . خيرُ
العنى غنى النفس . مُنْساقٌ إلى ما أنتَ لاقٍ . خذ من العافية ما أُعطيت ، ليس
الإِنسانُ إلا القلبُ واللسان . إنما لك ما أمضيت . لا تتكلمَ ما كُفيت . القلمُ
أخذُ اللسانين . قلةُ العيالِ أحدُ اليسارين . ربما ضاقتِ الدنيا باثنين . لن تعدمَ
الحسنةَ ذامًا . لم يعدمِ الغاوى لأمًا . لا تكُ فى أهلك كالجنّازة . لا تسخرَ من
شئٍ فيحورَ بك . آخرُ الشرِّ فإن شئتَ تعجلتَه . صغيرُ الشرِّ يوشكُ أن يكبرَ .
يُبصرُ القلبُ ما يعمى عنه البصر . الحُرُّ حرٌّ وإن مَسَّه الضُر . العبدُ عبدٌ وإن
ساعده جدُّ . من عرفَ قدره استبان أمره . من سرَّه بنوه ساءتَه نفسه . من
تعظَّم على الزمانِ أهاته . من تعرَّضَ للسلطانِ أذراه ومن تطامنَ له تخطأه . من
خطأ يخطو . كلُّ مبدولٍ مملول . كلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ فيه . كلُّ عزيزٍ تحت القدرةِ
ذليل . لكلِّ مقامٍ مقال . لكلِّ زمانٍ رجال . لكلِّ أجلٍ كتاب . لكلِّ عملٍ
ثواب . لكلِّ نبيٍّ مُستقر . لكلِّ سِرٍّ مستودع . قيمةُ كلِّ إنسانٍ ما يُحسِن .
أطلبُ لكلِّ غلقٍ مفتاحًا . أكثرُ فى الباطلِ يكن حقا . عند القنطِ يأتي الفرج .
عند الصباحِ يُحمدُ السرى . الصدقُ منجاةٌ والكذبُ مهوأة . الاعترافُ يهدمُ
الاعتراف . ربُّ قولٍ أنفذُ من صول . ربُّ ساعةٍ ليس بها طاعة . ربُّ بحلةٍ
تُعقبُ ريثًا . بعضُ الكلامِ أقطعُ من الحسام . بعضُ الجهلِ أبلغُ من الحلم .
ربيعُ القلبِ ما أشهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإلهُ المعبود . الرأى نائمٌ
والهوى يقظان ، غلبَ عليك من دعا إليك . لاراحةٌ لحسود . ولا وفاءٌ للمول .

لا سرورَ كَطِيبِ النَّفْسِ . العَمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَمِلَ الْهَجْرَ . أَحَقُّ النَّاسِ بِالْعَفْوِ
 أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . خَيْرُ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ . خَيْرُ الْقَوْلِ مَا انْبَسَحَ . الْبَيْطَةُ تُذْهِبُ
 الْفَيْطَةَ . شَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ . أَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى . النِّسَاءُ حَبَائِلُ
 الشَّيْطَانِ . الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونَ ، الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمَّه . السَّعِيدُ مَنْ
 وَعِظَ بغيرِهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ فِي بَدَنِهِ شُغْلٌ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ . الْمَقَادِيرُ
 تُرِيكَ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ . أَفْضَلُ الزَّادِ مَا تَزُودُ لِلْمَعَادِ . الْفَحْلُ أَخْمَى لِلشَّوْلِ .
 صَاحِبُ الْحُظْوَةِ غَدَا مَنْ بَلَغَ الْمَدَى . عَوَاقِبُ الصَّبْرِ مَحْمُودَةٌ . لَا تُبْلَغُ الْغَايَاتُ
 بِالْأَمَانِي . الصَّرِيمَةُ عَلَى قَدْرِ الْعَزِيمَةِ . الضَّعِيفُ يُنْبِي أَوْ يَذْمُ . مَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ .
 كَمْ شَاهِدٍ لَكَ لَا يَنْطِقُ ، لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَمَكَ . مَا نَظَرَ لِامْرِئٍ مِثْلُ نَفْسِهِ . مَا سَدَّ
 فَمْرَكَ إِلَّا مَلِكٌ يَمِينِكَ . مَا عَلَى عَاقِلٍ ضَيْعَةٌ . الْغِنَى فِي الْعُرْبَةِ وَطَنٌ . وَالْمُقِيلُ فِي
 أَهْلِهِ غَرِيبٌ . أَوْلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِخْتِبَارُ . يَدُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ سَلَاءً . أَنْفُكَ مِنْكَ
 وَإِنْ كَانَ أَجْدَعٌ . مَنْ عُرِفَ بِالْكَذْبِ لَمْ يَجْزُ صِدْقُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ جَازَ
 كَذِبُهُ . الصَّحَّةُ دَاعِيَةُ السَّقَمِ . الشَّبَابُ دَاعِيَةُ الْهَرَمِ . كَثْرَةُ الصَّبَاحِ مِنَ الْفَشْلِ .
 إِذَا قَدِمَتِ الْمَصِيبَةُ تَرَكَّتِ التَّعْزِيَةَ . إِذَا قَدِمَ الْإِحَاءُ سَمَّجَ الثَّنَاءُ . الْعَادَةُ أَمَلُكَ مِنَ
 الْأَدَبِ . الرَّفْقُ يُنَمِّنُ وَالْحَرْقُ شَوْمٌ . الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ . الدَّالُّ
 عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلِهِ . الْمُحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجِزَةِ . قَبْلَ الرَّمَايَةِ تُمَلَأُ الْكِنَانُ . لِكُلِّ
 سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ . مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ . تَرَكَ الْحَرَكَةَ غَنَمَةٌ . الصَّمْتُ حُبْسَةٌ .
 مِنْ خَيْرِ خَبِيرٍ أَنْ يُسْمَعَ بِمَطَرٍ . كَفَى بِالْمَرْءِ خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِينًا لِلخَوَانَةِ .
 قَيَّدُوا النَّعَمَ بِالشُّكْرِ . مَنْ يَزْرَعُ الْمَعْرُوفَ يَحْصِدُ الشُّكْرَ . لَا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّةِ
 الْأَمِيرِ إِذَا غَشَمَكَ الْوَزِيرُ . أَعْظَمُ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ الْخُلْفِ مِنْهَا . مَنْ
 أَرَادَ الْبَقَاءَ فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ . لِنِسَاءِ الْأَحْبَبَةِ مَسَلَاةٌ لِلهَمِّ .
 قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ كَصَلَةِ الْعَاقِلِ . مَنْ رَضِيَ عَلَى نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَاظُ عَلَيْهِ . قَتَلْتُ أَرْضَ
 جَاهِلَهَا ، وَقَتَلْتُ أَرْضًا عَارِفَهَا . أَدْوَأُ الدَّاءِ الْخُلُقُ الدِّينِيُّ وَاللِّسَانُ الْبَدِينِيُّ . إِذَا جَعَلَكَ
 السُّلْطَانُ أَخَا فَا جَعَلَهُ رَبًّا . أَحْذَرُ الْأَمِينِ وَلَا تَأْمَنُ الْخَائِنَ . عِنْدَ الْغَايَةِ يُعْرَفُ السَّبِقُ .

٥

١٠

١٥

٢٠

عند الرّهان يُحمّد المضمار . السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جل . كافي
 المعروف بمثله أو أنشره . لا خلة مع عيلة . لا مروءة مع ضرّ . ولا صبر مع
 شكوى . ليس من العدل سرعة العدل . عبد غيرك حرّ مثلك . لا يعدّم الخيار
 من استشار . الوضيع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أبحر .
 كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع . كل إناء ينضح بما فيه . العادة طبع ثان . ٥

ومن أمثال العرب

مما روى أبو عبيد

جزدناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواظ
 كتباً غير هذا ، وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على السنة العامة من الأمثال
 المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير . فمن ذلك قولهم : ١٠

في حفظ اللسان

لعمر بن عبد العزيز : التقى مُلجَم .
 لأبي بكر الصديق : إن البلاء موكّل بالمنطق .
 لابن مسعود : ما شيء أولى بطول سجين من لسان .
 لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحترز من لسانه ولسان غيره . ١٥
 احذر لسائك لا يضرب عنقك . جرح اللسان كجرح اليد . رُب كلام أقطع من
 حُسام . القول ينفذ ما لا تنفذ الإبر .
 قال الشاعر :

وقد يُرجى لجرح السيف بُرء . ولا بُرء لما جرح اللسان

اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مثلاً سائراً للعامة . وجعلنا لأمثال الشعراء
 في آخر كتابنا هذا باباً .

وقال أكرم بن صيفي : مَقْتل الرجل بين فكّيه .

وقال : ربما أعلم فأذّر . يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم ؛ لما يحذر
من عاقبته .

إكثار الكلام وما يتق منه

قالوا : مَنْ ضاق صدره اتسع لسانه . مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ - أى خرج إلى الهجر ،
وهو القبيح من القول .

وقالوا : المِكْثَارُ كحاطب ليل ، وحاطب الليل ربما تَهَشَّتْ الحية أو لسعته
العقرب في احتطابه ليلا .

وقالوا : أوَّلُ العِيِّ الاختلاط ، وأسوأ القول الإفراط .

في الصمت

قالوا : الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وقالوا : عِيٌّ صامت خير من عِيٍّ ناطق ، والصمت يُكسب أهله المحبة .

وقالوا : آسْتَكْثَرُ من الهيبة الصَّمُوتُ ؛ والندم على السُّكُوتِ خير من
الندم على الكلام .

وقالوا : السُّكُوتُ سَلَامَةٌ .

القصد في المدح

منه قولهم : مَنْ حَفَّنَا أَوْ رَفَّنَا فليقتصد . يقولون : من مدحنا فلا يغلُون
في ذلك .

وقولهم : لا تَهْرِفْ بما لا تعرف ، والهرف : الإطناب في المدح والثناء .

ومنهم قولهم : شَاكِيَةٌ أبا يسار من دون ذَا يَنْفُقُ الحمار .

أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صعصعة قال : لقي أبو يسار
رجلا بالمرْبَدِ يبيع حماراً ورجل يساومه ؛ فجعل أبو يسار يُطْرَى الحمار ؛ فقال
المشترى : أعرَفْتِ الحمار ؟ قال : نعم . قال : كيف سيره ؟ قال يُصْطَادُ به النَّعَامُ

مدقولا . قال له البائع : شاكك أبا يسار ، من دون ذا ينفق الحمار . والمشاكهة :
المقاربة والقصد .

صدق الحديث

- منه قولهم : من صدق الله نجا .
ومنه قولهم : سني وأصدق .
وقالوا : الكذب داء والصدق شفاء .
وقولهم : لا يكذب الرائد أهله معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلا لا يكذبهم فيه .
وقولهم : صدقتي سن بكره . أصله أن رجلا ابتاع من رجل بعيرا ، فسأله
عن سنه . فقال له : إنه بازل . فقال له : أنخه . فلما أناخه قال : هدع هدع .
وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال :
صدقتي سن بكره .
ومنه قولهم : القول ما قالت حدام . وهي امرأة لجيم بن صعب ، والد
حنيفة وعجل ، ابني لجيم ، وفيها قال :
إذا قالت حدام فصدقوها . فإن القول ما قالت حدام

من أصاب مرة وأخطأ مرة

- منه قولهم : شخب في الإناء . وشخب في الأرض . شبه بالحالب الجاهل الذي
يحب شخبا في الإناء وشخبا في الأرض .
وقولهم : يشج مرة وبأسو أخرى .
وقولهم : سهم لك وسهم عليك .
وقولهم : أطرق وميشي . والميش أن يخاط الشعر بالصوف . والمطراقة :
العود الذي يضرب به بين ما خلط .

سوء المسألة وسوء الإجابة

قالوا : أساء سمعاً فأساء جابةً . هكذا تحكى هذه الكلمة ، « جابة » بغير ألف ، وذلك أنه أسم موضوع يقال : أجابني فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابة ، بالألف .

وقالوا : حدثت امرأةً حديثين فإن لم تفههم فأربعةً . كذا في الأصل ؛ والذي أحفظ : فأربع ، أى أمسك .
وقولهم : إليك يساق الحديث .

من صمت ثم نطق بالفهامة

قالوا : سكت ألفاً ونطق خلفاً . الخلف من كل شيء : الردى .

المعروف بالكذب يصدق مرة

وقولهم : من الخواطيئ سهم صائب . ورُبَّ رَمِيَةٍ من غير رامٍ .
وقولهم : قد يصدق الكذوبُ .

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكل جوادٍ كِبُوءَةٌ ، ولكل صارمٍ نَبُوءَةٌ ، ولكل عالمٍ هَفُوءَةٌ ، وقد بعثر الجوادُ ، ومن لك بأخيك كله ، وأى الرجال المهذبُ .

كتمان السر

قالوا : صدرك أوسع لسرك .
وقالوا : لا تُفش سرَّك إلى أمةٍ ، ولا تبُلْ على أكمةٍ . يقول لا تُفش سرَّك إلى امرأة فتبديه ، ولا تبُلْ على مكان مرتفع فتبدو عورتك .
ويقولون إذا أسروا إلى الرجل : اجعل هذا في وعاءٍ غير سَرَبٍ .
وقولهم سرُّك من دمك .
وقيل لأعرابي : كيف كتمانك السر ؟ فقال : ما صدري إلا قبرٌ .

انكشاف الأمر بعد اكتتامة

وقولهم : حَصَّصَ الحَقُّ
 وقولهم : أبدى الصريح عن الرغوة . وفي الرغوة ثلاث لغات : فتح الراء ،
 وضمها ، وكسرها .

وقولهم : صرح المَحْضُ عن الزَّيْدِ .
 وقالوا : أفرخ القوم بيضتهم . أى أخرجوا فرختها ، يريدون أظهروا سرهم .
 وقولهم : برح الخفاء وكشيف الغطاء .

إبداء السر

قالوا : أفضيتُ إليك بشقورى . أى أخبرتك بأمرى ، وأطلعتك على سرى
 ١٠ وقولهم أخبرتك بعجرتي وبعجرتي . أى أطلعتك على معابى ، والعجر : العروق
 المتعقدة ، وأما البعير فهي في البطن خاصة .
 وتقول العامة : لو كان في جسدى برص ما كتمته .

الحديث يتذكر به غيره

قالوا : الحديث ذو شجون : وهذا المثل لضبة بن أد وكان له أبنان : سعد
 ١٥ وسعيد ، فخرجا في طلب إبل لهما ، فرجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة كلما
 رأى رجلا مقبلا قال : أسعد أم سعيد ، فذهبت مثلا . ثم إن ضبة بينما هو يسير
 يوما ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام إذ أتى على مكان ، فقال له الحارث :
 أترى هذا الموضع ! فإني لقيت فتى هيئته كذا وكذا ، فقتلته وأخذت منه هذا
 السيف . فإذا بصفة سعيد ، فقال له ضبة : أرني السيف أنظر إليه . فناوله إياه فعرفه
 فقال له : إن الحديث ذو شجون . ثم ضربه به حتى قتله . فلامه الناس في ذلك ،
 ٢٠ وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام ؟ قال : سبق السيف العذل . فذهبت مثلا .

ومنه : ذكرتني الطعن وكنت ناسيا . وأصل هذا أن رجلا حمل ليقبل رجلا ،

وكان بيد المحمول عليه ربح ، فأنساه الدهش والجرع ما في يده ، فقال له الحامل : ألق الربح . قال الآخر : فإن ربحي آمعي ، ذكرتني الطعن وكنت ناسيا . ثم كز على صاحبه فهزمه أو قتله . ويقال : إن الحامل : صخر بن معاوية السلمي أخو الخنساء والمحمول عليه : يزيد بن الصعق .

العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يديه

منه قولهم : رَبِّ سامع خبري لم يسمع عُذري . ورُبَّ ملوم لاذنب له . ولعلَّ له عُذراً وأنت تلوم . وقولهم : المرء أعلم بشأنيه .

الاعتذار في غير موضعه

منه قولهم : ترك الذنب أيسر من التماس العذر ، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : أعن صبوح ترقق . ومنه قولهم : إياك أعني وأسمعي يا جارة .

المن بالمعروف

قالوا : شوا أخوك حتى إذا أنضح رمد . وقولهم : فضل القول على الفعل دناءة ، وفضل الفعل على القول مكرومة .

الحمد قبل الاختبار

لا تحمدن أمة عام أشترائها ولا حرّة عام بنائها .

وقولهم : لا تهرف قبل أن تعرف . يقول : لا تمدح قبل أن تختبر .

وقولهم : أول المعرفة الاختبار .

إنجاز الوعد

قالوا: أنجز حُرِّ ما وعدَّ .

وقولهم: العِدَّةُ عَطِيَّةٌ .

وقولهم: من أَّخَرَ حاجةً فقد ضَمِنَها .

وقالوا: وعدُّ الحُرِّ فِعْلٌ ، ووعدُّ اللِّثِمِ تسويِفٌ .

وقالت العامة: الوعدُّ مِنَ العهدِ .

النحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

حَسْبُكَ من شَرِّ سَمَاعُهُ . وما آعْتَدَارُكَ من شَيْءٍ قِيلَ .

الدعاء بالخير

١٠ منه قولهم للقادم من سفره: خَيْرٌ ما رَدُّ في أَهْلٍ ومالٍ: أَى جعلك

الله كذلك .

وقولهم: بلغ الله بك أَكْلاً العُمُرِ . أَى أَقْصاه .

وقولهم: نَعِمَ عَوْفُكَ . أَى نَعِمَ بِالكِ .

وقولهم في النكاح: على بَدْءِ الخَيْرِ واليَمَنِ .

١٥ وقولهم: بالرفاء والبنين . يريد بالرفاء: الكثرة ، يقال منه: رفاة ، إذا

دعوت له بالكثرة .

وقولهم: هُنَّتْ ولا تُنْكُ . أَى أَصابك خير ولا أَصابك ضرر .

وقولهم: هَوَتْ أُمَّهُ ، وهبَلَتْهُ أُمَّهُ . يدعون عليه وهم يريدون الحمد له .

ونحوه قاتله الله ، وأخزاه الله: إذا أحسن . ومنه قول امرئ القيس:

٢٠ ماله لا عدُّ من نفره .

تعبير الإنسان صاحبه بعينه

قالوا: رَمَتْنِي بِدَائِها وانسَلَّتْ .

وقولهم : عَيْرٌ بُجَيْرٌ بُجْرَهُ ، نَسِيٌّ بُجَيْرٌ خَبْرَهُ .

وقولهم : مُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ .

وقولهم : تُبْصِرُ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ الْجَذَعَ فِي عَيْنِكَ .

الدعاء على الإنسان

منه قولهم : فَاهًا لِفَيْكَ . يريد : الأرض لفيك .

وقولهم : بِفَيْكَ الْحَجْرُ ، وَبِفَيْكَ الْأَثْلُبُ .

وقولهم : لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ .

ولما أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسكران في رمضان ، وقال له :

لليدين واللفم^(١) : أَوْلِدَانَا صِيَامٌ وَأَنْتَ مُفْطِرٌ . وضربه مائة سوط .

ومنه قولهم : لِجَنَبِيهِ فَلْيَسْكُنِ الْوَجْهُ . يريد الصرعة .

ومنه قولهم : مِنْ كَلَا جَانِبِيكَ لَا لَبِّيكَ ، أَي لَا كَانَتْ لَكَ تَلْبِيَةٌ وَلَا سَلَامَةٌ

مِنْ كَلَا جَانِبِيكَ . والتلبية : الإقامة بالمكان .

وقولهم : بِكَ لَا بَطْنِي . وقال الفرزدق :

أَقُولُ لَهُ لِمَا أَتَانِي نَعِيهِ . بِهِ لَا بَطْنِي بِالصَّرِيمَةِ أَعْمَرَا

ومنه قولهم : جَدَعَ اللَّهُ مَسَامِعَهُ .

وقولهم : عَقْرًا حَلْقًا ، يريد عقره الله وحلقه .

ومنه قولهم : لَا لَعَا لَهُ : أَي لَا أَقَامَهُ اللَّهُ .

قال الأخطل :

• وَلَا لَعَا لِبَنِي ذِكْوَانَ إِذْ عَشُرُوا •

ولحيب :

صَفْرَاءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَدْ رَكَبَتْ • جُمَانَهُ فِي ثَوْبٍ سُقْمٍ أَصْفَرِي

قَتَلْتَهُ سِرًّا ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً • قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لَا بَطْنِي أَعْفَر

(١) في بعض الأصول : • لِلنَّخْرَيْنِ • .

رمى الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رماه بأقحاف رأسه ، ورماه بثالثة الأثافي ، يريد قطعة من الجبل يجعل إلى جنبها أثفيتان وتكون هي الثالثة .

ومنه : يا للعضية والأفيكة ، إذا رماه بالهتان .

وقولهم : كأنما أفرغ عليه ذنوباً ، إذا كلفه كلمة يسكتها بها .

المكر والخلافة

منه قولهم : فتل في ذرؤيه ، أي خادعه حتى أزاله عن رأيه .

قال أبو عبيد : وروى عن الزبير حين سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت

عليه : فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته .

وقولهم : ضرب أنحماً لاسداس ، يريدون المناكرة .

وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرأ جنى عملاً . وظل يضرب أنحماً لاسداس

ومنه قولهم : الذئب يأدو للغزال ، أي يختله ليوقعه .

اللهو والباطل

منه قولهم : جاء فلان بالتره . وجرى فلان السمه ، وهما من أسماء الباطل .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من ددٍ ولا ددٌ متى ، وفيه ثلاث لغات :

ددٌ ، وددًا : مثل قفًا . وددن : مثل حزن .

خلف الوعد

منه قولهم : ما وعده إلا برق حلب ، وهو الذي لا مطر معه .

ومنه ما وعده إلا وعد عرقوب . وهو رجل من العماليق أتاه أخوه يسأله

فقال : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها ، فاتاه للعدة ، فقال : دعها حتى تصير

باجا . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى
تصير تمرا . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب فجزها ولم يعط أخاه شيئا ، فصارت
مثلا سائراً في الخلف .

قال الأعشى :

وعدت وكان الخلفُ منك سَجِيَّةً • مواعيدَ عُرُقوبٍ أخاهُ يَشْتَرِبُ ٥

اليمين الغموس

منه قولهم : جذها جذ العير الصليانة . وذلك أن العير ربما اقتلع الصليانة
إذا ارتعاها .

ومنه الحديث المرفوع : اليمين الغموس تدع الديار بلا قمع . قال أبو عبيد :
اليمين الغموس هي المصبورة التي يوقف عليها الرجل فيحلف بها ؛ وسُميت غموساً
لغمسها حالفها في المأثم . ١٥

ومنه قولهم : اليمين حنثٌ أو مندمة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان حالفاً فليحلف بالله .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

في الرجل المبرز في الفضل ١٥

وقولهم : ما يشقُّ غباره ، وأصله السابق من الخيل .

وقولهم : جرى المذكي حسرت عنه الحمر ، أي كما يسبق الفرس القارح الحمر .

وقولهم : جرى المذكيات غلاؤه أو غلاب .

وقولهم : ليست له همةٌ دون الغاية القصوى .

الرجل النديه الذكر ٢٥

وقولهم : ما يحجر فلان في العكم . العكم : الجواق ، يريد أنه لا يخفى مكانه .

وقولهم : ما يوم حليمة بيسر وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر بن

ماء السماء ، فضربت مثلاً لكل أمر مشهور .

وقولهم : أشهر من أبلق .

وقولهم : وهل يخفى على الناس النهار .

ومثله : وهل يخفى على الناظر الصبح .

وقولهم : وهل يجهل فلاناً إلا من يجهل القمر .

الرجل العزيز يعز به الدليل

منه قولهم : إنَّ البُعَاثَ بِأَرْضِنَا تَسْتَسْرِ . البُعَاثُ : صغار الطير ، تستسر :

تصير نسوراً .

وقولهم : لا حَرَ بِوَادِي عَوْفٍ . يريدون عوف بن مُحَلِّم الشيباني ، وكان منيعاً .

وقولهم : تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ . مَارِدٌ : حصن بدومة الجندل ، والأبلاق :

حصن السموأل .

وقولهم : من عَزَّ بَزٌّ . ومن قَلَّ ذَلٌّ . ومن أَمِرَ قَلٌّ . أمر : كثير .

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان أَلْوَى بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ .

وقولهم : ما بَلَلْتُ منه بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ . وأصله السهم المكسور الفوق الساقط

النصل ، يقول : فهذا ليس كذلك .

وقولهم : ما يُقَعِّعُ لِي بِالشَّنَانِ .

وقولهم : ما يُصْطَلِي بِنَارِهِ .

وقولهم : ما تُقَرِّنُ بِهِ الصَّعْبَةَ .

النجد يلتقي قرنه

منه قولهم :

* إن كنتَ رِيحاً فقد لاقيتَ إعصاراً *

والحديد بالحديد يُفْلَح . والفلاح : الشق . ولا يفُل الحديد إلا الحديد . والنَّبْعُ
يَقْرَعُ بعضه بعضا . ورُمِيَ فلان بحجره ، أى قرن بمثله .

الأريب الداهي

هو هِتْرٌ أَهْتَارٌ ، وَصِلُّ أَصْلَالٌ . أصله من الحيات ، شبه الرجل بها .
ومثله : حية ذكر ، وحية واد .
وقولهم : هو عَضَلَةٌ من العُضَلِ . وهو باقِعَةٌ من البَوَاقِعِ . وَحَوْلٌ قَلْبٌ .
وَمُؤَدَّمٌ مُبَشَّرٌ . يقول : فيه ابن الأدمة ، وخشونة البشرة .
وفلان يعلم من حيث تُؤَكَلُ الكَتِيفُ .

التنبيه بلا منظر ولا سابقة

قال أبو عبيد : هو الذى تسميه العرب الخَارِجِيَّ ، يريدون : خَرَجَ من غير
أولية كانت له . قال الشاعر :

ألا يامروا لست بخارجي . وليس قديمٌ مجدك بانتحال

وقولهم : تَسْمَعُ بالمُعَيْدِ خَيْرٌ من أن تراه . وهو تصغير رجل منسوب إلى معد .
وقالوا :

نفسُ عصامٍ سوَدَتْ عِصَامًا .

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لَنَقَّابٌ . وهو الفَطِنُ الذَكِيُّ .
وقالوا : إنه لِعِضٌّ . وهو العالم النحرير .
وقولهم : أنا جُذَيْلٌ لها المَحْكُكُ ، وَعُذَيْقُها المَرْجَبُ .

قال الأصمعي : الجذيل : تصغير الجذيل ، وهو عود ينصب للإبل الجرباء ،
لتحتك به من الجرب ، فأراد أن يُشْفَى برأيه . والعُدَيْقُ : تصغير عَدَق ، والعَدَقُ
- بالفتح - النخلة نفسها ، فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المسائل بناء

- مرتفعاً يدعمها لكيلا تسقط ، فذلك الترجيب ، وصغرهما الهدح .
- وهله قولهم : إنه لجذل حكاك .
- ومنه قولهم : عنيتته أشقى الجرب . والعنية : شئ تعالج به الإبل إذا جربت .
- وقولهم : لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا .
- وأول من قرعت له العصا سعد بن مالك الكِنَاني ، ثم قرعت لعامر بن الظرب العدواني ، وكان حكم في الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله ، فقال لبنيه : إذا أنا زُغت فقوموني . وكان إذا زاغ قرعت له العصا ، فينزِع عن ذلك .
- ومنه قولهم : إنه لألمعى . وهو الذي يُصيب بالظن .
- وقولهم : ما حككت قرحة إلا أدميتها .
- وقولهم : الأمور تشابهة مُقبلة وتظهر مُدبرة . ولا يعرفها مُقبلة إلا العالم النحرير ، فإذا أدبرت عرفها الجاهل والعالم .
- الرجل المجرب
- منه قولهم : إنه لشراب بأنفع . أي مُعاود للخير والشر .
- وقولهم : إنه لخراج ولّاج .
- وقولهم : حلب الدّهر أشطّره . وشرب أفاويقه . أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر . هو شطر الحلبه . والفيقه : ما بين الحلبتين .
- وقولهم : رجل مُنجد . وهو المجرب ، وأصله من النواجذ ، يقال : قد عضّ على ناجذه ، إذا استحكّم .
- وقولهم : أول الغزو أخرق .
- وقولهم : لا تعدو إلا بغلام وقد غدا .
- وقولهم : زاحم يعود أو دَع .
- وقولهم : العوان لا تُعلم الخِمره .

وقالت العامة : الشارب لا يُصفر له .

الذب عن الحرم

قالوا : الفحل يحمى شوّله . والخيل تجرى على مساويها . يقول : إن الخيل
وإن كانت لها عيوب فإن كرمها يحملها على الجرى .
وقولهم : النساء لحم على وضّء إلا ما ذبّ عنه .

وقولهم : النساء حباثل الشيطان .

وقولهم : كلُّ ذات صدر خالة . يريد أنه يحمها كما يحمى خالته .

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خير لك فيمن لا يرى لك ما يرى لنفسه .

وقولهم : إنما يُضنّ بالضنّين .

وقولهم : خلّ سبيل من وهى سقاؤه .

وقولهم : ألقِ جبله على غاربه .

وقولهم : لو كرهتني يدي قطعتها .

الرجل يأخذ حقه قسراً

منه قولهم : يركب الصّعب من لا ذلّول له .

وقولهم : مجاهرة إذا لم أجد مختلاً . يقول : أخذ حق قسراً علانية إذا لم أصل

إليه بالستر والعافية .

وقولهم : حلبتها بالسّاعد الأشدّ . يقول : أخذتها بالقوّة والشدّة إذا لم أقدر

عليها بالرفق .

وقولهم : التجلّد خير من التبدّل ، والمّنية خير من الدّنية ، ومن عزّ بزّ .

الإطراق حتى تصاب القرصة

منه قولهم : مخربق ليذباع . مخربق : مطرق . لينباع : لينبعث . يقول :

سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها .

وقولهم : تحسبها حمقاء وهي باخس .

وقولهم : خيرُهُ في صدرِهِ .

وقولهم : أحقُّ بِلِغ . يقول : مع حمقه يدرك حاجته .

الرجل الجلد المصحح

أطرى فإنك ناعلة . أصله أن رجلا قال لراعية له كانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى . أى : خذى طرر الوادى . وهى نواحيه .

فإنك ناعلة . يريد : فإن عليك نعلين .

وقولهم : به داء طبي . معناه أنه ليس بالطبي داء .

وقالوا : الشجاع مؤتى .

الذل بعد العز

منه قولهم : كان جملاً فاستنوق . أى صار ناقة .

وقولهم : كان حماراً فاستأثن . أى صار أتاناً .

وقولهم : الحوز بعد الكوز .

وقولهم : ذلُّ لو أجد ناصراً . أصله أن الحارث بن أبي شمر الغساني ، سأل

أنس بن أبي الحجير عن بعض الأمر ، فأخبره : فلطمه الحارث ، فقال أنس :

ذل لو أجد ناصراً . فلطمه ثانية ، فقال : لو تهيت الأولى لم تلطم الثانية .

فذهبتا مثلين .

الانتقال من ذل إلى عز

منه قولهم : كنت كراعاً فصرت ذراعاً .

وقولهم : كنت عنزاً فاستتست .

وقولهم : كنت بُعائاً فاستدسرت . أى صرت نسراً .

تأديب الكبير

قالوا : ما أشدَّ فِطَامَ الكبير .

وقولهم : عودٌ يُقْلَح . أى جمل مُسننٌ تنقى أسنانه .

وقالوا : من العناءِ رياضةُ الهرم .

قال الشاعر :

وتروضُ عرسكَ بعدَ ماهرمتُ * ومن العناءِ رياضةُ الهرمِ

وقولهم : أعْيَيْتَنِي بأشْرٍ ، فكيف يدُرْدُرُ . يقول أعْيَيْتَنِي وأنت شابَةٌ ،

فكيف إذا بدت درادرك ، وهى مغارز الأسنان .

الذليل المستضعف

١٠ منه قولهم : فلانٌ لا يَعْوَى ، ولا يَنْبَسِحُ من ضَعْفِهِ . يقول : لا يتكلم

بخير ولا شر .

وقولهم : أهونَ مظلومٍ سِقَاءُ مُرَوِّبٍ . وهو السقاء الذى يُلْفَى حتى يبلغ

أوانَ الخض .

وقالوا : أهونَ مظلومٍ عجوزٌ معقومة .

وقولهم : لقد ذلَّ مَنْ بآلتٍ عليه الثعالب .

الذليل يستعين بأذل منه

قالوا : عبدٌ صرِيحُهُ أمةٌ .

وقولهم : مُثَقَّلٌ آستعانَ بذِقْنِهِ . وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا

يقدر على النهوض به ، فيعتمد على الأرض بذقنه .

وقولهم : العبدُ من لا عبدَ له .

الاحمق المسائق

قالوا : عدوُّ الرجلِ حُقمُهُ ، وصديقه عَقْلُهُ .

وقولهم : خرقاء عيابة . وهو الاحق الذي يعيب الناس .
وقالوا في الرجل إذا اشتد حمقه جدا : ثأطه مدت بماء . الثأطه الحمأة ، فإذا
أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة .

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان

- منه قولهم : تجنّب روضة وأحال يعدو . يقول : ترك الخصب واختار الشقاء .
وقولهم : لا يخلو مسكُ السوء من عرفِ السوء . يقول : لا يكن جلد رذل
إلا والريح المُنْتنة موجودة فيه .
ومن قول العامة : قيل للشقيّ هلم إلى السعادة . قال : حسبي ما أنا فيه .
ومن قول العامة :

- ١٠ إن الشقيّ بكلّ حبلٍ يَحْتَنِقُ .
وقولهم : لا يَعدَمُ الشقيُّ مَهْرًا . أي لا يعدم الشقي رياضة مهر .
الرجل تريد إصلاحه وقد أعيك أبوه قبله
منه قولهم : لا تَقْتَنِ مِنْ كَلْبٍ سُوءٍ جَرُوا .
وقال الشاعر :

- ١٥ تَرَجُو الْوَالِدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ . وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَالِدَا

الواهن العزم الضعيف الرأي

- منه قولهم : ماله أكل ولا صيور . أي ليس له رأى ولا قوة .
قال الأصمعي : طلب أعرابي ثوباً من تاجر ، فقال : أعطني ثوباً له أكل .
يعنى قوة وحصافة .
ومن قولهم : هو إمعة . وهو إمرة . قال أبو عبيد : هو الرجل الذي
لا رأى له ولا عزم ، فهو يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شيء . وكذلك
الإمرة ، الذي يتابع كل أحد على أمره .

ومنه قولهم : بنت الجبل . ومعناه الصدى يجيبك من الجبل ، أى هو مع كل متكلم يجيبه بمثل كلامه .

الذى يكون ضارا ولا نفع عنده

منه قولهم : المعزى تُبهى ولا تُبنى . قال أبو عبيد : معناه أن المعزى لا تكون منها الأبنية ، وهى بيوت الأعراب ، وإنما تكون من وبر الإبل ، وصف الضأن ، ولا تكون من الشعر ، وربما صعدت المعزى إلى الخباء فخرقتها ، فذلك قولهم تُبهى ، يقال : أهيت البيت ، إذا خرقتها ، فإذا انخرق قيل بيت باه .

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

ومنه قولهم : ترى الفتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدنخل .
وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إنك لمنظراني . قال : نعم ونخبرائي .

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعي : ويقال : لن يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساوا هلكوا .
قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشر ، والخير فى القليل من الناس ، فإذا كان التساوى فإنما هو من الشر .

ومن أشد العجائب قول القائل : سواسية كأسنان الخمار .

ومنه قولهم : الناس سواة كأسنان المشط .

وقولهم : الناس أشباه وشقى فى الشيم .

وقولهم : الناس أخفاف . أى مفترقون فى أخلاقهم ، وكلهم يجمعه بيت الأدم . والأخيف من الخيل : الذى إحدى عينه زرقاء ، والأخرى كحلاء .
ومنه قولهم : بيت الإسكاف فيه من كل جلد رُفعة .

المتساويان فى الخير والشر

هما كفرسى رهان . وكر كبتى بعير . وهما زندان فى وعاء . وهذا فى الخير .

وأما فى الشر ؛ فىقال : هما كحمارى العبادى . حىن قال له : أى حمارىك شر ؟
قال : هذا ثم هذا .

الفاضلان وأحدهما أفضل

- منه قولهم : مرعى ولا كالسعدان .
وقولهم : ماء ولا كصداء . وصداء : ركة ذات ماء عذب .
وقولهم : فتى ولا كالك .
وقولهم : فى كل الشجر ناز وأستمجد المرخ والعفار . وهما أكثر الشجر ناراً .

الرجل يرى لنفسه فضلاً على غيره

- منه قولهم : كلُّ عُجْرٍ بالخلاء يُسَرُّ . وأصله : الذى يُجْرِى فَرَسَهُ فى المكان
الخالى فهو يُسَرُّ بما يرى منه .

المكافأة

- منه قولهم : سَنَّةٌ بتلك .
وقولهم : أضئ لى ، أقدح لك . أى كن لى أكن لك .
وقولهم : أسق رقماش سقاية . يقول : أحسنوا لها إنها مُحْسنة .

الأمثال فى القربى

التعاطف بين ذوى الأرحام

- قال الكلبي : منه قولهم : يا بعضى دع بعضا . وأصل هذا أن زُرارة بن عُدس
زوج أبنته من سويد بن ربيعة ، فكان له منها تسعة بنين . وأن سويداً قتل أخوا
صغيراً وعمرو بن هند الملك وهرب ولم يقدر عليه ابن هند ؛ فأرسل إلى زُرارة
أن ائتني بولده من أبنتك ؛ فجاء بهم ، فأمر عمرو بقتلهم ، فتملقوا بجدهم زُرارة ؛
فقال : يا بعضى دع بعضا . فذهبت مثلاً .

ومن أمثالهم في التحنن على الأقارب

وقولهم : لكن على بَلَدَحِ قَوْمٍ عَجْفِي .

وقولهم : لكنن بالأثلاث لحم لا يُظَلَّل .

وأصل هذا أن يهسا الذي يُلقب بنعامه كان بين أهل بيته وبين قوم حرب ، فقتلوا سبعة إخوة لبهس وأسروا بهس ، فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به ، فنزلوا منزلاً في سفرهم ونحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : ظللوا لحم جزوركم لئلا يفسد . فقال بهس : لكنن بالأثلاث لحم لا يظلل . يعني لحم إخوته القتلى . ثم ذكروا كثرة ما غنموا ، فقال بهس : لكنن على بَلَدَحِ قَوْمٍ عَجْفِي . ثم إنه أفلت ، أو خلوا سبيله ، فرجع إلى أمه ، فقالت : أنجوت من بينهم ؟ وكانت لاتحبه : فقال لها : لو خُيِّرْتُ لآخَرْتُ فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطف عليه . فقال بهس : الشُّكْلُ أَرَأَمَهَا .

فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالا .

ومنه قولهم : لا يَعدَمُ الحُوراءُ من أمِّ حَنَّةَ .

وقولهم : لا يَضرُّ الحُوراءَ ما وِطِئَتْهُ أُمُّهُ .

وقولهم : بأبي أَوْجَهَ البِتامى .

حماية القريب وإن كان مبغضا

من ذلك قولهم : آكل لحمي ولا أدعُه يُؤكل .

ومنه : لا تَعدَمُ من ابن عمك نصراً .

وقولهم : الحفائظُ تُحمَلُ الأحقادَ .

وقولهم في ابن العم : عدوك وعدو عدوك .

وقولهم : كفك منك وإن كانت سلاء .

وقولهم : آنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

- منه قولهم : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ .
 وقولهم : القرْنَبِيّ في عين أمها حسنةٌ .
 وقولهم : زَيْن في عين والدٍ ولده .
 وقولهم : حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدُّ .
 وقولهم : من يمدح العروسَ إلَّا أهلها .
 تشبيه الرجل بأبيه
 منه قولهم : من أشبه أباه فما ظلم .
 وقولهم : العُصِيَّةُ مِنَ العِصَا .
 وقولهم : ما أشبه حَجَلِ الجبالِ بألوانِ صخرِها .
 وقولهم : ما أشبه الحوَلِ بالقَبَلِ . وما أشبه اللبَّةَ بالبارحةِ .
 وقولهم : شِدْشِنَةٌ أعرفها مِن أخزَمِ . يقال هذا في الولد إذا كانت فيه
 طبيعة من أبيه .
 قال زُهَيْر :

- ١٥ وهل يُنْبِتُ الخَطِيَّ إلَّا وشيْجُهُ * وتُغْرَسُ إلَّا في مَنَابِتِهَا النخْلُ
 ومنه قول العامة : لا تلد الذئبةُ إلَّا ذئبًا .
 وقولهم : حَذُو النعلِ بالنعلِ . وحذوُ القُدَّةِ بالقُدَّةِ ، والقُدَّةُ : الريشة من
 ريش السهم تُحذَى على صاحبِها .

تحاسد الأقارب

- ٢٠ من ذلك قولهم : الأَقْرَبُ هم العَقْرَبُ .
 وقال عمر : تزاوروا ولا تجاوروا .
 وقال أكرم : تباعدوا في الديار تقاربوا في المحبة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا .
ومنه قولهم : فَرَّقْ بَيْنَ مَعَدٍّ تَحَابَّ . يريد أن ذوى القربى إذا تدانوا تحاسدوا
وتباغضوا .

قولهم في الأولاد

٥ قالوا : مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . أى من يرى فيهم ما يسره يرى في نفسه
ما يسوه .
وقولهم :

إِنَّ بَنِي صَيْفِيَّةٍ صَيْفِيُّونَ . أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ
الولد الصيفي : الذى يولد للرجل وقد أسن . والربعي : الذى يولد له فى
١٠ عنفوان شبابه ؛ أخذ من ولد البقرة الربعي والصيفي .

ويقال للمرأة إذا تبذت غير ولدها : آبْنُكَ مَنْ دَمِي عَقْبِيكَ .

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : من مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرِ .

وقال عدى بن زيد العبادي :

١٥ لو بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلِيقِ شَرِيقِ . كُنْتُ كَالغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي
قال الأصمعي : هذا من أشرف أمثال العرب . يقول : إن كل من شرق بالماء
لا مستغاث له .

وقال الآخر :

كُنْتُ مِنْ كُرْبِيِّ أَفْرَأِ لِيهِمْ . فَهُمْ كُرْبِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ
٢٠ ومثله قول عباس بن الأحنف :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعٍ . يَهِيْجُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي

كيف احترايمى من عدوى إذا . كان عدوى بين أضلاعى

وقال آخر :

من غصَّ دأوى بشرب الماء غُصَّته . فكيف يصنع من قد غصَّ بالماء

الأمثال في مكارم الأخلاق

الحلم

قال أبو عبيد : من أمثالهم في الحلم : إذا تزا بك الشرُّ فأقعد . أى فاحلم
ولا تسارع إليه .

ومنه قول الآخر : الخليمُ مطيَّةُ الجهولِ .

وقولهم : لا ينتصفُ حلِيمٌ من جاهلٍ .

وقولهم : آخرِ الشرِّ فإنْ شدتْ تعجَّلتهُ .

وقولهم في الحلم : إنه لو وقع الطَّيرُ ، ولساكن الرِّيحِ .

وقولهم في الحلماء : كأنما على رءوسهم الطَّيرُ .

ومنه قولهم : رُبما أسمعُ فأذُرُ .

وقولهم : حِلْمى أهمُّ وأذنى غيرُ صمَاءِ .

العفو عند المقدرة

منه قولهم : ملكتْ فأنجحُ . وقد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها وكلها فأجابته ملكت فأنجح . أى ظفرت فأحسن . فجهزها بأحسن الجهاز . وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين - حتى قدمت المدينة .

ومنه قولهم : إن المقدرة تذهبُ الحفيظةُ .

وقولهم : إذا أرجحتْ شاصياً فارقعُ يداً . يقول : إذا رأيتَه قد خضع واستكان

فاكفف عنه . والشاصى : الرافع رجله .

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم : إذا عز أخوك فهُنْ .
 وقولهم : لولا الوثامُ هَلَكَ اللَّثَامُ . الوثام : المباهاة . يقول : لولا المباهاة لم
 يفعل الناس خيراً .

مداراة الناس

قالوا : إذا لم تغلب فاخلب . يقول : إذا لم تغلب فاخدع ودار وألطف .
 وقولهم : إلاً حظيَّةً فلا أليَّةً . معناه : إن لم يكن حظوة فلا تقصير .
 وألا يألو ، ويأتلى : أى يقصر . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ولا يأتل أولو
 الفضل منكم والسعة ﴾ .

وقولهم : سوء الاستمساك خيرٌ من حُسن الصرعة .
 ومنه قول أبي الدرداء : إنا لنَبَشُّ في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم .
 ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرارُ الناس من داراه
 الناس لشره .

ومنه قول شبيب بن شيبَةَ في خالد بن صفوان : ليس له صديق في السرِّ
 ولا عدوٌّ في العلانية . يريد أن الناس يدارونه لشره ، وقلوب الناس تبغضه .

مفاكهة الرجل أهله

منه قولهم : كُلُّ امرئٍ في بيته صبيٌّ . يريد حسن الخلق والمفاكهة .
 ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنا إذا خلونا قلنا (١) .
 ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : خياركم خيركم لأهله .
 ومنه قول معاوية : إنهنَّ يغلبن الكرام ويغلبهنَّ اللثامُ .

(١) في بعض النسخ : قلنا ، من القلة .

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمدُ مغنمٌ والذمُّ مغرمٌ .

وقولهم : إن قليلَ الذمِّ غيرُ قليلٌ .

وقولهم : إن خيراً من الخيرِ فاعلهُ ، وإن شراً من الشرِّ فاعلهُ .

وقولهم :

الخَيْرُ يَبْقَى وَإِن طَالَ الزَّمَانُ بِهِ . وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم :

هُوَ نَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَلَّعْ بِإِشْفَاقِهِ .

وقولهم : مَنْ أَرَادَ طَوْلَ الْبَقَاءِ فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

وقولهم : الْمَصِيبَةُ لِلصَّابِرِ وَاحِدَةٌ وَلِلْجَازِعِ اثْنَتَانِ .

وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ .

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أُصِيبَ بِابْنِ لَهُ ، فَبَكَى حَوْلَهُ ثُمَّ سَلَا ، فَقِيلَ لَهُ :

مَالِكَ لَا تَبْكِي ؟ قَالَ : كَانَ جُرْحًا فَبَرِيئًا .

قال أبو خراش الهذلي :

بَلَى لَهَا تَعْفُو الْكُؤُومِ وَإِنَّمَا هُوَ نَوَّكُلٌ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

ومنه قولهم : لَا تَلْهَفْ عَلَى مَا فَاتَ .

الحض على الكرم

منه قولهم : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يَبْقَى مِصَارِعَ السُّوءِ .

وقولهم : الْجُودُ مَحَبَّةٌ وَالْبُخْلُ مَبْغَضَةٌ .

وقول الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ . لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

الكريم لا يجد

لغوا طاعة منه وسما

منه قولهم : بيتي يبخل لا أنا .

وقولهم : بالساعد تبطش الكف .

وقولهم : ما كلف الله نفساً فوق طاقتها . ولا تجود يد إلا بما تجد

وقال آخر :

يرى المرء أحياناً إذا قلّ ماله . من الخير تارات ولا يستطيعها

مئى ما يرؤها قصر (١) الفقر كفه . فيضعف عنها والغنى يضعفها

القناعة والدعة

منه قولهم :

وحسبك من غنى شيع ورئى .

وقولهم : يكفيك ما بلغك المحل .

وقال الشاعر :

من شاء أن يكبر أو يُقلا * يكفيه ما بلغه المحلا

الصبر على المكاره تحمده العواقب

قالوا : عواقب المكاره محمودة .

وقالوا : عند الصباح يحمد القوم السرى .

وقولهم : لا تدرك الراحة إلا بالتعب .

أخذه حبيب فقال :

على أتى لم أخو مالاً مجمعا * فقرت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطى الأيام نوماً مسكناً * ألدُّ به إلا بنوم مُشرد

(١) فى بعض الاصول ، يتم .

وأحسن منه قوله أيضا :

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعَلِيَا فَلَمْ تَرَهَا * تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرٍ مِنَ النَّعْبِ

الانتفاع بالمال

قالوا : خير مالِك ما نفعك ، ولم يضع من مالك ما وعظك .

- ونظر ابن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

وقولهم : تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره .

قال الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا أنفقتَه فالمال لك

١٠ المتصافين

منه قولهم : هما كندما تني جذيمة .

قال الكلبي : هو جذيمة الأبرش الملك ، ونديماه رجلان من بلقين يقال لهما :

مالك ، وعقيل . بلقين : يريد من بنى القين .

وقولهم :

- ١٥ وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ * لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

ومنهم قولهم : هما أطول صحبة من ابني شتام . وهما جبلان .

خاصة الرجل

منه قولهم : عيبة الرجل . يريدون خاصته وموضع سره .

ومنهم الحديث في خزاعة : كانوا عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ٢٠ مؤمنهم وكافرهم .

من يكسب له غيره

منه قولهم : ليس عليك غزله فاصحب وجراً .

وقولهم : رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِد .

وقولهم : خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ سَاهِرَةٍ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِتَدْيِئِهَا .

وقولهم : شَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ ، وَخَيْرُ الْغَنَى الْقَنَاعَةُ .

ومنه الحديث المرفوع : أَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ .

قال الشاعر :

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِعًا وَتَحْمَلِ

ومنه قول هُدَيْبِ الْعَدْرِيِّ :

وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا دَهَرَ سَرَّتِي ۝ وَلَا جَاذِعٌ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي ۝ وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرَقَاءُ وَجَدْتُ صَوْفًا ۝ عَبْدٌ مَلِكٌ عَبْدًا فَأَوْلَاهُ تَبًّا .

وقولهم : مَنْ يَطَّلُ ذَيْلَهُ يَتَمَنَّقُ بِهِ ۝ وَمَرَعَى وَلَا أَكُولَةَ ۝ وَعُشْبٌ وَلَا يُعِيرُ .

يعنى مال ولا منفق .

الحض على الكسب

منه قولهم : أَطْلُبُ تَطْفَرُ .

وقولهم : مَنْ عَجَزَ عَنِ زَادِهِ اتَّكَلَّ عَلَى زَادِ غَيْرِهِ .

وقولهم : مَنْ الْعَجْزُ تُنَجَّتِ الْفَاقَةُ .

وقولهم : لَا يَفْتَرَسُ اللَّيْثُ الظَّبْيَ وَهُوَ رَابِضٌ .

وقول العامة : كَلْبٌ طَوَّافٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ .

وقولهم : *يا سعد لا تروى على ذاك الإبل* (١)
أوردها سعد وسعد مُشتمل .

الخبير بالأمر البصير به

- منه قولهم : على الخبير سقطت .
وقولهم : كنى قوما بصاحبهم خبيرا .
وقولهم : لكل أناس في جملهم خبير .
وقولهم : على يدى دار الحديث .
وقولهم : تعلقنى بضب أنا حرشته . يقول : أتخبرنى بأمر أنا وليته .
وقولهم : ول القوس باريها .
وقولهم : الخيل أعلم بفرسانها .
وقولهم : كل قوم أعلم بصناعتهم .
وقولهم : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها .

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه

- من ذلك قولهم : ما وراءك يا عصام . أول من تكلم به النابغة الذبياني لعصام
صاحب النعمان ، وكان النعمان مريضاً فكان إذا لقيه النابغة قال له : ما وراءك يا عصام ؟
وقولهم :

سيأتيك بالأخبار من لم تُروِّد .

وقولهم : إليك يُساق الحديث .

اتتحال العلم بغير آله

- منه قولهم : لكالحادى وليس له بعير .

(١) فى بعض النسخ : ما هكذا تورّد يا سعد الإبل .

وقال الخطيئة :

للكالماشي وليس له جذاء .
وقولهم : إنباض بغير توتير . وكفايض على الماء .

أخذه الشاعر فقال :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قايض . على الماء خائنه فروج الأصابع
وخرقاء ذات نيقه . يضرب للرجل الجاهل بأمر يدعى معرفته .

من يوصى غيره وينسى نفسه

يا طيب طب لنفسك .

ومنه : لا تعظيني وتعظني . أى : لا توصيني وأوصى نفسك .

الأخذ في الأمور بالاحتياط

منه قولهم : أن ترد الماء بماء أكيس .

وقول العامة : لا تصب ماء حتى تجد ماء .

وقولهم : عش ولا تغتر . يقول : عش إبلك ، ولا تغتر بما تقدم عليه .

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلا أتاهم ، فقال :

كما لا ينفع مع الشرك عمل ، كذلك لا يضر مع الإيمان تقصير . فكلهم قال :

عش ولا تغتر .

وقولهم : ليس بأول من غره السراب .

وقولهم : اشتر لنفسك وللأسوق .

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذي قال : أرسل ناقتي وأتوكل . قال :

أعقلها وتوكل .

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قبل الرمي يرأس السهم .

وقولهم : قَبْلَ الرَّمَايَةِ تُمَلُّ السَّكَنَانِ .

وقولهم : حُذِرَ الأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ . أَيْ : بِاسْتِقْبَالِهِ قَبْلَ أَنْ يُدِيرَ .

وقولهم : شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبْرِيُّ .

وقولهم : المَحَاجِزَةُ قَبْلَ المُنَاجِزَةِ .

وقولهم : التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ .

وقولهم : يَا عَاقِدُ اذْكُرْ حَلًّا .

وقولهم : خَيْرُ الأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَعْبَةٌ .

وقولهم : لَيْسَ لِلدَّهْرِ بِصَاحِبٍ . مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي العَوَاقِبِ .

طلب العافية بمسألة الناس

١٠ قولهم : مَنْ سَلَكَ الجِدَدَ أَمِنَ العِثَارَ . وَاحْذَرُ تَسَلَّمَ .

ومنه قولهم : جُرَّ لَهُ الخَطِيرَ مَا انْجَرَّ لَكَ . الخَطِيرُ : زِمَامُ النَاقَةِ .

ومنه قولهم : لَا تَتَكَنَّ أَدْنَى العَيْرِينَ إِلَى السَّهْمِ . يَقُولُ : لَا تَتَكَنَّ أَدْنَى أَصْحَابِكَ

إِلَى مَوْضِعِ التَّلْفِ ، وَكُن نَاحِيَةً أَوْ وَسْطًا .

قَالَ كَعْبٌ : إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْبًا فَلَا تَتَكَنَّ كَلْبَ أَصْحَابِكَ .

١٥ وَتَقُولُ العَامَّةُ : لَا تَتَكَنَّ لِسَانَ قَوْمٍ .

توسط الأمور

مَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَا تَتَكَنَّ حُلُومًا فَتَسْتَرْطَ ، وَلَا مُرًّا فَتُعْثِقَ . أَيْ تَلْفِظْ . يَقَالُ :

أَعْقَى الشَّيْءَ ، إِذَا أَشْتَدَّتْ مِرَارَتُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تَكْ أَنِيًّا حُلُومًا فَتُعْثِقِي . وَلَا مُرًّا فَتُنَشِبُ فِي الحِلَاقِ

٢٠ وَتَقُولُ العَامَّةُ : لَا تَتَكَنَّ حُلُومًا فَتُؤَكَّلْ ، وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظْ . وَتَوْسُطُ الأُمُورِ

أَدْنَى إِلَى السَّلَامَةِ .

ومنه قول مطرف بن عبد الله بن الشخير : الحسنة بين السيدتين . وخير

الأمور أوساطها ، وشرُّ السير الحَقِّقَة . قوله : بين السيثتين : يريد بين
المجازة والتقصير .

ومنه قولهم : بين المِخَّةِ والعجفاء ، يريد بين السمين والمهزول .
ومنه قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خيرُ الناسِ هذا النَّمَطُ الأوسط ،
يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الغَالِي .

الإبابة بعد الإجمام

منه قولهم : أَقْصَرَ لَمَّا أَبْصَرَ .
ومنه : أَتَبِعُ السَّيْئَةَ الحَسَنَةَ ، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، والذَّمُّ
تُوبَةٌ ، والاعْتِرَافُ يَهْدِمُ الاعْتِرَافُ .

مدافعة الرجل عن نفسه

جَاحَسَ فُلَانٌ عَن خَيْطِ رَقَبَتِهِ . وخيَطُ الرقبة : النخاع ، يقول : دافع عن
دمه ومُهَجَّتْهُ .
وقالت العامة :

• وَأَيُّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِكَ تَنْفَعُ •

ومنه : أَدْفَعُ عَن نَفْسِي إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْهَا دَافِعٌ .

قولهم في الانفراد

الذئبُ خَالِيًا أَسَدٌ ، يقول : إِذَا وَجَدَكَ خَالِيًا اجْتَرَأَ عَلَيْكَ .
ومنه الحديث المأثور : الوَحِيدُ شَيْطَانٌ .
وفي الحديث الآخر : عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ؛ فَإِنَّ الذَّئْبَ إِذَا يَصِيبُ مِنْ
الْغَنَمِ الشَّارِدَةَ .

- من ابتلى بشيء مرة مخافة أخرى .
- منه الحديث المرفوع : لا يُلسع المؤمن من جُحيرٍ مرتين . يريد أنه إذا لسع مرة تحفظ أخرى .
- وقولهم : من لدغته الحية يفرق من الرسن . قاله ابن ربيعة عنده .
- وقولهم : من يشتري سيفي وهذا أثره .
- يضرب هذا المثل للذي قد اختبر وجُزب .
- وقولهم : كُلَّ الحِذاءِ يَحْتَدِي الحافِي الوَقْعُ .
- الوقع : الذي يمشى في الوقع ، وهي الحجارة . قال أعرابي :
- يا ليت لي نعلين من جلد الضبع . كُلَّ الحِذاءِ يَحْتَدِي الحافِي الوَقْعُ .
- اتباع الهوى
- قال ابن عباس : ما ذكر الله الهوى في شيء إلا ذمّه .
- قال الشعبي : قيل له هَوَى : لأنه يُهوى به .
- ومن أمثالهم فيه : حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعِمِّي وَيُصِمُّ .
- وقالوا : الهوى إلهٌ معبود .
- الحذر من العطب
- قالوا : إن السلامة منها تَرَكُ ما فيها .
- وقولهم : أَعَوَّرَ عَيْنَكَ والحَجَرُ .
- وقولهم : الليلَ وأهضامَ الوادي . وأصله أن يسير الرجلُ ليلاً في بطون الأودية . حذره ذلك .
- وقولهم : دَعَّ خَيْرَها لِشَرِّها .
- وقولهم : لا تراهن على الصَّعْبَةِ .
- وقولهم : أَعذَرَ مَنْ أَنْذَرَ .

حسن التدبير والنهي عن الخرق

- الرفق يُمنُّ والخرقُ سُؤْمٌ . وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَحْرِمُ أَكْلَاتٍ .
 وقولهم : قلب الأمر ظهراً لبطن .
 وقولهم : ضرب وجه الأمر وعينه ، وأجر الأمور على أذلالها .
 ٥ على وجوهها .
 وقولهم : وجه الحجر وجهة ما له .
 وقولهم : ولي حارها من ولي قارها .

المشورة

- قلوا : أؤلُ الحزم المشورة .
 ١٠ ومنه لا يهلك امرؤ عن مشورة .
 قال ابن المسيب : ما استشرت في أمر واستخرت وأبالي على أيّ جنبي سقطت .

الجد في طلب الحاجة

- أبل عنذراً وخلاك ذم . يقول : إنما عليك أن تتجهد في الطلب وتُعذر ،
 لكيلا تدم فيها وإن لم تكن تُقضى الحاجة .
 ١٥ ومنه : هذا أوان الشد فاشتدّي زيم *
 وقولهم : درّب عليه جرّوتك . أي وطن عليه نفسك .
 ومنه : اجمع عليه جراهيزك ، واشدّد له حيازيمك .
 وقولهم : شمر ذيّلا ، وادرع ليّلا .
 ومنه : إيت به من حسك وبسك .
 ٢٥ ومنه قول العامة : جئ به من حيث أئس وأئس . والأيس : الموجود .
 والليس : المعدوم .

التأني في الأمر

- من ذلك قولهم : رُبَّ عَجَلَةٍ تُعَقِّبُ رَيْثًا .
 وقولهم : المنبَتُّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظهراً أَتَى .
 وقال القُطامي :
- ٥ قد يُدركُ المُتأني بعض حاجته . وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ
 ومنه : ضحَّ رُوَيْدًا . أي لا تعجل . والرَّشْفُ أنْفَع . أي أروى يقال :
 شرب حتى نفع .
 ومنه : لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلا مُسَكَا ساقا .
 سوء الجوارح
- ١٠ منه قولهم : لا يَنْفَعُكَ من جارٍ سُوءُ تَوَقِّيٍّ ، والجارُ السُّوءُ قطعته من نارٍ .
 ومنه : هذا أَحَقُّ منزلٍ بَرَكٍ .
 ومنه قولهم : الجارُ قبل الدار ، الرفيق قبل الطريق .
 ومنه قولهم : بعث جاري ولم أبع داري . يقول : كنت راغباً في الدار ،
 إلا أني بعثتها بسبب الجار السُّوءِ .
- ١٥ سوء المرافقة
- أنت تَتَّقُ وأنا مَتَّقُ فتي نَتَّفِقُ . التَّقُّ : السَّرِيعُ الشرِّ . والمتَّقُّ : السَّرِيعُ البكاءِ ؛
 ويقال : الممتلئ من الغضب . والتتَّقُ والمتَّقُ مَهْمُوزَانِ .
 وقولهم : ما يُجْمَعُ بين الأروى والنَّعامِ . يريد أن مسكن الأروى الجبل
 ومسكن النعام الرمل . والأروى ، جمع أروية .
 ومنه : لا يَجْتَمِعُ السَّيفانُ في غِمْدٍ .
 ومنه : لا يَلْطَاطُ هذا بقرى . أي لا يَلْصِقُ بقلبي .

العادة

قالوا : العادةُ أمَلَكُ من الأدبِ .

وقالوا : عادةُ السُّوءِ شرٌّ من المَعْرَمِ .

وقالوا : أعطِ العبدَ ذراعاً يَطْلُبُ باعاً .

ترك العادة والرجوع إليها

منه قولهم : عاد فلانٌ في حافِرَتِهِ . أى في طريقته . ومنه قوله تعالى :

﴿ أَتُنَبِّئُ لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ . ومنه : رَجَعَ فلانٌ على قَرَوَانِهِ . ومنه الحديث :

لا تَرْجِعْ هذه الأُمَّةُ عن قَرَوَانِهَا .

اشتغال الرجل بما يعنيه

منه : كلُّ امرئٍ في شأنِهِ ساعٍ .

وقولهم : هَمُّكَ ما هَمُّكَ . هُمُّكَ ما أدْأَنُكَ .

وقولهم : ولى حارّها من تولى قارّها .

قلة الاكتران

منه قولهم : ما أباليه بالةٌ ، أَسْمَحُ يُسْمَحُ لَكَ .

وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن ؟ فقال : ما أباليه بالةٌ .

وقولهم : الكلابَ على البقرِ . يقول : خلّ الكلابِ وبقرِ الوحشِ .

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

هانَ على الأملَسِ ما لاقى الدَّيرُ .

وقولهم : ما يَلْقَى الشَّجِي من الخَلِي . قال أبو زيد : الشجى مخفف ،

والخلى : مشدد .

ومنه قول العامة : هان على الصَّحيحِ أن يقول للريض : لا بأس عليك .

الجشع والطمع

- منه قولهم : تُقَطِّعُ أعناق الرِّجالِ المَطامِعُ .
 ومنه قولهم : غَشَّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ .
 وقولهم : المسألةُ مُخْمُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا .
 ٥ وقال أبو الأسود في رجل دنى : إِذَا سُئِلَ أَرْزَى وَإِذَا دُعِيَ اتَهَمَزَ (١) .
 ومنه قول عون بن عبد الله : إِذَا سَأَلَ أَحْفَفَ ، وَإِذَا سُئِلَ سَوَّفَ .

الشراهة للطعام

- منه قولهم : وَحَمَى وَلَا حَبَلٌ . أَى لَا يُذَكَّرُ شَيْءٌ إِلَّا أَشْتَهَاهُ ، كَشَهْوَةِ الْحَبَلِيِّ .
 وهى الوحى .
 ١٠ ومنه : المرءُ تَوَاقَى إِلَى مَا لَمْ يَنْبَلُ .
 وقولهم : يَبْعَثُ الْكَلَابَ عَلَى مَرَابِضِهَا . أَى يَطْرُدُهَا طامِعاً أَنْ يَجِدَ شَيْئاً
 يَأْكُلُهُ مِنْ تَحْتِهَا .
 ومنه قولهم : أَرَادَ أَنْ يَأْكَلَ بِيَدَيْنِ .
 ومنه الحديث المرفوع : الرَّغْبَةُ سُؤْمٌ .

الغلط في القياس

- ١٥ مثل قولهم : لَيْسَ قَطًّا مِثْلُ قُطَيٍّ .
 وقال ابن الأَسلت :
 لَيْسَ قَطًّا مِثْلُ قُطَيٍّ وَلَا السَّمْرَعِيُّ فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِي
 ومنه قولهم : مُذَكِّيَّةٌ تُقَاسُ بِالْجِدَاعِ . يُضْرَبُ لِمَنْ يَقِيسُ الْكَبِيرَ بِالصَّغِيرِ .
 ٢٠ والمذكية : هى المُسْتَهة مِنَ الْخَيْلِ .

(١) فى بعض الاصول : « اهتز » .

وضع الشيء في غير موضعه

منه : كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ ، وَهَجْرٌ : مَعْدِنُ التَّمْرِ .
قال الشاعر :

فإنا ومن يُهْدِي القَصَائِدَ نَحُونَا ه كَمُسْتَبْضِعِ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا
ومنه قولهم : كَمُعَلَّةٍ أَمَهَا الرِّضَاعَا

ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حَامِلٍ فَقَّهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

وفيمن وضع الشيء في غير موضعه : ظَلَمَ مَنْ أَسْرَعَى الذُّبَابَ العَنَمَ .
وقال ابن هرمة :

كَتَارِكَةٍ يَبْضُهَا بِالْعِرَاءِ ه وَمُلْحَنَةٍ يَبْضُ أُخْرَى جَنَاحَا
يصف النعامة التي تحضن بيض غيرها وتضع بيضها .

كفران النعمة

منه : سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كَلَّكَ . أَحْشُكَ وَتَرَوْنِي . قال في مخاطبة فرسه : أَعْلِفُكَ
الحشيش وتروني على .

ومنه قول الآخر :

أَعْلَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ه فلما استدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

التبذير

منه قولهم : لَا مَاءَ كِ أَبْقَيْتِ ، وَلَا دَرَنَكَ أَنْقَيْتِ .

وقولهم : لَا أَبُوكَ نُشِرَ وَلَا التُّرَابُ نَفِدَ . أصل هذا المثل لرجل قال : ليتني

أعرف قبر أبي حتى آخذ من ترابه على رأسي .

الهمة

منه قولهم : عَسَى الغَوَيْرُ أَبُوسَا . والأبوس جمع بأس ، قال ابن الكلبي :

الغوير : ماء معروف لكلب . وهذا مثل تكلمت به الزباء ، وذلك أنها وجهت قصيرا

للخمي بالغير ليحلب لها من بزّ العراق ، وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش ،
 فجعل الأحمال صناديق ، وجعل في كل صندوق رجلا معه السلاح ، ثم تنسكب
 بهم الطريق وأخذ على الغوير فسألت عن خبره ، فأخبرت بذلك ، فقالت :
 عسى الغوير أبوسا . تقول عسى أن يأتي الغوير بشر ، وأستسكرت أخذه على
 غير الطريق .

ومنه : سَقَطَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ عَلَى الظَّنِّ ، أَي نصحته فاتهمك .
 ومنه : لَا تَنْقُشِ الشُّوكَةَ بِمِثْلِهَا ، فَإِنْ ضَلَعَهَا مَعَهَا . يقول : لَا تَسْتَعِنِ فِي
 حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ لِلْمَطْلُوبِ مِنْهُ الْحَاجَةُ أَنْصَحَ مِنْهُ لَكَ .

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه

١٠ منه : لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ عُرُوسًا أَهْدَيْتَ فَوَجَدَهَا الرَّجُلُ
 نَفْلَةً ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ الطَّيِّبُ ؟ قَالَتْ : آذَخْرَتِهِ . قَالَ : لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ .
 وَقَوْلُهُمْ : لَا بَقَاءَ لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحُرْمَةِ ؛ يَقُولُ : إِنَّمَا يَحْمِي الْإِنْسَانَ حَرِيمُهُ ،
 فَإِذَا ذَهَبَ فَلَا حِمِيَةَ لَهُ .

الإساءة قبل الإحسان

١٥ منه : يَسْبِقُ دِرَّةً غِرَارُهُ ؛ الْغِرَارُ : قَلَّةُ اللَّبَنِ . وَالدِّرَّةُ : كَثْرَتُهُ . وَيَسْبِقُ
 سَيْلُهُ مَطَرَهُ .

البخل

مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَلَا مِيرٌ . سِوَاؤُهُ هُوَ وَالْعَدَمُ . الْعَدَمُ وَالْعُدْمُ ، لَعْنَتَانِ .
 مَا بَضَّ حَجْرُهُ . وَالْبَضُّ أَقْلُ السَّيْلَانِ .

مَا تَبَدَّلَ إِحْدَى يَدَيْهِ الْأُخْرَى .^(١)

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . مَا تَبَدَّلَ إِحْدَى يَدَيْهِ لِأُخْرَى .

الجبين

إِنَّ الْجَبَانَ حَتَّفَهُ مِنْ فَوْقِهِ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَحْتَسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ .

ومنه : كلُّ أذْبٍ نفورٌ . وقتفَّ شعْرُهُ . واقشعرت ذؤابتهُ . معناه : قام شعره من الفرع .

وشرق بريقه .

الجبان يواعد - لا يفعل

الصدقُ يُذبي عنك لا الوعيدُ . يذبي : يدفع عنك من يذبو .

ومنه : أوسعتهم شتا^(١) وأودوا بالإبل .

وقيل لأعرابي خاصم امرأته إلى السلطان : كبها الله لوجهها . فقال : ولو أمرني إلى السجن .

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قولهم : إن ذهبَ غيرُ فَعَيْرٌ في الرباطِ .

ومنه : إذا غابَ منها كوكبٌ لاحَ كوكبٌ .

وقولهم : رأسُ برأسٍ وزيادةٌ خمسمائةٌ ، قالها الفرزدق في رجل كان في جيش ، فقال : من جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم . فبرز رجل وقتل رجلا من العدو ، فأعطاه خمسمائة درهم : ثم برز ثانية ، فقتل ، فبكى عليه أهله ، فقال لهم الفرزدق : أما ترضون رأسا برأسٍ وزيادة خمسمائة ؟

المقادير

منه قولهم : المقاديرُ تُريك ما لا يُحْطَرُ بيالكِ .

(١) في بعض الأصول : وسبا .

وقولهم : إذا نَزَلَ الْقَدْرُ غَشِيَ الْبَصَرَ . وإذا نَزَلَ الْحَيْنُ غَطَّى الْعَيْنَ . ولا يُغْنِي
حَذْرٌ مِنْ قَدِيرٍ . من مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِيرُ .
وقولهم : وكيف تَوَقَّيْ ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ .

الرجل يأتي إلى حتفه

منه قولهم : أَتَتَكَ بِحَائِنٍ رَجُلَاهُ . لا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدْيَةِ .
وقولهم : حَتَّفَهَا تَحْمِلُ ضَأْنًا بِأُظْلَافِهَا .

ما يقال للجاني على نفسه

يداك أو كتنا وفوك نَفَخَ . وأصله أن رجلاً نَفَخَ زَقًّا وَرَكِبَهُ فِي النَّهْرِ ، فَانْحَلَّ
الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل . فاستغاث بأعرابي على ضفة النهر ، فقال :
يداك أو كتنا وفوك نَفَخَ .

جالب الشر إلى أهله

منه قولهم : دَلَّتْ عَلَى أَهْلِهَا بَرَأَقِشُ . وبراءقشُ كَلْبَةٌ لَحَى مِنَ الْعَرَبِ مَرَّ بِهِمْ
جَيْشٌ لَيْلاً وَلَمْ يَنْتَبَهُوا لَهُمْ ، فَنَبَحَتْ بَرَأَقِشُ فَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ .
وقالوا : كَانَتْ عَلَيْهِمْ كِرَاعِيَّةَ الْبَسْكَرِ . يعنون ناقة ثمود .
وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظُلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ هـ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيْثُ الْبَحْرِ

تصرف الدهر

منه قولهم : مَرَّةٌ عَيْشٌ وَمَرَّةٌ جَيْشٌ .
ومنه : الْيَوْمُ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ . قاله امرؤ القيس ، أو مهلهل أخو كليب ،
لما أتاه موت أخيه وهو يشرب .
وقالوا : عَيْشٌ رَجَبًا تَرَّ عَجَبًا .
وقالوا : أُنَى الْأَبْدُ عَلَى كَبَدٍ .

وقال الشاعر :

فِيَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ۝ وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

وقولهم : مَنْ يَجْتَمِعُ تَتَقَعَّقُ عُمْدَهُ . وأنشد :

أَجَارَتْنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرِّقُ ۝ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْعَوَادِثِ يَغْلَقُ

الأمر الشديد المعضل

منه قولهم : أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ ، وَأَيْنَ يَضَعُ الْمَخْنُوقُ يَدَهُ .

ومنه قولهم : لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ .

ومنه قولهم : رَأَى الْكَوْكَبَ ظَهْرًا . قال طرفة :

۝ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَهْوِي بِالظَّهْرِ ۝

هلاك القوم

منه قولهم : طَارَتْ بِهِمُ الْعَنْقَاءُ . وطارَتْ بِهِمْ عُقَابٌ مَلَاعٌ . يقال ذلك في

الواحد والجمع . وَأَحْسَبُهَا مَعْدُولَةً عَنِ مَلِيعٍ .

والمنايا على الحَوَايَا . قال أبو عبيد : يقال إن الحوايا في هذا الموضع مَرَكِبٌ

من مراكب النساء ، واحدها حَوِيَّةٌ ، وَأَحْسَبُ أَصْلَهَا أَنْ قَوْمًا قَتَلُوا ، فَخَمَلُوا

على الحوايا ، فَظَنَ الرَّاءُونَ أَنَّ فِيهَا نِسَاءً ، فَلَمَّا كَشَفُوا عَنْهَا أَبْصَرُوا الْقَتْلَى ، فَقَالُوا

ذلك : فَصَارَتْ مِثْلًا .

ومنه : أَتَتْهُمُ الدُّهْمُ تَرْمِي بِالرِّضْفِ . معناه الداهية العظيمة .

وهذا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَوَلِيدُهُ . معناه أن الأمر أَشَدُّ حَتَّى ذَهَلَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ

تَدْعُو وَوَلِيدَهَا .

ومنه : التَّقَّتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ . وَبَاعَ السَّيْلُ الرُّبِيَّ . وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ .

وتقول العامة : بَلَغَ السَّكِينُ الْعَظْمَ .

إصلاح ما لا صلاح له

منه قولهم : * كدَابِغَةٌ وقد حَلِمَ الأَدِيمُ * .

حلم : فسد . وكتب الوليد بن عُقبَةَ إلى معاوية بهذا البيت :

فإنك والكتابَ إلى عليٍّ * كدَابِغَةٌ وقد حَلِمَ الأَدِيمُ

في شعرٍ له .

صفة العدوِّ

يقال في العدوِّ : هو أزرَقُ العين . وإن لم يكن أزرق . وهو أَسْوَدُ الكَبِدِ .

وأَصْهَبُ السَّبَالِ .

البخيل يعتل بالعسر

منه قولهم : قبلَ البُكاءِ كان وجهُكَ غَابِئاً .

ومنه : قبلَ النَّفَاسِ كنتِ مصْفَرَّةً .

اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل

منه : تُخَذُ من الرِّضْفَةِ ما عليها . وخذ من جَدَعٍ ما أعطاك .

قال ابن الكلبي : وأصل هذا المثل أن غسان كانت تؤدِّي إلى ملوك سَلِيحِ

١٥ دينارين كل سنة عن كل رجل ، وكان الذي يلي ذلك سبْطَةَ بن المنذر السَّلِيحِي .

جاء سبْطَةَ إلى جَدَعِ بن عمرو الغَسَّانِي يسأله الدينارين . فدخل جَدَعُ منزله

واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سبْطَةَ حتى سكت ، ثم قال له : تُخَذُ من

جَدَعٍ ما أعطاك ! فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك ، وصار الملك لها

حتى أتى الإسلام .

٢٠ البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه

منه قولهم : سَمْنُكُمْ هَرِيْقٌ في أَدِيمِكُمْ .

ومنه : يا مُهْدِيَ الْمَالِ كُلِّ مَا أهدَيْتَ .

ومنه قول العامة : الحِمَارُ جَلَبَهَ والجَارُ أَكَلَهَ .

موت البخيل وماله وافر

منه : مات فلانٌ عريضَ البِطَانِ . ومات بيْطِنْتِه لم يتَغَضَّضَ منها شيءٌ .

والتغضض : النقصان .

البخيل يعطي مرة

منه قولهم : ما كانت عطيتُه إلا بيضةَ العُقرِ . وهي بيضة الديك .

قال الزبيرى : الدِّيكُ ربما باضَ بيضةً .

وأُشْدَ لبشار :

قد زُرْتِي زُورَةً في الدهرِ واحدةً . ثنِّي ولا تجعلِها بيضةَ الدِّيكِ

ومنه قول الشاعر :

لا تعجبنَ لخَيْرِ زَلٍّ من يده * فالسُّكُوكِبُ النُّحُسُ يسقي الأرضَ أحياناً

ومنه قولهم : من الخواطي سَهْمٌ صائبٌ .

والليلُ طویلٌ وأنتَ مُقَمَّرٌ . وأصلُ هذا أن سُلَيْكَ بن سُلَيْكَةَ ، كان نائمًا

مشملاً ، فجثم رجلٌ على صدره ، وقال له : آسْتَأْسِرُ . فقال له : الليلُ طویلٌ

وأنتَ مقمرٌ . ثم قال له : آسْتَأْسِرُ يا خبيثٌ . فضمه ضمّةً شرط منها ، فقال له :

أضْرَطاً وأنتَ الأعلى . فذهبت أيضاً مثلاً .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تَسَأَلُنِي بِرِامَتَيْنِ سَاجِمًا . وأصله أن امرأةً تشهتُ على زوجها

سَلْجَمًا وهو بيلد قفر ، فقال هذه المقالة : والسَلْجَمُ : اللفت .

ومنه : شر ما نال امرؤٌ مالم يَنْلِ .

ومنه : السائلُ فوقَ حقِّه مستحقُّ الحرمانِ .

ومنه قولهم :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ ، سَاءَ كِ مَاسَرَكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ

الرضا بالبعض دون الكل

منه : قد يركب الصَّعبَ مَنْ لا ذلولَ له .

وقولهم : خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أُعْطَاكَ .

وقولهم : خُذْ مَا طَفَّ . لك أى أرض بما أمكنك .

ومنه قولهم : زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ .

وقولهم : ليس الرِّئُ [عن] التَّشَافِّ . أى ليس يروى الشارب بشرب الشفافة

كلها ، وهى بقية الماء فى الإناء ، ولكنه يروى قبل بلوغ ذلك .

وقولهم : لَمْ يُجْرَمَ مَنْ فُصِدَ لَهُ . ومعناه أنهم كانوا إذا لم يقدرُوا على قِرَى

الضيف فصدوا له بعيراً وعالجوا دمه بشيء حتى يمكن أن يأكله .

ومنه قول العامة : إذا لم يكن شحمٌ فنفسٌ . أصل هذا أن امرأةً لبست ثياباً ،

ثم مشت وأظهرت البهر فى مشيتها بارتفاع نفسها ، فلقبها رجل ، فقال لها :

إنى أعرفك مهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شحمٌ فنفس ، وقال

ابن هانئ :

قال لى : تَرْضَى بِوَعْدِ كَاذِبٍ * قلت إن لم يكُ شحمٌ فنفسٌ

التتوق فى الحاجة

منه قولهم : فعلتُ فيها فعلٌ من طَبٍّ لمن حَبَّ .

ومنه قولهم : جاء تَصَبُّ لِنَاثِهِ عَلَى الْحَاجَةِ . معناه لشدة حرصه عليها .

وقال بشر بن أبى خازم : خَيْلٌ تَصَبُّ لِنَاثِهَا لِلْمَغْنَمِ .

استتمام الحاجة

أَتَبِعَ الْفَرَسَ لِحَامِهَا . يريد أنك قد جُدت بالفرس واللجامُ أيسرُ حُطْبًا . فأتَمَّ الْحَاجَةَ

ومنه : تمام الربيع الصيفُ . وأصله في المطر : فالربيع أوله ، والصيف آخره .

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسنة يُعْط مَهْرها .

وقولهم : المصانعة تُدَسِّر الحاجة ، وَمَنْ اشْتَرى فَقَدْ اشْتَوَى . يقول : من اشترى لهما فقد أكل شواء .

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّراحُ من النَّجاح ، والنَّفْسُ مُولعةٌ بِحُبِّ العاجِلِ .

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كِلَا جانِبِي هَرَشِي لَهَنَ طَرِيقَ . هَرَشِي : عَقِبَة .

ومنه : هو على حَبْلِ ذِرَاعِكَ . أى لا يُخالفك .

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إِلا دَهٍ فَلا دَهٍ . قال ابن الكلبي : معناه أن كاهنا تقاضى إليه رجلان من العرب . فقالا : أخبرنا في أى شيء جئناك ؟ قال : فى كذا وكذا .

قالا : إله . أى انظر غير هذا النظر . قال : إله فلا . ثم أخبرهما بها . قال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن .

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قد عَلِقَتْ دُلُوكَ دُلُوَ أُخْرَى .

وقولهم : الأمرُ يَحْدُثُ دُونَهُ الأَمْرُ .

وقولهم : أَخْلَفَ رُوَيْعِيَا مَظَنَّهُ . وأصله أن راعيا اعتاد مكانا ، فجاء يرعاه ،

فوجدته قد تغير وحال عن عهده .

ومنه قولهم : سَدَّ آبن بِيضِ الطَّرِيقِ سَدًّا . وابن بِيض : رجل عقر ناقة في رأس ثنية فسَدَّ بها الطريق .

اليأس والخيبة

منه قولهم : مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ . أى من لِي بِالْيَمَنِ بَعْدَ الشُّؤْمِ .

وقولهم : جَاءَ بِيْحُنِي حُنَيْنِ . وقد فسرناه في الكتاب الذى قبل هذا .
ومنه : أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْخَيْبَةَ .

ونظير هذا قولهم : سَكَتَ الْفَأْ وَنَطَقَ خَلْفًا . أى أَطَالَ السُّكُوتَ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ ، وهذا المثل يقع في باب العي ، وله هاهنا وجه أيضاً .
وقال الشاعر :

وما زلتُ أقطع عرض البلادِ * منَ المشرقِينِ إلى المغربِينِ
وأدرِغُ الخوفَ تحتَ الدُّجَى * وأستصحبُ النَّسْرَ والفرقَدَينِ
وأطوي وأنشرُ ثوبَ الهمومِ * إلى أن رجعتُ بِيْحُنِي حُنَيْنِ

طلب الحاجة في غير موضعها

قالوا : لم أجد لشفرتى محزاً .

وقولهم : كَدَمْتُ غَيْرَ مَكْدَمِ .

وقولهم : نفختَ لو تنفخَ في فِخْمِ .

وقالت العامة : يضرب في حديد بارد .

طلب الحاجة بعد فواتها

منه قولهم : لا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنِ .

وقولهم : الصَّيْفَ صَيَّعَتِ اللَّبَنَ . معناه أن الرجل إذا لم يُطْرِقْ مَاشِيَتَهُ فِي

الصَّيْفِ كَانَ مَضِيْعًا لِأَلْبَانِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ .

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : من نجا برأسه فقد ربح .

وقولهم : رضيت من الغنيمة بالإياب

وقول العامة : الهزيمة مع السلامة غنيمة .

وقال امرؤ القيس :

وقد طوّقت في الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال آخر :

الليل داج والكباشُ تلتطّيحُ * فمن نجا برأسه فقد ربحُ

من طلب الزيادة فاتتقص

منه : كطالب القرن [جِدَعَتْ] أذنه .

وقولهم : كطالب الصيّد في عريسة الأسد .

وقولهم : سقط العشاء بها على سرحان . يريد دابة خرجت تطلب العشاء

فصادفت ذئباً .

ونظير هذا من قولنا :

طلّبت بك التّكثيرَ فازدّدتُ قلةً • وقد يخمرُ الإنسان في طلب الرّيح

الخلاء بالحاجة

منه قولهم : • خلا لك الجوّ فيبضي وأصفرى •

ومنه : رُمي بريشك على غاربك . وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت

ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ذهب والله ميمونة ورُمي بريشك

على غاربك .

إرسالك فى الحاجة من تثق به

• أرسل حكماً ولا توصه •

وقولهم : الحريصُ بصيدك لا الجواد . يقول : إن الذى يحرص بحاجتك

هو الذى يقوم بها ، لا القوى عليها ولا هوى له فيها .

ومنه قولهم : لا يُرحلَنَّ رحلكَ من ليس معك .

ومنه فى هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصبَ عينيه ، ويحملها بين أذنيه وعانقه .

ولم يجعلها بظهور .

قضاء الحاجة قبل السؤال

منه قولهم : لا تسأل الصارخ وانظر ماله . يريد : لم يأتك مستصرخاً إلا من

ذعر أصابه ، فأعنه قبل أن يسألك .

ومنه : كفى برغائها مُنادياً .

ومنه : يُخبرُ عن مجهولِه معلومه .

وقولهم : فى عينه فراره . يعنون فى نظرك إلى الفرس ما يُغنيك عن أن تفره .

الانصراف بحاجة تامة مقضية

١٥ جاء فلانٌ ثانياً من عناية . فإن جاء بغير قضاء حاجة ، قالوا : جاء يضربُ

أصدره ، أى عطفه .

وجاء وقد لفظ لجامه . وجاء سهلاً .

فإن جاء بعد شدة قيل : جاء بعد اللتيا والتى . وجاء بعد الهياطِ المياطِ .

تجديد الحزن بعد أن يبكى منه

٢٠ منه قولك : حرك لها حوارها تحن . وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص

أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام : أخرج إليهم قميصَ عثمان

رضوان الله عليه الذي قُتل فيه . ففعل ذلك معاوية . فأقبلوا يبكون . فعندها قال عمرو : حَرَّكَ لَهَا حُورَاهَا تَحَنَّنَ .

جامع أمثال الظلم

منه قولهم : الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ .

وفي الحديث : الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ومنه : إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعَنْبَبَ .

وقولهم : الْحَرْبُ غُشُومٌ .

الظلم من نوعين

منه : أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ .

ومنه : أَعْدَةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ ، وَمَوْتٌ فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ .

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فليجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها .

ومنه : أَعْيْرَةٌ وَجُبْنًا . قاله امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله ، ورآها تنظر إلى القتال فضربها . فقالت : أَعْيِرَةٌ وَجُبْنًا ؟

وقولهم : أَكْشَفًا وَإِمْسَاكَ . أصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع .

وقولهم : يَاعْبِرِي مُقْبِلَةً وَسَهْرِي مُدْبِرَةً . يضرب للأمر الذي يُكره من وجهين .

ومنه قول العامة :

كَالْمُسْتَعِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ .

وقولهم : لِلْمَوْتِ يَفْزَعُ وَالْمَوْتِ بَدَرٌ .

وقولهم : كَالْأَشْقَرِ : إِنْ تَقَدَّمَ نَحَرَ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُنُقَ .

وقولهم : كالأرقامِ إن يُقْتَلْ يَنْقَم ، وإن يُتْرَكَ يَلْقَم . يقول : إن قتلته كان له من ينتقم له منك ، وإن تركته قتلك .

ومنه : هو بين حاذِفٍ وقاذِفٍ . الحاذِف : الضارب بالعصا ، والقاذِف : الرامي بالحجر .

من يزداد غما على غمه

منه قولهم : ضَغْتُ على إِبَالَةٍ . الضغْتُ : الخزمة الصغيرة من الخطب ، والإبالة : الكبيرة .

ومنه قولهم : كَفْتُ إلى وئِيَّة . الكفتُ القدر الصغيرة ، والوئِيَّة : القدر الكبيرة . يُضْرَب للرجل يحمل البلية الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة .

ومنه قولهم : وَقَعُوا في أُمِّ جُنْدُبٍ ، إذا ظَلَمُوا .

المغبون في تجارته

منه قولهم : صَفَقَةٌ لم يشهدْها حاطِبٌ . وأصله أن بعض أهل حاطب باع بيعة غبن بها .

ومنه قولهم : أَعْطَاهُ اللِّفَاءَ غَيْرَ الوَفَاءِ .

سرعة الملامة

منه : ليس مِنَ العَدْلِ سُرْعَةُ العَدْلِ .

ومنه : رَبٌّ مَلُومٌ لا ذَنْبَ له .

وقولهم : الشَّعِيرُ يُؤْكَلُ وَيُدْمُ .

وقول العامة : أَكَلًا وَذَمًّا .

وقول الحجاج : قُبِّحَ والله مِنَّا الحَسَنُ .

السكريم بهتضمه اللئيم

لو ذات سوارٍ لطمّتي .

ومنه : ذُلُّ لو أجدُ ناصراً .

الاتصار من الظلم

هذه بتلك ، والبادي أظلم .

ومنه : مَنْ لم يذُدْ عن حوضه يُهدم .

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه

قالوا : من حفر مغوأة وقع فيها . والمغوأة : البئر تحفر للذئب ، ويجعل فيها

جدى ليسقط الذئب فيها لبيصده ، فيصطاد .

ومنه : يعدو على كلِّ امرئٍ ما ياتمير .

ومنه : عاد الرمي على النزعة . وهم الرماة يرجع عليهم رميهم .

وتقول العامة : كالباحث عن المدية .

ومنه قولهم : رمي بحجره ، وقُتل بسلاحه .

المضطر إلى القتال

مُكرهٌ أخوك لا بطل .

قد يحمل العير من ذعرٍ على الأسد .

المأخوذ بذنب غيره

جانبك من يحيي عليك .

ومنه : كذبي العرّ يُكوي غيره وهو رافع .

ومنه : كالشور يُضرب لما عافت البقر .

يعنى : عافت الماء

وقال أنس بن مُدْرِك :

إني وقتلي سُلَيْكَا ثم أَعْقِلُهُ . كالثورِ يُضْرَبُ لما عافتِ البقرُ

يعنى ثور الماء ، وهو ثورانه ، يقال : ثار الماء ثوراً وثورانا .

ومنه قولهم : كلُّ شاةٍ برجلها تُنَاطُ . يريد : لا يؤخذ رجل بغير ذنبه .

٥ المتبرئ من الشيء

ما هو من ليلِهِ ولا سَمَرِهِ . ما هو من بَزَى ولا من عِطْرِي . مالى فيه

ناقةٌ ولا جملٌ .

ومنه قولهم : برئتُ منه إلى الله .

ومنه : لستُ منك ولستَ مِنِّي . وما أنا من دَدٍ ولا الددُ مِنِّي .

١٠ سوء معاشرَة الناس

قالوا : الناسُ شجرةٌ بَغِي . لا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسِنَةِ العاقمةِ . ورضا

الناسِ غايةٌ لا تُدْرَكُ .

ومنه الحديث المرفوع : الناسُ كإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً .

ومنه قولهم : الناسُ يُعَيَّرُونَ ولا يَغْفِرُونَ ، واللهُ يَغْفِرُ ولا يعيِّرُ .

١٥ وقال مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره قولُ الناسِ فيه .

وقول أبي الدرداء : إن قارضتَ الناسَ قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ مِن فَوْقِهِ . وهو قول عمر بن مامة :

لقد وَجَدْتُ الموتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ * إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ مِن فَوْقِهِ .

٢٠ قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقَّه ليس بدافع عنه المنية . وهذا

غلط من أبي عبيد عندي ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت

قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ مِن فَوْقِهِ :

يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه .
كما قال تبارك وتعالى في المنافقين إذ وصفهم بالجبن : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوكُ ﴾ .

وقال جرير للأخطل يُعِيرُهُ إيقاع قيس بهم :

حَمَلَتْ عَلَيْكَ رِجَالُ قَيْسٍ خَيْلَهَا ۝ شُغْنًا عَوَائِسَ تَحْمِلُ الْإِبْطَالَ

مَازَلَتْ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ ۝ خَيْلًا تَكْرُرُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالًا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ما كان معناه يدخل في هذا الباب :

لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه ؛ وليس الأخذ في الحذر من الجبن في شيء ،

لأن أخذ الحذر محمود وقد أمر الله به ، والجبن مذموم من كل وجه .

ومنه الشعر الذي تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلٌ ۝ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

ومنه قولهم : كُلُّ أَرْبٍ تَفُورُ . وإنما يقال في الأرب من الإبل لكثرة

شعره ، ويكون ذلك في عينيه ، فكلمها رآه ظن أنه شخص يطلبه فينفر

من أجله .

ومنه قولهم : بَصْبَصَنَ إِذْ حُدِينَ بِالْأَذْنَابِ .

ومنه قولهم ۝ دَرَدَبَ لَمَّا عَضَّه الثَّقَافُ ۝

وقولهم : حَالِ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ،

قاله للنعيمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له : أنشدني شعرك :

۝ أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ ۝

فقال عبيد : حَالِ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ .

ومنه : قَفَّ شَعْرُهُ ، وَأَقْشَعَرَّتْ ذُؤَابَتُهُ . معناه قام شعره من الفزع .

إفلات الجبان بعد إشفائه

منه قولهم : أَفْلَتَ وَأَنْحَصَّ الذَّنْبُ .

ومنه : أفلت وله حُصاص .

ويروى في الحديث : إن الشيطان إذا سَمِعَ الأذان أدبَر وله حُصاص .

ومنه أفلتني جُرَيْعة الذَّقن . إذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذقن ،
ثم أفلته .

ومنه قول العامة : إن يُفَلَّت الطير فقد ذَرَق .

وقولهم : أفلت وقد بَلَّ النِّيْفَق . الذي تسميه العامة : النِّيْق .

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان يَنْفُض مِذْرَوِيَه . أى يتوعد ويتهدد . والمذروان : فرعا

الأليتين . ولا يكاد يقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة .

ومنه : أْبْرِق لمن لا يعرفك . وأَقْصِد بذَرْعِكَ . ولا تُبْقِ إلا على نفسك .

تصرف الدهر

منه : من يَجْتَمِع تَتَقَعَّق عُمُدُه . أى أن الاجتماع داعية الاقتراق .

ومنه : كل ذات بعل ستثيم .

ومنه البيت السائر :

١٥ وكل أخٍ مُفَارِقُه أخوه • لعمر أيبك إلا الفَرَقْدانِ

ومنه : لم يَفُت من لم يَمِت .

الاستدلال بالنظر عن الضمير

منه قولهم : شاهد البُغْض اللَّحْظ . وجَلَى مُحِبُّ نَظْرَه .

قال زهير :

٢٠ فإن تكُ في صديق أو عدوٍ • تُنْجِرُكَ العيون عن الضمير

وقال ابن أبي حازم :

مُخَذ من العيش ما كفى • ومن الدهر ما صفا

عَيْنٌ مَنْ لَا يُحِبُّ وَضَهُ . بَلَّكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا

نفي المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ . معناه لا شيء له .

ومنه : ما له هُلَعٌ وَلَا هِلْعَةٌ . وهما الجدى والعناق .

ومنه : ما له هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ، معناه ليس له أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب إليه ؛ فليس له شيء .

وقولهم : ما له عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ؛ وهما الضائفة والماعزة . وما به نبض ولا حَبِضٌ .

قال الأصمعي : النبض : المتحرك ، ولا أعرف الحَبِضُ .

وقال غيره : النبض والحبض في الوتر ، والنبض : تحرك الوتر ، والحبض : صوته . قال :

* وَالنَّبْلُ يَهْوِي نَبْضًا وَحَبْضًا *

ومنه قولهم : ما له سَبَدٌ وَلَا كَبَدٌ . هما الشعر والصوف .

ولم يعرف الأصمعي السَعْنَةَ والمَعْنَةَ .

إذا لم يكن في الدار أحد

منه قولهم : ما بالدار شَفْرٌ ؛ ولا بها دُعْوَى ؛ ولا بها دُبِّي . معناه ما بها من يدعو ومن يدب ، وما بها من غريب . ولا بها دُورَى ولا طورَى ؛ وما بها وَاِيرٌ ، وما بها صَافِرٌ ، ولا بها دِيَّارٌ ، وما بها نَافِخٌ ضَرْمَةٌ ، وما بها أَرَمٌ . معنى هذا كله ما بها أحد ، ولا يقال منها شيء في الإثبات والإيجاب ، وإنما يقولونها في النفي والجحد .

اللقاء وأوقاته

ومنه : لَقِيتُ فَلَانًا أَوَّلَ عَيْنٍ . يعني أول شيء .

وقال أبو زيد : لقيته أول عائته . و لقيته أول وهلة . و لقيته أول ذات يدين . و لقيته أول صوتك وأول بؤك . فإن لقيته فجأة من غير أن تريده ، قلت : لقيته نقاباً ؛ و لقيته التقاطاً ، إذا لقيته من غير طلب . وقال الراجز :

* وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقَاتَا *

- وإن لقيته مواجهة قلت : لقيته صفاحاً . و لقيته كمناحاً . و لقيته كفة كفة .
 قال أبو زيد : فإن عرض لك من غير أن تذكره قلت : رُفِعَ رُفْعاً ؛ و أُشِبَّ لِي إِشْبَاباً . فإن لقيته وليس بينك وبينه أحد ، قلت : لقيته صحرة بحرة . وهي غير مجراة . فإن لقيته في مكان قفر لا أنيس به قلت : لقيته صحرة بحرة أصمت ، غير مجرى أيضا . و لقيته بين سنج الأرض وبصرها . فإن لقيته قبل الفجر قلت : لقيته قبل [كل] صَبْحٍ وَنَفَرٍ . النفر : التفرق . و إن لقيته بالهاجرة قلت : لقيته صكة عُمَى . و صكة أعمى .

قال رؤبة يصف الفلاة إذا لمعت بالسراب في الهاجرة :

شبيهة بسهم قوسٍ لمعا . صكَّ عمى زاجراً قد برعا^(١)

- فإن لقيته في اليومين والثلاثة قلت : لقيته في الفراط . ولا يكون الفراط في أكثر من خمس عشرة ليلة . فإن لقيته بعد شهر ونحوه ، قلت : لقيته في عفر . فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هجر . فإن لقيته بعد أعوام قلت : لقيته ذات العويم . فإن لقيته في الزمان قلت : لقيته ذات الزمين . والغب في الزيارة ، وهو الإبطاء فيها . والاعتبار في الزيارة . وهو التردد فيها .

في ترك الزيارة

- منه قولهم : لا آتيك ما حنت النيب . وما أطت الإبل . وما اختلف الدرّة .

(١) في بعض الأصول :

شبيه يَمَّ بين عيبرين معاً * صكة أعمى زاجرٍ قد أترعا

والجرّة . وما آخلف المآوان . وما آخلف الجديان . ولا آتيك السمر والقمر
وأبد الأبد .

ويقال : أبد الأبدین . ودهر الدهرين . وحتى يرجع السهم إلى فؤقه . وحتى
يرجع اللبن في الضرع . ولا آتیک سنّ الحسل .

٥ تفسيره : النيب : جمع ناب ، وهي المسنة من الإبل . والدرة : الحلبة من اللبن .
والجرة : من اجترار البعير . والمآوان والجديان : الليل والنهار . والحسل : هو
ولد الضب . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

استجهال الرجل ونفي العلم عنه

١٠ منه قولهم : ما يعرف الحو من المو . وما يعرف الحمى من اللى . ولا هريراً
من غرير . ولا قبلاً من دبير . وما يعرف أى طرفيه أطول وأكبر .
وما يعرف هراً من برّ ، أى ما يعرف من يهره بمن يبره . والقبيل :
ما أقبلت به من قتل الجبل ، والديبر : ما أدبرت به منه ، وأى طرفيه أطول :
أنسب أبيه أم نسب أمه .

أمثال مستعملة في الشعر

١٥ قال الأصمعي : لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة
إبيات : منها بيت الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وبيتان لامرئ القيس :

وَأَفْلَتَنَ عِلْبَاءُ جَرِيضاً * وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِرَ الْوِطَابِ

٢٠ وقاهم جدهم بنى أبيهم • وبالأشقين ما كان العقاب

ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف أغفل القديم منه

الأصمعي . فنه قول طرفة :

سُتَبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ۝ وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوة .

ومن ذلك قول الآخر :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا * وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

ومن ذلك قول الحسن بن هانئ :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُقْرِهِ ۝ لَسْتَ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمْرَةٍ
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ ۝ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

١٠ إن العرب تقول : انتاب فلان عن عقره : أي تباعد عن أصله . لست من ليلي ولا سمرة : مثل ثان ، وليس في البيت الثاني إلا مثل واحد .

ومن قولنا في بيت أوله مثل وآخره مثل :

قَدْ صرَّحَ الْأَعْدَاءُ بِالْبَيْنِ ۝ وَأَشْرَقَ الصَّبْحُ لَدَى الْعَيْنِ

وبعد أبيات في كل بيت منها مثل ، وذلك قولنا :

١٥ وعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلْبِ * شَقِيقَ رُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ
وَأَصْبَحَ الدَّخْلُ فِي بَيْنِنَا ۝ كَسَاتِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ
قَدْ أَلْدَسَ الْبَغْضَاءُ مِنْ ذَاوِذَا * لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ
مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ ۝ يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ

ومن قولنا الذي هو أمثال سائرة :

٢٠ قَالُوا شِبَابَكَ قَدْ وَلَّى فَقُلْتُ لَهُمْ ۝ هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ
صِلْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مَعَابَتَهُ ۝ فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَصِلْ بَيْنَ الْفَيْنِ
وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خَلٍّ لَا تُلَاثِمُهُ ۝ فَرَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى اثْنَيْنِ

وقلت بعد هذا في المدح :

فَكَرَّتْ فِيكَ أَبْحَرُ أَنْتَ أُمَّ قَرُّ * فَقَدْ تَحَيَّرَ فَكْرِي بَيْنَ هُدَيْنِ
إِنْ قَلْتُ بَحْرًا وَجَدْتُ الْبَحْرَ مُنْحَسِرًا * وَبَحْرُ جُودِكَ مَمْتَدُّ الْعَبَائِنِ
أَوْ قَلْتُ بَدْرًا رَأَيْتُ الْبَدْرَ مُنْتَقِصًا * فَقَلْتُ شَتَانَ مَا بَيْنَ الْبُدَيْرَيْنِ

ومن الأمثال التي لم تأت إلا في الشعر أو في قليل من الكلام ، من ذلك

قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال آخر :

متى تنقضى حاجات من ليس صابراً * على حاجة حتى تكون له أخرى

١٠ قيل ولما بلغ حاتماً قول المتلمس :

وأعلم علم صدق غير ظن * لَتَقْوَى اللهُ مِنْ خَيْرِ الْعَنَادِ
وحفظ المال أيسر من بُغَاهُ * وسير في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبيق الكثير مع الفساد

قال : قطع الله لسانه ! يحمل الناس على البخل ؛ ألا قال :

١٥ لا الجود يُفنى المال قبل فناءه * ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس مالا بعيش مُقْتَرٍ * لكل غد رزق يعود جديد

وقال غيره :

٢٠ إذا كنت لأعفو عن الذنب من أخ * وقلت أكافيه فأين التفاضل
فإن أقطع الإخوان في كل عُسرة * بقيت وحيداً ليس لي من أوصل
ولكنني أغضى الجفون على القذى * وأصفح عما رابني وأجامل
متى ما يرئني مفصل فقطعته * بقيت ومالي للنهوض مفاصل
ولكن أداويه فإن صح سرتي * وإن هو أعيان كان فيه التحامل

وقال :

يُديفون لي سَمًا وأسقيهم الحيا * وَيَقرونني شرا وشري مؤخر
 كأني سلبت القوم نور عيونهم * فلا العذر مقبول ولا الذنب يُغفر
 وقد كان إحساني لهم غير مرة * ولكن إحسان البغيض مكفر

ولغيره :

لم يبق من طلب الغني * إلا التعرُّض للحتوف
 فلا قبلن وإن رأيت الموت يلمع في الصفوف
 إني أمرؤ لم أوت من * أدب ولا حظ سخيف
 لكننه قَدَر يزو * ل من القوي إلى الضعيف

كِتَابُ الزُّهْدِ

فِي الْمَوَاعِظِ وَالزُّهْدِ

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأمثال ، وما تفننوا فيها
على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد
ورجاله المشهورين به ، ونذكر المنتخلة من كلامهم ، والمواعظ التي وعظت بها
الأنبياء ، واستخلصتها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ؛ ومقامات
العُباد بين أيدي الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَإِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ
فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّسُكُمْ
ثُمَّ يُخَيِّسُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝
وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ
الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العُباد بين أيدي الخلفاء ، ثم قولهم في الزهد ورجالهم
المعروفين به ، ثم المشهورين من المتسبين إليه .

والموعظة ثقيلة على السمع مُحَرَّجَةٌ^(١) على النفس ، بعيدة من القبول ، لاعتراضها الشهوة ، ومُضَادَّتُهَا الهوى ، الذي هو ربيع القلب ، ومراد الروح ، ومربع اللهو ، ومسرح الأمانى ؛ إلا من وعظه علمه ، وأرشده قلبه ؛ وأحكمته تجربته قال الشاعر :

٥ لن تَرَجِعَ الأَنْفُسَ عَنْ غَيِّهَا • حتى يُرى منها لها واعظ
وقالت الحكماء : السعيد من وَعُظَ بغيره . لا يَعْنُونَ من وعظه غيره ، ولكن من رأى العِبْرَ في غيره فاتعظ بها في نفسه . ولذلك كان يقول الحسن : آقَدَعُوا هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذِّكْر فإنها سريرة الدثور ، وأعصوها فإنها إن أطيعت نَزَعَتْ إلى شَرِّ غاية .

١٠ وكان يقول عند انقضاء مجلسه وحتم موعظته : يا لها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة .

وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه : أَلْسُنُ تَصِفُ ، وقلوبٌ تَعْرِفُ ، وأعمالٌ تَخَالَفُ .

لابن السماك

وقال يونس بن عبيد : لو أَمْرُنَا بِالْجَرَجِ لَصَبَرْنَا . يريد ثقل الموعظة على السمع ،

١٥ وجنوح النفس إلى مخالفتها . ومنه قولهم :

• أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا •

وقولهم : * وَالشَّيْءُ يُرْعَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنِعُ •

والموعظة مانعة لك مما تشتهي ، حاملة لك على ما تكره ، إلا أن تلقاها

بسمعٍ قد فتقته العبرة ، وقلب قدحت فيه الفكرة ، ونفس لها من عليها زاجر ،

٢٠ ومن عقلمها رادع ؛ فيفتح لك باب التوبة ، ويوضح لك سبيل الإنابة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ .

لنبي صلى الله عليه وسلم

يريد أن الطريق إلى الجنة احتمالُ المكروه في الدنيا ، والطريق إلى النار

ركوب الشهوات .

(١) في بعض الأصول : « مستحرجة » .

وخير الموعدة ما كانت من قائل مخلص ، إلى سامع مُنصف .

وقال بعضهم : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقالوا : ما أحسن التاج ! وهو على رأس الملك أحسن . وما أحسن الدر ، وهو على نحر الفتاة أحسن . وما أحسن الموعدة ! وهي من الفاضل التقي أحسن .

وقال زياد : أيها الناس ، لا يمنعكم سرور ما تعلمون منا ، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا . قال الشاعر :

أعمل بقولي وإن قصرتُ في عملي • ينفعك قولي ولا يضرُّك تقصيري

وقال عبد الله بن عباس : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كعبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كتب إلى :

أما بعد : فإن المرء يسره إدراك ما لم يكن ليفوته ، وبسره فوت ما لم يكن ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من أمرٍ آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ؛ وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحاً . وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً . وليكن همك ما بعد الموت .

وقف حكيم بياب بعض الملوك فحجب ، فتلطف برقعة وأوصلها إليه ، وكتب فيها هذا البيت :

ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى • وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر

فلما قرأ البيت لم يلبث أن انتعل وجعل لاطئة على رأسه ، وخرج في ثوب فضال ، فقال له : والله ما اتعظت بشيء بعد القرآن أتعاظي بييتك هذا ! ثم قضى حوائجه .

حكيم بياب بعض الملوك

لبعضهم

لزياد

لابن عباس في كلام لعل

٥

١٠

١٥

٢٠

مواعظ الأنبياء

عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شيبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يَكْفِي أَحَدَكُمْ
من الدنيا قَدْرُ زادِ الرَّاكِبِ .

لأنني صلى الله
عليه وسلم

- ٥ وقال صلى الله عليه وسلم : ابن آدم . اغْتَنِمْ حَمْساً قَبْلَ حَمْسِ : شِبَابَكَ قَبْلَ
هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ،
وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

- ١٠ عبد الله بن سلام قال : لما قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ
أَتَيْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُرُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامًا .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ بِمَجَالِسَةٍ ؟ قَالُوا : بَلَى
يَا رُوحَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ تَذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَيْتَهُ ، وَبَزَيْدٍ فِي عَمَلِكُمْ مَنُطِقُهُ ، وَيُشَوِّقُكُمْ
إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ .

لعيسى عليه السلام

- ١٥ وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين : وَيْلَكُمْ يَا عبيد الدنيا !
كَيْفَ تُخَالِفُ فِرْعَوْنَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَأَهْوَاؤَكُمْ عَقُولَكُمْ . قَوْلَكُمْ شِفَاءٌ يُبْرِئُ
الدَّاءَ ، وَفِعْلُكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ . لَسْتُمْ كَالكِرْمَةِ الَّتِي حُسُنَ وَرَقُهَا ، وَطَابَ
ثَمْرُهَا ، وَسَهْلَ مَرْتَقَاهَا . وَلَكِنَّكُمْ كَالسُّمْرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرَقُهَا ، وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَصَعِبَ
مَرْتَقَاهَا . وَيْلَكُمْ يَا عبيد الدنيا ! جَعَلْتُمُ الْعَمَلَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ مِنْ شَاءِ أَخَذَهُ ،
وَجَعَلْتُمُ الدُّنْيَا فَوْقَ رُءُوسِكُمْ لَا يُمَكِّنُ تَنَاوُلُهَا ؛ فَلَا أَنْتُمْ عبيدٌ نُصَحَاءُ ،
٢٠ وَلَا أَحْرَارٌ كِرَامٌ . وَيْلَكُمْ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ ! الْأَجْرُ تَأْخُذُونَ ، وَالْعَمَلُ تُفْسِدُونَ ،
سَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا تَخْذَرُونَ ، إِذَا نَظَرَ رَبُّ الْعَمَلِ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ ، وَأَجْرِيهِ
الَّذِي أَخَذْتُمْ .

وقال عليه السلام للحواريين : آتخذوا المساجد بيوتاً ، والبيوت منازل ،
وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ؛ فإنما الناس رجلان : مبتلى ومعافى ؛ فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضا : عجباً لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ؛ ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل .

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للكذابين من بنى إسرائيل : يا نسل الأفاعى ، من دلّكم على الدخول في المساخط الموبقة بكم ؟ ويلكم ! تقربوا بعمل صالح ، ولا تغرّنكم قرابتكم من إبراهيم عليه السلام . فإن الله قادر على أن يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وضعت في أصول الشجر ، فأخلق بكل شجرة مرة الطعم أن تقطع وتلق في النار .

وقال شعيب بنى إسرائيل ، إذ أطلق الله لسانه بالوحى : إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة لينا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صح كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم عابد قد أفسده العجب . يا بنى إسرائيل ، اسمعوا قولى ، فإن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله .

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها إذ نظروا إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ؛ هم أعداء لما سالم الناس ، وسلم لما عادى الناس ، لهم خير^(١) ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم نطق الكذاب وبه نطقوا ، وبهم علم الهدى وبه عملوا ، لا يرون أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون .

(١) فى بعض الاصول لهم خبر عجيب .

وَهَبَ بِنُ مَنبِهِ قَالَ : قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، ابْنُ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا وَتَحْتَهَا لَكَ نِعْمَةٌ وَفَوْقَهَا لَكَ نِعْمَةٌ ، فَمَنْ أَيْنَ يَكْفُتُكَ بِمَا أُعْطِيْتَهُ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ، إِنِّي أُعْطِي الْكَثِيرَ ، وَأَرْضِي مِنْ عِبَادِي بِالْقَلِيلِ ، وَأَرْضِي مِنْ شُكْرٍ نِعْمَتِي بِأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ عِنْدِي لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ .

داود عليه السلام

- ٥ ولما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم بذبح ولده وأن يجعله قربانا ، أسرَّ ذلك إلى خليل له يقال له العازر ، وكان له صديقا ؛ فقال له الصديق إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يختبرك أو يختبر بك ؛ وقد علمت أنه لا يبتليك بمثل هذا ليفتنك ، ولا ليضلك ولا ليُعنتك ، ولا لينقض به بصيرتك وإيمانك ويقينك ؛ فلا يروعنك هذا ، ولا يسوان بالله ظنك ؛ وإنما رفع الله اسمك في البلاء عنده ^(١) على جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمهم محنة في نفسك وولدك . ليرفعك بقدر ذلك في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يبتلي الله به أوليائه ؛ لأن الله أكرم في نفسه ، وأعدل في حكمه وأرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى . وأنا أعودُ بالله أن يكون هذا مني حتما على الله أو رداً لأمره ، أو سُخْطاً لحكمه ، ولكن هذا الرجاء فيه والظنُّ به ؛ فإن عزم ربك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء الجسيم ، والخطب العظيم ، إلا لحسن علمه بك ، وصدقك وتصبرك ؛ ليجعلك إماما ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إبراهيم عليه السلام

ومن وحي الله تعالى إلى أنبيائه

- ٢٠ أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه : إني أنا الله مالكُ الملوك ؛ قلوبُ الملوك بيدي ؛ فمن أطاعني جعلتُ الملوك عليه رحمةً ؛ ومن عصاني جعلتُ الملوك عليه نقمةً .

(١) في بعض الأصول : الملاء .

المديح عليه
السلام

ومما أنزل الله على المسيح في الإنجيل : شَوْقُنَاكُمْ فَلَمْ تَشْتَاقُوا ؛ وَنُحْنَا لَكُمْ
فَلَمْ تَبْكُوا ؛ يَا صَاحِبَ الْخَسِينِ ، مَا قَدَّمْتَ وَمَا أَخَّرْتَ ؟ يَا صَاحِبَ السِّتِينِ ،
قَدْ دَنَا حَصَادُكَ ! يَا صَاحِبَ السَّبْعِينَ ، هَلُمَّ إِلَى الْحِسَابِ .

وفي بعض الكتب القديمة المنزلة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يَا عِبَادِي
طَالَمَا ظَمِئْتُمْ ، وَتَقَلَّصْتُ فِي الدُّنْيَا شِفَاهُكُمْ ، وَغَارَتْ أَعْيُنُكُمْ عَطْشًا وَجُوعًا ؛
فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ .

وأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ ، وَمِنْ نَفْسِكَ
الْخُضُوعَ ، وَمِنْ عَيْنِكَ الدُّمُوعَ ؛ وَسَلِّئْنِي فَأَنَا الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ .

وفي بعض الكتب : عبدى ، كَمْ أَتَجَبَّبُ إِلَيْكَ بِالنِّعَمِ وَتَتَّبَعُضُ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي ؛
خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ ، وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ .

وأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ غَدَا حَظِيرَةَ الْقُدُّسِ ،
فَكُنْ فِي الدُّنْيَا فَرِيدًا ، وَحِيدًا ، طَرِيدًا ، مَهْمُومًا ، حَزِينًا ؛ كَالطَّيْرِ الْوَحْدَانِيِّ ؛
يُظَلُّ بِأَرْضِ الْفَلَاةِ ، وَيَرِدُ مَاءَ الْعَيُونِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِ الشَّجَرِ ؛ فَإِذَا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ ، اسْتَيْحَاشًا مِنَ الطَّيْرِ وَاسْتِنْسَاسًا بِرَبِّهِ .

ومما أوحى الله إلى موسى في التوراة : يَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، يَا صَاحِبَ جَبَلِ
لَبْنَانَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا إِلَهُكَ الدِّيَّانُ ، لَا تَسْتَبْدِلِ الْفَقِيرَ ، وَلَا تَغْطِطِ الْغَنَى
بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، وَكُنْ عِنْدَ ذِكْرِي خَاشِعًا ، وَعِنْدَ تِلَاوَةِ وَحْيِي طَائِعًا ؛ أَسْمِعْنِي لَذَاذَةَ
التَّوْرَةِ بِصَوْتِ حَزِينٍ .

موسى عليه
السلام

وقال وهب بن مُنَبِّه : أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عِنْدَ الشَّجَرَةِ : لَا تُعْجِبَنَّكَ زِينَةُ
فِرْعَوْنَ وَلَا مَائِتَعَهُ ، وَلَا تَمُدَّنَّ إِلَى ذَلِكَ عَيْنَكَ ؛ فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَزِينَةُ الْمُرْتَفِينَ ؛ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُوتِيكَ زِينَةً يَعْلَمُ فِرْعَوْنَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ
مَقْدَرَتَهُ تَعِجْزُ عَنْهَا فَعَلْتُ ؛ وَلَكِنِّي أُرْغَبُنِيكَ عَنْ ذَلِكَ وَأَزْوَيْتُهُ عَنْكَ ؛ فَكَذَلِكَ
أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي ؛ إِنِّي لِأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا وَلِذَاذَتِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ
مَرَاتِعِ الْهَلِكَةِ ؛ وَإِنِّي لِأَحْيِيهِمْ عَيْشَهَا وَحُلُوتَهَا ، كَمَا يَجْمَعِي الرَّاعِي ذُودَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْعُرَى .

يوسف عليه
السلام

- وذكر عن وهب بن منبه أن يوسف لما لبث في السجن بضع سنين ،
 أرسل الله جبريل إليه بالبشارة بخروجه ، فقال : أما تعرفني أيها الصديق ؟ قال
 يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين . قال جبريل :
 أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل
 المذنبين ، وأنت سيد المرسلين ، ورأس المقرئين ؟ قال : ألم تعلم أيها الصديق
 أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين . وأن البقعة التي تكون فيها هي أطهر
 الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله يا بن الطاهرين . قال يوسف :
 كيف تشبهني بال صالحين ، وتسميني بأسماء الصادقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ،
 وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟ قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يُغيّر
 خُلفك البلاء ، ولم يتعاظمك السجن ، ولم تظأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاء
 الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسك نفسك أباك ، ولا أبوك ربك ، وهذا الزمان
 الذي يفك الله فيه عنقك ، ويعتق فيه رقبتك ، ويبيّن للناس فيه حكمتك ،
 ويصدق رؤياك ، ويُصِفُك من ظلمك ، ويجمع لك أحبتك ويهب لك مُلك مصر
 تملك ملوكها ، وتذل جبارتها ، وتُصغر عظماءها ، ويُذل لك أعزتها . ويُخدمك
 سوقها ، يُخوّلك خوّنها ، ويرحم بك مساكينها ، ويُلقى لك المودة والهيبة
 في قلوبهم ، ويجعل لك اليد العليا عليهم ، والأثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون
 حلماً يفزع منه حتى يسهر ليله ، ويذهب نومُه ، ويُعمى عليه تفسيره وعلى
 السحرة والكهنة ، ويُعلمك تأويله .

مواظظ الحكماء

- قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها
 آباط الإبل لكان قليلا : لا يرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ،
 ولا يستحي إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن
 يتعلّمه . وأعلوا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس
 ذهب الجسد .

على

- وقال أيضا : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحول من
 ذل المعصية إلى عز الطاعة ؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه .
- وقال الحسن : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس
 أخافه الله من كل شيء .
- وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أصلح ما بينه
 وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريره أصلح الله علانيته .
- قال العتبي : اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ، قالوا : لا تحملن
 على قلبك ما لا تطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ،
 ولا تغتر بمال وإن كثر .
- وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته حين
 استخلفه : أوصيك بتقوى الله ؛ فإن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار
 لا يقبله بالليل ؛ وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفرائض . وإنما ثقلت موازين
 من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ؛ وحق ميزان
 لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا . وإنما خفت موازين من خفت موازينه
 يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ؛ وحق ميزان لا يوضع فيه
 إلا الباطل أن يكون خفيفًا . وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ،
 وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعت بهم قلت : إني أخاف ألا أكون من هؤلاء .
 وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعت بهم قلت :
 أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب : ليكون العبد راغبًا راهبًا ،
 لا يتمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائبًا أحب إليك
 من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائبًا أكره إليك من
 الموت ، ولن تُعجزه .
- ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهمم يعوده في مرضه ؛ فرآه
 يصبو بصره في صندوق في بيته ويضعده ، ثم قال : أباسعيد ، ما تقول
 الحسن وابن
 الأهمم

في مائة ألف في هذا الصندوق لم أودّ منها زكاة ولم أصل منها رحماً؟ قال: ثكلتك
 أمك! ولمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان؛ وجفوة السلطان؛ ومُكاثرة
 العشيرة. قال: ثم مات، فشهدته الحسن. فلما فرغ من دفنه قال: انظروا إلى
 هذا المسكين! أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومُكاثرة
 عشيرته، عما رزقه الله إياه وغمره فيه؛ انظروا كيف خرج منها مسلوباً محزوناً،
 ثم التفت إلى الوارث فقال: أيها الوارث، لا تُخدَعن كما خُدع صوّيحبك بالأمس،
 أتاك هذا المال حلّالاً فلا يكوننّ عليك وبالاً. أتاك عفواً صفواً، بمن كان له
 جموعاً منوعاً؛ من باطل جمعه، ومن حقّ منعه؛ قطع فيه لجّج البحار، ومفاوز
 القفار، لم تكدح فيه يمين، ولم يعرق لك فيه جبين. إن يوم القيامة يوم
 ذوحسرات، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك. فيالها
 عشرة لا تقال. وتوبة لا تُنال.

ووعظ حكيمٌ قوماً فقال: يا قوم، استبدلوا العواري بالهبات تحمدوا العقبى،
 واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا
 الزيادة. واعرفوا فضل البقاء في النعمة والغنى في السلامة قبل الفتنه الفاحشة،
 والمثلة البيّنة، وانتقال العمل، وحلول الأجل؛ فإنما أتم في الدنيا أغراض
 الدنيا، وأوطان البلايا، ولن تنالوا نعمةً إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل منكم
 مُعمرٌ يوماً من عُمره إلا بانتقاص آخر من أجله، ولا يخياله أثر إلامات له أثر،
 فأنتم أعوان الختوف على أنفسكم، وفي معاشكم أسباب منايكم، لا يمنعكم شيء
 منها، ولا يشغلكم شيء عنها، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف، وستكونون أسلافاً
 بعد الأخلاف، بكل سبيل منكر صريع مُنعصر، وقائم ينتظر، فمن أي وجه
 تطلبون البقاء، وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعاً الكرة في هدمه،
 ولا عقداً أمراً قط إلا رجعا في نقضه.

وقال أبو الدرداء: يا أهل دمشق، ما لكم تبنون ما لا تسكنون، وتأمّلون
 ما لا تدركون، وتجمعون ما لا تأكلون؟ هذه عاد وثمود قد ملثوا ما بين بصرى

الحكيم يعظ قوماً

لأبي الدرداء

وعدن أموالا وأولادا ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين .

وقال ابن شبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

وقال الربيع بن حُثيم : أقلل الكلام إلا من تسع : تكبير ، وتهليل ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك القرآن .

قال رجل لبعض الحكماء : عِظْنِي ! قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك .

وقيل لحكيم : عِظْنِي ! قال : جميع المواعظ كلها منتظمة في حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تُجْمَعُ على طاعة الله فإذا أنت قد حوت المواعظ كلها .

وقال أبو جعفر لسفيان : عِظْنِي ! قال : وما عَمِلْتِ فيما عَمِلْتَ فأعظك فيما جَهَلْتِ ؟

قال هارون لابن السماك : عِظْنِي ! قال : كفى بالقرآن واعظا . يقول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ ، وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفِسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ . ﴾

مكاتبة جرت بين الحكماء

عتب حكيم على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العمر أقصر من أن تحتمل الهجر . فرجع إليه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل . والسلام .

وكتب إليه عمر : أما بعد فكأن آخر من كتب عليه الموت قدمات ، والسلام .

ابن المبارك قال : كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء : أما بعد ؛ فإنك لن تنال ما تُريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامك ذكرا ، وصمتك فكرا ، ونظرك عبرا ؛ فإن الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها ، وليكن بيتك المسجد . والسلام .

بين سلمان وأبي
الدرداء

٥ فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك ، أما بعد ؛ فإني أوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لموتك ؛ ومن جفائك لمودتك ، واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين . إما في الجنة ، وإما في النار ؛ فإنك لا تدرى إلى أيهما تصير .

١٠ وكتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد القيس : أما بعد ؛ فإني عاهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنت على ما عاهدتكم فائق الله ودُم ، وإن كنت على ما بلغني فائق الله وعدُّ .

أبو موسى وعامر
ابن عبد القيس

وكتب محمد بن النضر إلى أخ : أما بعد ؛ فإنك على منهج وأمامك منزلان لا بد لك من نزول أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتسكل .

ابن النضر وأخيه

١٥ وكتب حكيم إلى آخر : أعلم حفظك الله أن النفوس جُبلت على أخذ ما أعطيت ومنع ما سئلت ؛ فاحملها على مطية ، لا تُبطئ إذا رُكبت . ولا تسبق إذا قُدِّمت ؛ فإنما تحفظ النفوس على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب . فإذا استطمت أن يكون معك خوف المُشفق وقناعة الراضى فافعل .

بين حكيمين

٢٠ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حيوة : أما بعد ، فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا فيما ينفعه .

من عمر بن
عبد العزيز إلى
ابن حيوة

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن عَزْوان عامله على البصرة : أما بعد ؛ فقد أصبحت أميراً تقولُ فيسمعُ لك ، وتأمرُ فينفذُ أمرُك ؛ فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتُطأنيك على من دونك ؛ فاحترس من النعمة أشدَّ من احترامك

من عمر بن
الخطاب إلى ابن
عزْوان

من المصيبة ؛ وإياك أن تسقط سقطة لا لعلها - أي لا إقالة لها - وتعثر عشرة
لا تُقالها . والسلام .

وكتب الحسن إلى عمر : إن فيما أمرك اللهُ به سُغلاً عما نهاك عنه ، والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : أجمع لي أمرَ الدنيا ، وصِف لي
أمرَ الآخرة . ٥

فكتب إليه : إنما الدنيا حُلْمٌ ، والآخرةُ بقضةٌ ، والموتُ متوسطٌ ؛ ونحن
في أضغاث أحلام . من حاسبَ نفسه رَبيحٌ ، ومن غفلَ عنها خَيرٌ ، ومن نظر
في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلَّ ، ومن حلَّم غَيمٌ ، ومن خاف سلمٌ ؛ ومن
اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهمٌ ، ومن فهم علمٌ ، ومن علم عملٌ ، فإذا زلتَ فارجع ،
وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . وأعلم أن أفضل
الأعمال ما أكرهت النفوس عليه . ١٠

مواظظ الآباء للآبناء

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارهمم بسهم السلام ثم اجلس ،
فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك
فتخلَّ عنهم وانفض ^(١) . ١٥

وقال : يا بُنَيَّ ؛ استعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

ومثل هذا قول أكرم بن صيفي : احذر الأمين ولا تأتمن الخائن ، فإن
القلوب بيد غيرك .

وقال لقمان لابنه : لا تركز إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها ، فإنك

لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً
للطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصين . يا بُنَيَّ ، لا تضحك من غير عجب ، ولا
تمش في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنك . يا بني ، لا تضيع مالك وتصلح

(١) في بعض الأصول : وانفض ثوبك .

- مال غيرك ؛ فإنما لك ما قدمت ، ولغيرك ما تركت . يا بني ؛ إنه من يرحم يرحم ،
ومن يَصُمْتُ يسلم ، ومن يَقُلُ الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك
لسانه يندم . يا بني ، زاحم العلماء بركبتك ، وأنصت إليهم بأذنيك ؛ فإن القلب
يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .
- ٥ وقال خالد بن صفوان لابنه : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقل
ما تكون في الباطن مآلا . ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية .
- وقال أعرابي لابنه : يا بني ، إنه قد أسمعك الداعي ، وأعذر إليك الطالب ،
وانتهى الأمر فيك إلى حدّه ؛ ولا أعرف أعظم رزية من ضييع اليقين
وأخطأه الأمل .
- ١٠ وقال علي بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بني هاشم : يا بني ، أصبر على
النوائب ، ولا تُعرّض للحتوف ، ولا تُجب أخاك من الأمر إلى ما مضرتّه
عليك أكثر من منفعتّه لك .
- وقال حكيم لبنيه ، يا بني ؛ إياكم والجزع عند المصائب ؛ فإنه مجلبة للهّم ،
وسوء ظنّ بالرب ، وشماتة للعدوّ . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها
آمين ؛ فإنّي والله ما سخرتُ من شيء إلا نزل بي مثله ؛ فاحذروها وتوقعوها .
- ١٥ فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره السهام ، فجاوز له ومقصر عنه ،
وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصبه بعضها . واعلموا أنّ لكل شيء جزاء ،
ولكل عمل ثوابا . وقد قالوا : كما تدين تُدان ؛ ومن برّ يوما برّ به .
- وقال الشاعر :
- ٢٠ إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ هـ حوادثُهُ أناخَ بأخـرينا
فقلّ للشامتين بنا : أفيقوا هـ سيلقى الشامتون كما لقينا
- وقال حكيم لابنه : يا بني إني مُوصيك بوصية ؛ فإن لم تحفظ وصيتي عنى
لم تحفظها عن غيري . اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً
منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع ، فإنه فقرٌ حاضر .

ابن صفوان
ينصح ابنهلأعرابي يوصي
ابنهلعلي بن الحسين
يوصي ابنه

لحكيم في مثله

لبعض الشعراء

لحكيم يفظ ابنه

وعليك باليأس فإنك إن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . وإياك وما يُعْتَدَر منه ، فإنك إن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألا تكون هو . يا بني ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مُودَعٍ وأنت ترى ألا تصلي بعدها .

٥ وقال علي بن الحسين عليهما السلام لابنه : يا بني ، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذرتني منك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعُهم المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعُهم التقصير إلى العقوق له .

١٠ وقال حكيم لابنه : يا بني ، إن أشد الناس حسرة يوم القيامة : رجل كسب مالا من غير حِلِّه فأدخله النار ، وأورثه من عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

١٥ عمرو بن عتبة قال : لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي : يا بني ؛ قد تقطعت عنك شرائع الصبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله فتبين منه ؛ ولا يغترنك من آغتر بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط . فاستأنس بالوحدنة من جلساء السوء تسلّم من غبّ عوافهم .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كفوا الأذى ، وآبدلوا المعروف ، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سئلتم ، ولا تلجفوا إذا سألتم ؛ فإنه من ضيق ضيق عليه ، ومن أعطى أخلف الله عليه .

٢٠ وقال الأشعث بن قيس لبنيه : يا بني ، لا تدلّوا في أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ؛ ولتخفّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم ؛ فإن لكل امرئ تبعه ؛ وإياكم وما يُعْتَدَر منه أو يستحى ؛ فإنما يُعْتَدَر من ذنب ، ويستحى من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالردّ منعا ؛ وأجلوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدراً ؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم ، ويتشرف

بكم اللئيم ، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل
فألحقوا بعشائركم .

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غيبة غابها : أما بعد فإن من اتقى
الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه .
فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا خير
لن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .

من عمر بن
الخطاب إلى ابنه
عبد الله

وكتب علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : من على أمير المؤمنين
الوالد الفان ، المقر للزمان ، المستسلم للحدثان ، المدبر العمر ، المؤمل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ،
وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصرير الشهوات ، ونُصب
الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ؛ يا بني ، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار
الدنيا عني ، وإقبال الآخرة عليّ . ومجوح الدهر عليّ ما يرغّبني عن ذكر سوائي ،
والاهتمام بما ورائي ، غير أنه حيث تفرد بي هم نفسي دون هم الناس ، فصدقتي
رأبي ، وصرفتي عن هواي ، وصرح بي محض أمرى ، فأفضى بي إلى جد لا يُزرى
به لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتُك يا بني بعضي ، بل وجدتك كلّي ،
حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابني ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني . فعند ذلك
عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي . كتبت إليك كتابي هذا يا بني مستظهراً
به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإني موصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ،
والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا ﴾ . وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت
أخذت به ، أحمى قلبك بالموعظة ، ونورَه بالحكمة وأتمه بالزهد ، وذلك بالموت ،
وقوّه بالغنى عن الناس ، وحذّره صولة الدهر ؛ وتقلّب الأيام والليالي ،
وآعرض عليه أخبار الماضين وسِرّ في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ،

من على إلى ابنه
الحسن

وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة . وكأنك
 عن قليل يابني قد صرت كأحمدهم ، فبع دنياك بأخرتك ، ولا تبع آخرتك
 بدنياك . ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تُكأنف ، وأمرُ بالمعروف
 بيدك ولسانك ، وأنه عن المنكر بيدك ولسانك ، وبين من فعله ، وخُص
 الغمرات إلى الحق ، ولا يأخذك في الله لومة لائم ، واحتفظ وصيتي ولا تذهب
 عنك صفحاً ، فلا خير في علم لا ينفع . واعلم أنه لا غنى لك عن حُسن الآرتياد
 مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك
 به في معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كئوداً لا يجاوزها إلا أخف الناس حملاً
 فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب . فرب طلب قد جرَّ إلى حرب . وإنما
 المحروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب يمينه . وأعلم أنه لا غنى يعدل
 الجنة ؛ ولا فقر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية : أن تفقه في الدين ، وعود نفسك الصبر
 على المكروه ، وكل نفسك في أمورك كلها إلى الله عز وجل ، فإنك تكملها إلى
 كهف^(١) حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان
 وأكثر الاستخارة له ، وأعلم أن من كان مطية الليل والنهار فإنه يُسار به وإن
 كان لا يسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن
 قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك
 فاعلم علماً يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولا تعدو أجلك ، فإنك في سبيل^(٢) من
 كان قبلك ، فأكرم نفسك عن كل دنيئة وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن
 تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول :
 متى ما أخرت نزعتي ، فإن هذا أهلك من هلك قبلك ، وأمسيك عليك لسانك ،
 فإن تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر عليك من إدراك ما فات من منطلقك ،

(١) في بعض الاصول : وكاف .

(٢) في بعض الاصول : في ديوان .

منه إلى ولده ابن
 الحنفية

وَأَحْفَظْ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوَكَاءِ ، فُحَسِّنِ التَّدْبِيرَ مَعَ الْاِقْتِصَادِ أَبْقِ لَكَ مِنَ الْكَثِيرِ
 مَعَ الْفَسَادِ وَالْحَرْفَةِ مَعَ الْعَفْةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفَجْرِ ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسْرِهِ ،
 وَلرَبِّمَا سَعَى فِيمَا يَضُرُّهُ ، وَإِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْأَمَانِيِّ ، فَإِنَّهَا بِضَائِعِ النَّوْكَى ،
 وَتُثَبِّطُ عَنِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، وَمَنْ خَيْرَ حِظِّ الدُّنْيَا الْقَرِينُ الصَّالِحُ ، فَتَقَارَنُ أَهْلُ
 الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ ، وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ ، فَإِنَّهُ
 لَنْ يَدَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيلٍ صُلْحًا . أَذْكَ قَلْبِكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تُذْكَى النَّارَ بِالْحَطْبِ ،
 وَاعْلَمْ أَنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ لَوْثٌ ، وَصُحْبَةَ الْأَحْمَقِ سُؤْمٌ ، وَمَنْ الْكِرْمُ مَنَعَ الْحَرَمَ ، وَمَنْ
 حَلَّمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفْهَمَ زِدَادَ . آخِضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً .
 لَا تَصْرَمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ ، وَلَا تَقْطَعْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ ، وَلَيْسَ جِزَاءُ مَنْ سَرِكَ
 أَنْ تَسْوَهُ . الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ، وَاعْلَمْ
 ١٠ يَا بَنِي أَنَّهُ مَالِكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِلَّا مَا أَصْلَحَتْ بِهِ مِنْ مَشْوَاكَ ، فَأَنْفَقْ مِنْ خَيْرِكَ ، وَلَا تَكُنْ
 خَازِنًا لِعَبْرِكَ ، وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا يُفْلِتُ مِنْ يَدَيْكَ ، فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ
 رُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَأَبْصَرَ الْأَعْمَى رَشْدَهُ ، وَلَمْ يَهْلِكْ أَمْرٌ أَقْتَصَدَ ، وَلَمْ
 يَفْتَقِرْ مِنْ زَهْدٍ . مَنْ ائْتَمَنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ . رَأْسُ الدِّينِ
 الْيَقِينُ ، وَتِمَامُ الْإِخْلَاصِ اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي ، وَخَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعَالُ . سَلْ
 ١٥ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ ، وَاحْمِلْ لَصَدِيقِكَ عَلَيْكَ ، وَاقْبَلْ
 عَذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وَأَخِرَّ الشَّرَّ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّكَ إِذَا شَدَّتْ تَعَجَّلْتَهُ . لَا يَكُنْ
 أَخْوَكَ عَلَى قَطِيعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ ، وَعَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى
 الْإِحْسَانِ . لَا تَمْلِكَنَّ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَمْرِ مَا يَجَاوِزُ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِبْحَانَةٌ ، وَلَيْسَتْ
 ٢٠ بِقَهْرْمَانَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِحَالِهَا ، وَأَرْخَى لِبَالِهَا ، وَاغْضُضْ بَصَرَهَا بِسِتْرِكَ ،
 وَاكْفُفْهَا بِحِجَابِكَ ، وَأَكْرِمِ الَّذِينَ يَهْمُ تَصُولُ ، فَإِذَا تَطَاوَلَتْ تَطَوَّلْ . أَسْأَلُ اللَّهَ
 أَنْ يُلْهِمَكَ الشُّكْرَ وَالرَّشْدَ : وَيُقَوِّمَكَ عَلَى الْعَمَلِ بِكُلِّ خَيْرٍ ، وَيَصْرِفَ عَنْكَ كُلَّ
 مَحْذُورٍ بِرَحْمَتِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له : إنه لما سَهَّلَ علينا ما توَعَّرَ على غيرنا من الوصول إليك ، قُنا مقام الأداة عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي [عند] انقطاع عنر الكِتمان ، ولا سيما حين اتسمت بِمِيسَمِ التواضع ، ووعدت الله وَحَمَلَةَ كتابه إِثَارَ الحَقِّ على ما سواه ، فجمَعنا وإياك مشهَدًا من مشاهد التمهيص . وقد جاء في الأثر : مَنْ حَجَبَ اللهُ عَنْهُ العِلْمَ عَذَّبَهُ على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أُقْبِلَ إليه العِلْمُ فَأَدْبَرَ عَنْهُ . فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدى إليك من ألسنتنا قَبُولَ تحقيق وعمل ، لا قَبُولَ سُمُوعَةٍ ورياء ؛ فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو وقد وَطَّنَ اللهُ عز وجل نبيه على نزولهما ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

مقام رجل من العباد عند المنصور

بينما المنصور في الطواف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول اللهم إني أشكو إليك ظهورَ البغى والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجلُ ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة .

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغى في الأرض ، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني .

فقال : إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلتكم بالأمور من أصولها ، وإلا آحتجرتُ منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل .

- قال : فأنت آمن على نفسك فقل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغى لانت . فقال : فكيف ذلك ويحك ! يدُخُلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والحلو والحامض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأمواهم ، فأغفلت أمورهم ، وأهتمت بِجَمْعِ أمواهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصِّ والأجر ، وأبواباً من الحديد ، وحُرَّاساً معهم السلاح ، ثم سجنْتَ نفسك عنهم فيها ، وبعثتَ عَمَّاك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت ألا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلان وفلان ، نفرأ سَمِيَّتَهُمْ ، ولم تأمُرْ بإبصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير إليك ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيك وأمرت أن لا يُجْجَبوا دونك ، تَجِيّ الأموال وتَجْمَعُهَا . قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخزُّهُ . فاتمروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خوّنوه عندك ونفّوه ، حتى تسقط منزلته ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعوهم عمالك بالهدايا والأموال ، ليقوّوا بها على ظلم رعيك ، ثم فعل ذلك ذُوو المفسدرة والثروة من رعيك ، لينالوا ظلم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطائك وأنت غافل ، فإن جاء منتظماً حيل بينك وبينه ، فإن أراد رَفَعَ قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاء ذلك المنتظم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ، فإذا أُجْهِدَ وأُحْرِجَ ثم ظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما

تسكرا فما بقاء الإسلام على هذا؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين
فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاء شديداً، فحُثه جلساؤه على الصبر
فقال: أما إنى لست أبكى للبلية النازلة، ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ بالباب
فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب، نادوا في
الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مُتظلم. ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر
هل يرى مظلوماً، فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله، بلغت رأفته بالمشركين هذا
المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح
نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبيراً في الطفل
يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة
تحويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل، حتى تعظم رغبة الناس إليه. ولست
الذى تُعطى، بل الله تعالى يُعطى من يشاء ما يشاء. فإن قلت إنما تجمع المال
لنشديد السلطان، فقد أراك الله عبيراً في بنى أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب
وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت
إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها. فوالله ما فوق
ما أنت فيه إلا دنزلة ما تُدرِك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين. هل
تُعاقب من عصاك بأشد من القتل. فقال المنصور: لا. فقال: فكيف تصنع
بالملك الذى خولك ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود
فى العذاب الأليم. قد رأى ما عُقد عايه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه
بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك. هل يعنى عنك ما شجحت عليه
من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب؟ قال: فبكى المنصور،
ثم قال: ليتنى لم أخلق! ويمحك كيف أحتال لنفسي؟ فقال يا أمير المؤمنين، إن
للناس أعلاماً يفرعون إليهم فى دينهم، ويرضون بهم فى دنياهم، فأجعلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم فى أمرك يسدّدوك. قال: قد بعثت إليهم فهربوا منى. قال:
خافوك أن تحمّلهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسهّل حجابك، وانصر

المظلوم ، واقع الظالم ، وُحُذِ النِّيءُ والصدقات على حلها ، واقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .
وجاء المؤذنون فأذنوه بالصلاة^(١) ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطُلب الرجل فلم يوجد .

مقام الأوزاعي

بين يدي المنصور

٥

قال الأوزاعي : دخلت عليه فقال لي : ما الذي بطأ بك عنى ؟ .

قلت : وما تريد مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن

بُسْر^(٢) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ بَلَغْتَهُ عَنْ اللَّهِ نَصِيحَةً فِي

دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرٍ وَإِلَّا فَهِيَ حِجَّةٌ

مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزِدَّادَ إِثْمًا وَيَزِدَّادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا . وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِي

فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ

الْحَقُّ الْمُبِينُ .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة وقد عرّضت على

١٥ السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وقد جاء عن جدك عبد الله

ابن عباس في تفسير قول الله عز وجل : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟ فأعنيك

بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك

مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَيَا فَاطِمَةَ

٢٠ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أَسْتَوِيهَا أَنْفُسِكُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

وكذلك جدك العباس ، سأل إمارة من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَيْ عَمِّ

(١) في بعض الأصول : « فسلموا عليه » .

(٢) في بعض الأصول : « بشير » .

نفس تحبها خير لك من إمارة لا تحبها ؛ نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يبلى
 فيحيد عن سنته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نفعاً ولا عنه دفعا . وقال صلى الله
 عليه وسلم : مامن راع بيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة . وحقيق
 على الوالى أن يكون لرعيته نظرا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق
 فيهم قائما ، فلا يتخوف محسنهم رهقا ، ولا مسيئهم عدوانا ؛ فقد كانت بيد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها ، فأتاه
 جبريل فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التى معك ! اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا !
 فما ظنك بمن سفك دماءهم ، وقطع أستارهم ، ونهب أموالهم ! يا أمير المؤمنين ،
 إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش
 ١٠ خدشه أعرابيا لم يتعمده ؛ فقال جبريل : يا محمد ، إن الله لم يبعثك جباراً
 تكسر قرون أمتك . واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما فى يدك لا يعدل شربة من
 شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ؛ ولو أن ثوباً من ثياب أهل الناس عُلق
 بين السماء والأرض لأهلك الناس رائحته ، فكيف بمن يتقمصه ! ولو أن ذنوباً
 من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحتمه ، فكيف بمن يتجزعه ! ولو أن
 حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ؛ فكيف بمن يسلك فيها ؛
 ١٥ ويرد فضلها على عاتقه .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ؛ فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج
 وعنده ابن شهاب . فلما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فيم أتكلم
 ٢٠ يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى المخرج من هذا الأمر . قال : يسير إن أنت فعلته .
 قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ، ولا تضعها إلا فى أهلها .
 قال : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلدهك . قال :

عظني أبا حازم ! قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشرُّ عليّ . قال : إنما أنت سوق ، فما نفق عندك حُجَلٌ إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدبتي فنتنتي ، وإن أفصيتني أخزيتني ؛ وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي ما أخافك عليه !
 قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلك ، وما منعتني منها رضيت .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

- ١٠ دخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عظني يا ابن السماك وأوجز .
 قال : كفي بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ويلٌ للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كاه ! وقال له مرة : عظني . وأتى بماء ليشربه .
 فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم ! قال : فما خيرٌ في ذلك لا يساوي شربة ولا بؤلة ! قال : يا ابن السماك ، ما أحسن ما بلغني عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لي عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة ؛ وإن لي لحائف في الكلام الفتنة وفي السر الغرة وإن لي لحائف على نفسي من قلة خوفي عليها .

كلام عمرو بن عبيد

عند المنصور

دخّل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدي ، فقال له أبو جعفر :
 هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ؛ ورجائي أن تدعو له . فقال :
 يا أمير المؤمنين ، أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول فاستعبر
 أبو جعفر وقال له عِظني أبا عثمان ! قال يا أمير المؤمنين ! إن الله أعطاك الدنيا
 بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من
 كان قبلك لم يصل إليك ! قال : أبا عثمان أعني بأصحابك ، قال : أرفع علم
 الحق يتبعك أهله ؛ ثم خرج ، فأتبعه أبو جعفر بصرّة ، فلم يقبلها ؛ وجعل
 [المنصور] يقول :

كلّم يمشى رويداً كلّم خاتل صيند

غير عمرو بن عبيد

خبر سفيان الثوري

مع أبي جعفر

لقى أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف ، وسفیان لا يعرفه ، فضرب يده
 على عاتقه وقال : أتعرفني ؟ قال : لا ، ولكنك قبضت على قبضة جبار ، قال :
 عِظني أبا عبد الله . قال : وما عملت فيم علمت فأعظك فيما جهلت ؟ قال : فما
 يمنعك أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهى عنكم فقال تعالى ﴿ ولا تتركونوا إلى الذين
 ظلّموا فتمسّكم النار ﴾ فسمح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقينا
 الحَبّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفیان فإنه أعيانا فرارا .

كلام شبیب بن شیبة

للهدی

قال العتيبي : سألت بعض آل شبیب بن شیبة : أتخفظون شيئاً من كلامه ؟
قالوا : نعم ، قال للهدی : يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قسم الأقسام في الدنيا
جعل لك أسناتها وأعلاها ، فلا ترض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضی لك به
من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت : ومنكم أخذت ، وإليكم ترد .

من كره الموعدة

لبعض ما فيها من الغلظ أو الخرق

قال رجل للرشيد : يا أمير المؤمنين ، إنني أريد أن أعظك ببيعة فيها بعض
الغلظة فأحتملها ، قال : كلا ، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو
شر مني : قال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون ﴿ فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر أو يخشى ﴾ .

بن الرشيد
وواعظ

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني مكلمك
بكلام ، فأحتمله إن كرهته ، فإن وراه ما تُحب إن قبلته ، قال : هات يا أعرابي ،
قال : إنني سأطلق لساني بما خرسْتُ عنه الألسن من عظمتك ، تأدية لحق الله تعالى
وحق إمامتك : إنه قد اكتنفتك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دينك
بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب
الآخرة سلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالاً ،
والأمانة تضيعها ، والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا
مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس
صفقة يوم القيامة وأعظمهم غبناً ، من باع آخرته بدنياً غيره . قال سليمان : أما أنت
يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو أجد سيفيك . قال : أجل يا أمير المؤمنين ،

سليمان بن
عبد الملك
وأعرابي

لك لا عليك .
ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه منصتاً ، فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك ،
فأسأل الله أن ينفعنا بها ، وربما عملنا ، غير أنا أخرج إلى المعاونة بالفعال منا
إلى المعاونة بالمقال ، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون .

٥ العتيبي قال : دخل رجل من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ قال أبي له :
لو آتعتنا بما علمنا لآتفتعنا بما عملنا ، ولكننا علمنا علمنا لزمنا فيه الحجة ،
وغفلنا غفلة من وجبت عليه النقمة ، فوُعظنا في أنفسنا بالتنقل من حال إلى حال ،
ومن صغر إلى كبر ، ومن صحة إلى سقم ، فأبيننا إلا المُقام على الغفلة ، إيثاراً
لعاجل لا بقاء لأهله ، وإعراضاً عن آجلٍ إليه المصير .

١٠ سعد القصير قال : دخل أناس من القراء على عُتبة بن أبي سفيان فقالوا :
إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف ، وجئت بها عشوة^(١)
خفية . قال : كذبتُم ! بل سلطت الحق وبه سلطت ، فاعرفوا الحق تعرفوا السيف ،
فإنكم الحاملون له حيث وضعه أفضل ، والواضعون له حيث عمله أعدل ، ونحن
في أول زمان لم يأت آخره ، وآخر دهر قد فات أوله . فصار المعروف عندكم
١٥ مُنكراً ، والمنكر معروفاً . وإني أقول لكم مهلاً ، قبل أن أقول لنفسي هلاً !
قالوا : فنخرج آمنين ؟ قال غير راشدٍ ولا مهذبين .

٢٠ حاد قوم سَفَر عن الطريق ، فدفعوا إلى راهبٍ منفرد في صومعته ، فنادوه ،
فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ههنا . وأوماً بيده إلى السماء ، فعلبوا
ما أراد ، فقالوا : إنا سائلوك . قال : سلوا ولا تكثروا : فإن النهار لا يرجع
والعمر لا يعود ، والطالب حيث ! قالوا : علام الناس يوم القيامة ؟ قال : على
نياتهم وأعمالهم . قالوا : إلى أين الموتل ؟ قال : إلى ما قدمتم . قالوا : أوصنا .
قال : تزودوا على قدر سفركم ، فخير الزاد ما بلغ المحل . ثم أرشدهم الجادة وانقمع .
وقال بعضهم : أتيت الشام فمررت بدير حرملته ، فإذا فيه راهب كأن عينيه

(١) العشوة من الأمر: المتبس . وفي بعض الأصول : وعشواء صعبة .

مزداتان ، فقلت له : ما أشد ما يبكيك ! قال : يا مسلم ، أبكي على ما فرطت فيه من عمري ، وعلى يوم يمضي من أجلي لم يحسن فيه عملي ! قال : ثم مررت بعد ذلك ، فسألت عنه ، فقيل لي إنه قد أسلم وغزا الروم وقُتل !

قال أبو زيد الحيرى : قلت لثوبان الراهب : ما معنى لبس الرهبان هذا السواد ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ! قلت : وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ قال : يرحمك الله ، وهل مُصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها . قال أبو زيد : فما أذكر قوله إلا أبكاني .

الحيرى وثوبان في لبس الرهبان

حبيب العدوى عن موسى الأسوارى قال : لما وقعت الفتنة أردت أن أحرز ديني ، فخرجت إلى الأهواز ، فبلغ آزادمرّد قُدومي ، فبعث إلي متاعاً ، فلما أردت الانصراف بلغني أنه ثقيل ، فدخلت عليه ، فإذا هو كالحقّاش ، لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفرأ بعيداً بغير زاد ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ؟ ثم خرجت نفسه .

آزادمرّد

العتبي قال : مررت براهب باك ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أمرٌ عرفته وقصرت عن طلبه ، ويوم مضى من عمري نقص له أجلي ولم ينقص له أمله .

بين العتبي وبين الرهبان

باب

من كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العباد : ما أقامكم في الشمس ؟ قالوا : طلب الظل .
قيل لعلقمة الأسود بن يزيد : كم تعدّب هذا الجسد الضعيف ؟ قال : لا تُتّال الراحةُ إلا بالتعب .

لبعض العباد

لعلقمة والأسود

وقيل لآخر : لورفقت بنفسك ! قال : الخير كلّهُ فيما أُكْرِهَت النفوس عليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّت الجنةُ بالمكاره .

لآخر

وقيل لمسروق بن الأجدع : لقد أضرت بيدك . قال : كرامته أريد . وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة : ويلك يا مسروق !

مسروق الأجدع

- أما يعبدُ الله غيرُك ، أما خلقت النارُ إلا لك ؟ قال لها : وَيَحْكُ يَا فيروز ! إن طالب الجنة لا يسأم ، وهارب النار لا ينام .
- وشكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبري ، فإن أماننا عقبه كثودا لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا .
- ٥ ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعدك الجنة .
- ومر بالجزارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين فاشتر . قال : ليس عندي ثمنه . قالوا توخرك . قال : أنا أوخر نفسي .
- وكان رجل من العباد يأكل الرمان يقشره ، فقيل له : لم تفعل هذا ؟ فقال إنما هو عدوٌّ فأتحن^(١) فيه ما أمكنك .
- ١٠ وكان عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فسئل عن ذلك ، فقال : ويحكم ! أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي ؟
- وقال رجل ليونس بن عبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن^(٢) ؟ قال : لا والله ولا أحداً يقول بقوله .
- وقيل لمحمد بن علي بن الحسين أولعلي بن الحسين عليهم السلام : ما أقل ولد أهلك ؟ قال : العجب كيف ولدت له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وحج خمساً وعشرين حجة راجلاً .
- ١٥ ولما ضرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة : لقد أقتت مقام خزية ! فقال : من مقام الخزية فررت .
- وشكا الناس إلى مالك بن دينار القحط . فقال : أتم تستبطنون المطر وأنا أستبطن الحجارة !
- ٢٠ وشكا أهل الكوفة إلى الفضيل بن عياض القحط . فقال : أمدبراً غير الله تريدون ؟

(١) في بعض الاصول : فادخل .

(٢) هو الحسن البصري وكان يونس من إصحابه .

- وذكر أبو حنيفة أيوب السخيتاني . فقال : رحمه الله تعالى - ثلاثا - لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت : لأقعدن إليه لعلني أتعلق منه بسقطة . فقام بين يدي القبر مقاما ما ذكرته إلا اقشعر له جلدى .
- و قيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء أفضس أسود أشل أعرج ثم عمى . وأمه سوداء تسمى بركة .
- وكان الأوقص الخزومي قاضيا بمكة ، فما روى مثله في عفاهه وزهده ؛ فقال يوما لجلسائه : قالت لي أمي : يا بُني ، إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجاعة الفتيان عند القيان ؛ فعليك بالدين ؛ فإن الله يرفع به الحسيسة ؛ ويتم به النقيصة ، فنفعني الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليت القضاء .
- الفضيل بن عياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع : ما هو كما تقول ، ليس إلا عفو الله أو النار . قال مالك : صدقت . ثم قال مالك : إنه يعجبني أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته . قال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ولكن يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . قال مالك : ما أحوجني إلى أن يُعلمني مثلك .
- جعفر بن سليمان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما رأيت أحداً أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفیان الثوري ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بشر بن منصور ، مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا .
- عبد الأعلى بن حماد قال : دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت ، فإذا به من السرور في أمر عظيم ؛ فقلت له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والباذين والحاسدين والمغتابين ، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر .

لأبي حنيفة في
السخيتاني

ابن أبي رباح

الأوقص
الخبزوميبين ابن واسع
وابن دينارلابن مهدي في
بعض العبادبشر بن منصور
على فراش الموت

حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة بحاج الدعوة معتزل في جبال تهامة الرشيد وعابده بمكة
فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له : أوصني ومُرني بما شئت ، فوالله
لا عصيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جواباً ؛ فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه
مامنعك إذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألا يعصيك - أن تأمره بتقوى
الله والإحسان إلى رعيته ؟ فخط لهم في الرمل : إني أعظمت الله أن يكون يأمره
فيعصيه ، وأمره أنا فيطيعني .

علي بن حمزة ابن أخت سفيان الثوري قال : لما مرض سفيان مرضه الذي
مات فيه ذهب ببوله إلى دِراني ، فأريته إياه فقال : ما هذا بيول حنفي . قلت :
بلى والله من خيارهم . قال : فأنا أذهب معك إليه . قال : فدخل عليه وجس
عرقه ، فقال : هذا رجل قطع الحزن كبده .

مؤرق العجلي قال : ما رأيت أحداً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من
محمد بن سيرين ، ولقد قال يوماً : ما غشيتُ امرأة قط في نوم ولا يقظة ، إلا
امرأتى أم عبد الله فإني أرى المرأة في النوم : فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف
بصرى عنها .

الأصمعي عن ابن عون قال : رأيت ثلاثة لم أر مثلهم : محمد بن سيرين
بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .
العتبي قال : سمعت أشياخنا يقولون : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين :
عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وهرم بن حبان ، وأبي
مُسلم الخولاني ، وأويس القرني ، والربيع بن خُثيم ومَسروق بن الأجدع ،
والأسود بن يزيد .

كيف يكون الزهد

العتبي يرفعه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد في الدنيا ؟
قال : أما إنه ما هو بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد

- في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك .
 وقيل للزهري : ما الزهد ؟ قال : أما إنه ليس تشيعيث الأمة ، ولا قَشَفَ
 الهيئة ؛ ولكنه صرف النفس عن الشهوة .
 وقيل لآخر : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرامُ صبرك ،
 ولا الحلالُ شُكرَكَ .
 وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من أزهَدُ الناس في
 الدنيا ؟ قال : من لم يذس المقابر والبلى ، وآثرَ ما يَبْقَى على ما يَفْنَى ، وَعَدَّ
 نفسَه مع الموتى .
 وقيل لمحمد بن واسع : من أزهَدُ الناس في الدنيا ؟ قال : من لا يبالي بِيَدِ
 مَنْ كانت الدنيا .
 وقيل للخليل بن أحمد : من أزهَدُ الناس في الدنيا ؟ قال من لم يطلبِ المفقود
 حتى يَفْقِدَ الموجود .
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الزُّهُدُ في الدنيا مِفْتَاحُ الرَّغْبَةِ في الآخرة ،
 والرَّغْبَةُ في الدنيا مِفْتَاحُ الزُّهُدِ في الآخرة .
 قالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ضرتان ، إن أرضى
 إحداهما أسخط الأخرى .
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من جعل الدنيا أكبرَ همِّه نزعَ اللهُ خوفَ
 الآخرة من قلبه ، وجعل الفقرَ بين عينيه ، وشغَلَه فيما عليه لا له .
 وقال ابن السماك : الزاهدُ الذي إن أصاب الدنيا لم يَفْرَحْ ، وإن أصابته
 الدنيا لم يَحْزَنَ ، يضحكُ في المَلَأ ، ويَبْكِي في الخِلا .
 وقال الفضيل : أصلُ الزهد في الدنيا الرضا عن الله تعالى .

صفة الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا

- الدنيا . قال : ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب ،
 وحرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن !
- قيل لأرسطاء الدير : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف من دار أولها فوت ،
 وآخرها موت .
- وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا . قال : أمر بين يديك ، وأجل مُطِل عليك ،
 وشيطان فتان ، وأمانى جزارة العنان ، تدعوك فتستجيب ؛ وترجوها فتخيّب .
- وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا . قال : الدنيا والدة للبوت ،
 ناقضة للمبرم ، مرتجعة العطية وكل من فيها يجرى إلى ما لا يدرى .
- وقيل لبكر بن عبد الله المزني : صف لنا الدنيا . فقال : ما مضى منها فحلُم ؛
 وما بقي فأمانى .
- وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صف لنا الدنيا . قال : أمسك مذموم فيك ، ويومك
 غير محمود لك ، وعزك غير مأمون عليك .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الدنيا سجنُ المؤمن وجنة الكافر .
- وقال : الدنيا عَرْضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر . والآخرة وَعْدٌ صدقُ
 يحكم فيها ملكٌ قادر ، يَفْضِلُ الحق من الباطل .
- وقال : الدنيا خضرة حُلوة ، فمن أخذها بحمها بُورِكَ له فيها ، ومن أخذها
 بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع .
- وقال ابن مسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيف على الدنيا وماله
 عارية ؛ فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .
- وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها حراثون .
- وقال إبليس : ما أبالي إذا أحب الناس الدنيا أن لا يعبدوا صنما ولا وثنا ،
 الدنيا أفتن لهم من ذلك .
- وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الدنيا أم دفر . الدفر : الزن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سُفيان : ما طعامك ؟ قال : اللحم واللبن . قال : ثم إلى ماذا يصير ؟ قال يصير إلى ما قد علمت . قال : فإن الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه : اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : من خدمني فأخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه .

وقيل لنوح عليه السلام : يا أبا البشر ويا طویل العمر ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال كبيت له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

وقال لقمان لابنه : إن الدنيا بحر عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخرون ، فإن استطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله ، وعُدَّتْكَ التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح . فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

وقال ابن الحنفية : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقال : إن الملوك خلّوا لكم الحكمة فخلّوا لهم الدنيا .

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدون . قال : إنما رضى بالدون من رضى بالدنيا .

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : أنا الذي كفأت الدنيا على وجهها ، فليس لي زوجة تموت ، ولا بيت يُخرب .

شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده ، فقال له : يا عبد الله ، هذه دار

لا توافقك فالتمس لك داراً توافقك .

لقى رجل راهباً ، فقال : ياراهب ، صف لنا الدنيا . فقال : الدنيا تُخلقُ

الأبدان . وتجدد الآمال ، وتُباعد الأُمْنِيَّة ، وتقرَّب المَنِيَّة . قال : فما حال

أهلها ؟ قال : من ظفِر بها تعب ، ومن فاتته نصَب . قال : فما الغنى عنها ؟ قال :

قطع الرجاء منها . قال . فأين المخرج ؟ قال : في سلوك المنهج . قال : وما ذلك ؟
قال : يذل المجهود ، والرضا بالموجود .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها * فخيئما انقلبَت يوماً به انقلبوا
يُعظّمون أخوا الدنيا وإن وثبت * يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال آخر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غزارة * قريبة العرس من المأتم

عبد الواحد
ابن الخطاب

داود بن المحبر قال : أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين
من بلاد الروم ، حتى إذا كنا بين الرصافة وحص سمعنا صوتاً من تلك الجبال ،
تسمعه آذاننا ولم تبصره أبصارنا ، يقول : يا مستور يا محفوظ ، انظر في ستر
من أنت ؛ إنما الدنيا شوك ، فانظر أين تضع قدميك منها !

لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية :

رضيت بذى الدنيا ككل مكاثر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها تسقيه حتى إذا صبا^(١) * فرت حلقه منها بشفرة جازر
ولا تعدل الدنيا جناح بعوضه * لدى الله أو معشار نغمة طائر
فلم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمن * ولم يرض بالدنيا عقاباً للكافر

وقال أيضاً :

هي الدنيا : إذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا * كما فيمن مضى فعلت

قال بعض الشعراء يصف الدنيا :

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحوّل

(١) في بعض الاصول : وترقيه حتى إذا سما .

فساخطُ أمرٍ لا يُبدلُ غيره • وراضٍ بأمرٍ غيره سيُبدلُ
وبالغِ أمرٍ كانَ يأملُ دونه • ومخترمٌ^(١) من دون ما كانَ يأملُ
وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صفي لنا نتمسك ، وكانت بمن ينطق ،
ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس :

للرشيد

٥ إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت • له عن عدوِّ في ثياب صديق
وما الناسُ إلا هالكٌ وآبن هالكٍ • وذو نسبٍ في الهالكين عريق

وقال آخر في صفة الدنيا :

لبعض الشعراء

فرحنا وراح الشامتون عشيمةً • كأن على أكتافنا فلق الصخر
لحما الله دُنيا تُدخلُ السُّرَّ أهلها • وتَهتك ما بين الأفارب من سُرَّ

١٠ ولأبي العتاهية :

لأبي العتاهية

كُنَّا نُكثِرُ الملامَةَ للدنيا وكلِّ يَجِبُّها مفتونٌ
والمقاديرُ لا تناولها الأو • هَامُ لطفاً ولا تراها العيونُ
ولركب الفناء في كلِّ يومٍ^(٢) • حركات كأنهنَّ سُكون

ومن قولنا في وصف الدنيا :

لأبي عبد ربه

١٥ أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ أَيَكْفِي • إِذَا أَحْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الأَمَالُ إِلَّا جَفَائِعُ • عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّنتِ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ • وَقَرَّتْ عِيونُ دَمْعُهَا اليَوْمَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلُ عَيْنُكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ • عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وقال أبو العتاهية :

٢٠ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا فِتْنَةً • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا • مَا إِنْ رَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

(١) في بعض الاصول : « ومخترج » .

(٢) في بعض الاصول : « ويمر القتي وفي كل يوم » .

لابن آدم

وقال إبراهيم بن آدم :

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ
وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يُحبها الناس لأجله بأبلغ من
قول القائل .

نُرَاعُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فِي حِينِ ذِكْرِهِ * وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْعَبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها * وما كنتَ منه فهو شيءٌ مُحِبَّبٌ
فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محبب إليه .

واعلم أن الإنسان لا يجب شيئاً إلا أن يجانسه في بعض طبائعه ، وأن الدنيا
جانست الإنسان في طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه .

وقال بعض ولد ابن شبرمة : كنت مع أبي جالساً قبل أن يلي القضاء ففر به ابن شبرمة وولده

طارق بن أبي زياد في موكب نبيل ، فلما رآه أبي تنفّس الصعداء وقال :

أزاهوا وإن كانت تحبُّ كأنها * سخابة صَيْفٍ عن قليلٍ تَقشَعُ

ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فلما ابتلى بالقضاء ، قلت : يا أبت ، أتذكر
يوم طارق ؟ فقال : يا بني إنهم يجدون خلفاً من أهلك وإن أباك لا يجد خلفاً منهم
إن أباك خطب " في أهوائهم وأكل من حلواتهم .

للشعبي

وقال الشعبي ما رأيت مثلاً ومثلاً الدنيا إلا كما قال كثير عزة :

أَسِيبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَامِلُومَةً * لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ

وأحكم بيت قيل في تمثيل الدنيا قول الشاعر :

وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ * عَلَى الْمَاءِ خَانَتَهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

وحدث العباس بن الفرج الرياشي ، قال : رأيت الأصمعي يُنشد هذا البيت الأصمعي في بيت

ويستحسنه في صفة الدنيا :

مَا عُنْذُرُ مُرْضِعَةٍ بَكَاءِ * مِنَ الْمَوْتِ تَفْطِيمَ مَنْ عَنَدَتْ

(١) في بعض الأصول : وخط ،

ولقطري بن الفجاءة في وصف الدنيا خطبة مجردة تقع في جملة الخطب في كتاب الواسطة .

لقطري

قولهم في الخوف

سئل ابن عباس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صدقوا الله في مخافة وعيده ، قلوبهم بالخوف قريحة ، وأعينهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على خدودهم جارية ، يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا . والقبور من أمامنا ، والقيامة موعِدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي ربنا موقفنا !

ابن عباس

وقال علي كزيم الله وجهه : ألا إن لله عباداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة في الجنة فأكهين ، وأهل النار في النار معذبين ؛ شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحواسجهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة لعقبي راحة طويلة ، أما بالليل فصَفَّوْا أقدامهم في صلاتهم ؛ تجرى دموعهم على خدودهم ، يَجَارُونَ إلى ربهم : رَبَّنَا رَبَّنَا ! يطلبون فكاك قلوبهم ؛ وأما بالنهار فعلماء حُلَمَاء بررة أتقياء ؛ كأنهم القِداح . القِداح : السهام ، يريد في ضميرتها - ينظر إليهم الناظر فيقول مَرَضِي ، وما بالقوم من مرض ؛ ويقول : خولطوا ؛ ولقد خالط القوم أمر عظيم .

علي

١٥

وقال منصور بن عمار في مجلس الزهد : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من تلاقق الدنيا ؛ فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا خدودهم بوابل دموعهم ، وافترشوا جباههم في محاريبهم ، يناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم .

ابن عمار في الزهد

٢٠

ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وفيهم شاب ذابل نحيل ؛ فقال له عمر : يا قتي ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقام ؛ قال له عمر : لتصدقني . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذقت

عمر بن عبد العزيز في مرضه

يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبها ؛ فاستوى عندي حجيرها وذهبها ؛ وكأني
أنظر إلى عرش ربنا بارزا ؛ وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ؛ فأظمأت نهاري
وأسهرت ليلي ؛ وقليل كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه .

لابن أبي
الحواري

وقال ابن أبي الحواري : قلت لسفيان : بلغني في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنْ مَنَّ اللَّهُ بِقَوْمٍ فَلَهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ : الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره . فبكي
وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

للحسن

وقال الحسن : إن خوفك حتى تلقى الأمان خير من أمانك حتى تلقى الخوف

وقال : ينبغي أن يكون الخوف أغلب على الرجاء . فإن الرجاء إذا غلب

الخوف فسد القلب .

وقال : عجبا لمن خاف العقاب ولم يكف ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل .

لأبي

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو

وأخاف . قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه .

لابن عياض

وقال الفضيل بن عياض : إني لأستحي من الله أن أقول : توكلت على الله .

ولو توكلت عليه حق التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

لبعضهم

وقالوا : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه

الله من كل شيء .

وقال : وعد من الله لمن خافه أن يدخله الله الجنة . وتلا قوله عز وجل :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ .

لابن ذر

وقال عمر بن ذر : عباد الله : لا تغتروا بطول حلم الله واحذروا أسفه ؛

فإنه قال عز وجل : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ .

لابن سلام

وقال محمد بن سلام : سمعت يونس بن حبيب ^(١) يقول : لا تأمن من قطع

(١) في بعض الأصول : يوسف بن عبيد .

في خمسة دراهم أشرفَ عُضْوٍ فِيكَ أنْ تكونَ عَقوبَتُهُ في الآخرةِ
أضعافَ ذلكَ .

وقال الربيع بن خثيم : لو أن لي نفسيين إذا علقتهما سعت الأخرى لابن خثيم

في فكاكها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوثقتُها ، من يفكُّها ؟

وفي الحديث : من كانت الدنيا همُّهُ ، طال في الآخرةِ غمُّهُ . ومن خاف الوعيد في الحديث

لهما عمًّا يُريد ، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعًا بما في يده .

وقال محمود الوراق :

يا غافلًا تَرَنوْ بِعَيْتِي راقِدٍ . ومُشاهدًا لِلأَمْرِ غيرَ مُشاهدٍ

تَصِلُ الذُّنوبَ إلى الذُّنوبِ وَتَرْتَجِي . دَرَكَ الجِنانِ بِها وَفوزَ العابدِ

وَنَسِيتَ أنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمًا . منها إلى الدُّنيا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ١٠

وقال نابغة المدياني

إنَّ مَنْ يَرَكِبُ الفَواحِشَ سِرًّا . حينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غيرُ خالٍ

كيفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كاتِبُهُ . شاهِدُهُ ورُبُّهُ ذو الجلالِ

قولهم في الرجاء

قال العلماء : لا تشهد على أحد من أهل القبلة بجنة ولا نار ؛ يُرجى للمحسن للعلماء

ويُخافُ عليه ، ويُخافُ على المديء . ويُرجى له .

وفي الحديث المرفوع . إن الله يغفر ولا يعير ، والناس يعيرون في الأثر

ولا يغفرون .

وفي حديث آخر : لا تكفروا أهل الذنوب .

وتوفي رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفا على نفسه فتى توفي في عهد

فرفع رأسه ، وهو يجود بنفسه ، فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : ما يبكيكما؟ الرسول صلى الله

قال : نبكي لإسرافك على نفسك ! قال : لا تبكي . فوالله ما يسرنى أن الذي عليه وسلم

يسد الله من أمري بأيديكما . ثم مات . فأتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن فتي توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير ، إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هاهنا أوتىَ ؛ إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده .

عمر بن ذر
ورجل توفى

وتوفى رجل بجوار ابن ذر ، وكان مُسرفاً على نفسه ، فتحامى الناس جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر ، فأوصى أهله : إذا جهزتموه فأذِنُونِي . ففعلوا ؛ فشاهده والناس معه ، فلما أدلى وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان ؛ فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذو خطايا ؟

معاوية عند الموت

وتمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا مَنْجِي من الموت والذي هـ نحاذر بعد الموت أنكى وأقطع
ثم قال : اللهم فأقل العثرة ، واعفُ عن الزَّلَّة ، وعُدْ بجملك على جهل
من لم يَرْجُ غيرك ، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المنفرة . يارب أين لدى الخطأ
مهرب إلا إليك .

قال داود بن أبي هند : فبلغني أن سعيد بن المسيَّب قال حين بلغه ذلك :
لقد رغب إلى من لا مَرغَبَ إلا إليه كرها ، وإنى أرجو من الله له الرحمة .

الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول في دعائه وابتهاله : إلهي ، ما توهمت سعة
رحمتك إلا وكان نعمة عفوك تفرع مسامعي : أن قد غفرتُ لك ؛ فصدق ظني
بك ، وحقق رجائي فيك يا إلهي .

لبعض الشعراء

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :

وإنى لأرجو الله حتى كأنني هـ أرى يجميل الظن ما الله صانع

قوله في التوبة

- ٥ مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بني إسرائيل يسكون ، فقال لهم : ما يبكيكم ؟ قالوا : نبكي لذنوبنا ! قال : آتركوها تُغفر لكم .
- وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : عجبا لمن يهلك ومعه النجاة ؛ قيل له : وما هي ؟ قال : التوبة والاستغفار .
- ١٠ وقالوا : كان شاب من بني إسرائيل قد عبد الله عشرين حجة ، ثم عصاه عشرين حجة ؛ فبينما هو في بيته يتراعى في مرآته ، نظر إلى الشيب في لحيته ، فسأه ذلك ؛ فقال : إلهي ، أطعمتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة ؛ فإن رجعتُ إليك تقبلني ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ، ولم ير شخصاً ؛ أحببتنا فأحببتنا ، وتركنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلتناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .
- ١٥ عبد الله بن العلاء قال : خرجنا حجاجاً من المدينة ، فلما كنا بالحليفة نزلنا ، فوقف علينا رجل عليه أثواب رثة له منظر وهيئة ، فقال : من يبغى خادماً ؟ من يبغى ساقياً ؟ من يملأ قربة أو إداوة ؟ فقلنا : دونك هذه القرب فاملأها . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا ، فوضعها وهو كالمسور الضاحك ، ثم قال : لكم غير هذا ؟ قلنا : لا . وأطعمناه قارصاً حاذراً " ، فأخذته وحمد الله وشكره ؛ ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع ، فأدركتني عليه الرقة ، فقمت إليه بطعام طيب كثير ؛ وقلت : قد علمت أنه لم يقع منك القرص موقعا ، فدونك هذا الطعام فكله . فنظر في وجهي وتبسم ؛ وقال : يا عبد الله ، إنما هي قورة ، هذه النار قد أطفأتها - وضرب يده على بطنه - فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيت من هيئته ؛ فقال إلى رجل
- ٢٠ كان إلى جانبي : أتعرفه ؟ قلت : ما أعرفه . قال : هذا رجل من بني هاشم ، من ولد العباس بن عبد المطلب ؛ كان يسكن البصرة ؛ فتاب وخرج منها ، فقُقد وما يُعرف له أثر . فأعجبني قوله ؛ ثم لحقت به وناشدته الله ؛ وقلت له :

للمسيح عليه السلام

لعل

فتى من بني إسرائيل

ابن العلاء في عابد

هل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من زاحلتي وأنا رجل من بعض
أخوالك ؟ فجزاني خيرا ، وقال : لو أردت شيئا من هذا لكان لي مُعَدًّا .
ثم أُنسَ إليّ وجعل يحدثني ؛ وقال : أنا رجل من ولد العباس ، كنت أسكن
البصرة ، وكنت ذا كِبَرٍ شديد وجروت وبذخ ؛ وإن أمرت خادماً لي أن
تَحْشُو لي فراشاً من حرير بورد نثير ، ومخّطة ؛ ففعلت ؛ فإني لنام إذ أبغضني
فَمِعُ وردة أغفلته الخادم ؛ ففتمت إليها فأرجمتها ضرباً ؛ ثم عدت إلى مضجعي
بعد أن خرج ذلك القمع من المخّطة ؛ فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة ، فتهرني
وزبرني ، وقال : أفيق من غشيتك وأبصر من حيرتك . ثم أنشأ يقول :

ياخذُ إنك إن تَوَسَّدُ كَيْناً ۝ وَسَدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ

فأمهد لنفسيك صالحاً تنجو به ۝ فَلَتَنَدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ

فانتهت فزعا ، وخرجت من ساعتى هارباً بديني إلى ربي .

وقالوا : علامة التوبة الخروجُ من الجهل ، والندم على الذنب ، والتجافي عن
الشهوة ، وترك الكذب ، والانهاء عن الخلق السوء .

وقالوا : الناب من الذنب كمن لا ذنب له . وأول التوبة الندم .

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا وَيَلْنَا مِنْ مَوْقِفِ مَا بِهِ ۝ أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَعدِلَ الحَاكِمُ

أُبَارِزُ اللهَ بَعْضَ بَيَانِهِ ۝ وِلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاحِمٌ

يَاربُّ غُمْرَانِكَ عَنْ مُذْنِبٍ ۝ أَسْرَفَ إِلا أَنَّهُ نَادِمٌ

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ . إن التوبة النصوح : أن يتوب العبد عن الذنب
ولا ينوي العود إليه .

وقال ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ . إن الرجل لا يركب ذنباً ولا يأتي
فاحشةً إلا وهو جاهل . وقوله : ثم يتوبون من قريب . قال : كل من كان دون

المعاينة فهو قريب، والمعاينة : أن يؤخذ بكظم الإنسان ، فذلك قوله : ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ قال أهل التفسير : هو إذا أخذ بكظمه .
وقال ابن شبرمة : إني لأعجب من يحتمى مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة النار .

لابن شبرمة

المبادرة بالعمل الصالح

٥

قال الله عز وجل ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ .

وقال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ .

وقال الحسن : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيتم ، لا ما أبقيتم .

للحسن

١٠ وقالوا : ثلاثة لا أناة فيهن . المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وإنكاح الكفء .

لبعضهم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابن آدم : اغتتم خمساً قبل شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلِك ، وحياتك قبل موتك ، وغناك قبل فقرك .

لأنبي صلى الله عليه وسلم

١٥ وقال الحسن : صمّ قبل أن لا تقدر على يوم تصومه ، كأنك إذا ظممت لم تكن رويت ، وكأنك إذا رويت لم تكن ظممت .

وكان يزيد الرقاشي يقول : يا يزيد ، من يصوم عنك أو يصلي لك أو يترضى لك ربك إذا مت .

ليزيد الرقاشي

وكان خالد بن معدان يقول :

لابن معدان

٢٠ إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ه ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر في سفينة ، فقلت : بأى شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له : ما تقول في الصوم في السفر ؟ فقال : إنما هي المبادرة يا بن أخي . فجاءني والله بفتيا غير فتيا إبراهيم والشعبي .

لابن المبارك

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخَاصَاءِ مُبْتَدَأً^(١) . وَالمَوْتُ وَيَحْكَمَ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَا

وَأَرْقُبَ مِنْ اللَّهِ وَعَدَاً لَيْسَ يُخَلِّفُهُ . لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : فيم أنتم ؟ قالوا : نرجو

ونخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلِهَا . إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

وقال آخر :

أَعْمَلُ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ . وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ مَبْعُوثٌ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ . يُحْصَى عَلَيْكَ ، وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ

الذي صلى الله عليه
وسلم وعائشة

وقدّمت عائشة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم صحفة فيها خبر

شعير وقطعة من كرش ، وقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها

غير هذا . فقال : بل كلّها أمسكتم غير هذا .

العجز عن العمل

مؤرق وشاك

قال رجل لمؤرق العجلي : أشكو إليك نفسي ؛ إنها لا تريد الصلاة ، ولا تستطيع

الصبر على الصيام . قال : بنس الشاء [ما] أثبتت على نفسك ، فإذا ضعفت عن

الخير ، فاضعف عن الشر ؛ فإن الشاعر قال :

أَحْزَنُ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ . وَلَا تُسِيءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ

وَأَضْعَفُ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي . ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمَسْكُنُ

لبكر بن عبد الله

وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فأمسكوا

عن المعاصي .

(١) في بعض الاصول : مجتهدا .

- للحسن وقال الحسن رحمه الله : من كان قويا فليعتمد على قوته في طاعة الله ؛ وإن كان ضعيفاً فليتكف عن معاصي الله .
- اعلى وقال علي : لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ، فيبتغي الزيادة فيما بقي ؛ وينهى الناس ولا ينتهي .
- ٥ وكان الحسن إذا وعظ يقول : يالها موعظة لو صادفت من القلوب حياة ! أسمع حسيباً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا عقولهم ؟ فراش نار وذباب طمع . لابن السماك وكان ابن السماك إذا فرغ من موعظته يقول : ألسنة تصيف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .
- وقال : الحسنة نور في القلب ، وقوة في العمل ؛ والسئنة ظلمة في القلب ، وضعف في العمل .
- ١٠ وقال بعض الحكماء : يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ، ثم ظنوا أن تركها لهم توبة ؛ وليتهم إذا ذهبت عنهم لم يتمنوا عودها إليهم .
- لابن دينار وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فظام الكبير . وينشد :
- ١٥ وتروض عرسك بعدما هرمت ه ومر العناء رياضة الهرم
ومن حديث محمد بن وضاح قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب ، مسح إبليس يده على وجهه وقال : بأبي وجه لا أفلح أبدا .
- لبعض الشعراء قال الشاعر :
- فإذا رأى إبليس غرة وجهه ه حياً وقال فديت من لا يفلح
- ٢٠ وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، أردت البارحة أن أصلي فلم أستطع ، قال : قيدت ذنوبك .

قولهم في الموت

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ما عندك من ذكر الموت أباحفص ؟ قال : أمسى فما أرى ، وأصبح فما أرى ، أما إنه يخرج عنى نفسى فما أرى أنه يعود إلى !

وقال عبد^(١) الله بن شداد : أرى داعى الموت لا يُقلع ، ومن مضى لا يرجع ، ومن بقى فإنه ينزع .

وقال الحسن : ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك .

وقال أبو العتاهية :

الناس في غفلاتهم ° ورحى المنيّة تطحن

وقال عمر بن عبد العزيز : من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل : قل كلامه إلا فيما ينفع .

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : آغدى فإننا راثجون ، أو روجى فإننا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلان جفاة . فقال : لو لم يمت جفاة لمرض جفاة ثم مات .

وقال يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف : ما أدرى ما أتيتك به ، ولكن هوّن الله عليك سكرات الموت .

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلست إلى جرير وهو يمل على كاتبه :
° ودّع أمانة حان منك رحيل °

ثم طلعت جنازة فأمسك وقال : شيبتني هذه الجنازة . قلت : فلم تسأب

(١) فى بعض الاصول : عبيد .

الناس ؟ قال : يبدءونني ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ ۝ فَنَلْهُو حِينَ تَذْهَبُ مُدْبِرَاتٍ
كِرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٍ لِمُغَارٍ سَبْعٍ ۝ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لها عما في يديه .

لبعضهم

وقالوا : اتخذ نوح بيتاً من حصّ ، فقيل : لو بنيت ما هو أحسن من هذا !

قال : هذا كثير لمن يموت .

وأحكم بيت قالته العرب في وصف الموت ، بيت أمية بن أبي الصلت حيث يقول :

لأمية

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ۝ فِي بَعْضِ غَرَائِبِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمْتِ هَرَمًا ۝ لِلْمَوْتِ كَأْسٍ وَالْمَرْءُ ذَانِقُهَا

وقال أصبغ بن الفرّج : كان بنجران عابد يصبح في كل يوم صيحين

لأصبغ فرعابد

بهذين البيتين :

مَنْعَ الْبَقَاءِ مَطَالِيعُ الشَّمْسِ ۝ وَغُدُوُّهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمَسِّي
وَطُلُوعُهَا حَرَاءُ قَانِيَّةٍ ۝ وَغُرُوبُهَا صَفْرَاءُ كَالْوَرْسِ
الْيَوْمَ يُخْبِرُ مَا يَجِيءُ بِهِ ۝ وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

١٥

وقال آخر : بعض الشعراء .

زَيْدَتَ بَيْتِكَ جَاهِلًا وَعَمْرُوتَهُ ۝ وَلَعَلَّ صِهْرُكَ^(١) سَابِحَ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتْ الْآيَامُ سَائِرَةً بِهِ ۝ فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالْمَوْتِ !
وَالْمَرْءُ مُرْتَمٍ بِسَوْفٍ وَلِيَتَنَّى ۝ وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتِ
لِلَّهِ دَرُّ فِتْيَ تَدَبَّرَ أَمْرَهُ ۝ فَفَإِذَا وَرَاحَ مُبَادِرَ الْمَوْتِ^(٢)

٢٠

وقال صريع الغواني :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا ۝ قَدْ بَكَوْا أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بَكَوْا

(١) في بعض الأصول : غيرك .

(٢) في بعض الأصول : القوت .

تَرَكَوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ ۝ وَذُفُّوا لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكَوا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مَلُوكٍ سُوقَةً ۝ وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكَوا

للصَّدان

وقال الصَّلْتان العبدى :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَيْشِ
إِذَا لَيْلَةٌ هَزَمَتْ يَوْمَهَا ۝ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِى
نُزُوحٍ وَنَفْدٍ لِحَاجَاتِنَا ۝ وَحَاجَةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِى
تَمُوتُ مَعَ المَرءِ حَاجَاتُهُ ۝ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِى

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدى بن زيد :

أَيْنَ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ۝ ثُمَّ عَادُوا مِنْ بَعْدِهَا وَثُمُودُ
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الأَمِيرَةِ وَالآنُ مَاطَ أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الحُدُودُ
وَصَبَّحُ أَمْسَى يَعودُ مَرِيضًا ۝ وَهُوَ أُذُنٌ لِلْمَوْتِ بِمَنْ يَعودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الحَدِيثَ وَلَكِنْ ۝ بَعْدَ ذَا كُلِّهِ وَذَاكَ الوَعِيدُ

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية فى وصف الموت :

كَأَنَّ الأَرْضَ قَدْ طَوَّيَتْ عَلَيَّا ۝ وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فى يَدَيَا
كَأَنى (١) صَرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا ۝ وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ البَاكِياتِ عَلَى يَوْمًا ۝ وَلَا يُغْنِى البُكَاءُ عَلَى شَيْئًا
ذَكَرْنَا مَنِّي فَنَعَيْتُ نَفْسِي ۝ أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

وقال :

سَتَخْلُقُ جِدَّةً وَتَحُولُ حَالُ ۝ وَعِنْدَ الحَقِّ تُخْتَبَرُ الرِّجَالُ
وَلِلدُّنْيَا وَدَائِعُ فى قُلُوبٍ ۝ بِهَا جَرَّتِ القَطِيعَةُ وَالوَصَالُ
تَخَوُّفٌ مَا لَعَلَّكَ لَا تَرَاهُ ۝ وَتَرْجُو مَا لَعَلَّكَ لَا تَسَالُ
وَقَدْ طَلَعَ الهَلالُ لَهْدَمِ عُمْرِي ۝ وَأَفْرَحُ كُلِّمَا طَلَعَ الهَلالُ !

(١) فى بعض الاصول ، كأن قد ، .

وله أيضاً :

من يعيش يكبر ومن يكبر يموت * والمنايا لا تُبالي من أتت
نحن في دارِ بلاءٍ وأذى * وشقاءٍ وعناءٍ وعنتٍ
منزل ما يثبت المرء به * سالماً إلا قليلاً إن ثبت
أيها المغرور ما هذا الصبا * لو تهيت النفس عنه لانتهدت
رحم الله امرأ أنصف من * نفسه إذ قال خيراً أو سكت

لابن عبد ربه ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جدت بين الأهل والولد * وكان مني نحو الموت قيس يدي
والدمع يهمل والأنفاس صاعدة * فالدمع في صلب والنفس في صعد
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه * حتى يفرق بين الروح والجسد

ومن قولنا فيه :

أتلهو بين باطيية وزير * وأنت من الهلاك على شفير ؟
فيامن غره أمل طويل * يؤديه إلى أجل قصير
أنفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك في القبور ؟
هي الدنيا فإن سرتك يوماً * فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت منها * كعمارية ترد إلى المعير
وتعناض اليقين من التظني * ودار الحق من دار الغرور

لابن العناحية ولأبي العناحية :

وليس من منزل يا أويه مُرتحل^(١) * إلا وللوت سيف فيه مسلول

وله أيضاً :

ما أقرب الموت منا * تجاوز الله عنا
كأنه قد سقانا * بكاسه حيث كنا

(١) في بعض الأصول : ذو نفس .

وله أيضاً :

أَوْمَلُ أَنْ أُخَادَّ وَالْمَنَايَا * يَشِينُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَوَاحِي
وَمَا أَدْرِي إِذَا أَمْسَيْتُ حَيًّا * لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

وقال الغزالي :

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ بِمَجْهُودٍ عَلَى أَمَلٍ * مِنْ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ غَيْرُ مُتَمَدِّ
وَمَا أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارِقُهُ * إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ
انظُرْ إِلَيَّ إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفَنِي * وَانظُرْ إِلَيَّ إِذَا أُدْرِجْتُ فِي لِحْدِي
وَاقْعُدْ قَلِيلًا وَعَايِنَ مَنْ يُقِيمُ مَعِيَ * مَنْ يُشِيعُ نَعِشِي مِنْ ذَوِي وَدِي
هِيَاثَ ! كُلُّهُمْ فِي شَأْنِهِ لَعْبٌ * يَرْمِي التَّرَابَ وَيَحْتَوِهِ عَلَى خَدِّي

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ * وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعَدًّا لِرَيْبِ الْمَنُونِ * فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ الْمَرِيضِ * فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ * فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ ؟

وله أيضاً :

أَخِي آدَخِرْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لِيَوْمِ بُؤْسِكَ وَافْتِقَارِكَ
فَلَسْتَ نَزَلًا بِمَنْزِلٍ * تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ادِّخَارِكَ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

أَيُّهَا الْأَمَلُ مَا لَيْسَ لَهُ * رَبِّمَا غَرَّ سَفِيهَا أَمَلُهُ
رَبٌّ مَنْ مَاتَ يُمَتِّي نَفْسَهُ * حَالَ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهُ
وَالْفَتَى الْمُخْتَالُ فِيمَا نَابَهُ * رَبُّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِمْلُهُ
قَلْ لِمَنْ مَثَلٌ^(١) فِي أَشْعَارِهِ * يَهْلِكُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ

(١) في بعض الاصول : لمن قد مان . .

نَافِسِ الْمُحْسِنِ فِي إِحْسَانِهِ • فسيكفيك سناء^(١) عمله

لعدي بن زيد وقال عدى بن زيد العبادي :

- أين كسرى كسرى الملوك أنوشِرْ • وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصقر الكرام ملوك الر • وم لم يبق منهم مذكور
أخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تُجبي إليه والخابور
شاده مرمرًا وجلله كلساً فلطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملوك عنه فبأبه مهجور
وتفكر^(٢) زب الخور تق إذ أصبح يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبطة حتى إلى الممات يصير ؟
ثم بعد الفلاح والملك والنعمة وارثهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

لحريث بن جبلة وقال حريث بن جبلة العذري :

- يا قلب إنك في الأحياء مغرور • فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
حتى متى أنت فيها مدنف وله • لا يستفزنك منها البدر والخور
قد بُجت بالجهل لا تخفيه عن أحد • حتى جرت بك أطلاق محاضير
تريد أمراً فما تدري أعاجله • خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيراً وارضين به • فيبين العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً • إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
حتى كأن لم يكن إلا توهمه • والدهر في كل حاله دهاير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه • وذو قرابته في الحى مسرور

(١) في بعض الأصول : « مسينا » .

(٢) في بعض الأصول : « وتبين » .

فذاك آخِرُ عهدٍ من أخيك إذا . ما ضُمَّتْ شِلْوَهُ اللَّحْدُ المحافِرُ

قولهم في الطاعون

قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع في الشام فانصرف بالناس : أفراراً من قَدْرِ الله يا أمير المؤمنين ؟ قال : لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة ! نعم ففرُّ من قَدْرِ الله إلى قدر الله ؛ أ رأيت لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جدية ، أليس لورعيت في الخصيبة رعيتهَا بقَدْرِ الله ، ولو رعيت الجدية رعيتهَا بقدر الله ؟ وكان عبد الرحمن بن عوف غائباً فأقبل ، فقال : عندي في هذا علمٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا سمعتمُ به في أرض فلا تقدّموا عليها ، وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمرُ ، ثم انصرف بالناس .

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فر من الطاعون : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قال : ذلك القليل نطلب .

العتيبي قال : وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج صديق لُشْرِيح إلى النَّجَف ، فكتب إليه شرح : أما بعد ؛ فإن الموضع الذي هربت منه لم يسقُ إلى أجلك تمامه ، ولم يسلبه أيامه ؛ وإن الموضع الذي صرت إليه لبعين من لا يُعجزه طلب ، ولا يفوته هرب ؛ وإنا وإياك على بساط ملك ، والنجف من ذى قدرة تقرب .

لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسن ما صنع بكم ربكم ؛ أقلع مذنب وأنفق مُمسك .

وخرج أعرابي هارباً من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات . فقال لأخوه يرثيه :

طافَ يَبِينِي نَجْوَةً . مِن هَلَاكِ فَهَلَاكُ

عمر بن الخطاب
وابن الجراح
في الطاعون

الوليد بن عبد
الملك في مثله

من شريح
إلى صديق له
فر من الطاعون

الحسين في
الطاعون
الجارف

لأعرابي هرب
من الطاعون

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةً ۝ أَيْ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ
أَجْحَافٍ سَائِلٌ ۝ مِنْ جِبَالٍ حَمَلِكُ
وَالْمَنَابِيَا رَصَدٌ ۝ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ ۝ حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ

حكي (١) أن ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات ، فقطع الحسن بن وهب
عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتب إليه الحسن :

ابن وهب
وابن الزيات

يُوضِحُ الْعُدْرَ فِي تَرَاحِي اللَّقَاءِ ۝ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ
فَسَلَامُ الْإِلَهِ أَهْدِيهِ مِنِّي ۝ كُلَّ يَوْمٍ لِسَيِّدِ الْوُزَرَاءِ
لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا أَدُمُّ وَأَشْكُو ۝ مِنْ سَمَاءٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءِ
غَيْرِ أَنْي أَدْعُو لِهَاتِيكَ بِالشُّكْلِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ

١٠ اتصل بأحمد بن أبي دؤاد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون
بيتاً ، فقال :

ابن الزيات
وابن أبي دؤاد

أَحْسَنُ مِنْ تَسْعِينَ بَيْتاً سُدِّي ۝ جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى مَطْرَةٍ ۝ تُزِيلُ عَنْهُمْ وَضَرَ الزَّيْتِ
فبَلِّغْ قَوْلَهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ :

١٥ يَأْيِهِيَ الْمَأْفُونِ رَأْيَا لَقَدْ ۝ عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ لِلدَّوْتِ
فَيَرُّنِي الْمَلِكُ فَلَمْ نُنْقِهِ ۝ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ
الزَّيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا ۝ أَحْسَابُنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ

وقيل لابن أبي دؤاد : لم لاتسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك ؟
فقال : لا أحب أن أعلمه شأني .

٢٠ وقد حدث أبو القاسم جعفر ، أن محمد الحسنی قال : أخبرنا محمد بن زكريا

مقتل زيد
ابن حسين

(١) هذا الخبر غريب عن هذا الباب ؛ وقد ذكر في باب الزيارة ، وهناك موضعه

فيما نرى .

الغلابي ، قال : حدثنا محمد بن نعيم النوبختي ، قال : حدثنا يحيى أن سليمان قال :
حدثني أبي ، وكان ممن لحق الصحابة ، قال : دخلت الكوفة ، فإذا أنا برجل
يحدث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بكر بن الطرماح ؛ فسمعتة يقول :
سمعت زيد بن حسين يقول : لما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ،
أتى بنعيه إلى المدينة كلثوم بن عمرو ، فكانت تلك الساعة التي أتى فيها أشبهه
بالساعة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بك وبأكية ،
وصارخ وصارخة ، حتى إذا هدأت عبّرة البكاء عن الناس ، قال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعالوا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضي الله عنها ، فاستأذنوا عليها ، فوجدوا
الخبر قد سبق إليها ، وإذا هي في غمرة الأحزان وعبّرة الأثجان ، ماتفت عن
البكاء والنحيب منذ وقت سمعت بجزبه ، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛
فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق
في المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها ، وهي لا تسلم ولا ترد
ولا تطيق الكلام ؛ من غزرة الدمعة ، وغمرة العبّرة ، تختمق بعبرتها ، وتعثر
في أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى أتت إلى الحجر ، فأخذت بعضادتي الباب ،
ثم قالت : السلام عليك يا نبي الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك
يا رسول الله وعلى صاحبك ، يا رسول الله ؛ أنا ناعية إليك أحظى أجابك ،
وذاكرة لك أكرم أودائك عليك ، قُتل والله حبيبك المحبتي ، وصفيك المرتضى ،
قتل والله من زوجته خير النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وإني لنادبة شكلي ،
وعليه بأكية حرى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرههم عليك ، وأحظاهم
لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك متى ما تعرضت له منذ اليوم ، والله يُجرى
الأمور على السداد .

قال المبرد : عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع ، فقال : عظم أجركم ،

ورحم الله (١) فقيدكم ؛ وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالاً يجمع شملكم ، ويملئ
شعثكم ، ولا يفرق ملائكم .

وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة : ما فعل بنوك ؟ قالت : أكلهم
دهرٌ لا يشبع .

٥ وعزى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان
العزاء لك لا عنك .

لرجل يعزى
الرشيد

ومما روى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نعى إليه ابنه وهو
في السفر ، فاسترجع ثم قال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر
ساقه الله .

لابن عباس

١٠ وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأبنته رقية . قال : الحمد لله . دفن البنات من المكرمات . وفي رواية : من
المكرمات دفن البنات .

للنبي صلى الله عليه
وسلم في ابنته

وقال الغزالي : ماتت ابنة لبعض ملوك كندة ، فوضع بين يديه بكرة من
الذهب ، وقال : من أبلغ في التعزية فهي له ! فدخل عليه أعرابي فقال : أعظم الله
أجر الملك ! كفيته المؤبة ! وسترته العورة ! ونعم الصهر القبر ! فقال له الملك :
أبلغت وأوجزت . وأعطاه البكرة .

ملك كندة
وأعرابي عزاه
في ابنته

من أحب الموت ومن كرهه

في بعض الأحاديث : لا يتمنى أحدكم الموت ؛ فمسي أن يكون مُحسناً
فيفزاد في إحسانه ، أو يكون مسيئاً فيسزغ عن إساءته .

في الحديث

٢٠ وقد جاء في الحديث : يقول الله تبارك وتعالى : إذا أحبَّ عبدى لقائى
أُحِبِّتُ لقاءه ، وإذا كرهَ لقائى كرهتُ لقاءه .

وليس معنى هذا الحديث حبَّ الموت وكراهته ، ولكن معناه من

(١) في بعض الأصول : « ووجه إلى فقيدكم » .

أحب الله أحبه الله ، ومن كرهه الله كرهه الله .

وقال أبو هريرة : كره الناس ثلاثاً وأحببتهن : كرهوا المرض وأحببته ، لأبي هريرة
وكرهوا الفقر وأحببته ، وكرهوا الموت وأحببته !

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلنا على بشر بن منصور وهو في الموت ، بشر بن منصور
وإذا هو من السرور في أمر عظيم : فقلنا له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان
الله ! أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتائبين والباغين وأقدم على أرحم
الراحمين ولا أسر .

ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد ، فخرج كل من كان فيه ، إلا شيخاً قد
حناه الكبير : فأرادوا أن يخرجوه ، فأشار إليهم [الوليد] أن دعوا الشيخ . ثم
مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخ ، تحب الموت ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛
ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبير وخيره ؛ فإذا قتت حمدت الله ، وإذا قعدت
ذكرته ؛ فأنا أحب أن تدوم لي هاتان الخليلان .

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، مالي لا أحب الموت ؟ قال : هل لك مال ؟ قال : نعم . قال : فقدمه
بين يديك . قال : لا أطيق ذلك ! فقال النبي عليه السلام : المرء مع ماله ؛ إن
قدمه أحب أن يلحقه ، وإن أخره أحب أن يتخلف معه !

وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تشجّعني هندٌ فقلتُ لها هـ إنَّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العطبُ
لا والذي منَعَ الأبصارَ رؤيته هـ ما يشتهي الموتَ عندي من له أرب

وقالت الحكماء : الموت كرهه .

وقالوا : أشد من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت ؛ وأطيب من العيش

ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش .

التَّهَجُّدُ

- المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ .
 وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ خَلَوْا
 بِالرَّحْمَنِ فَاسْفَرَتْ نُورُهُمْ مِنْ نُورِهِ .
- وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَصَلِّي اللَّيْلَ حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ قَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ
 الْقَوْمَ السُّرَى .
- وَقَالُوا : الشِّتَاءُ رِيْعُ الْمُؤْمِنِينَ : يَطْوِلُ لِيَلْتَمِسَ الْقِيَامَ ، وَيَقْصُرُ نَهَارُهُمْ لِلصِّيَامِ .
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ
 وَالنَّاسُ نِيَامٌ .
- وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .
- وهذا يوافق الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ : هَلْ
 مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ
 مِنْ مُسْتَغِيثٍ فَأُغِيثَهُ .
- أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ يَرَى
 الضُّوْءَ بِاللَّيْلِ ؟ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَوْ كَانَ خَيْرًا لَأَرَاهُ أَهْلَ بَدْرٍ .

البكاء من خشية الله عز وجل

- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ كُلِّ عَيْنٍ تَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ،
 وَعَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ .
- وَكَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ قَدْ بَكَى حَتَّى سَقَطَتْ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ .
- وَقِيلَ لِعَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَمَا تَخَافُ عَلَى عَيْنَيْكَ مِنَ الْعَمَى مِنْ طَوْلِ الْبِكَاةِ ؟
 فَقَالَ : شِفَاءُهَا أُرِيدُ .

وقيل ليزيد بن مزيد : ما بال عينك لا تجف ؟ قال : أى أخى ، إن الله أوعدنى إن عصيته أن يحبسنى فى النار ؛ ولو أوعدنى أن يحبسنى فى الحمام لكانت حراًياً أن لا تجف عيني .

قال عمر بن ذر لأبيه : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، فإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ قال : يابى ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة .
وقال الله لنبى من أنبيائه : هب لى من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ؛ ثم ادعنى أستجب لك .

ومن قولنا فى البكاء :

مدامع قد خددت فى الحدود • وأعين مكحولت بالهجود
ومعشر أوعدهم ربهم • فبادروا خشية ذلك الوعيد
فهم عكوف فى تحاريبهم • ليكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يُعشب من دمعيهم • ما قابلت أعينهم فى السجود

وقال قيس بن الأصم فى هذا المعنى :

صلّى الإله على قوم شهدتهم • كانوا إذا ذكروا أو ذكروا شهبوا
كانوا إذا ذكروا نار الجحيم يكووا • وإن تلا بعضهم مخوفاً صعقوا
من غير همز من الشيطان يأخذهم • عند التلاوة إلا الخوف والشفق
صرعى من الحزن قد سبجوا ثيابهم • بقية الروح فى أوداجهم رمق
حتى تخالهم لو كنت شاهدتهم • من شدة الخوف والإشفاق قد زهقوا

النهى عن كثرة الضحك

فى الحديث المرفوع : كثرة الضحك تُميت القلب وتذهبُ بهاء المؤمن .

وفيه : لو علمت ما أعلم لبكيتكم كثيراً ولضحكتكم قليلاً .

وفيه : إن الله يكره لكم العبث فى الصلاة ؛ والرفث فى الصيام ، والضحك

فى الجنائز .

والحسن وقوم
يضحكون
ومر الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان ، فقال : يا قوم ، إن الله جعل
رمضان مَضَاراً لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ؛ فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف
أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ،
وخاب فيه المتخلفون ! أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسناً إحسانه
ومُسِيناً إساءته .

عبدالله وضاحك
ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك مستغرقاً ، فقال له : أتضحك
ولعل أكفانك قد أخذت من عند القصار ؟
وقال الشاعر :

وكم من فتى يُمدى ويُضحُّ أميناً * وقد نُسِجتُ أكفانُهُ وهو لا يدري

١٠ النهي عن خدمة السلطان وإتيان الملوك

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من دخل على الملوك خرج وهو
ساخط على الله .

أرسل أبو جعفر إلى سفیان ، فلما دخل عليه قال : سلني حاجتك أبا عبد الله !
قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فإن حاجتي إليك أن لا ترسل
إلي حتى آتيك ، ولا تعطيني شيئاً حتى أسألك ! ثم خرج ؛ فقال أبو جعفر :
ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفیان الثوري ، فإنه أعياناً فراراً .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الدخولُ على الأغنياء فتنةٌ للفقراء .

وقال زياد لأصحابه : من أغبط الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال :
كلا ؛ إن لأعواد المنبر لهيبة ، ولقرع لجام البريد لفرعة . ولكن أغبط الناس
عيشاً رجل له دار يسكنها ، وزوجة سالحة يأوي إليها ، في كفاف من عيش ،
لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

وقال الشاعر :

إن الملوك بلاءٌ حيثما حلُّوا * فلا يكنْ لك في أكفانهم ظلٌّ

ماذا تريد بقوم إن هم غضبوا * جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن إتيانهم أبداً * إن الوقوف على أبوابهم ذل
وقال آخر :

لا تصحبن ذوى السلطان في عمل * تصبح على وجل تسمى على وجل
كلي الثراب ولا تعمل لهم عملاً * فالشر أجمعه في ذلك العمل

وفي كتاب كليله ودمنة : صاحب السلطان مثل راكب الأسد : لا يدري متى
يهيج به فيقتله .

ودخل مالك بن دينار على رجل في السجن يزوره ، فنظر إلى رجل جندي
قد اتكأ في رجليه كبول قد قرنت بين ساقيه ، وقد أتى بسفرة كثيرة الألوان ؛
فدعا مالك بن دينار إلى طعامه ؛ فقال له : أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن
يطرح في رجلي مثل كبولك هذه .

وفي كتاب الهند : السلطان مثل النار : إن تباعدت عنها احتجت إليها ، وإن
دنوت منها أحرقتك .

أيوب السخيتاني قال : طلب أبو قلابة لقضاء البصرة ، فهرب منها إلى الشام ،
فأقام حينئذ رجوع ، قال أيوب فقلت له : لو وليت القضاء وعدلت كان لك
أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع الساجح في البحر فكم عسى أن يسبح !

وقال بقية : قال لي إبراهيم : يا بقية ، كن ذنباً ولا تكن رأساً ؛ فإن الرأس
يهلك والذنب ينجو .

ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته :

تجنب لباس الخزّ إن كنت عاقلاً * ولا تختتم يوماً بفصّ زبرجد
ولا تتغلّل^(١) بالغوالي تعطراً * وتسحب أذيال الملاء المعصّد
ولا تبختر صيت النعل زاهياً * ولا تصدّر في الفراش الممهّد

(١) في بعض الأصول : تطيب .

وكن هملا في الناس أغبر شاعراً * تروح وتغدو في إزارٍ وبرجد
 ترى جلد كدبٍ تحته كل ما استوى * عليه سريرٌ فوق صرحٍ مُمرّد
 ولا تطمخ العينانِ منك إلى امرئٍ * له سَطَوَاتُ باللِّسانِ وباليدِ
 تراءت له الدنيا بزبرج عيشها * وقادت له الأطماعُ غير مُقوّد
 فأنتمن ككشحيه وأهزل دينه * ولم يرتقب في اليوم عاقبة الغد
 فيوماً تراه تحت سوطٍ مُجرّداً * ويوماً تراه فوق سرجٍ منضدٍ (١)
 فيرحم تاراتٍ ويحسدُ تارةً * فذا شرٌ مرحومٍ وذا شرٌ مُحسدٍ

القول في الملوك

الأصمعي قال : بلغني أن الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسير الجوع ، صريع
 الشبيع ؛ إن قوما لبسوا هذه المطارف العتاق ، والعمائم الرقاق ، ووسعوا دورهم ،
 وضيقوا قبورهم ، وأسنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، يتكئ أحدهم على شماله ،
 ويأكل من غير ماله فإذا أدركته الكظة قال : يا جارية ، هاتي ماضومك ! وبلك !
 وهل تهضم إلا دينك ؟

يحيى بن يحيى قال : جلس مالك يوماً فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال :
 يا حسرة على الملوك ! لاهم تركوا في نعيم دنياهم ، وماتوا قبل أن يموتوا حزناً على
 ما خلفوا ، وجزعاً بما استقبلوا !

وقال الحسن ، وذكر عنده الملوك : أما إنهم وإن هُمِّلَجَتْ لهم البغال ، وأطافت
 بهم الرجال ، وتعاقبت لهم الأموال ، إن ذل المعصية في قلوبهم ؛ أبا الله إلا أن
 يُذلَّ من عصاه !

الأصمعي قال : خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فأنشد على المنبر :

أين الملوك التي عن حظها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقها

(١) في بعض الاصول : و بجود .

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن كالخامة من الزرع : تميل بها الريح مرة
كذا ومرة كذا ؛ والكافر كالأرزة المجدثة على الأرض يكون انجعافها مرة .
ومعنى هذا الحديث : ترُدُّ الرزايا على المؤمن ، وتجافها عن الكافر ليزداد إثمًا .

وقال وهب بن منبه : قرأت في بعض الكتب : إني لأذود عبادة المخلصين
عن نعيم الدنيا ، كما يذود الراعي الشفيق إبله عن موارد الهلكة .

قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يزوى الله الدنيا عن من يحب من
خلقه : يمررها عليه مرة بالجوع ، ومرة بالعري ، ومرة بالحاجة ؛ كما تصنع
الأم الشفيقة بولدها : تفضمه بالصبر مرة ، ومرة بالحُصَصُ ؛ وإنما يريد بذلك
ما هو خير له .

وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخبرني جبريل عن الله
تبارك وتعالى أنه قال : ما ابتليت عبدي بيلية في نفسه أو ماله أو ولده فتلقاها
بصبر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

كتمان البلاء إذا نزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من آتتْ بِيَلَاءٍ فكَتَمَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ صَبْرًا
وَاحْتِسَابًا ، كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ .

وسَمِعَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بِلَاءَ نَزَلَ بِهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، تَشْكُو
مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ .

وقال : مَنْ شَكَأ مَصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَكَأَنَّمَا شَكَأ رَبَّهُ .

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ يَرْتِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الصَّمَةِ :
قَلِيلَ التَّشْكِيِّ لِلصَّائِبِ ذَاكَرًا هـ . مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْإِحَادِيثِ فِي غَدٍ
وَقَالَ تَأْبِطُ شَرًا :

قَلِيلَ التَّشْكِيِّ لِلْمُسْلِمِ يُصِيبُهُ هـ . كَثِيرَ النَّوَى شَتَى الْهَوَى وَالْمَسَالِكِ

الشيباني قال : أخبرني صديق لي قال : سمعني سُريح وأنا أشتكي بعض ما غمّني إلى صديق ، فأخذ بيدي وقال : يا ابن أخي . إياك والشكوى إلى غير الله ؛ فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً ؛ فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك . انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عينيه - فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً^(١) منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية . أما سمعت قول العبد الصالح : إنما أشتكو بئى وحزنى إلى الله ! فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ؛ فإنه أكرم مستؤل ؛ وأقرب مدعو .

كتب عقيل بن أبي طالب وأخيه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، يسأله عن حاله ؛ فكتب إليه :

فأن تسألني كيف أنت فإنتي * جليدٌ على ريب الزمانِ صليبُ
عزيزٌ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ * فيفرحَ وإشٍ أو يُساءَ حبيبُ
وكان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سخابة صيفٍ عن قليلٍ تقشع .
وكان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

القناعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمناً في سربه معاني في بدنه ، عنده قوت يومه ؛ كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها .
السُّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السرب ؛ يعنى المسلك والمذهب .
وقال قيس بن عاصم : يا بني ، عليكم بحفظ المال ، فإنه منبهة الكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم ؛ وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل .
وقال سعد بن أبي وقاص لسعد بن أبي وقاص : إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها

(١) في بعض الاصول : صديقا .

مال لا ينفد؛ وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر؛ وعليك باليأس، فإنك لم تيأس
من شيء قط إلا أغناك الله عنه.

وقالوا: الغني من استغنى بالله، والفقير من افتقر إلى الناس.

لبعضهم

وقالوا: لا غنى إلا غنى النفس.

وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: ما لاني: الغنى بما في يدي عن الناس،
واليأس عما في أيدي الناس!

لابن أبي حازم

وقيل لآخر: ما مالك؟ فقال: التجمال في الظاهر، والقصد في الباطن.

وقال آخر:

لبعض الشعراء

لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّه • اليأس حُرٌّ والرجاء عبْدُ

وليس يُفني الكدَّ إلا الجِدُّ

١٠

وقالوا: ثمرة القناعة الراحة، وثمره الحرص التعب.

وقال البحترى:

للبحترى

إذا ما كانَ عندي قوتُ يومٍ • طرحتُ الهمَّ عنِّي يا سعيدُ

ولم تخضِرْ مُهمومٌ غدٍ يبالي • لأنَّ غداً له رزقٌ جديدُ

وقال عروة بن أذينة:

لعروة بن أذينة

لقد علِيتُ وخيرُ القولِ أصدقه • بأنَّ رزقي وإن لم يأت يأتيني

أسعى له فيعيني تطلبه^(١) • ولو قعدتُ أتاني لا يعينيني

وفد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة،
فقال له عبد الملك: ألسنت القائل يا عروة:

عبد الملك وعروة
بن أذينة

• أسعى له فيعيني تطلبه^(١) •

٢٠

فما أراك إلا قد سمعت له. فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك إلى
المدينة. فافتقده عبد الملك، فقيل له: توجه إلى المدينة. فبعث إليه بألف دينار؛

(١) في بعض الاصول: أسعى إليه فيعيني تطلبه.

فلما أتاه الرسول قال : قل لأمر المؤمنين : الأمر على ما قلت ؛ قد سمعتُ له
فَعَنَانِي تَطْلُبُهُ ، وَقَعِدْتُ عَنْهُ فَأَتَانِي لَا يُعْنِينِي .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن
تموت حتى تستوفي رزقها . فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

للنبي صلى الله
عليه وسلم

وقال تعالى فيما حكى عن لقمان الحكيم : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي سَمَوَاتٍ أَوْ فِي أَرْضٍ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ،
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال الحسن : ابن آدم ، لست بسابقٍ أجلك ، ولا ببالغٍ أملك ، ولا مغلوبٍ
على رزق ، ولا بمرزوقٍ ما ليس لك ؛ فعلامَ تقتل نفسك ؟

للحسن

قال ابن عبد ربه : قد أخذت هذا المعنى فنظمتُه في شعري فقلت :

لابن عبد ربه

لستُ بقاضٍ أملي . ولا بعاذٍ أجلي
ولا بمغلوبٍ على الرِّه . زقٍ الذي قُدِّرَ لي
ولا بمُعْطَى رِزْقٍ غيِّه . برى بالشقا والعملِ
فليت شعري ما الذي . أدخلني في شغلي !

وقال آخر :

لبعض الشعراء

سيكونُ الذي قُضِيَ . غضِبَ المرءُ أم رَضِيَ

وقال محمود الوراق :

للوراق

أما عَجَبٌ أن يكفل النَّاسَ بعضهم . ببعضٍ فيَرْضَى بالكفيلِ المطالبُ
وقد كفلَ اللهُ المَلِيءُ بنفسِهِ . فلم يَرْضُ والإنسانُ فيه عَجَابُ
علمٌ بأنَّ الله مُوفٍ بوعدِهِ * وفي قلبِهِ شكٌ على القلبِ دَائِبُ
أبى الجهلُ إلا أن يصيرَ بعَلْمِهِ . فلم يُغْنِ عنه علمُهُ والتَّجَارِبُ

٢٠

وله أيضاً :

أتطلبُ رزقَ اللهِ من عندِ غيره . وتصيِّحُ من خوفِ العواقبِ آمناً

وترضى بصرفٍ وإن كان مُشركاً ◦ ضميناً ، ولا ترضى برّبك ضامناً !
وقال أيضاً :

غنى النفس يُغنيها إذا كنت قانعاً ◦ وليس بمُغنيك الكثيرُ من الحرص
وإن اعتقادهم للخيرِ جامعاً ◦ وقلة هم المرء يدعو إلى التقص
◦ وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم ◦ يقنع ، فذاك الموسرُ المعسرُ
وكل مَن كان قنوعاً وإن ◦ كان مُقلاً ، فهو المُكثِرُ
الفقرُ في النفس وفيها الغنى ◦ وفي غنى النفس الغنى الأكبرُ

ابن بكر بن حماد

وقال بكر بن حماد :

١٠ تبارك من ساس الأمور بعلمه ◦ وذلل له أهل السموات والأرض
ومن قسم الأرزاق بين عباده ◦ وفضل بعض الناس فيها على بعض
فمن ظن أن الحرص فيها يزيدُهُ ◦ فقولوا له يزداد في الطول والعرض !

ابن أبي حازم

وقال ابن أبي حازم :

١٥ ومُنْتَظِرٍ للموتِ في كلِّ ساعةٍ ◦ يشيدُ ويبنى دائماً ويحصنُ
له حين تبلوه حقيقةُ موقنٍ ◦ وأفعاله أفعال من ليس يوقنُ
عيانَ كإنكارٍ ، وكالجهلِ عليه ◦ يشكُّ به في كلِّ ما يُتيقنُ

وقال أيضاً :

٢٠ أضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ◦ وآفئع بيأس فإن العز في اليأس
وآستغن عن كل ذي قرْبى وذى رحمٍ ◦ إن الغنى من استغنى عن الناس
◦ وله أيضاً :

فلا تَحْرِصَنَّ فإن الأمورَ ◦ يكفِّ الإلهُ مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ◦ ولا قاصر عنك مأمورها

وله أيضاً^(١) :

كم إلى كم أنت للجره ص وللأمال عبء ؟
 ليس يُجدي الحرص والسعي إذا لم يك جد
 ما لِمَا قد قدر الله من الأمر مرء
 قد جرى بالشر نخس * وجرى بالخير سعد
 وجرى الناس على جر * يهما قبل وبعد
 آمنوا الدهر وما للدهر والأيام عهد
 غالمهم فاضطلم الجمع * مع وأقى ما أعدوا
 إنها الدنيا - فلا تحفل بها - جزر ومد

الأضبط بن قريع وقال الأضبط بن قريع :

ارض من الدهر ما أتاك به * من يرص يوماً بعيشه نعمة
 قد يجمع المال غير آكله * وبأكل المال غير من جمعه

مسلم بن الوليد وقال مسلم بن الوليد :

لن يُبطن الأمر ما أملت أوبته * إذا أعانك فيه رفق مُتميد
 والدهر أخذ ما أعطى، مُكدر ما * أصفى ، ومفسد ما أهوى له بيد
 فلا يغررك من دهر عطيته * فليس يترك ما أعطى على أحد

لكثوم العنابي وقال كثوم العنابي :

تلوم على ترك الغنى باهليته * لوى الدهر عنها كل طرف وتالد
 رأت حولها النسوان يرقلن في الكسا * مقلدة أجيادها بالقلايد
 يسرك أنى نلت ما نال جعفر * وما نال يحيى - في الحياة - بن خالد
 وأن أمير المؤمنين أعضنى * معضهما بالمرهفات الحدائد
 ذربنى بجشنى منيتى مطمئنة * ولم أنجشم هول تلك الموارد

(١) في بعض الأصول . . وقال محمود الوراق . .

فإن الذي يسمو إلى الرتب العلى * سيرمى بألوان الفرى والمكاييد
وجدت لذاذات الحياة مشوبة * بمستودعات في بطون الأساود
وقال (١) :

حتى متى أنا في حلٍ وترحالٍ * وطولٍ شغلٍ بإدبار وإقبالٍ
ونازح الدار ما أنفك مغترباً * عن الأحبة ما يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرص على بالى
ولو قبعت أمانى الرزق في دعة * إن القنوع الغنى ، لا كثرة المال
وقال عبد الله بن عباس : القناعة مال لا نفاذ له .

لابن عباس

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق
يطلبك فإن لم تأته أذاك .

لعلى

لحيب

وقال حبيب :

فالرزق لا تكمد عليه فإنه * يأتى ولم تبعث إليه رسولا

وفى كتاب، للهند : لا ينبغي للملتمس أن يلمس من العيش إلا الكفاف
الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تبعه وغمه .

من كتاب الهند

للحكاه

ومن هذا قالت الحكماء : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى !

لأبي ذؤيب

وقال أبو ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا تردُّ إلى قليل تنقع

للمسيح عليه
السلام

وقال المسيح عليه السلام : عجباً منكم ! إنكم تعملون للدنيا وأتم ترزقون
فيها بلا عمل ، ولا تعملون للآخرة وأتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل .

للحسن

وقال الحسن : عيرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر : فقال : من الغنى أتيتم .

للوراق

أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

يا عائبَ الفقر ألا تزدجره * عيبُ الغنى أكثر لو تعتبر

(١) فى بعض الاصول : « وقال غيره » .

من شرف الفقر ومن فضله ٥ على الغنى إن صح منك النظر :

... أنك تعصى كي تنال الغنى ٥ ولست تعصى الله كي تفتقر

- إبراهيم
الأعمش والبناني
إبراهيم ، فقال لي : ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب وبين ماء وبين الكوفة
عشرة أيام .
- ليونس بن حبيب
خالد بن صفوان
الأصمعي عن يونس بن حبيب قال : ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فقر .
قيل لخالد بن صفوان : ما أصبرك على هذا الثوب الخلق ! قال : ربِّ بمول
لا يُستطاع فراقه .
- بين حكيمين
وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره : إنه ليس من أحد أنصفه زمانه
فتصرّفت به الحال حسب استحقاقه ، وإنك لا ترى الناس إلا أحد رجلين :
إما مقدّم آخره حظّه ، أو متأخر قدمه جدّه ؛ فارضّ بالحال التي أنت عليها . وإن
كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا ، وإلا رضيت بها اضطرارا .
- للأحنف
وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحق ما صبر
عليه ما ليس إلى مفارقتة سبيل .
- بين الأصمعي
وأعرابية
قال الأصمعي : رأيت أعرابية ذات جمال تسأل بميني ؛ فقلت لها : يا أمة الله ،
تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟
قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم . قلت : فإذا ذهب الحاج فمن أين ؟
فنظرت إليّ وقالت : يا صلتّ الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا !
- رجل من أهل
المدينة
وقيل لرجل من أهل المدينة : ما أصبرك على الخبز والتمر ! قال : ليهما
صبرا على .

(١) المضارب : جمع مضرب ، وهو القسطاط الكبير . (١)

الرضا بقضاء الله

للحكيم

قالت الحكيم : أصل الزهد الرضا عن الله .

لابن عياض

وقال الفضيل بن عياض : استخبروا الله ولا تتخبروا عليه ؛ فربما اختار العبد أمراً هلاكه فيه .

وقالت الحكيم : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو شقاؤه ، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

قد يُعِمْ الله بالبلوى وإن عظمت * وَيَبْتلى الله بعضَ القومِ بالنعيمِ

وقالوا : من طلب فوق الكفاية ، رجع من الدهر إلى أبعد غاية .

من قبر على نفسه

وترك المال لوارثه

لمالك

زياد عن مالك قال : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن نفسه أولى الأنفس كلها ؛ فإذا ضيَّعها فهو لما سواها أضيغ ؛ ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها ؛ فجنبها السرقة مخافة القطع ، والزنا مخافة الحد ، والقتل خوف القصاص .

الرشيد ويطريق
هرقلة

داود بن علي الكاتب قال : لما افتتح هارون الرشيد هرقة وأباحها ثلاثة أيام ، وكان بطريقها الخارج عليه « فسيل » الرومي ؛ فنظر إليه الرشيد مقبلاً على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه . فدعا به وقال له : لِمَ تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قرأت في هذا الجدار كتاباً هو أحب إليّ من هرقة وما فيها . قال له الرشيد : ما هو ؟ قال « بسم الله الملك الحق المبين . ابن آدم ، غافص الفرصة عند إمكانها ، وكل الأمور إلى وليها ، ولا تحمل على قلبك همّ يوم ولم يأت بعد ؛

إن يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ؛ ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة
المغرورين ، فربّ جامع لبعل حليلته ، واعلم أن تقدير المرء على نفسه هو توفير
منه على غيره ، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها « قال له الرشيد : أعدها
على يافسيل . فأعادها عليه حتى حفظها .

- وقال الحسن : ابن آدم ، أنت أسير في الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضى ،
ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ، ولاهلك
الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

لأبي العتاهية

أَبَقَيْتَ مَالَكَ مِيرَانًا لَوَارِثِهِ ۝ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ الْمَالُ ؟

- ١٠ الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْوَأُهُمْ ۝ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ ؟

مَلَوْا الْبِكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ ۝ وَأَسْتَحْكَمُ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ ؟

وفي الحديث المرفوع : أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالا من

من الحديث

غير حله فدخل به النار ، وورثه من عمل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة .

وقيل لعبد الله بن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف . قال :

لابن عمر في وفاة
ابن حارثة

لكنها لا تتركه .

١٥

ودخل الحسن على عبد الله بن الأهمم يعودده في مرضه ، فرآه يُصعدُ بصره

الحسن وابن
الأهمم في مرضه

في صندوق في بيته ويصوبه ، ثم النفث إلى الحسن فقال : أباسعيد ، ما تقول في

مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما ؟ فقال له : شكلك

أملك ! ولما كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة

- ٢٠ العشييرة . ثم مات ، فشهد الحسن جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على

القبر ثم قال :

انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فخره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ،

ومكاثرة عشييرته ، عما استودعه الله إياه ، وغمره فيه ، انظروا إليه يخرج منها

مذموما مذخورا .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدعن كما تُخدع صَوِّحْبِكَ بالأمس ؛ أذاك هذا
المالُ حلالاً فلا يكوننَّ عليك وبالا ، أذاك عفواً صفواً ، بمن كان له جموعاً
منوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ؛
لم تكدح فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ؛ إن يوم القيامة يومٌ حسرة
وندامة ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك ؛ فيالها
حسرة لا تقال ، وتوبة لا تُنال .

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يسكون عليه ، فقال :
جاد لكم هشام بالدنيا ووجدتم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حمل ؛
ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له .

هشام بن عبد
الملك حين حضرته
الوفاة

نقصان الخير وزيادة الشر

عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال : إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً
وفتنةً ، ولا يزيد الأمر إلا شدةً ، ولا الأئمة إلا غلظاً ، وما يأتيكم أمرٌ يهولكم
إلا حقره ما بعده .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

الخيرُ والشرُّ مُزْدَادٌ وَمُنْتَقِصٌ • فالخيرُ مُنْتَقِصٌ والشرُّ مُزْدَادٌ
وما أسأئلُ عن قومٍ عرفتهم • ذوى فضائلٍ إلا قيلَ قد بادوا

العزلة عن الناس

قال النبي صلى الله عليه وسلم : استأنسوا بالوحدة عن جلساء السوء .
وقال : إن الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعة حتى يعود غريباً كما بدأ .
وقال العتابي : ما رأيتُ الراحة إلا مع الخلوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم الأصفياء الذين إذا حضروا
لم يعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

للعنابي

وقال : لا تدعوا حظكم من العزلة ؛ فإن العزلة لكم عبادة .

- وقال لقمان لابنه : أستعد بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم
على حذر .
لقمان يعظ ابنه
- وقال إبراهيم بن أدهم : فرّ من الناس فرارك من الأسد .
لابن أدهم
- وقيل لإبراهيم بن أدهم : لم تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :
أرض بالله صاحباً ، وذّر الناس جانباً
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً
- وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل
الذكاء ؛ فسئل عن ذلك فقال : مؤنة التحفظ شديدة !
لابن الزيات
- وقال ابن مخيريز : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف ، وتَسأل ولا تُسأل ،
وتمشى ولا يُمشى إليك ، فافعل .
لابن مخيريز
- وقال أيوب السخيتاني : ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به .
للسخيتاني
- وقيل للعتابي : من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصق في وجهه ولا يغضب !
قيل له : ومن هو ؟ قال : الحائط .
- وقيل لدعبل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ! ثم
أنشأ يقول :
- ما أكثر الناس لابل ما أقلهم • الله يعلم أني لم أقل فنذا
إني لأفتح عيني حين أفتحها • على كثير ولكن لا أرى أحداً
- وقال ابن أبي حازم :
لابن أبي حازم
- طب عن الإمرة نفساً • وأرض بالوحشة أنسا
ما عليها أحد يسوى • على الخسيرة فلنسا
- وقال آخر :
لبعض الشعراء
- قد بلوتُ الناس طراً • لم أجد في الناس حُزراً
صار أحلى الناس في العين إذا ما ذيق مرّاً

إعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات ، شُحُّ مَطَاع ، وهوى مَتَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وفي الحديث : خير من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتي طاعة .
وقالوا : ضاحك معترف بذنبه ، خير من باكٍ مُدِلِّ على ربه .
وقالوا : سيئةُ تسيتك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وقال الحسن : ذم الرجل لنفسه في العلانية مدح لها في السريرة .
وقالوا : من أظهر عيب نفسه فقد زكاه .

وقيل : أوحى الله إلى عبده داود : يا داود ، خالِقِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ واحْتِجِزِ الْإِيمَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وقال ثابت البناني : دخلت على داود ، فقال لي : ما جاء بك ؟ قلت : أزورك .
قال : ومن أنا حتى تزورني ؟ أمن العباد أنا ؟ لا والله ! أم من الزهاد ؟ لا والله !
ثم أقبل على نفسه يوبخها . فقال : كنت في الشيبية فاسقا ، ثم شبتُ فصرت مرائيا ؛ والله إن المرائي شر من الفاسق .

لقي عابد عابدا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إنى أحبك في الله . قال : والله لو اطلعت على سريري لأبغضتني في الله .

وقال معاوية بن أبي سفيان لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ! قال : لو كنت كذلك لم تقله .

وقال محمود الوراق :

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ • هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كُنْتَ تُضْمِرُ حُبَّهُ لِاطْعَتِهِ • إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

- في كل يوم يتليك بنعمة . منه وأنت بشكر ذاك مُضِيعُ
 وقال أبو الأشعث : دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلي ، فظن أنا عجبنا
 توابع ابن سيرين
 بصلاته ، فلما انفتل منها التفت لنا فقال : الرياء أخاف .
 زياد عن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والشرك الأصغر .
 لابي صلى الله
 عليه وسلم
 قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .
 وقال عبد الله بن مسعود : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا رياء
 ولا سمعة ، مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللهُ بِهِ .
 وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرؤ سريرةً إلا ألبسه الله رداءها : إن
 خيراً فخير ، وإن شراً فشر .
 وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدة هي أهل للحدز . قال : وما هي ؟
 ١٠ قال : إياك أن تُرى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .
 وفي الحديث . من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .
 وقال الشاعر :
 وإذا أظهرت شيئاً حسناً . فليكن أحسن منه ما تسرَّ
 ١٥ فُسرَّ الخيرِ موسومٌ به . ومُسرَّ الشرِّ موسومٌ بشرَّ
 صلى أشعث تخفف الصلاة ، ف قيل له : ما أخف صلاتك ! قال : إنه لم
 يخالفها رياء .
 الأَشْعَثُ فِي
 تخفيف الصلاة
 وصلى رجل من المرانين ، ف قيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : ومع ذلك
 إني صائم !
 وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي : كم لك منذ نزلت بالعراق ؟
 ٢٠ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : أبا عبد الله ،
 سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .
 الأصمعي قال : أخبرني إبراهيم بن القعقاع بن حكيم قال : أمر عمر بن الخطاب
 ابن الخطاب

لرجل بكيس ، فقال الرجل : آخذ الخيط ؟ قال عمر : ضع الكيس !
 قال رجل للحسن وكتب عنده كتابا : أتجعلني في حلٍ من تراب حائطك ؟
 قال : يابن أخى ، بلى ، ورعك لا يُنكر .
 وقال محمود الوراق :

الوراق

أظهروا للناس ديناً • وعلى الدينار داروا
 وله صاموا وصلّوا • وله حجّوا وزاروا
 لو بدأ فوق الثريا • ولهم ريش لطاروا !

٥

لساور

شمر ثيابك واستعدّ لقائل • وأحكك جيبك للقضاء بشوم
 وعليك بالنعوى^(١) فاجلس عنده • حتى تُصيب ودیعةً لیتيم
 وإذا دخلت على الربيع مسلماً • فاخصّص سبابةً منك بالتسليم

١٠

وقال :

تصوّف كى يقال له أمين • وما معنى التّصوّف والأمانة
 ولم يرد الإله به ولكن • أراد به الطريق إلى الخيانة

وقال الغزال :

١٥

للغزال

يقول لى القاضى معاذُ مشاوراً • وولىّ أمراً فيما يرى من ذوى العدل
 قعيدك ماذا تحسبُ المرءَ فاعلاً • فقلتُ وماذا يفعل الدّبر فى النحل
 يدقُّ خلاياها ويأكلُ شهدها • ويترك للذّبّان ما كان من فضل
 وقال أبو عثمان المازنى لبعض من رأى فهنك الله عز وجل ستره :
 بيننا أنا فى توبى مُستعبراً • قد شبهونى بأبى دُواد

للمازنى

٢٠

وقد حملت العلم مستظها • وحدثوا عنى بإسناد

(١) فى بعض الاصول • بالنعوى ،

إذ خطر الشيطانُ لي خَطْرَةً ۝ نُكِسْتُ منها في أبي جاد^(١)
 وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي إلى صوفيٍّ قد قَبِرَ إحدى عينيه أسأله عن
 المعنى في ذلك : فقال : النظر إلى الدنيا بكننا عَيْتِي إسراف . قال : ثم بدا له
 في ذلك ، فاتصل الخبر بأبي فكتب إليه :

أبو العتاهية
 ومتصوف

٥. مُقَيَّرٍ عَيْنِهِ وَرَعَاهُ أَرَدْتَ بِذَلِكَ الْبِدْعَا
 تَخَلَّعْتَ وَأَخْبَثَ الثَّقَلَيْنِ صَوْفِيٌّ إِذَا تَخَلَّعَا

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثني نعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبي بكر
 الصديق ، عن وهب بن منبه ، قال : نصب رجل من بني إسرائيل نخعاً فجاءت
 عصفورة فوقعت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت
 ١٠. قالت : فمالي أراك باديةً عظامك ؟ قال : لكثرة صيامي بدت عظامي ! قالت : فمالي
 أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي في الدنيا لبست الصوف ! قالت : فما هذه
 العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبة في
 يديك ؟ قال : قربان إن مرَّ بي مسكين ناولته إياه ! قالت : فإني مسكينته ! قال :
 نخذيها . فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها ؛ فجعلت تقول : قَعِي قَعِي ! قال :
 ١٥. الخُشْنِي^(٢) : تفسيره : لا غرنى ناسك مُرَّاءً بعدك أبداً .

فخ الإسرائيلي
 والعصفورة

الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاحُ المؤمن .
 وقال : الدعاء يردُّ القدر والبرُّ يزيد في العُمُر .
 وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردُّ .
 ٢٠. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاء بالدعاء .

لأنبي صلى الله
 عليه وسلم

(١) يعني : عاد محتاط الأمر مضطرباً . أولعله يعني أنه عاد بعد الاشتهار بالعلم إلى مثل
 حال الصبي الذي لم يزل يتعلم أول دروسه .
 (٢) في بعض الأصول : الحسن .

وقال الله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ .
 وقال تعالى : ﴿ فلو لا إذ جاءهم بأُسنا تضرعوا ولكن قَسَمْتُ قلوبهم ﴾ .
 وقال عبد الله بن عباس : إذا دعوت الله فاجعل في دعائك الصلاة على
 النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الصلاة عليه مقبولة ، والله أكرم من أن يقبل
 بعض دعائك ويرد بعضا .

وقال سعيد بن المسيب : كنت جالسا بين القبر والمنبر ، فسمعت قائلا يقول :
 اللهم إني أسألك عملا بارا ، ورزقا دارا ، وعيشا قارا . فالتفت فلم أر أحدا .

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت نائمة مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدي بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ،
 فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندي ؛ فأدركني ما يدرك النساء من
 الغيرة ، فلففت مرطى - أما والله ما كان خزا ولا قزا ، ولا ديباجا ، ولا قطنا
 ولا كتانا ، قيل : فما كان يا أم المؤمنين ؟ قالت : كان سداه من شعر ، ولحمته
 من أوبار الإبل - قالت : فخنوت عليه أطلبه حتى ألقيته كالثوب الساقط على
 وجهه في الأرض وهو ساجد يقول في سجوده :

« سجد لك خيالي وسوادى ، وآمن بك فؤادى ؛ هذه يدي وما جنيت بها
 على نفس . ترجى لكل عظيم ، فاغفر لي الذنب العظيم ، فقلت : بأبي أنت وأمي
 يا رسول الله ، إنك لني شأن وإنى لني شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال :
 أعوذ بوجهك الذى أضاءت له السموات السبع والأرضون السبع ، من فبجأة
 نقتمك ، وتحول عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضاك من
 سخطك ، وبغفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما
 أثنيت على نفسك .

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت البيت ولى نفس عال ،
 فقال : مالك يا عائشة ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه
 الليلة ! ومسح عليهما ؛ ثم قال : أتدريين أى ليلة هذه يا عائشة ؟ فقلت : الله ورسوله

أعلمُ . فقال صلى الله عليه وسلم : هذه الليلة ليلةُ النصفِ من شعبان ، فيها تَوَقَّتْ
الآجالُ وتُبَيَّنَتِ الأَعْمَالُ .

ابن ذر ودعاء له العتيبي عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن ذرٍّ إلى مكة ، فكان إذا لَبَّيْ لم
يُلبِّ أحدٌ من حُسنِ صوته ؛ فلما جاء الحرم قال يارب ، مازلنا تهبط وهدة
ونصعد أكمة ، ونعلو نشرًا ، ويبدو لنا علمٌ ، حتى جئناك بها نقبةً أخفافها ، ديرة
ظهورها ، ذابلةً أسنمتها ؛ وليس أعظم المؤنة علينا لإتباع أبداننا ، ولكن أعظم
المؤنة علينا أن تُرجعنا خائبين من رحمتك ، يا خيرَ من نزل به النازلون .

لبعضهم في الدعاء وكان آخرُ يدعو بعرفات : يارب ، لم أعصك إذ عصيتك جهلا مني بحمق ،
ولا استخففا بعقوبتك ؛ ولكن الثقة بعفوك ، والاعتزاز بسترِكَ المُرخي عليّ ،
مع الشقوة الغالبة والقدر السابق ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبجبل من
أعتصم إن قطعت جبلك عني ؟ فيا أسفي على الوقوف بين يديك ، إدا قيل للمُخفيين
جوزوا ، وللمذنبين حطوا .

لعروة بن الزبير ومات ابنه : كانوا أربعة - يعني بنيه - فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ؛ وكن
أربعاً - يعني يديه ورجليه - فأخذت واحدةً وأبقيت ثلاثاً ؛ فلئن ابتليت لطالما
عافيت ، ولئن عاقبت لطالما أنعمت .

دعاء داود وكان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : نامت العيون ، وغارت النجوم
وأنت حيٌّ قيوم : اغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم ؛
إليك رفعت رأسي ، نظر العبد الدليل إلى سيده الجليل .

من دعاء يوسف وكان من دعاء يوسف : يا عددي عند كرتي ، ويا صاحبي في غربتي ، ويا غيائي
عند شدتي ، ويا رجائي إذا انقطعت حياتي ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً .

دعاء ابن نملة وكان عبد الله بن ثعلبة البصري يقول : اللهم أنت من حلك تعصى فكأنك
لا ترى ، وأنت من جودك وفضلك تُعطي فكأنك لا تعصى ، وأى زمان لم
تعصك فيه سلك أرضك فكنت عليهم بالعفو عوآداً ، وبالفضل جواداً .

من دعاء علي
ابن الحسين

وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن
تُحسُنَ في مرأى العيون علانيتي ، وتقبُحَ في خفِيَّاتِ القلوب سريرتي ؛ اللهم كما
أسأتُ فأحسنْتَ إليّ فإذا عدتُ فعدْ عليّ ، وارزقني مواساةً من قدَّرتَ
عليه ما وسَّعتَ عليّ .

دعاء بعضهم

٥ الشيباني قال : أصاب الناس ببغداد ريحٌ مظلمة ، فاتَّهتُ إلى رجل في المسجد
وهو ساجد يقول في سجوده : اللهم احفظ محمدًا في أمته ، ولا تشمت بنا أعداءنا
من الأمم ؛ فإن كنت أخذت العوام بذنبي ، فهذه ناصيتي بين يديك !

دعاء لابن عياض

وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهي ، لو عذبتني بالنار لم يخرجْ حُبُّكَ من
قلبي ، ولم أنس أياديك عندي في دار الدنيا !

لابن مسعود

١٠ وقال عبد الله بن مسعود : اللهم وسع عليّ في الدنيا وزهّدني فيها ، ولا تُزهِوْها
عني وترغّبني فيها .

أبو الدرداء
ورجل في
سجوده

مرّ أبو الدرداء برجل يقول في سجوده : اللهم إني سأئله فقيرٌ فأغني من
سعة فضلك ، خائفٌ مستجيرٌ فأجرني من عذابك .

من دعاء ابن أبي
رباح

١٥ الأصمعي قال : كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه : اللهم ارحم
في الدنيا غريبي ، وعند الموت صرعتي ، وفي القبور وحدي ، ومقامي غدًا
بين يديك .

ابن زياد وأبو بكر
بن عبد الله

٢٠ العتيبي قال : حدثني عبد الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي فكتب إلى أبي
بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه : حقّ لمن عمل ذنباً لا عذر له
فيه ، وخاف موتاً لا بد له منه ، أن يكون [ورجلاً] مُشفقاً ؛ سأدعوك ولست
أرجو أن يُستجاب لي بقوة في عمل ، ولا براءة من ذنب .

من دعاء
عبد الملك
ابن مروان

العتيبي قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : يارب ؛ إن ذنوبي
قد كثرت وجلّت عن أن توصف ، وهي صغيرة في جنب عفوك ، فاعف عني

كيف يكون الدعاء

لابن عباس
سفيان بن عيينة عن أبي معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الإخلاص
هكذا — وبسط يده اليسرى وأشار بأصبعه من يده اليمنى — والدعاء هكذا
— وأشار براحته إلى السماء — والابتهاج هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما
إلى وجهه .

بين جعفر بن محمد
وسفيان الثوري
سفيان الثوري قال : دخلتُ على جعفر بن محمد رضى الله عنهما فقال لى :
يا سفيان ، إذا كثرت همومك فأكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »
وإذا تداركت عليك النعم فأكثر من « الحمد لله » ، وإذا أبطأ عنك الرزق فأكثر
من الاستغفار .

لابن عباس
وقال عبد الله بن عباس : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .
وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : عجبا ممن يهلك والنجاة له ! قيل له :
وما هي ؟ قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر ، الصديق وعمر رضوان الله عليهما

دعاء النبي صلى
الله عليه وسلم
أم سلمة قالت : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك .

المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من
الصلاة يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير .

دعاء أبي بكر
وكان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه في خطبته : اللهم اجعل خير
زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك .

دعاء عمر
وكان آخر دعاء عمر رضى الله عنه في خطبته اللهم لاتدعنى فى غمرة ، ولا
تأخذنى فى غرة ، ولا تجعلنى مع الغافلين .

الدعاء عند الكرب

عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد أصابه هم فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ؛ أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو ذكرته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ؛ أن تجعل القرآن ضياءً صدرى ، وريحاً قلبي ، وجلاءً حزني ، وذهاباً همي ، إلا أذهب الله همه وبدله مكان حزنه فرحاً .

وقالوا : كلمات الفرج من كل كرب « لا إله إلا الله الكريم الحليم » ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

الكلمات التي تلقى آدم من ربه

اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عمِلْتُ سُوءاً وظلمت نفسي ، فُتِبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

اسم الله الأعظم

عبد الله بن يزيد عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى .

أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اسمُ الله الأعظم فيما بين الآيتين : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وفتحة آل عمران ﴿ اَلَمْ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

الاستغفار

شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ :
اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ
مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَعُوذُ بِذَنْبِي
فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

للنبي صلى الله
عليه وسلم

الْأَسْوَدُ وَعَلْقَمَةُ قَالَا : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ
مَا أَصَابَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَرَأَهُمَا ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سِرًّا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ
يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

لابن مسعود

أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ قَالَ : مَنْ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . خَمْسَ مَرَّاتٍ - غُفِرَ لَهُ وَلَوْ فَزَّ مِنَ الزَّحْفِ .

لأبي سعيد
الخدري

دعاء المسافر

عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ
سَفْرًا قَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالْحَلِيفَةُ فِي الْحَضَرِ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْزِ ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ
فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

للنبي صلى الله
عليه وسلم

الشَّعْبِيُّ عَنِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ
يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَرِلَّ أَوْ أُزِلَّ ، أَوْ أُضِلَّ أَوْ أُضِلَّ ، أَوْ أَظْلَمَ أَوْ
أُظْلَمَ أَوْ أُجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ .

لأم سلمة

وَقَالَتْ : مَنْ خَرَجَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أُخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ،
وَلَا رِيَاءَ وَلَا سَمْعَةً ، وَلَكِنِّي خَرَجْتُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَاتِّقَاءَ سَخَطِكَ ؛ فَاسْأَلْكَ
بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ تَرْزُقَنِي مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أُرْجُو ، وَتَصْرِفَ عَنِّي

من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له بإذن الله .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان المهيب تخاف
أن يسطو عليك فقل : الله أكبر ، الله أكبر وأعزُّ مما أخاف وأحذر ، اللهم
ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، كن لي جاراً من عبدك فلان وجنوده
وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمك ، وجل ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إله غيرك .

أبو الحسن المدائني قال : لما حج أبو جعفر المنصور مرّاً بالمدينة ، فقال
للربيع : عليّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ؛ فمطّل به ، ثم ألح فيه فحضر ؛
فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب
وسلم ، فقال : لا سلم الله عليك يا عدو الله ! تعمل على العوائل في ملكي ؟

قتلني الله إن لم أقتلك ! فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله عليه
وسلم أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ؛ وأنت على
إرث منهم ، وأحقّ من تأسّى بهم . فنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، ثم رفع إليه رأسه
فقال له : [إلى] يا أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وأنت ذو الرحم الواشجة ،
السلیم الناحية ، القليل الغائلة . ثم صاحفه بيمينه ، وعانقه بيساره ، وأجلسه معه
على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يسائله ويحادثه ؛ ثم قال :
عجلوا لأبي عبد الله إذنه وكسوته وجائزته . قال الربيع : فلما خرج وخطرف (١)

الستر أمسكت بثوبه . فارتاع وقال : ما أرانا ياربيع إلا وقد حبسنا ! قلت : هذه
ميني لا منه . قال : فذلك أيسر ؛ قل حاجتك . قلت : إني منذ ثلاث أدافع عنك
وأداري عليك ؛ ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلي عنك ؛
وأنا خادم سلطان ولا غنى بي عنه ؛ فأحب منك أن تعلمنيه ... قال : نعم ، قل : اللهم
احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفي بكنفك الذي لا يُرام ، ولا أهلك وأنت رجائي ؛
فكم من نعمة أنعمتها عليّ قلّ عندها شكركي فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليتني بها قلّ

(١) في بعض الأصول : وأسدل .

عندها صبرى فلم تَخْذُلْنِي ، اللهم بك أدراً في نحره ، وأعوذ بخيرك من شره .

الدعاء على الطعام

من قال على طعامه : « بسم الله خير الأسماء ، في الأرض وفي السماء ، ولا يضر مع اسمه داء : اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء » لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان .

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي منّ علينا وهدانا ، وأطعمنا وأروانا ، وكل بلاء حسن أبلانا .

عن النبي صلى
الله عليه وسلم

الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان : رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً .
غُفرت له ذنوبه .

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤمن .

لأن النبي صلى الله
عليه وسلم

الدعاء عند الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك . لم يضره .

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

- الفضيل عن أبي حازم عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن عن ناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم أجمعوا أن الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء آخر ساعة من يوم الجمعة .

التعويد

- أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، وعين لا تدع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لا تشبع ، اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يُجاوزهن برّ ولا فجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها . لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

٥ مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بهذه الكلمات : أعيدُ كما بكلمات الله التامة ، من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة .

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .
وقال أعرابي يصف دعوة :

لأعرابي في دعوة

١٠ وسارية لم تسر في الأرض تبغى . محلاً ولم يقطع بها السيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ . لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تظل وراء الليل والليل ساقط . بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لو فدها . إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا سألت لم يردد الله سؤلها . على أهلها والله راء وسامع
١٥ وإنى لأرجو الله حتى كأنما . أرى بجميل الظن ما الله صانع
ومن قولنا في هذا المعنى :

لابن عبد ربه

بئى لئن أعيا الطيب ابن مسلم . ضناك وأعيا ذا البيان الموشع
لأبتهن تحت الظلام بدعوة . متى يدعها داع إلى الله يسمع
تغلغل من بين الضلوع نشيجها . لها شافع من عبرة وتضرع
٢٠ إلى فارح الكرب المحيب لمن دعا . فزعت بكرى ، إنه خير مفرع
فياخير مدعو دعوتك فاستمع . ومالى شفيع غير فضلك فاشفع

كتاب المرآة

في النوادر والتعازي والمرآة

- ٥ قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الزهد ورجال المشهورين ؛ ونحن قائلون بعون الله في النوادر والمرآة ، والتهاني والتعازي ، بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي تُرّق القلوب القاسية ، وتُذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادر عند نزول المصائب ؛ فنأدب تثير الحزن من ريبضته ، وتبعث الوجد من رقده ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وترك صدعا في القلوب الجلامد ؛ ونأدب تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .
- ١٠ قال عمر بن ذر : سألت أبي : ما بال الناس إذا وعظهم بكوا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُني ، ليست النائحة الشكلية مثل النائحة المستأجرة .
- ١٥ وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرآة أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة .
- ١٥ وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء .
- ١٥ وقالوا : كل شيء يبدو صغيراً ثم يعظم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر .

القول عند الموت

- ٢٠ قال الأصمعي عن مُعْتَمِر عن أبيه : قال : لقنوا موتاكم الشهادة ؛ فإذا قالوها فدعوهم ولا تضجروهم .
- ٢٠ وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشروه ؛ ليلقي ربه وهو

- حسن الظن به ؛ وإذا كان حيا نخوفوه .
- ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله ، فرآه كأنه مُزخِرٌ لونه ، فقال : مالي أراك متغيراً لوزك ؟ قال : كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وما ذلك ؟ قال : سمعته يقول : إني أعلم كلمة من قالها عند الموت تحصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعلمكها ؟ هي : لا إله إلا الله .
- أبو الحباب قال : لما احتضر معاذ قال لخادمته : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظري . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزائر جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم ؛ اللهم إنك تعلم أني لم [أكن] أحب البقاء في الدنيا لكريمي الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمياً الهواجر في الحز الشديد ، ومزاحمة العلماء بالرُكَب في مجالس الذكر .
- ولما حضرت الوفاة عمر بن عتبة^(١) قال لرفيقه : نزل بي الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ما سئح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولى في الآخر هووى إلا آثرتُ رضاك على هوأى .
- ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدي على الأرض عِلَّ ربي أن يتعطف علي ويرحمي .
- ابن السماك قال : دخلت على يزيد الرقاشي وهو في الموت . فقال لي : سبقني العابدون وقطع بي ؛ والهفاه .
- موسى الأسواري قال : دخلت على آزادمرّد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفّاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : يا هذا ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفرّاً بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملك عدل بغير حجة ، ويدخل قبراً موحشاً بغير مؤنس !
- (١) في بعض الأصول : عبيد .

بين أبي بكر
وطلحة

لما ذق احتضاره

لعمر بن عتبة
في مثله

لابن الخطاب
في مثله

للقاشي في مثله

الأسواري
وآزادمرّد
في احتضاره

قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فأذني قبيل أن تغطي وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بني ويغفر لك .

عمر بن عبد العزيز
وأبو قلابة

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جزعاً شديداً ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فأذوني . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلاً :

الحجاج وموت
ابنه محمد

الآن لما كنت أكمل من مشى . وأفتّر نابك عن شبابة القارج

وتكاملت فيك المروءة كلها . وأعنت ذلك بالفعال الصالح

فقيل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجدك يا بني ؟ قال : أجدني في الموت فاحتسبني ؛ فإن ثواب الله خير لك مني . قال ، والله يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحِب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

عمر بن عبد العزيز
وابنه عبد الملك

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسleme بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ؛ فلقد ألت لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً .

مسleme بن
عبد الملك وعمر
بن عبد العزيز
في احتضاره

حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كرب الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فسكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أهلك بعد اليوم !

الرسول صلى الله
عليه وسلم
في قبضه

الرياشي عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه ؛ وكان

عنه

إذا دخل عليها قامت إليه ورجبت به وأخذت بيده فقبلتها . فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكّت ، ثم أسر إليها فضحكّت ، فقالت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي واحدة منهن ؛ بينما هي تبكي إذ هي تضحك ! فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها : فقالت : أسر إلى فأخبرني أنه ميت فبكيت ؛ ثم أسر إلى أنى أول أهل بيته لحوقا به فضحكّت .

عائشة مع أبيها
في احتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محضور ومتصل بقلبي لو عتكت ، وأرى تحاذل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب حزنى عليك ، أرقا فلا أرقا وأشكر فلا أشكر .

فرقع رأسه فقال : يا بُدِيّة ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غِطائي ؛ وأعين جزائي ، إن فرحا فدائم ، وإن نوحا فمقيم ؛ إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفریطا ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فتبَلَّغْتُ بصَحْفَتهم ، وتعللت بدرة لِقْحَتهم ، وأقت صلاى معهم ، لا مُخْتالا أشرا ، ولا مُكابرا بظرا ، لم أعد سدا لجوعة ، وتورية العورة ، طوى مُنْغص تهفو له الأحشاء وتَجِبُّ له الأمعاء ؛ واضطرت إلى ذلك اضطرار الجَرِض إلى المَعِيف الآجن ، فإذا أنا متُ فَرُدِّي إليهم صحفَتهم ولقْحَتهم وعبدهم ورحامهم ، ودثارة ما فوق اتقيتُ بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيتُ بها أذى الأرض ، كان حشوهما قطع السَّعْف .

عمر مع أبي بكر
في احتضاره

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعبًا ، ووليتهم نصبا . فهيهات من شقِّ غبارك ! وكيف باللحاق بك .

وقالت عائشة وأبوها يُغْمَضُ :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه . ربيعُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل .

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغشى عليه فقالت :
 لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتي . إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لي : قولي : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق
 ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملاءتي فاغسلوهما وكفّنوني فيهما ؛
 فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .

لعاوية في
 احتضاره

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

ألا ليتني لم أغن في الملك ساعة . ولم أك في اللذات أعشى التواظير
 وكنت كذي طمرين عاش يبُلغة . ليلتي حتى زار صنك المقابر
 لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان
 جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه ،
 فبكي يزيد ، وتضوّر معاوية ساعة ، ثم قال : أي بني ، إن أعظم ما أخاف الله فيه
 ما كنت أصنع بك يا بُني . إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
 إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قميص لي قد انحرق من
 عانقي ، فقال لي : يا معاوية ، ألا أكسوك قميصاً ؟ قلت : بلى . فكساني قميصاً لم
 ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندي . واجتزأت يوم فأخذت جُرّازة شعره ،
 وقلامة أظفاره ، فجعلت ذلك في قارورة ، فإذا مت يا بني فاغسلني ثم اجعل ذلك
 الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفمي ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله
 عليه وسلم شعراً من تحت كففي . إن نفع شيء نفع هذا .

لما احتضر عمرو بن العاصي ، جمع بينه فقال : يا بُني ، ما تُغنون عني من

عمرو بن العاص
 في احتضاره

أمر الله شيئاً قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لو قيناك بأنفسنا . فقال :
 أستودوني . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم
 أزجر ، اللهم لا فويّ فأنصر ، ولا بريّ فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر !
 أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ! فلم يزل
 يكررها حتى مات .

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته :
إني لست في الشرك الذي لو مت عليه أُدخلت النار ، ولا في الإسلام الذي
لو متُّ عليه أُدخلت الجنة ؛ فهما قصرت فيه فإني مستمسك بلا إله إلا الله .
وقبض عليها بيده ، وقبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فتنقبض .

وقال لبنيه : إن أنا مت فلا تبكوا عليّ ، ولا يتبعني مادح ولا نائح ، وشنؤوا
عليّ التراب شنأ ، فليس جنبي الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ؛ ولا تجعلوا في
قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدرَ نحر جزور .
وتفصيلها أستاذس بكم .

الجزع من الموت

الفضيل بن عياض قال : ماجزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ماجزع
سفيان الثوري ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجزع ، ألسنت تذهب إلى من
عبدته ومرت بيدك إليه ؟ فقال : ويحك ! إني أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم
على ربِّ لم أره .

ولما توفي سعيد بن أبي الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديداً ،
فكلم في ذلك ، فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !

وقال صالح المرئي : دخلت على الحسن وهو في الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛
فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يا بني ، ما أسترجع إلا على نفسي
التي لم أصب بمثلها قط .

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر
بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا
شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً
مشهوراً وكفنأ منشوراً وقبراً محفوراً .

لابن عياض

حزب سعيد بن أبي
الحسن على أخيهالحسن في
احتضارهحجر بن الأدبر
في موته

... كذا ...

البكاء على الميت

إبراهيم الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فَلَيْنَ بَكَيْنَاهُ لِحَقِّ لَنَا . وَإِنَّ تَرْكُنَا ذَاكَ لِلصَّبْرِ

فَلِمِثْلِهِ جَرَّتِ الْعُيُونُ دَمًا . وَلِمِثْلِهِ جَمَدَتْ فَلَمْ تَجْرِ

الأحنف وباكية مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا قريبا وسفرا بعيدا .

قالوا : لما توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه ؛ فسئل عن ذلك فقال : تَدْمَعُ الْعَيْنَانُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ .

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتا فزجرهن عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهن يا عمر ، فإن النفس مصابة ، والعين دامعة والعهد قريب .

ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولكن حمزة لا باكية له ذلك اليوم ! فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقيم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يشقَّ على صفيّة ، مادفته حتى يُحشَرَ من حواصل الطير وبُطُون السباع . »

ولما نعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح : يا أسفا على النعمان .

ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدى بن كعب ؛ فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :

• وَخَلَّفْتَ زَيْدًا ثَاوِيًا وَأَتَيْتَنِي ! •

وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يُجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرجُ فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها . لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

٥ مسروق عن عائشة رضی الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضی الله عنهما بهذه الكلمات : أُعِذُكُمَا بكلمات الله التامة ، من كل عينٍ لامة ، ومن كل شيطان وهامة .

ما كان يعرذ به
النبي صلى الله عليه
وسلم الحسن
والحسين

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .

لأعرابي في دعوة

وقال أعرابي يصف دعوة :

١٠ وسارية لم تسر في الأرض تبغى . محلاً ولم يقطع بها السيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ . لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تظل وراء الليل والليل ساقط . بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لو فدها . إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا سألت لم يردد الله سؤلها . على أهلها والله راء وسامع
١٥ وإنى لأرجو الله حتى كأنما . أرى بجميل الظن ما الله صانع

ومن قولنا في هذا المعنى :

بني لمن أعيى الطيب ابن مسلم . ضناك وأعيى ذا البيان الموشع
لأبتهمن تحت الظلام بدعوة . متى يدعها داع إلى الله يسمع
تغلغل من بين الضلوع نشيجها . لها شافع من عبرة وتضرع
إلى فارح الكرب المحيب لمن دعا . فزعت بكربي ، إنه خير مفرع
٢٠ فياخير مدعو دعوتك فاستمع . ومالي شفيع غير فضلك فاشفع

لابن عبد ربه

كتاب الدرّة

في النوادب والتعازي والمرأى

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الزهد ورجاله المشهورين ؛
ونحن قائلون بعون الله في النوادب والمرأى ، والتهاني والتعازي ، بأبلغ ما وجدناه
من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي تُرقّ القلوب القاسية ، وتُذيب الدموع
الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب ؛ فنأدب تثير الحزن من ربضته ،
وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك
صدعا في القلوب الجلامد ؛ ونأدب تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب
مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .
- قال عمر بن ذر : سألت أبي : ما بال الناس إذا وعظهم بكوا ، وإذا وعظهم
غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُنيّ ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة .
- وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرأى أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا
نقولها وقلوبنا محترقة .
- وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء .
- وقالوا : كلُّ شيء يبدو صغيراً ثم يعظم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة
ثم تصغر .

القول عند الموت

- الأصمعي عن مُعْتَمِر عن أبيه : قال : لقنوا موتاكم الشهادة ؛ فإذا قالوها
فدعوهم ولا تُضجروهم .
- وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشّروه ؛ ليلقى ربه وهو

١٦٤
١٦٣
١٦٢
١٦١
١٦٠
١٥٩
١٥٨
١٥٧
١٥٦
١٥٥
١٥٤
١٥٣
١٥٢
١٥١
١٥٠
١٤٩
١٤٨
١٤٧
١٤٦
١٤٥
١٤٤
١٤٣
١٤٢
١٤١
١٤٠
١٣٩
١٣٨
١٣٧
١٣٦
١٣٥
١٣٤
١٣٣
١٣٢
١٣١
١٣٠
١٢٩
١٢٨
١٢٧
١٢٦
١٢٥
١٢٤
١٢٣
١٢٢
١٢١
١٢٠
١١٩
١١٨
١١٧
١١٦
١١٥
١١٤
١١٣
١١٢
١١١
١١٠
١٠٩
١٠٨
١٠٧
١٠٦
١٠٥
١٠٤
١٠٣
١٠٢
١٠١
١٠٠
٩٩
٩٨
٩٧
٩٦
٩٥
٩٤
٩٣
٩٢
٩١
٩٠
٨٩
٨٨
٨٧
٨٦
٨٥
٨٤
٨٣
٨٢
٨١
٨٠
٧٩
٧٨
٧٧
٧٦
٧٥
٧٤
٧٣
٧٢
٧١
٧٠
٦٩
٦٨
٦٧
٦٦
٦٥
٦٤
٦٣
٦٢
٦١
٦٠
٥٩
٥٨
٥٧
٥٦
٥٥
٥٤
٥٣
٥٢
٥١
٥٠
٤٩
٤٨
٤٧
٤٦
٤٥
٤٤
٤٣
٤٢
٤١
٤٠
٣٩
٣٨
٣٧
٣٦
٣٥
٣٤
٣٣
٣٢
٣١
٣٠
٢٩
٢٨
٢٧
٢٦
٢٥
٢٤
٢٣
٢٢
٢١
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
١٣
١٢
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١

بن أبي بكر
وطلحة

حسن الظن به ؛ وإذا كان حيا نفوفه .

ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله ، فرآه كاسفاً متغيراً لونه ، فقال : مالي أراك متغيراً لوزك ؟ قال : كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وما ذلك ؟ قال : سمعته يقول : إني أعلم كلمة من قالها عند الموت تحصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعلمتكمها ؟ هي : لا إله إلا الله .

لما ذفي احتضاره

أبو الحباب قال : لما احتضر معاذ قال لخادمتة : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظري . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزائر جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم ؛ اللهم إنك تعلم أني لم [أكن] أحب البقاء في الدنيا لكبرى الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظلم الهواجر في الحر الشديد ، ومزاحمة العلماء بالرؤب في مجالس الذكر .

لعمر بن عتبة
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن عتبة^(١) قال لرفيقه : نزل بي الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ما سئح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هووى إلا آثرتُ رضاك على هوأى .

لابن الخطاب
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدي على الأرض علاً ربى أن يتعطف على ويرحمنى .

للقاشى في مثله

ابن السمك قال : دخلت على يزيد الرقاشى وهو فى الموت . فقال لى : سبقنى العابدون وقطع بى ؛ والهنفاه .

الأسوارى
وآزادمراد
في احتضاره

موسى الأسوارى قال : دخلت على آزادمراد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : يا هذا ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفرأ بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملك عدل بغير حجة ، ويدخل قبرأ موحشأ بغير مؤنس !

(١) فى بعض الأصول : عبيد .

قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فأذني قبل أن تغطي وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بني ويغفر لك .

عمر بن عبد العزيز
وأبو قلابة

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جرعاً شديداً ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فأذنونى . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلاً :

الحجاج وموت
ابنه محمد

٥

الآن لما كنت أكمل من مشى . وأفترت نأبك عن شبابة الفارج

وتكاملت فيك المروءة كلها . وأعنت ذلك بالفعال الصالح

فقيل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجددك يا بني ؟ قال : أجدنى فى الموت فاحتسبني ؛ فإن ثواب الله خير لك منى . قال ، والله يا بني لأن تكون فى ميزانى أحب إلى من أن أكون فى ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحب أحب إلى من أن يكون ما أحب .

عمر بن عبد العزيز
وابنه عبد الملك

١٠

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسleme بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ؛ فلقد ألنت لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكراً .

مسleme بن
عبد الملك وعمر
بن عبد العزيز
فى احتضاره

١٥

حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كربة الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فسكت فاطمة وقالت : واكرباه لسكربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أهلك بعد اليوم !

الرسول صلى الله
عليه وسلم
فى قبضه

٢٠

الرياشى عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورجب بها وأجلسها فى مجلسه ؛ وكان

إذا دخل عليها قامت إليه ورجبت به وأخذت بيده فقبلتها . فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكت ، ثم أسر إليها فضحك ، فقالت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي واحدة منهن ؛ بينما هي تبكي إذ هي تضحك ! فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها ؛ فقالت : أسر إلى فأخبرني أنه ميت فبكيته ؛ ثم أسر إلى أنى أول أهل بيته لحوقاً به فضحك .

عائشة مع أبيها
في احتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك بحضور ومتصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتى عنك ، ولديه ثوابُ حزني عليك ، أرقاً فلا أرقاً وأشكو فلا أشكى .

فرفع رأسه فقال : يا بنية ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غطائي ؛ وأعين جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم ؛ إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفریطاً ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فنبلغت بصحفتهم ، وتعللت بدرة لِقحتهم ، وأقت صلاي معهم ، لا مُختسلاً أشراً ، ولا مُكبراً بطراً ، لم أعد سداً لجوعة ، وتورية العورة ، طوى مُنص تهنؤ له الأحشاء وتجب له الأمعاء ؛ واضطرت إلى ذلك اضطرار الجريض إلى المَعِيف الآجن ، فإذا أنا متُ فرُدِّي إليهم صحفتهم ولقحتهم وعبيدهم ورحاهم ، ودثارة ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ماتحتي اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوهما قطع السعف .

عمر مع أبي بكر
في احتضاره

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصبا . فهيهات من شقِّ غبارك ! وكيف باللحاق بك .

وقالت عائشة وأبوها يُعَمِّض :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه . ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغشى عليه فقالت :
 لعمرُك ما يُغني الثراء عن الفتي . إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لي : قولي : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق
 ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملاءتي فاغسلوهما وكفوني فيهما ؛
 فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

لمعاوية في
احتضاره

ألا ليتني لم أغن في المُلْك ساعة . ولم أكُ في اللذات أعشى النواظر
 وكنتُ ككدي طمرين عاش يبُلغة . ليالي حتى زار صنك المقابر
 لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان
 جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه ،
 فبكي يزيد ، وتصور معاوية ساعة ، ثم قال : أي بني ، إن أعظم ما أخاف الله فيه
 ما كنت أصنع بك يا بُني . إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
 إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قيص لي قد انخرق من
 عاتق ، فقال لي : يا معاوية ، ألا أكسوك قيصاً ؟ قلت : بلى . فكساني قيصاً لم
 ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندي . واجتز ذات يوم فأخذت جُزاة شعره ،
 وقلامة أظفاره ، فجعلت ذلك في قارورة ، فإذا مت يا بني فاغسلني ثم اجعل ذلك
 الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفمي ، ثم اجعل قيص رسول الله صلى الله
 عليه وسلم شعاراً من تحت كفتي . إن نفع شيء نفع هذا .

لما احتضر عمرو بن العاصي ، جمع بنيه فقال : يا بُني ، ما تغنون عني من
 أمر الله شيئاً ! قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا . فقال :
 أسندوني . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم
 أزجر ، اللهم لا قوتي فأنصر ، ولا برىء فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر !
 أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ! فلم يزل
 يكررها حتى مات .

عمرو بن العاص
في احتضاره

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبيته عند موته :
 إني لست في الشرك الذي لو مت عليه أُدخلت النار ، ولا في الإسلام الذي
 لو متُّ عليه أُدخلت الجنة ؛ فهما قصرت فيه فإني مستمسك بلا إله إلا الله .
 وقبض عليها بيده ، وقبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فنقبض .
 وقال لبيته : إن أنا مت فلا تبكوا عليّ ، ولا يتبعني مادح ولا نائح ، وشئوا
 عليّ التراب سناً ، فليس جنبي الايمن أولى بالتراب من الايسر ؛ ولا تجعلوا في
 قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدرَ نحر جزور .
 وتفصيلها أستاذس بكم .

الجزع من الموت

- ١٠ الفضيل بن عياض قال : ما جزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ما جزع
 سفيان الثوري ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجزع ، ألسنت تذهب إلى من
 عبده وفررت بيدك إليه ؟ فقال : ويحك ! إني أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم
 على ربِّ لم أره .
- ١٥ ولما توفي سعيد بن أبي الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديداً ،
 فكلم في ذلك ، فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !
- الحسن في
 احتضاره
 وقال صالح المرعي : دخلت على الحسن وهو في الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛
 فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يا بني ، ما أسترجع إلا على نفسي
 التي لم أصب بمنلها قط .
- ٢٠ ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر
 بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا
 شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً
 مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً .

لابن عياض

حزن سعيد بن أبي
 الحسن على أخيهحجر بن الأدبر
 في موته

البكاء على الميت

- إبراهيم
الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب
البكاء . وأنشد :
- فَلَيْنَ بِكَيْفَانَهُ لِحَقِّ لَنَا . وَلَيْنَ تَرَكْنَا ذَاكَ لِلصَّبْرِ
فَلَيْمِثْلِهِ جَرَّتِ العُيُونُ دَمًا . وَلَيْمِثْلِهِ جَمَدَتْ فِلمْ تَجْرِي
- الأحنف وباكية
مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا
قريبا وسفرا بعيدا .
- لأنبي صلى الله عليه
وسلم في وفاة
ابنه إبراهيم
قالوا : لما توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه : فسئل عن ذلك
فقال : تَدَمَّعَ العَيْنَانِ وَيَحْزَنُ القَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسِخِطُ الرَّبَّ .
- النبي صلى الله عليه
وسلم وباكيات
من الأنصار
ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتا فزجرهن عمر ،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهن يا عمر ، فإن النفس مصابة ، والعين دامعة
والعهد قريب .
- النبي صلى الله عليه
وسلم وباكيات
قتلى أحد
ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لكن حمزة لا باكية له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقيم لهم مأتم
إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يشقَّ على صِفِيَّةَ ، مادفنته حتى
يُحْشَرَ من حواصل الطير وبُطُونِ السباع . »
- ابن الخطاب حين
نعى إليه ابن مقرن
ولما نعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح :
يا أسفا على النعمان .
- ابن الخطاب حين
نعى إليه زيد
ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدى بن
كعب : فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :
« وَخَلَّفْتَ زَيْدًا ثَاوِيًا وَأَتَيْتَنِي ! »
- وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد .

وطيَّبوني وقالوا أيُّما رجلٍ ! ه وأدرجوني كأنني طيُّ مخراقٍ
وأرسلوا فتيةً من خيرهم حسباً ه لِيُسَيِّدُوا فِي ضَرْيَحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِي
وقسموا المالَ وأرفضت عوائدهم ه وقال قائلهم مات ابنُ خذَّاقٍ !
هوَّن عليك ولا تُولع يا شفاق ه فإنما مالنا للوارث الباقي

٥ وقال ابن ذؤيب الهذلي يصف حفرة :
مطاطاةٌ لم يَنْبِطُوهَا وَإِنَّمَا ه لِيَرْضَى بِهَا فُرَاطُهَا ، أُمَّ وَاحِدٍ
قَضُوا مَا قَضُوا مِنْ رَمِّهَا ثُمَّ أَقْبَلُوا ه إِلَى بَطَاءِ الْمَشِيِّ غُبْرَ السَّوَادِ
فَكَنتُ ذَنْوبَ الْبُئْرِ لَمَّا تَلَجَّتُ ه وَأَدْرَجْتُ أَكْفَانِي وَوَسَّدْتُ سَاعِدِي

وقال عروة بن حزام لما نزل به الموت :

مَنْ كَانَ مِنْ أَخْوَاتِي بَاكِيًّا أَبَدًا ه فَالْيَوْمَ ، إِنِّي أُرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضًا
يُسْمَعُنِيه فإني غيرُ سَامِعِهِ ه إِذَا عَلَوَتْ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضًا

وقال الطرماح بن حكيم :

فِيَارِبٌ لَا تَجْعَلُ وَفَاتِي إِنْ أَتَتْ ه عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بَدُنِّكَ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنْ شَهِيدًا ثَاوِيًّا فِي عَصَابَةٍ (١) ه يُصَابُونَ فِي فَيْجٍ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
إِذَا فَارَقُوا دَنِيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى ه وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدِ مَا فِي الصَّحَائِفِ
فَأَقْتُلُ قَعَصًا ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي ه مُفْرَقَةً أَوْصَالُهَا فِي التَّنَائِفِ
وَيُصْبِحُ لِحْمِي بَطْنِ طَيْرٍ مَقْبَلُهُ ه بِجِوِّ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِ

وقال مالك بن الرِّيب : يرثي نفسه ويصف قبره - وكان خرج مع سعيد

ابن عثمان بن عفان . لما ولي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن
يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها ، فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على
قفاه . ثم أنشأ يقول :

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي * بِذِي الطَّبَسِينِ فَالتَفْتُ وَرَأَيْتَا
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا سَوَابِقُ عَمْبَرَةٍ * تَقَعَّتْ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِي

(١) في بعض الاصول : ، ولكن أجز يومى شهيداً وعصبة ، .

- ألم تَرَنِي بِعُتِ الضَّلالة بالهدى • وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عفانِ غازیاً
 فنته دَرِي حَينَ أتركُ طائعاً • نبيُّ بأغلى الرِّقْمَتينِ ومالیا
 ودَرُ الكَبيرينِ اللذینِ كلاهُما • علی شفیقٍ ناصحٍ قد نهانیا
 ودَرُ الطَّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً • يُخَبِّرُنِ أني هالكٌ من أَمامیا
 ٥ تقولِ أبنتي لما رأَت وشكَّ رحلتی • سِفَارُكَ هذا تاركی لا أبالیا
 ألا لیتِ شعری هل بکتُ أم مالکِ • كما كنتُ لو عالوا نَعِيكَ باکیا
 إذا متُّ فاعتادی القُبورِ وسلَّی • علیهنَّ أسقین السَّحابِ العَوادیا
 تری جدًّا قد جَزَتِ الریحُ فوقه • تُراباً كَسَحَقِ المَرَبانِي هابیا
 ١٠ فیا صاحبي رَحلی دنا الموتُ فاحفِرا • برایيَ إني مُقيمٌ لبالیا
 وخطأً بأطرافِ الأيسنةِ مَضْجعی • ورداً علی عينيَّ فضلِ رِدايَا
 ولا تحسُداني بارك اللهُ فيكما • من الأرضِ ذاتِ العَرَضِ أن تُوسِعاليَا
 خذاني فُجْراني بَرْدِي إلیكما • فقد كنتُ قبلَ اليومِ صَعْباً قِيايَا
 تَفَقَّدتُ من يَبكي علیَّ فلم أجد • سوى السَّيفِ والرُّمْحِ الرُّدْبِيَّ باکیا
 وأدھم غَرِيبٍ يَجْرُ لجامه • إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقيا
 ١٥ وبالرَّمَلِ لو يعلُنَ عَلَيَّ نِسْوَةٌ • بَكِينٍ وفَدِينِ الطَّيِّبِ المُداويا
 عَجوزِي وأختايَ اللتانِ أُصِيبنا • بموتِي وبنْتِي لي تَهيجُ البواکیا
 لعمري لئنْ غالتِ خُرَاسانُ هامتي • لقد كنتُ عن بابِي خُرَاسانَ نايَا
 تَحْمَلُ أصحابي عِشاءً وغادروا • أخا ثَقَةَ في عَرَصَةِ الدَّارِ ثاويَا
 يقولون لا تَبْعِدْ وَهُمْ يَدْفِنونِي • وأين مكانُ البُعْدِ إلا مكانيا
 ٢٠ وقال رجل من بني تغلب يقال له أفنون ، وهو لقبه ، واسمه ضريم بن معشر
 ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب ، ولقي
 كاهنا في الجاهلية ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له إلاهة . فسكت ماشاء الله ،
 ثم سافر في ركب من قومه إلى الشام فأتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطريق ،

لأفنون في بكاء
 نفسه

فقالوا للرجل : كيف تأخذ؟ فقال : سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلهة - وإلهة قارة بالسماوة - فلما أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل : فبينما ناقته ترتعى وهو راكبها إذ أخذت بمشفر ناقته حية ، فاحتكت الناقة بمشفرها فلدغت ساقه ، فقال لأخيه وكان معه ، واسمه معاوية : احفر لي فإني ميتٌ ثم تغنى قبل أن يموت يبكي نفسه :

لست على شيء ، فرُوحن معاويا . ولا المشفقات إذ تبعن الحوازيا
ولا خير فيما كذب المرء نفسه . وتقواله للشيء ياليت ذا ليا
وإن أعجبتك الدهر حال من أمرئ . فدعه وواكل حاله واللياليا
يرحن عليه أو يُغيرن ما به . وإن لم يكن في خوفه العيث وانيا
فقطاً معرضاً إن الحثوف كثيرة . وإنك لا تُبقي بنفسك باقيا
لعمرك ما يدرى أمرؤ كيف يتقي . إذا هو لم يجعل له اللهُ واقيا
كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة * وأنزل في أعلى إلهة ثاويا

قال : فمات فدفنوه بها .

وقال هدية العذرى لما أيقن بالموت :

ألا عللاني قبل نوح النوائح . وقبل اطلاق النفس بين الجوانح
وقبل غدٍ يالهف نفسي على غدٍ . إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي بفيض دموعهم * وغودرت في لحدٍ على صفايح
يقولون هل أصلحتم لأخيكم * وما الرمس في الأرض القواء بصالح

وقال محمد بن بشير :

ويل لمن لم يرحم الله . ومن تكون النار مشواه
والويل لي من كل يوم أتي . يذكرني الموت وأنساه
كأنه قد قيل في مجلس . قد كنت آتية وأغشاه :
صار البشيري إلى ربه * يرحمنا الله وإياه

ولما حضرت أبا العتاهية الوفاة ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، أوصى بأن يكتب على قبره هذه الآيات الأربعة : لأن العتاهية في آيات أوصى أن تكتب على قبره

أُذِنَ حَيًّا تَسْمَعِي ۝ أَسْمَعِي ثُمَّ عَيِّ وَعَيِّ
أنا رهنٌ بمضجعي ۝ فأحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة ۝ ثم وافيت مضجعي
ليس شيء سوى التقي ۝ فخذى منه أو دعي

وعارضه بعض الشعراء في هذه الآيات ، وأوصى بأن يكتب على قبره أيضا فكُتبت وهي : لبعض الشعراء في معارضته

أصبح القبرُ مضجعي ۝ ومحلى وموضعي
صرعتني الختوف في الـ ۝ تترب يا ذلَّ مصرعي
أين إخواني الذي ۝ من إليهم تطلعي
مت وحدي فلم يمت ۝ واحد منهم معي

وُجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة آيات : فقبل إنها من قول أبي نواس ، وهي : آيات قبل لأنها لأبي نواس

أقول لقبر زُرته مُتَلَمِّمًا ۝ سقى الله برد العفو صاحبة القبر
لقد غيَّبوا تحت الثرى قمر الدُجى ۝ وشمس الضحى بين الصفائح والعفر
عجبت لعين بعدها ملَّت البُكا ۝ وقلب عليها يرتجى راحة الصبر

الرياشي قال : وجدت تحت الفراش الذي مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الآيات : لأبي نواس

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ۝ فلقد عليت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ۝ فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ۝ فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ۝ وجميل عفوك ثم أتى مسلم

الحشنى قال : أخبرنا بعض أصحابنا ممن كان يغشى مجلس الرياشى قال : رأيت
على قبر أبى هاشم الإيادى بواسط :
أبيات على قبر
الإيادى

الموتُ أخرجنى من دار مملكتى * والموتُ أضرعنى من بعد تشرىفى
لله عبداً رأى قبرى فأعبره * وخاف من دهره ريب التصارىف

٥ الأصمعى قال : أخذ بيدى يحيى بن خالد بن برمك فأوقفنى على قبر بالحيرة ،
فإذا عليه مكتوب :

إن بنى المنذر لما انقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك محاريبهم * وعنبر يقطبه قاطب
والخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب
والقطن والكتان أثوابهم * لم يجلب الصوف لهم جالب
فأصبحوا قوتاً لدود الثرى * والدهر لا يبقى له صاحب
كأما حياتهم لعبية * سرى إلى بين بها راكب

وقال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال .

الشيبانى قال : وجد مكتوباً على بعض القبور :

١٥ ملّ الأحبة زورتنى فجفيت * وسكنت فى دار البلى ففسدت
الحى يكذب لا صديق لميت * لو كان يصدق مات حين يموت
يامونساً سكن الثرى وبقيت * لو كنت أصدق إذ بليت بليت
أو كان يعمى للبكاء مفعج * من طول ما أبكى عليك عميت

وقال محمد بن عبد الله :

٢٠ وعمّا قليل أن ترى باكياً لنا * سيضحك من يبكى ويُعرض عن ذكرى
ترى صاحبي يبكى قليلاً لفرقتى * ويضحك من طول اللبالي على قبرى
ويحدث إخواناً وينسى مودتى * وتشغله الأحباب عنى وعن ذكرى

(١) فى بعض الاصول : * عناء قليل إن بكى لى لباليا .

من رثى ولده

فمن قولى فى ولدى :

- بَلِيَّتِ عِظَامِي وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ * وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالْبَكَاءُ لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِباً لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ * وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مُوَعَدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحِداً ضَمَّنْتَهُ * لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُلْحِدُ
بِالْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بَتَجَلْدِي * هِيَهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزِينِ تَجَلْدُ

ومن قولى فيه أيضاً :

- وَاكْبِداً قَدْ قَطَّعْتُ كَيْدِي * وَحَرَقْتَهَا لَوْاعِجِ الْكَمَدِ
مَامَاتِ حَتَّى لَمِيتِ أَسْفَاً * أَعْدَرُ مِنْ وَالِدِي عَلَى وَلَدِي
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَنًا * دَفَنْتُ فِيهِ حُشاشَتِي بِيَدِي
وَنَوْرِي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى * مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خَلُوا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ * وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرِ الْجَسَدِ
يَا مَوْتَ، يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ * لَيْسَ بِزُمَّيلَةٍ وَلَا نَكِدِ
يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقْلَتَ عَشْرَتَهُ * يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لَعَدِ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ مُعَاجِلَهُ * لِكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَّتِ فِي الْعِنَانِ لَهُ * حَازَ الْعُلَا وَأَحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْقَهُ * وَأَيُّ رُوحٍ سَلَّتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَّعَتْ مِنْ قَدِيمٍ * وَأَيُّ كَفِّ أَزَلَتْ مِنْ عَضْدِ
يَا قَرَأَ أَجْحَفَ الْخُسُوفُ بِهِ * قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدْدِ
أَيُّ حَشَى لَمْ يَذْبُ لَهُ أَسْفَاً * وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجْدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدَ * جُمِعَتْ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلْدِ
لَوْ لَمْ أَمْتَ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا * لِحَقِّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةَ لَا يَزَالُ لَا يَجْهَأُ * يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَيْدِي (١)

وقلت فيه أيضاً :

قصد المنون له فمات فقيداً • ومضى على صَرفِ الخطوبِ حميدا

بأبي وأمي هالِكَا أفردتُه • قد كان في كلِّ العلومِ فريدا

سُودُ المقابرِ أصبحتَ بيضا به • وغدت له بيضُ الضمائرِ سودا

لم نرزّه لما رزينا وحده • وإن استقلَّ به المنونُ وحيدا

لكن رزينا القاسم بن محمد • في فضله والأسود بن يزيدا

وابن المبارك في الرقائقُ مخبرا^(١) • وابن المسيَّب في الحديثِ سعيدا

والأخفشين فصاحةً وبلاغةً • والأعشىين روايةً ونشيدا

كان الوصي إذا أردتُ وصيةً • والمستفاد إذا طلبتُ مفيدا

ولى حفيظاً في الأذمة حافظاً • ومضى ودوداً في الوري مؤدودا

ما كان مثلي في الرزية والدُّ • ظفرت يداه بمشله مولودا

حتى إذا بدَّ السوابق في العلا • والعلم ضمن شلوه ملحودا

يامن يُفند في البكاء مؤلها • ما كان يسمع في البكا تفنيدا

تأبى القلوب المستكينة للأسى • من أن تكون حجارةً وحديدا

إن الذي باد السرور بموته • ما كان حزني بعده ليبيدا

الآن لما أن حوت ما آثراً • أعيت عدوا في الوري وحسودا

ورأيت فيك من الصلاح شمائلًا • ومن السماج دلائلاً وشهودا

أبكي عليك إذا الحمائم طربت • وجه الصباج وغردت تغريدا

لولا الحياء وأن أزنُّ ببدعة • مما يعدده الوري تغديدا

لجعلت يومك في المنامح مأتمًا • وجعلت يومك في الموالد عيدا

وقلت فيه أيضاً :

لا بيت يُسكن إلا فارق السكنا • ولا امتلا فرحا إلا امتلا حزنا

(١) في بعض الاصول : معمرا . .

لهنفي على مَيِّت مات السرورُ به * لو كان حياً لأحيا الدينَ والسُننَا
 وأها عليكَ أبا بكرٍ مُرَدَدَةً * لو سَكَنْتَ ولهاً أو فَتَرْتُ شَجِنَا
 إذا ذَكَرْتُكَ يوماً قُلْتُ وأحزنا * وما يَرُدُّ عليكَ القولُ وأحزنا
 يا سيدي ومراحَ الروحِ في جَسدي * هَلَّا دنا الموتُ مِنِّي حينَ منك دنا
 حتى يعود بنا في قعرِ مُظْلِمَةٍ * لَعُدُّ وَيُدِيسُنَا في واحدٍ كَفْنَا
 يا أَطيبَ الناسِ روحاً ضَمَّهُ بدنٌ * أَسْتودِعُ اللهَ ذاكَ الروحَ والبَدنا
 لو كُنْتُ أُعْطِيَ به الدُّنيا مُعَاوِضَةً * مِنْهُ لَمَّا كَانَتِ الدُّنيا له ثَمْنَا
 وقال أبو ذؤيب الهذلي ، وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم إلا طفلاً ،

لأبي ذؤيب في
 رثاء بنيه

فقال يرثيهم :

- ١٠ أَمِنَ المَنونِ ورِيْبِهِ تَوَجَّعُ * والدهرُ لَيْسَ بِمُعْتَبِرٍ مَنْ يَجَزَعُ
 قَالَتْ أَمَامَةٌ مَا لِحِيسِمِكَ شَاحِبًا * مُنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
 أَمْ مَا لِحِيسِمِكَ لَا يُلَايِمُ مَضْجِعًا * إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ المَضْجِعُ
 فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا لِحِيسِمِي إِنَّهُ * أودى بِنِي مِنَ البِلَادِ فودَّعُوا
 أودى بِنِي وَأَعْقَبُونِي حُسْرَةً * بَعْدَ الرِّقَادِ وَعِبْرَةً مَا تُقْلِعُ
 سَبَقُوا هَوَى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ * فَتُخْرِمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ
 فَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ بَعِيشٌ نَاصِبٍ * وإِخَالُ أَنِي لِأَحِقِّ مُسْتَشْبِعُ
 وَلَقَدْ حَرَضْتُ بَأَن أَدَافِعَ عَنْهُمْ * وَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
 وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا * أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
 فَالعينُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا * سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرًا تَدْمَعُ
 حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرَوَةٌ * بِصَفَا المَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرَّعُ
 وَتَجَالِدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ * أَنِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَضُّعُ

ولدى طفله وقال في الطفل الذي بقي له :

والنفسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقال الأصمعي : هذا أبداع بيت قاله العرب .

لأعرابي في
رثاء بنيه

وقال أعرابي يرثى بنيه :

أَسْكَنَ بطنِ الأَرْضِ لو يُقبَلُ الفِدا * فدينا وأعطينا بكم ساكني الظَّهرِ
فِيالْبَيْتِ مَنْ فِيها عَلَيْها وَلَيْتَ مَنْ * عليها ثوى فيها مُقيماً إلى الحشرِ
وقاسمَنِي دهرى بِنِيَّ بشطْره * فلما تقضى شطْرُه مال في شطري
فصاروا دِيوناً لِلْمَنايا ولم يَكُن * عليهم لها دينٌ قَضوهُ على عسرِ
كَانَهُمْ لم يَعْرِفِ المَوْتَ غيرَهُمْ * فشكَل على نُكَلٍ وقَبْرٍ إلى قَبْرِ
وقد كُنْتُ حَيَّ الخوفِ قَبْلَ وفاتِهِمْ * فلما تُوفُوا مات خوفاً من الدهرِ
فَللهِ ما أعطى وللهِ ما حوى * وليس لِأَيامِ الرِّزِيَّةِ كَالصَّبْرِ

لأعرابية في رثاء
ابنها

وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدت إياه آمنى كل

فقد سواه ، وإن مصيبي به هونت على المصائب بعده . ثم أنشأت تقول :

مَنْ شاء بعدك فليمت * فغليكَ كُنْتُ أَحاذِرُ النَّظَرَ

كُنْتُ السَّوادَ لِناظِرِي * فعمي عليك النَّاظِرُ

لَيْتَ المَنازِلَ والدِّيارَ * رَ حَفائِرُ ومَقابِرُ

إِنِّي وَغَيرِي لا نَحاهُ * لَهَ حَيْثُ صِرْتُ لِصائِرِ

للحسن بن هاني

أخذ الحسن بن هاني معنى هذا البيت الأول ، فقال في الأمين :

طَوَى المَوْتَ ما بَينِي وَبَينَ مُحَمَّدٍ * وَلَيسَ لِمَا تَطوِي المِيسَةَ نائِراً

وَكنْتُ عَلَيْهِ أَحذِرُ المَوْتَ وَحدَهُ * فلم يبقَ لي شئٌ عَلَيْهِ أَحاذِرُ

لَئِن عَمَرْتُ دَوْرَ بَينِ لا أَحِبُّهُ * لَقَد عَمَرْتُ بَينَ أَحِبِّ المَقابِرِ

لابن الأهم يرثى
ابن له

وقال عبد الله بن الأهم يرثى ابناً له :

دَعوْتُكَ يا بُنَيَّ فلم تُجِبني * فَرُدَّتْ دَعوَتِي بِأَسأَ عَلِيًّا

بِموْتِكَ ما مَاتَ اللَّذاتُ مِنِّي * وَكانت حَيَّةً ما دَمَت حَيًّا

فِيا أَسفا عَلَيْكَ وَطولَ شوقِي * إِلَيْكَ لوَ أَنَّ ذلِكَ رَدَّ شِيا

وأصيب أبو العتاهية بابن له فلما دفنه وقف على قبره وقال :

لأبي العتاهية
في رثاء ابن له

كني حُزناً بِدَفْنِكَ ثم إني هـ نفضت تُرابَ قَبْرِكَ من يَدَيَا

وكنت وفي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ هـ فَأنت اليَوْمَ أوعظُ منكَ حَيًّا

ومات آبنُ لأعرابي فاشتد حزنه عليه ، وكان الأعرابي يكني به ، فقيل له :

لأعرابي في رثاء
ابن له

لو صبرت لكان أعظم لشوابك ! فقال :

بأبي وأُمِّي مَن عِبَاتُ حَنُوطُهُ هـ يَيْدِي وفارقتي بماءٍ شَبَابِهِ

كَيْفَ السُّلُوكِ وكَيْفَ أنسى ذَكَرَهُ هـ وإِذَا دُعيتُ فَإِنَّمَا أَدعَى بِهِ

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً إلى بقيع الغرقد ، فإذا أعرابي بين

عمر بن الخطاب
وأعرابي فقد
ابن له

يديه ، فقال : يا أعرابي ، ما أدخلك دار الحق ؟ قال : ودعيت لي ها هنا منذ ثلاث

سنين . قال : وما ودعيتك ؟ قال : ابن لي حين ترعرع فقدته فأنا أندبه ! قال

عمر : أسمعني ما قلت فيه . فقال :

يا غائباً ما يثوبُ من سَفَرِهِ هـ عاجلهُ هـ وَهُهُ على صِغَرِهِ

يا قُرَّةَ العَيْنِ كنتَ لي سَكناً هـ في طولِ لَيْلِي نَعَمُ وفي قِصَرِهِ

شَرِبْتُ كأساً أبوك شاربها هـ لا بُدَّ يوماً له على كِبَرِهِ

أشربها والأنامُ كُلُّهُمُ هـ مَنْ كان في بَدْوِهِ وفي حَضْرِهِ

فالحمدُ لله لا شريك له هـ الموتُ في حُكْمِهِ وفي قَدْرِهِ

قد قسمَ الموتَ في الأنامِ فما هـ يقدرُ خَلْقُ يزيد في عُمرِهِ

قال عمر : صدقت يا أعرابي ، غير أن الله خير لك منه !

الشيباني قال : لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور ، اشتد عليه حزنه .

المنصور وشعر
لطبيع حين مات
ولده

فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال : ياربيع ، كيف قال مُطِيع بن إياس

في يحيى بن زياد ؟ فأشدد :

يا هبل دواء " لِقَلْبِي القَرِيحُ هـ وللدُّمُوعِ الذَّوَارِفِ السُّفْحُ

(١) في بعض الاصول : يا أهل بكر .

راحوا بيّحي ولو تطاوعني الـ * أقدارُ لم تبتكر ولم يرّج
يا خير من يحسُن البكاء به الـ * يومَ ومن كان أمسَ للمدح
قد ظفر الحزنُ بالمرور وقد * ألم مكر وهه من الفرج

لأعرابية تندب
ابنها

وقالت أعرابية تندب ابنا لها :

أبني غيبك المحال المُلحد * إمّا بعدت فأين من لا يعد
أنت الذي في كلِّ مُمسى ليلته * تبلى وحزتك في الحشا يتجدد
وقالت فيه :

لئن كنت لي لهواً لعينٍ وقرّة * لقد صرتُ سقمًا للقلوب الصّحاح
وهوّنَ حُزني أن يومك مُدركي * وأنى غداً من أهل تلك الضّرائح

لأبي الخطار في
رثائه

وقال أبو الخطار يرثي ابنه الخطار :

ألا خبراني برك الله فيكما * متى العهدُ بالخطار يافتيان
فتى لا يرى تومَ العشاء غنيمته * ولا ينشئ من صولةِ الحدثان

لجرير يرثي ولده
سواده

وقال جرير يرثي ولده سواده :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم * كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالي
ذاكمُ سوادهُ يجلو مُقلتي لجم * بازٍ يُصرّضُ فوق المرقبِ العالی
فارقتُه حينَ غَضَّ الدهرُ من بصري * وحينَ صرتُ كعظمِ الرّمةِ البالی

لأبي الشغب في ابنه

وقال أبو الشغب يرثي ابنه شغباً :

قد كان شغبٌ لو أنّ الله عمّره * عزّاً تُزادُ به في عزّها مُضّر
ليت الجبالَ تداعت قبلَ مصرعه * دكاً فلم يبقَ من أحجارها حجراً
فارقتُ شغباً وقد قوّستُ من كبري * بِئسَ الخليطانِ طولُ الحزنِ والكبر

لابن عبد الأعلى
في رثائه أيوب
ابن سليمان

ولما توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك في حياة سليمان ، وكان وليّ عهده

وأكبرَ ولده ؛ رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصته ، فقال فيه :

ولقد أقولُ لذى السّماتةِ إذ رأی * جزعي ومن يذقُ الحوادثَ يجزع

أُبَشِّرُ فَقَدْ قَرَعَ الْحَوَادِثُ مَرَوْتِي ۝ وَأَفْرَحُ بِمَرَوْتِكَ الَّتِي لَمْ تُفْرَحْ
 إِنْ عِشْتَ تُفَجِّعُ بِالْأَجْبَةِ كُلِّهِمْ ۝ أَوْ يُفَجِّعُوا بِكَ إِنْ بَيْنَهُمْ لَمْ تُفَجِّعْ
 أَيُوبُ أَمَّنْ يَشْمَتُ بِمَوْتِكَ لَمْ يُطِقْ ۝ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعاً وَهَلْ مِنْ مَدْفَعٍ ؟

الأصمعي عن رجل من الأعراب قال : كنا عشرة إخوة ، وكان لنا أخ يقال له

لأب في زمانه ابنه

حسن . فَنُفِعِي إِلَى أَيْدِنَا ، فَبَقِيَ سَنَتَيْنِ يَسْكِي عَلَيْهِ حَتَّى كَفَّ بَصْرَهُ : وَقَالَ فِيهِ :

أَفَلَحْتُ إِنْ كَانَ لَمْ يَمُتْ حَسُنٌ ۝ وَكَفَّ عَنِّي الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ

بَلْ أَكْذَبَ اللَّهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا ۝ لَيْسَ لَتَكْذِيبِ قَوْلِهِ ثَمُنٌ

أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ فِي الدَّارِ أَنَا نَسْ جَوَارِئِهِمْ غَابِنٌ

بُدِّلْتُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ * كَانُوا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مُدُنٌ

١٤ قَدْ عَلِمُوا عِنْدَ مَا أَنَا فِرُهُمْ ۝ مَا فِي قَتَالِي صَدْعٌ وَلَا أُنْ

قَدْ جَرَّبُونِي فَمَا الْأَوْمُهُمْ ۝ مَا زَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِحْنٌ

فَقَدْ بَرَى الْجِسْمَ مُذْ نَعَيْتَ لَنَا ۝ كَمَا بَرَى فِرْعَ تَبْعَةَ سَفْنِ

فَإِنْ تَعِشْ فَالْمَتَى حَيَاتِكَ وَالْحُجْدُ وَأَنْتَ الْحَدِيثُ وَالْوَسْنُ

إِنْ تَحَى تَحِيًّا بَخِيرِ عَيْشٍ وَإِنْ ۝ تَمَضَّ فَتَكُ السَّبِيلُ وَالسَّيْنُ

١٥ بَرِيدُكَ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ مَعًا ۝ فَكُلُّ حَتَّى بِالْمَوْتِ مُرْتَهِنٌ

يَا وَنَجَّ نَفْسِي إِنْ كُنْتَ فِي جَدَثٍ ۝ دُونَكَ فِيهِ التَّرَابُ وَالْكَفَنُ

عَلَى اللَّهِ إِنْ لَقِيتُكَ مِنْ ۝ قَبْلِ الْمَمَاتِ الصِّيَامُ وَالْبُسْدُنُ

أَسْوَقُهَا حَافِيًّا مُجَلَّلَةً * أَدْمًا هِجَانًا قَدْ كَظَّهَا السَّمَنُ

فَلَا تُبَالِي إِذَا بَقِيَتْ لَنَا ۝ مِنْ مَاتَ أَوْ مِنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ

٢٠ كُنْتُ خَلِيلِي وَكُنْتُ خَالِصَتِي ۝ لِكُلِّ حَتَّى مِنْ أَهْلِهِ سَكَنُ

لَا خَيْرَ لِي فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكَ إِنْ ۝ أَصْبَحْتَ تَحْتَ التَّرَابِ يَا حَسَنُ

وقال أعرابي يرى ابنه :

لأعرابي في زمانه ابنه

وَمَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَبَى * أَجَابَ الْأَبَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِيبِ الصَّبْرُ

رثاء ابنه

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه • سيئق عليك الحزن ما بقي الدهر
وقال أعرابي يرثى ابنه :

بني لئن صنت جفون بماها • لقد قرحت مني عليك جفون
دفتت بكفي بعض نفسي فأصبحت • وللنفوس منها دافين ودفين

لابن عبد ربه
في طفله

وهذا نظير قولي في طفل أصبت به :

على مثلها من فجعة خانك الصبر • فراق حبيب دون أوبته الحشر
ولي كيد مشطورة في يد الأسي • فتحت الثرى شطر وفوق الثرى شطر
يقولون لي صبر فؤادك بعده • فقلت لهم مالي فؤاد ولا صبر
فريح من الحمر الحواصل ما اكتسى • من الريش حتى ضمه الموت والقبر
إذا قلت أسلو عنه هاجت بلابل • يُجددُها فكر يُجددُه ذكر
وأنظر حولي لا أرى غير قبره • كأن جميع الأرض عندي له قبر
أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتى • وليس سوى قبر الضريح لها وكر

لأعرابية في
ولدها

وقالت أعرابية ترثى ولدها :

يا قرحة القلب والأحشاء والكيد • ياليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت في كفن • مطيباً للنسايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أني غير باقية • وكيف يسقى ذراع زال عن عضد

لأعرابي في
ابن له

توفي ابن لأعرابي فيكي عليه حيناً ، فلما هم أن يسلو عنه توفي له ابن آخر ،

فقال في ذلك :

إن أفيق من حزن هاج ^(١) حزن • فقوادى ماله اليوم سمكن
وكما تبلى وجوه في الثرى ^(٢) • فكذا يبلى عليهن الحزن

(١) في بعض الاصول : « جاء » .

(٢) في بعض الاصول : « البلى » .

وقال في ذلك :

عيون قد بكينك موجهات * أضرَّ بها البكاء وما ينينا
إذا أنفدن دمعاً بعد دمع * يراجعن الشئون فيستقينا

أبو عبيد الجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر ، فقالت :

أقمتُ أبكيه على قبره * من لي من بعدك يا عامر
تركني في الدار لي وحشة^(١) * قد ذلَّ من ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا * إذا نزلت بي خطه لا أشاؤها
إذا نحن أبنا سالمين بأنفس * كرام رجت أمراً نخاب رجاؤها
فأنفُسنا خير الغنيمة إنها * توبُّ ويبقى ماؤها وحيائها
ولا يرُّ إلا دون ما برَّ عامر * ولكن نفساً لا يدوم بقاؤها
هو أبني أمسى أجره لي وعزِّي * على نفسه ربُّ إليه ولاؤها
فإن أحسبُ أوجر وإن أبكيه أكن * كباكية لم يُخي ميتاً بُكاؤها

الشيواني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام :

فهلكوا جميعاً في الطاعون ؛ وكانت بكرًا^(٢) لم تتزوج ؛ فخطبها ابن عم له فتروجها .
فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته ، فبنت نباتاً كما يمدُّ بناصيته وبلغ ،
فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشق لها
جيباً ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبت عليه
ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المَسرَّة لا تدوم * ولا يبق على الدهر النعيم
ولا يبق على الحدَّان غُفر * بشاهقة له أمٌّ رءوم

لهذيلية في رثاء
إخوة وابن

(١) في بعض الاصول : ذا وحشة .

(٢) في بعض الاصول : بنتا .

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها ، فدفننا جميعا .

لشيبانية في
حزنها على أهلها

خليفة بن خياط قال : مارأيت أشد كهداً من امرأة من بني شيبان ، قُتل
ابنها وأبوها وزوجها وأمه وعمتها وخالتها مع الضحاك الحروري : فما رأيتها قط
ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

مَنْ لَقِبِ شَفَّهَ الْحَزْنَ * وَلِنَفْسٍ مَالَهَا سَكُنُ

ظَعَنَ الْأَبْرَارُ فَانْقَلَبُوا * خَيْرُهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ظَعَنُوا

مَعْشَرٌ قَضَوْا نُحُوبَهُمْ * كُلُّ مَا قَدَّ قَدَمُوا حَسَنُ

صَبَرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ فَلَمْ * يَنْكَلُوا عَنْهَا وَلَا جَبُنُوا

فَتَيْبَةٌ بَاعُوا نَفْسَهُمْ * لَا ، وَرَبَّ الْبَيْتِ مَا غَبِنُوا

فَأَصَابَ الْقَوْمَ مَا طَلَبُوا * مِنَّةً مَا بَعْدَهَا مَنُ

وقال عبد الله بن ثعلبة يرثي ولدا له :

أَخْضَبُ رَأْسِي أَمَ أَطْيَبُ مَفْرَقِي * وَرَأْسُكَ مَرْمُوسٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ

نَسِيْبُكَ مَنْ أَمَسَى يُنَاجِيكَ طَرْفَهُ * وَليْسَ لِمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ نَسِيْبُ

غَرِيْبٌ وَأَطْرَافَ الْبُيُوتِ تُكْنَهُ * أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ غَرِيْبُ

قال العتيبي محمد بن عبيد الله يرثي ابنا له :

أَضْحَتْ بِخَدِّي لِلدَّمُوعِ رُسُومٌ * أَسْفَاءَ عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُؤُومٌ

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كَلِّهَا * إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

خرج أعرابي هارباً من الطاعون ، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ؛

فقال أبوه يرثيه :

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً * مِنْ هَلَاكِ فَهَلَاكِ

وَالْمَنَايَا رَصَدَ * لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

لَيْتَ شَعْرِي ضَلَّةً * أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلَقَى أَجَلَكَ

لابن ثعلبة في
ولده

للعتيبي في مثله

لأب في رثائه

ابنه

مترنم

(١) كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

لما قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر إلى أبي العتاهية يقول أبياتا على لسانها للمأمون ، فقال :

لأبي العتاهية
في رثاء الأمين

أَلَا إِنَّ رَبَّ الدَّهْرِ يُدْنِي وَيُبْعِدُ ۝ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تُذَمُّ وَتُحْمَدُ
أَقُولُ لِرَبِّ الدَّهْرِ إِنَّ ذَهَبْتُ يَدَ ۝ فَقَدْ بَقِيْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدٌ
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي ۝ وَلي جَعْفَرٌ ، لَمْ يَهْلِكْ ، وَمُحَمَّدُ
وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ :

لخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرٍ ۝ وَأَكْرَمِ بَسَائِمٍ عَلَى عَوْدِ مَنْبَرٍ
كُتِبَتْ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دُمُوعَهَا ۝ إِلَيْكَ ابْنُ يَعْلى مِنْ دُمُوعِي ^(١) وَتَحْجَرِي
بِحَمَانَا بِأَدْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً ۝ وَمَنْ زَلَّ عَنْ كَيْدِي فَقَلَّ تَصْبُرِي
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهْرَ اللَّهُ طَاهِرًا ۝ وَمَا طَاهِرٌ فِي فَعْلِهِ بِمُطَهَّرٍ
فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا ۝ وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَخَرَّبَ أَدُورِي
وَعَزَّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتَهُ ۝ وَمَا نَابَنِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورِ

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم عليه ، فلم تأتته في ذلك الوقت وقبلت منه ما وجه به إليها ؛ فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها : مَنْ قائل الأبيات ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : وكم أمرت له ؟ قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبه ولا قاتله . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لكما يوما تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله .

أبو شأس يرثي ابنه شأسا :

لأبي شأس في
رثاء ابنه

وَرَبَّيْتُ شَأْسًا لِرَبِّ الزَّمَانِ ۝ فَاللهُ تَرِيْبَتِي وَالنَّصَبُ
فَلَيْتَكَ يَا شَأْسُ فِيمَنْ بَقِيَ ۝ وَكُنْتُ مَكَانَكَ فِيمَنْ ذَهَبَ !

(١) في بعض الاصول : « جفوني ، » .

من رثى إخوته

الرياشي قال : صلى مُتَمِّم بن نُويرة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله
تعالى عنه ، ثم أنشد :

نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ * بَيْنَ الْبُيُوتِ قَتَلْتَ يَا بَنَ الْأَزْوَرِ
أَدْعُوته بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ * لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ
لَا يُضْمِرُ الْفَحْشَاءَ تَحْتَ رِدَائِهِ * حُلُوُّ شِمَائِلِهِ عَفِيفُ الْمِئْزَرِ
قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء . قال أبو بكر : مادعوته ولا قتلته .
وقال متمم :

وَمُسْتَضْحِكٍ مَنِ ادَّعَى كَصَيْبِي * وَليْسَ أَخُو الشَّجْوِ الْحَزِينُ بِضَاحِكِ
يَقُولُ أَتَبْكِي مِنْ قُبُورِ رَأِيئِهَا * لِقَبْرِ بِأَطْرَافِ اللَّوِيِّ فَالِدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى ^(١) * فَدَعْنِي فَهَسْنَى كُلُّهَا قَبْرِ مَالِكِ
وقال متمم يرثى أخاه مالكا ، وهى التى تسمى أم المرثى :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ ^(٢) * وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَلَمَّ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ غَيَّبَ الْمَنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ * فَتَى غَيْرِ مِبْطَانَ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
وَلَا بَرَمًا تُهْدِي النِّسَاءَ لِعِرْسِهِ * إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَّقَعَا
رَأَاهُ كَنْصَلِ السِّيفِ يَهْزُؤُ لِلنَّدَى * إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي السُّوءَ مَطْمَعَا
فَعَبَيْتِي هَلَا تَبْكِيَانِ لِمَالِكِ * إِذَا هَزَّتِ الرِّيحُ السَّكْنِيْفَ الْمُرْفَعَا ^(٤)
وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو بِأَشْعَثِ مُحْشَلِ * كَفَرْنِخِ الْجُبَارَى رِيْشُهُ قَدْ تَمَزَعَا
وَمَا كَانَ وَقَافَا إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ * وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشِيَةِ الْمَوْتِ مَفْرَعَا

(١) فى بعض الاصول : . . تحت . .

(٢) فى بعض الاصول : . . يبعث البكا . .

(٣) فى بعض الاصول : . . مالكا . .

(٤) فى بعض الاصول : . . السكين الممزعا . .

- ولا بكهام سيفه عن عدوه • إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعا
 أبى الصبر آيات أراها وإني • أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
 وإني متى ما أذع باسمك لم تجب • وكنت حرياً أن تجيب وتُسَمِّعا
 تحيته منى وإن كان نائياً • وأمسى تراباً فوقه الأرض بَلَقَعا
 ٥ فإن تكن الأيام فرّقن بيننا • فقد بان محموداً أخى حين ودعا
 وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا • أصاب المنايا رَهْطَ كسرى وتبعا
 وكنا كندمانى جذيمة حِقْبَة • من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
 فلما تفرقنا كأتى ومالكاً • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
 فما شارف حنت حنيناً ورجعت • أنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا
 ١٠ ولا وجد^(١) أظآر ثلاث روائم • رأين بحراً من حواري ومصرعا
 بأوجد منى يوم قام بمالك • منادٍ فصيح بالفراق فأشعرا
 سقى الله أرضاً حلها قبر مالك • ذهاب الغواذى المذجات فأمرعا
 قيل لعمر بن بحر الجاحظ : إن الأصمعى كان يسمى هذا الشعر أم المرائى .

فقال : لم يسمع الأصمعى :

- ١٥ أى القلوب عليكم ليس ينصدع • وأى نوم^(٢) عليكم ليس يمتنع
 وقال الأصمعى : لم يبتدى أحدٌ بمرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر :
 أيتها النفس أجملى جزعا • إن الذى تحذرين قد وقعا
 وبعدها قول زميل :

أجارتنا من يجمع يتفرق • ومن يك رهناً للحوادث يغلق

- ٢٠ قال ابن إسحاق صاحب المغازى : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الصفراء - وقال ابن هشام : الأثيل - أمر على بن أبى طالب بضرب عنق النضر

رثاء أخت
النضر له

(١) فى بعض الأصول • ولا ذات .

(٢) فى بعض الأصول • يوم .

ابن الحارث بن كعدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه :

ياراكبا إن الأئيل مَظِنَّةٌ ◦ من صبيح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميّتا بأن تحية ◦ ما إن تزال بها التجائب تخفيق
منى إليك وعبرة مسفوحة ◦ جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديتُهُ ◦ أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد يا خير ضنء كريمه ◦ من قومه والفتح لخل مُعْرِق
ما كان ضرك لو مندت وربما ◦ منّ الفتي وهو المعبط المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ◦ وأحفظهم إن كان عتقا يُعْتَق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ◦ لله أرحام هناك تشقق
صبراً يُقَادُ إلى المنية مُتَعَبًا ◦ رسف المقيّد وهو عانٍ موق

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغني قبل قتله ما قتلته .

الأصمعي قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب في وجهها ، فقال : ما هذه الندوب يا خنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخري ! قال لها : أخراك في النار ! قالت : ذلك أطول لحزني عليهما ؛ إن كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار ، وأنشدت :

وقائلة والنعشُ قد فات خَطْوُها ◦ لتُدْرِكُ يا هُفَفِ نفسي على صخر
ألا نيكاتُ أم الذين غدوا به ◦ إلى القبرِ ماذا يحملون إلى القبر

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعابها صدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته ! قالت : إن له معني دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبي زوجني سيد قومه ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ،

عمر بن الخطاب
والخنساء في
أخويها

عائشة والخنساء
في صدار كانت
تلبسه

- ثم رجع في مالي فأنفده أيضاً ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . قالت : فأتيناها فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال لي : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ! قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيرنا في أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ؟ فقال :

وَاللَّهِ لَا أَمْنُهَا شِرَارَهَا ۝ فَلَوْ هَلَكْتُ قَدَدْتُ خِمَارَهَا

وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا ۝ وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَّتْنِي عَارَهَا

فَأَلَيْتُ أَلَا يَفَارِقُ الصِّدَارُ جَسَدِي مَا بَقِيَتْ .

- ١٠ قيل للخنساء : صفي لنا أخويك صخرًا ومعاوية . فقالت : كان صخر والله جنة الزمان الأغبر ، وذعاف الخنيس الأحمر . وكان والله معاوية القاتل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأغبر ، قالت : أما صخر فخر الشتاء ، وأما معاوية فبرد الهواء . قيل لها : فأيهما أوجع وأجفع . قالت : أما صخر فحمر الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت :

للخنساء في
أخويها

- ١٥ أَسْدَانٌ مُحَمَّرًا الْمُخَالِبِ نَجْدَةٌ ۝ بَحْرَانٌ فِي الزَّمَنِ الْعُضُوبِ الْأَمْرُ
قِرَانٌ فِي النَّادِي ، رَفِيعًا مَحْتَدٍ ۝ فِي الْمَجْدِ فِرْعَا سُوْدِدٍ مُتَخَيِّرٍ
وقالت الخنساء ترضى أخاها صخر بن الشريد :

أَقْدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عُوَارُ ۝ أُمُّ أَقْفَرْتِ^(١) إِذْ خَلْتِ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارَ

كَأَنَّ دَمْعِي لَذِكْرَاهِ^(٢) إِذَا خَطَرْتُ ۝ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَنْرَارُ

- ٢٠ فَالْعَيْنُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَحُقَّ لَهَا ۝ وَدَوْنَهُ مِنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ أَسْتَارُ
بُكَاءُ وَالْهَمَّةُ صَلَّتْ أَلْفَقَهَا ۝ لَهَا حَيْنَانٌ إِصْفَارٌ وَإِكْبَارُ

(١) في بعض الاصول : « ذرفت » .

(٢) في بعض الاصول : « من ذكرى » .

تَرعى إذا نسيت^(١) حتى إذا أذكرت * فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ
وإن صخرًا لتأتمُّ الهداةُ به * كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
حامى الحقيقةَ ، محمودُ الخليفةَ ، مهديُّ الطريقةَ ، نفاعٌ وضرارٌ
وقالت أيضاً :

ألا مالعيني ، ألا مالها * لقد أخضل الدمعُ سربالها ٥

أمن بعد صخرٍ من آلِ الشريد حلت به الأرض أثقالها

فأليتُ آسى على هالكٍ * وأسأل باكيةً مالها

وهممتُ بنفسى كلُّ الهموم * فأولى لنفسى أولى لها

سأحملُ نفسى على خطه^(٢) * فإما عليها وإما لها

وقالت أيضاً : ١٠

أعينيَّ جودًا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخرِ الندى ؟

ألا تبكيان الجريءِ الجواد * ألا تبكيان الفتى السيدا ؟

طويلَ النجاد رفيع العيا * د ، سادَ عشيرته أمردا

يُحَمِّلهُ القوم ما غلهم * وإن كان أصغرهم مؤلدا

جموع الضيوف إلى بابه * يرى أفضل الكسب أن يُحمدا

١٥

وقالت أيضاً :

فما أدركت كفى امرئٍ مُتناولٍ * من المجدِ إلا والذي نلتَ أطولُ

وما بلغ المهدون للمدح غايةً * ولا جهدوا إلا الذي فيك أفضلُ

وما الغيثُ في جعدِ الثرى دَمثِ الربا * تَبَعُّقُ فيها الوايلُ المُتهلَّلُ

فأفضلُ سيبًا من يدريكِ ونعمة * تجودُ بها ، بل سيبُ كفيك أجزلُ

٢٠

من القومِ مغشى الرواق كأنه * إذا سيم ضيما خادراً مُتبسِّلُ

(١) في بعض الاصول : * ترتع ما غفلت .

(٢) في بعض الاصول : * لأحمل نفسي على حالة .

شَرْنَبْتُ أَطْرَافِ الْبَنَانِ ضَبَارِمَ • لَهُ فِي عَرِينِ الْغَيْلِ عَرْسٌ وَأَشْبِيلُ

لأخت الوليد ابن
طريف في رثائه

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف :

أَيَا شَجَرِ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا * كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

قَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التَّقَى • وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءِ وَسُيُوفِ

وَلَا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءِ صَلْدِمِ • وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ حَلِيفِ

فَقَدَّنَاهُ فَقَدَانِ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَّا • فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأَلُوفِ

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجُرَادِ إِذَا عَدَا • وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَوْمًا فَإِنِّي • أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفِ

لآخر في رثائه
أخيه

وقال آخر يرثي أخاه :

أَخْ طَالَمَا سَرِنِي ذَكَرُهُ • فَقَدِ صَرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ ١٠

وَقَدِ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ • فَقَدِ صَرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ

وَكَانَتْ أَرَانِي غَنِيًّا بِهِ • عَنِ النَّاسِ لَوْ مُدَّ فِي عُمْرِهِ

وَكَانَتْ إِذَا جِئْتُهُ زَائِرًا • فَأَمْرِي يَجُوزُ عَلَى أَمْرِهِ

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا :

بَكَتْ عَيْنِي وَعَاوَدَهَا قَدَاهَا • بِمُؤَارِ فَمَا تَقْضَى كَرَاهَا ١٥

عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ قَتَى كَصَخْرٍ * إِذَا مَا الْغَابُ لَمْ تَرِ أُمَّ طَلَاهَا

حَلَفْتُ بِرَبِّ صُهْبٍ مُعْمَلَاتِ • إِلَى الْبَيْتِ الْمُحْتَرَمِ مُنْتَهَاهَا

لِئِنْ جَزَعَتْ بَنُو عَمْرٍو عَلَيْهِ • لَقَدْ رُزِمَتْ بَنُو عَمْرٍو فَتَاهَا

لَهُ كَفٌّ يُشَدُّ بِهَا وَكَفٌّ • تَجُودُ فَمَا يَجِفُّ شَرَى نَدَاهَا

تَرَى الشَّمَّ الْفَطَارِفِ مِنْ سُلَيْمِ • وَقَدْ بَلَّتْ مَدَامِعُهَا حِجَاهَا ٢٠

أَحَامِيكُمْ وَمُطْعَمَكُمْ تَرَكْتُمْ • لَدَى غِبْرَاءِ مُنْهَدِمِ رَجَاهَا

فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شِمَالُ • مُزْعِزَةَ تُنْسَاوُهَا صَبَاهَا

وَأَلْجَأَ بَرْدَهَا الْأَشْوَالَ حُدْبًا • إِلَى الْحُجْرَاتِ بَادِيَةَ كَلَاهَا

هنالك لو نزلت يباب صخره * قرى الأضياف شحما من ذراها

وخيل قد دلفت لها بخيل * فدارت بين كبشها رحاها

تكسكف فضل سابعة دلايص * على خيفانة خفيق حشاها

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار :

لكعب في أبي
المغوار

٥ تقول سليمي : ما جسمك شاحباً * كأنك يحميك الطعام^(١) طيب

فقلت : شجون^(٢) من خطوب تتابعن * على كبار والزمان يريب

لعمري لئن كانت أصابت منية * أخى ، فالمنيا للرجال شعوب

فإني لباكبه ، وإني لصادق * عليه ، وبعض القائلين كذوب

أخى ما أخى ! لافاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب

١٠ أخ كان يكفني وكان يعينني * على نائبات الدهر حين تنوب

هو العسل الماذي لنا وشيمة * وليث إذا لاقى الرجال قطوب

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً * وماذا يؤدى الليل حين يؤوب

كعالية الرمح الرذيثي لم يكن * إذا ابتدر الخير الرجال يخيب

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذلك مجيب

١٥ فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانياً * لعل أبا المغوار منك قريب

يحبك كما قد كان يفعل إنه * بأمله رجب الذراع أريب

وحدتني أنما الموت في القرى * فكيف وهذي هضبة وكثيب

فلو كانت الموتى تباع أشريته * بما لم تكن عنه النفوس تطيب

بعيني أو يمني يدي وخلتني * أنا الغانم الجذلان حين يؤوب

٢٠ لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى * على يومه علق إلى حبيب

أنى دون حلول العيش حتى أمرد * خطوب على آثارهن نمكوب

(١) في بعض الاصول : الشراب .

(٢) في بعض الاصول : نحول .

فوالله لا أنساه ما ذرَّ شارِقٌ * وما اهتَزَّ بي فرعُ الأراك قضيب
فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرةً * إلى لقد عادت لهن ذُنُوب

وقال امرؤ القيس يرثى إخوته :

لامرئ القيس
يرثى إخوته

ألا يا عينُ جودي لي شيننا * وبكى للملوكِ الذاهبين
ملوكٌ من بني صخر بن عمرو * يُقادون العشيَّة يُقتلون
فلم تَغسَلْ رءوسهم بسدر * ولكن في الدماء مُرَّمَلينا
فلو في يومٍ معركةٌ أُصِيبوا * ولكن في ديارِ بني مَرِينا

وقال الأبيرد بن المعذر الرِّياحي يرثى أخاه بُريداً :

للأبيرد في رثاء
أخيه بريد

تَطاوَلَ ليلى لم أَممه قلبها * كأن فراشي حال من دونه الحجرُ
أراقب من ليل التمام نجومه * لَدُنْ غاب قرْنُ الشمس حتى بدا الفجرُ
تذكَرُ عِلْقِ بانٍ منّا بنصره * ونائله يا حَبِذا ذلك الذِّكْرُ
فإن تكن الأيامُ فزقن بيننا * فقد عذرتنا في صحابته العُذرُ
وكنت أرى هجرًا فراقك ساعةً * ألا لابل الموتُ التفرُّقُ والهجرُ
أحقًا عبادَ الله أن لستُ لاقياً * بُريداً طوال الدهر ما لالا العُفرُ
فتى ليس كالفتيان إلا خيارهم * من القوم جَزَلٌ لا ذليلٌ ولا عُمرُ
فتى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى * وإن كان فقرٌ لم يؤذ مَتَنه الفقرُ
وسامى جسيات الأمور فنالها * على العسر حتى يدرك العسرة اليُسْرُ
ترى القوم في العزاء ينتظرونه * إذا شت رأى القوم أو حَزَبَ الأمرُ
فليتك كنت الحي في الناس باقياً * وكنْتُ أنا الميتَ الذي ضمَّه القبرُ
فتى يشتري حُسْنَ النشاء بماله * إذا السَّنةُ الشهباء قلَّ بها القطرُ
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة * ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشرُ
لعمري لنعم المرء على نعيه * لنا ابنُ عَرِين بعد ما جَنَحَ العصرُ
تمصَّت به الأخبار حتى تغلغلت * ولم تثنِه الأَطبايعُ عنا ولا الجُدُرُ

فلها نعي الناعي بُريداً تغوّلت ٥ في الأرض فرط الحزن وأنقطع الظهر
 عساكرُ تغشى النفس حتى كأتني ٥ أخو نشوة دارت بهامته الخمر
 إلى الله أشكو في بُريد مُصيتي ٥ وبثي وأحزانا يجيش بها الصدر
 وقد كنت أستعق الإله إذا اشتكى ٥ من الأجر لي فيه وإن سررتي الأجر
 وما زال في عيني بعدُ غشاوة ٥ وسمعي عما كنت أسمعهُ وقر
 على أنني أقتي الحياء وأتقى ٥ شماتة أقدام عيُونهم حُزُر
 فتيك عنى الليل والصبحُ إذ بدا ٥ وهوجُ من الأرواح غدوتها شهر
 سقى جَدثاً لو أستطيع سقيته ٥ بأودَ فرّواه الرواعد والقطر
 ولا زال يُسقى من بلادِ ثوى بها ٥ ثباتٌ إذا صاب الريحُ بها نضر
 حلفتُ برب الرافعين أكفهم ٥ وربّ الهدايا حيث حلّ بها النحر
 ومجتمع الحجاج حيث تواقفت ٥ رفاقٌ من الآفاق تكبيرها جأر
 يمين امرئ آلَى وليس بكاذب ٥ وما في يمين بئها صادق وزر
 لئن كان أمسى ابنُ المَعْدِرِ قد ثوى ٥ بُريدٌ لنعيم المرء غيبهُ القبر
 هو المرءُ للمعروف والدين والندى ٥ ومسعرُ حرب لا كهام ولا غمر
 أقام ونادى أهله فتحمّلوا ٥ وضربت الأسبابُ واختلف النجر
 فأى امرئٍ غادرتم في بيوتكم ٥ إذا هي أمست لونُ آفاقها حُمُر
 إذا الشولُ أمست وهي حُدبٌ ظهورها ٥ عجافاً ولم يُسمع لفعل لها هذر
 كثيرُ رمادِ القدرِ يغشى فناؤه ٥ إذا نودى الأيسارُ واحتضر الجزر
 فتى كان يغلي اللحمَ نيناً ولحمه ٥ رخيصٌ بكفيه إذا تنزل القدرُ
 يُقسّمهُ حتى يشيع ولم يكن ٥ كماخرَ يُضحى من غيبته ذخر
 فتى الحى والأضياف إن رَوحتهم ٥ بليلٍ وزاد السفرُ إن أرمل السفرُ
 إذا أجهد القومُ المطى وأدرجت ٥ من الضمرِ حتى يبلغ الحقب الضفر
 وخفت بقايا زادهم وتواكوا ٥ وأكسف بال القومِ بجهولة قفر

رأيت له فضلاً عليهم بقوة * وبالعقر لما كان زادهم العقر
 إذا القوم أسروا ليلهم ثم أصبحوا * غدا وهو ما فيه سقاط ولا فتر
 وإن خشعت أبصارهم وتضاءلت * من الأين جلى مثل ما ينظر الصقر
 وإن جارة حلت إليه وفي لها * فبات ولم يهتسك لجارته ستر
 عفيف عن السوءات ما التبتت به * صليب فما يلقى بعود له كسر
 سلكت سبيل العالمين فما لهم * وراء الذى لا قيت معدى ولا قصر
 وكل أمري يوماً مُلاقٍ حمامه * وإن باتت الدعوى وطال به العمر
 وأبليت خيراً فى الحياة وإما * ثوابك عندى اليوم أن ينطق الشعر
 ليفدك مولى أو أخ ذو ذمامة * قليل الغناء لا عطاء ولا نصر

١٠

لشبل بن معبد البجلي :

لشبل بن معبد
البجلي

أتى دون حلو العيش حتى أمره * نكوب على آثارهن نكوب
 تتابعن فى الأحباب حتى أبدنهم * فلم يبق منهم فى الديار قريب
 برثنى صروف الدهر من كل جانب * كما ينبرى دون اللحاء عسيب
 فأصبحت إلا رحمة الله مفرداً * لدى الناس صبراً والفؤاد كئيب
 إذا ذر قرن الشمس عُلقت بالأسى * ويأوى إلى الحزن حين يؤوب
 ونام خلى البالي عني ولم أتم * كما لم يتم عارى الفناء غريب
 تضر به الأيام حتى كأنه * بطول الذى أعقبن وهو رقوب
 فقلت لأصحابي وقد قذفت بنا * نوى غربة عمن نحب شطوب
 متى العهد بالأهل الذين تركتهم * لهم فى فؤادى بالعراق نصيب
 فما ترك الطاعون من ذى قرابة * إليه إذا حان الإياب تؤوب
 فقد أصبحوا لا دارهم منك غربة * بعيد، ولا هم فى الحياة قريب
 وكنت تُرجى أن تتوب إليهم * ففالتهم من دون ذاك شعوب
 مقادير لا يُغفلن من حان يومه * هُنَّ على كل النفوس رقيب

٢٠

سَقَيْنَ بِكَأْسِ الْمَوْتِ مِنْ حَانَ حَيْثُهُ • وَفِي الْحَيِّ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ ذُنُوبُ
 وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدٍ مِنْهَلٍ • عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَالِيَاتِ نَهْبُ
 إِلَيْهِ تَهَايْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ • مِيَاهُ رَوَاهُ كُلُّهُنَّ شَرُوبُ
 فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضٌ وَجِدِيَّ أَنْتِي • رَأَيْتِ الْمَنَايَا تَغْتَدِي وَتَوُوبُ
 وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا • إِلَى أَجَلٍ تُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ
 وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَا قِيَّتْ أَسْوَةٌ • تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
 فَتَى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ • بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهُوَ حَرِيبُ
 وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ • وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَابِرِينَ حَيْبُ
 مَتَى يُذَكَّرُوا يَفْرَحُ فَوَادِي لَذِكْرِهِمْ • وَتَسْجُمُ دَمُوعٌ بَيْنَهُنَّ نَحِيبُ
 دَمُوعٌ مَرَاهَا الشَّجْوُ حَتَّى كَانَهَا • جِدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
 إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبَكَاءُ • فَوَادٍ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طَرُوبُ
 بِكِي شَجْوَهُ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ عَوَلِهِ • كَمَا وَاتَّرَتْ بَيْنَ الْحُسَيْنِ سَلُوبُ
 دَعَاهَا الْهَوَى مِنْ سَبَقِهَا فَهِيَ وَالِهِ • وَرَدَّتْ إِلَى الْآنَ فَهِيَ تَحُوبُ
 فَوَجَدِي بِأَهْلِي وَجَدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ • شَبَابُ يَزِينُونَ النَّسْدِي وَمَشِيبُ

من رثت زوجها

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها رثت زوجها الزبير بن
 العوام، وكان قبله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل
 وتروى هذه الأبيات لزوجته عائكة التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

غَدَرَ ابْنَ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً • يَوْمَ الْهَيْبِاجِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ
 يَا عَمْرُو لَوْ نَبَهْتَهُ لَوْجَدْتَهُ • لَا طَائِشًا رِعْشَ الْجِنَانِ وَلَا الْبِدِ
 ثِكْلِكَ أُمَّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا • حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

لبانة زوجة
 الأمين رثته

الهلالي قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربيعة، وكانت

من أجل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبن بها ، فقالت ترثيه :

أبكيك لا للنعم والآنس • بل للمعالي والرمح والفرس

يا فارساً بالعراء مطرحاً • خائته قواده مع الحرس

أبكى على سيّد فُجعت به • أرملنى قبل ليلة العرس

أم من لير أم من لعابدة • أم من لذكر الإله في الغلس

من للحروب التي تكون لها • إن أضربت نارها بلا قبس

وقالت أعرابية ترثى زوجها :

لأعرابية في
زوجها

كنّا كغصنين في جرثومة بسقا • حيناً على خير ما يئسى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما • وطاب قنواهما وأستنظر الثمر

أخنى على واحد ريب الزمان وما • يُبقى الزمان على شيء ولا يذر

كنّا كأنجم ليل بينها قمر • يتجلى الدجى فهو من بيننا القمر

الأصمعيّ قال : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية

الأصمعيّ وجارية
على قبر زوجها

على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة

وصوت شجي ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أعجب من هذا ؟ قال :

لا والله ولا أحسبني أراه ! ثم قلت لها : يا هذه إنى أراك حزينة وما عليك زى

الحزن . فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حُزنى فإنى • رهينة هذا القبر يا فتیان

وإنى لأستحييه والثربُ بيننا • كما كنت أستحييه حين يرانى

أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى • مخافة يوم أن يسوءك شأنى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بى • بالآل ويكثر فى الدنيا مواساتى

قد زرت قبرك فى حلى وفى حلال • كأننى لست من أهل المصبات

أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفه • أن قد تسرُّ به من بعض هيأتى

فَمَنْ رَأَى رَأَى عِبْرَى مَوْهَةً • عَجِيبةَ الرَّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ

هو وجارية
أخرى

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول :

خَدِّي يَقِيكَ خُشُونَةَ اللَّحْدِ • وَقَلِيلَةُ لَكَ سَيِّدِي خَدِّي

يَاسَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي بُوْفَاتِهِ • عَمِيَتْ عَلَيَّ مَسَالِكُ الرَّشْدِ

أَسْمَعُ أَبُوكَ عَلَيَّ وَلَعَلَّنِي • أَطْنِي بِذَلِكَ حُرْقَةَ الْوَجْدِ

من رثي جاريته

كان لمعلّى الطائي جارية يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرني محمد بن وضاح ، قال : أدركتُ معلّى الطائي بمصر وأعطى بجاريته وصف أربعة آلاف دينار ، فباعها ؛ فلما دخل عليها قالت له : بعني يا معلّى ! قال : نعم . قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك مني ما بعتك بالدنيا وما فيها ! فردّ الدنانير واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ؛ فقال يرثيها :

يَا مَوْتُ كَيْفَ سَلَبْتَنِي وَصَفَا • قَدَّمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْفَا

هَلَّا ذَهَبْتَ بِنَا مَعًا فَلَقَد • ظَفِرَتْ يَدَاكَ فَسُمْنِي خُسْفَا

وَأَخَذْتَ شِقَّ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِي • فَفَبَرَّتَهُ وَتَرَكْتَ لِي النُّصْفَا

فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِي بَلَا أَجَلِ • فَالْمَوْتُ بَعْدَ وَفَاتِهَا أَعْنِي

يَا مَوْتُ مَا أَبْقَيْتَ لِي أَحَدًا • لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى الْبَيْتِ وَصَفَا

هَلَّا رَحِمْتَ شَبَابَ غَانِيَةٍ • رِيًّا الْعِظَامِ وَشَعْرَهَا الْوَحْفَا

وَرَحِمْتَ عَيْنِي ظَبِيَّةً جَعَلَتْ • بَيْنَ الرِّيَاضِ مُنَاظِرَ الْخُسْفَا

تُعْنِي إِذَا انْتَصَبْتَ فَرَاثِهِ • وَتَنْظُلُ تَرَعَاهُ إِذَا أَعْنِي

فَإِذَا مَشَى اخْتَلَفَتْ قَوَائِمُهُ • وَقَتِ الرِّضَاعِ فَيَنْطَوِي ضَعْفَا

مُتَحَيِّرًا فِي الْمَشْيِ مُرْتَعِشًا • يَخْطُو فَيَضْرِبُ ظِلْفَهُ الظَّلْفَا

فَيَكُنْهَا وَصَفًا إِذَا جَعَلَتْ • نَحْوِي تَحْيِيرُ مُحَاجِرًا وَطُفَا

- يا موت أنت كذا لكل أخى • إلف يصون ببره الإلغا
 خلقتنى فرداً وبت بها • ما كنت قبلك حاملاً وكفا
 فركنهما بالرغم فى جدث • للريح تنسف ترابه نسفا
 دون المقطم لا ألبسها • من زينة قرطا ولا شنفا
 أسكنتها فى قعر مظلمة • بيتاً يُصافح ترابه السقفا
 بيتاً إذا مازاره أحد • عصفت به أيدى البلى عصفا
 لالتقى أبدا معاينة • حتى تقوم لربنا صفا
 لبست ثياب الحنف جارية • قد كنت ألبس دونهما الحنفا
 فكأنها والنفس زاهقة • غصن من الرمان قد جفا
 يا قبر أبق على محاسنها • فلقد حوت البر والظرفا
 لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له
 خلفها بالرملة :

مروان بن محمد
 وجارية له خلفها
 بالرملة

- وما زال يدعوني إلى الصدم أرى • فأبى ويثني الذى لك فى صدرى
 وكان عزيزاً أن تبينى وبيننا • حجاب فقد أمسيت منك على عشر
 وأنكاهما للقلب والله فأعلمى • إذا آزددت مثليها فصرت على شهر
 وأعظم من هذين والله أنى • أخاف بالآ نلتقى آخر الدهر
 سأبكيك لا مستبقياً فيض عبرة • ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر
 وجدوا على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس أبياتا ، ذكروا أن أبى نواس
 قالها ، وهى :

لأبى نواس يرى
 جارية

- أقول لقبر زوته مُتلمماً • سقى الله برد العفو صاحبة القبر
 لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى • وشمس الضحى بين الصفايح والقفر
 عجت لعين بعدها ملت البسكا • وقلب عليها يرتجى راحة الصبر

٢٠

الحبيب في مثله

وقال حبيب الطائي يرثى جارية أصيب بها :

جُفوفَ البلى أَسْرَعَتْ في الغُصْنِ الرطْبِ

وخطبَ الردى والموت أبرحتَ من خطبِ

لقد شَرِقتُ في الشرقِ بالموتِ غادَةً • تبدلتُ منها غُرْبَةً الدارِ في القربِ

وألبسني ثوباً من الحزنِ والأسى • هلالٌ عليه نسجُ ثوبٍ من الثربِ

وكنْتُ أَرَجِي القربَ وهي بعيدة • فقد نُقلتُ بعدى عن البعدِ والقربِ

أقول وقد قالوا آسستراحت لموتها

من الكربِ روحِ الموتِ شرٌّ من الكربِ

لها منزلٌ تحتِ الثرى وعهدتها • لها منزلٌ بين الجوانحِ والقلبِ

وقال يرثيها : ١٠

ألم ترَني خَلَّيتُ نفسِي وشأتها • ولم أحفلُ^(١) الدنيا ولا حدثاتها

لقد خَوَّفَتْنِي النائباتِ صروفها • ولو أمنتني ما قبلتُ أمانها

وكيف على نارِ الليالي مُعْرَسُ • إذا كان شَيْبُ العارضين دُخانها

أصبتُ بخودِ سوفٍ أغبرَ بعدها • حليفُ أسى أبكى زماناً زمانها

عنان من اللذاتِ قد كان في يدي • فلما قضى الإلفُ استردتِ عنانها

منحتِ المَهْما هجرى فلا مُحْسِناتها • أريدُ ولا يهوى فؤادى حسانها

يقولون هل يبكى الفتيَ لخريده • إذا ما أرادَ اعتاضَ عشراً مكانها

وهل يستعيبُ المرءُ من تخميسِ كفه • ولو صاغَ من حُرِّ اللجينِ بنانها

وقال أعرابي يرثى امرأته :

فوالله ما أدرى إذا الليلُ جنَّني • وذكرنيها أينما هو أوجعُ

أمنفصل عنه ترى أم كريمة • أم العاشقُ النابي به كلُّ مضجع

(١) في بعض الاصول : • ولم أشتك . . .

لأعرابي يرثى
امرأته

للوراق يرثى
جارية

وقال محمود الوراق يرثى جاريته نشو :

وَمُنْتَصِحٌ يُرَدِّدُ ذِكْرَ نَشْوٍ ۝ عَلَى عَمْدٍ لِيَبْعَثَ لِي أَكْتَابَا
أَقُولُ - وَعَدَّ - مَا كَانَتْ تَسَاوَى ۝ سَيَحْسِبُ ذَلِكَ مَنْ خَلَقَ الْحَسَابَا
عَطِيَّتِهِ إِذَا أَعْطَى سُرُورًا ۝ وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَثَابَا
فَأَيُّ النَّعْمَتَيْنِ أَعْمُ نَفْعًا ۝ وَأَحْسَنُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا
أَنْعَمْتَهُ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا ۝ أَمْ الْآخَرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابَا
بِالْآخَرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِحَزْنٍ ۝ أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ آحْتِسَابَا

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد
الحبة لها ؛ فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته
الجارية في نومه فأنشدته هذه الأبيات .

محب وجارية
له ماتت

جَاءَتْ تَزُورُ وَسَادَى بَعْدَ مَا دُفِنَتْ ۝ فِي النَّوْمِ أَلِيمٌ خَدَا زَانَهُ الْجَيْدُ
فَقَلَّتْ قُرَّةَ عَيْنِي قَدْ نُعِيتَ لَنَا ۝ فَكَيْفَ ذَا وَطَرِيقَ الْقَبْرِ مَسْتَدُودِ
قَالَتْ هُنَاكَ عِظَامِي فِيهِ مُلْحَدَةٌ ۝ تَنْهَشُ مِنْهَا هَوَاقِمَ الْأَرْضِ وَالِدُودِ
وَهَذِهِ النَّفْسُ قَدْ جَاءَتْكَ زَائِرَةً ۝ فَأَقْبِلْ زِيَارَةَ مَنْ فِي الْقَبْرِ مَلْحُودِ

فانتبه وقد حفظها ، وكان يتحدث الناس بذلك وينشدهم . فما بقي بعدها إلا أياما
يسيرة حتى لحق بها .

من رثى ابنة

قال البحتري في ابنة لأحد بني حميد :

ظَلَمَ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَأَسَاءَ ۝ فَعَزَاءُ بَنِي حُمَيْدٍ عَزَاءُ
أَنْفُسُ مَا نَزَالَ تَفْقَدُ فَقْدًا ۝ وَصُدُورٌ مَا تَبْرَحُ الْبُرْحَاءُ
أَصْبَحَ السِّيفُ دَامِكُمْ وَهُوَ الدَّاءُ ۝ الَّذِي مَا نَزَالَ يُعِي الدَّوَاءُ

البحتري في ابنة
الحميدي

وَأَنْتَ حَيُّ الْقَتْلِ فِيكُمْ فَبِكَيْنَا ۝ بِدَمَاءِ الدَّمِوعِ تَلِكِ الدَّمَاءِ (١)

يا أبا القاسم المقسم في النجدة والجود والندى أجزاء
والهزبر الذي دارت الحره . ببه صرف الردى كيف شاء
الأسى واجب على الحر إماما . نية حزة وإما رياء
وسفاهة أن يجزع الحر بما . كان حتماً على العباد قضاء
أُنبكي من لا يُنازل بالسيف مُشيعاً ولا يهز اللواء
والفتى من رأى^(١) القبور لمن طا . ف به من بنائه الأكفاء
ليس من زينة الحياة كعد . الله منها الأموال والأبناء
قد ولدن الأعداء قدما وورثن التلاد الأفاصي البعداء
لم يشد ترهب^(٢) قيس تميم . علة بل حمية وإباء
وتعشى مهلهل الذل فيهن وقد أعطى الأديم حياء
وشقيق بن فاتك حذر العا . ر عليهن فارق الدهناء
وعلى غيرهن أحزن يعقو . ب وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة ضعفاً فاستأجر الأنبياء
وتلفت إلى القبائل فأنظر . أمهات ينسبن أم آباء
وأسترل الشيطان آدم في الجنة لما أغرى به حواء
ولعمري ما للعجز عندي إلا . أن تبیت الرجال تبكى النساء

مرآة الأشراف

قال حسان بن ثابت يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ،
رضوان الله عليهم :

لحسان يرثى
الرسول صلى
الله عليه وسلم
وأبا بكر وعمر

ثلاثة برزوا بسبقتهم . نضرتهم رؤهم إذا نشروا

(١) في بعض الاصول : لا يرى . .

(٢) في بعض الاصول : كثرهن . .

عاشوا بلا فرقة حياتهم . واجتمعوا في الممات إذ قُبروا

فليس من مسلم له بصرة * يُسكِرُهُم فضلهم إذا ذكروا

وقال حسان يرثي أبا بكر رضى الله عنه :

وله في رثاء
أبي بكر

إذا تذكَّرتُ شجواً من أخى ثقة . فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعد لها . بعد النبي وأوفاها بما حملا

الشانى آئين والمحمود مشهده . وأول الناس طراً صدق الرُسل

وكان حب رسول الله قد علوا . من البرية لم يعدل به رجلا

وقال (١) يرثي عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عليك سلام من أمير وباركت * يدُ الله في ذلك الأديم الممزق

فمن ينجح أو يركب جناحي نعامه * ليدرك ما قدمت بالأمس يُسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها . نوافج في أكامها لم تفتق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته . بكفى سببى أزرق العين مطرق

وقال يرثي عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وله في رثاء
عثمان

من سره الموت صرفاً لا مزاج له . فليات ماسره في دار عثمانا

إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا . مادمت حياً وما سُميت حسانا

ياليت شعري وليت الطير تُخبرني * ما كان شأن علي وابن عفانا

لتسمعن وشيكا في ديارهم . الله أكبر يا ثارات عثمانا

ضحوا بأشمط عنوان السجود به . يُقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال الفرزدق في قتل عثمان رضى الله تعالى عنه :

لفرزدق في
رثاء عثمان

إن الخلافة لما أظعنْتَ ظعنْتَ * من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا

صارت إلى أهلها منهم ووارثها . لما رأى الله في عثمان ما اتهمكوا

السافكي دمه ظلما ومعصية . أى دم لا هُدوا من غيرهم سفكوا

(١) في نسبة هذا الشعر لحسان خلاف .

وقال السيد الحميري يرثى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ويذكر

السيد الحميري
في رثاء علي

يوم صفين :

إني أدين بما دان الوصي به • وشاركتُ كفه كفي بصفيّنا
في سفك ما سَفَكَتْ منها إذا احتَضِرُوا • وأبرزَ الله للقسط الموازينَا

٥ تلك الدماءُ معاً ياربُّ في عُنتي • ثم اسقني مثلها أمين آمينَا
أمين من مثلهم في مثل حالهم • في فتية هاجروا لله سارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم • نعم المراد توخاه المريدونا

أنشد الرياشي لرجل من أهل الشام يرثى عمر بن عبد العزيز رضى الله

تعالى عنه :

١٠ قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا • يدِير سَمْعَان قِسْطَاسِ الموازينِ
ولم يكن همهم عينا يُفَجِّرُهَا • ولا النخيل ولا ركض البراذينِ
أقول لما أتاني نعي مهلكه • لا تُبْعَدَنَّ قِوَامِ الْمَلِكِ وَالذِّينِ

وقال الفرزدق يرثى عبد العزيز بن مروان :

١٥ ظلُّوا على قبره يستغفرون له • وقد يقولون تارات لنا العبرُ
يُقبَلون تراباً فوق أعظمه • كما يقبل في المعجوجة الحجرُ
لله أرضٌ أجنّته ضريحُها • وكيف يُدفن في الملحودة القمرُ
إن المنابر لا تعترض عن ملكٍ • إليه يشخص فوق المنبر البصرُ

وقال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

٢٠ ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا • يا خير من حج بيت الله وأعتَمرا
حُمِلتُ أمراً عظيماً فاصطبرت له • وسرت فيه بحكم^(١) الله يا عَمَرا
فالشمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ • تبكي عليك نجوم الليل والقمرَا

للفرزدق في
رثاء عبد العزيز
بن مروان

لجرير في رثاء عمر
بن عبد العزيز

(١) في بعض الاصول : وقت فيه بأمر الله ، . . .

- قال جرير يرثي الوليد بن عبد الملك :
 إن الخليفة قد وارت شمانه . غبراء ملحودة في جوهها زور
 أمسى^(١) بنوه وقد جلّت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر
 كانوا جميعاً فلم يدفع منيته . عبد العزيز ولا روح ولا حمر
- وقال غيره يرثي قيس بن عاصم المنقري :
 عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحمها
 تحية من ألبسته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلماً
 وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بئيات قوم تهنتما
- وقال أبو عطاء السندی يرثي يزيد بن عمر بن^(٢) هبيرة لما قُتل بواسط :
 ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعتها الجمود
 عشية راح الدافنون وشققت * جيوب بأيدى ماتم وخذود
 فإن تك مهجور الفناء فرمما * أقام به بعد الوفود وفود
 وإنك لم تبعد على متعهد * بلى إن من تحت التراب بعيد
- وقال منصور النمرى يرثي يزيد بن مزيد :
 متى يبرد الحزن الذى فى فؤادنا * أبا خالد من بعد أن لا تلاقيا
 أبا خالد ما كان أذى مصيبة * أصابت معداً يوم أصبحت ثاوبيا
 لعمرى لئن سراً الأعدى وأظهروا * شماتة لقد سرّوا بربعك خالياً
 وأوتار أقوام لديك لويتها * وزرت بها الأجداث وهى كما هيا
 نعزى أمير المؤمنين ورهطه * بسيف لهم ما كان فى الحرب نايبا
 على مثل ما لاقى يزيد بن مزيد * عليه المنايا فائق إن كنت لاقيا
 وإن تك أفته الليالى وأوشكت * فإن له ذكراً سيفنى اللياليا

(١) فى بعض الأصول : « أضحى » .

(٢) فى بعض الأصول : « إبراهيم بن هبيرة » .

وقال :
 سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ * خَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
 كَأَنَّ لَمْ يَمِتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَانِحُ
 لَنْ حُسْنَتْ فِيكَ الْمِرَاثِي وَذِكْرُهَا * لَقَدْ حُسْنَتْ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَانِحُ
 فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ * وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ

للأعجم يرثي
 المغيرة

وقال زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب :

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّامِحَةَ ضَمَّنَا * قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
 فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ * كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ
 وَأَنْضِحْ جِوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا * وَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دِمٍ وَذَبَابِحِ
 وَالْآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى * وَأَوْتَرَ نَابُكَ عَنْ شِبَابَةِ الْقَارِحِ
 وَتَكَامَلْتَ فِيكَ الْمُرُوءَةَ كُلَّهَا * وَأَعْنَتْ ذَلِكَ بِالْفِعَالِ الصَّالِحِ

للدهلي في
 رثاء المنوكل

للدهلي من مرثيته للمنوكل :

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجْدُ * وَهَلْ كَمَنْ فَقَدْتُ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ
 لَا يَبْعَدُنْ هَالِكٌ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ * كَمَا هَوَى مِنْ عَطَاءِ الزُّبْيَةِ الْأَسَدُ
 لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْبًا بَعْدَ لَيْلِهِمْ * إِذْ لَا تُنْمَدُ عَلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ
 لَوْ أَنَّ سِنِّي وَعَقْلِي حَاضِرَانِ لَهُ * أَبْلِيَّتُهُ الْجُهْدُ إِذْ لَمْ يَبْلِهِ أَحَدُ
 هَلَا أَتَتْهُ أَعَادِيهِ مُجَاهِرَةً * وَالْحَرْبُ تُسَعِّرُ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ ^(١)
 نَخْرًا فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجَدِلًا * لَمْ يَحْمِهِ مَلِكُهُ لَمَّا أَنْقَضَى الْأَمَدُ
 قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ * وَلِلرَّدى دُونَ أَرْصَادِ ^(٢) الْفَتَى رَصَدُ
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى يَعْجَبُونَ لَهُ * لَيْنًا صَرِيحًا تَنْزَى حَوْلَهُ النِّقْدُ
 عَلَّتْكَ أَسْيَافٌ مِنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ * وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمْدُ

(١) في بعض الاصول . تطرد . .

(٢) في بعض الاصول . أنصار .

- جاءوا لدنيا عظيم يسعدون بها • فقد شتموا بالذي جاؤوا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العزحين رأات • خذا كريماً عليه قارت جسد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة • لكل ذى عزّة فى رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد • ولم يصنع مثله رُوح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة • من الجوائف يغلي فوقها الزبد
إذا بكيت فإن الدمع منهمل • وإن ونيت فإن القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى ويخلفلى • فعلمتنى اللبالي كيف أقصد
لما آتقتم أناساً لأحلوهم لهم • ضعتم وضعتم من كان يعتقد
فلوجعلمت على الأحرار نعمتكم • حمتكم السادة المركوزة الحشد
قوم هم الجندم والأنساب تجمعكم • والمجد والدين والأرحام والبلد
قد وتر الناس طراً ثم قد صمتوا • كأنما كان ما يتلونه رشد
إذا قريش أرادوا شد ملكهم • بغير قحطان لم يبرح به أود
من الألى وهبوا للجد أنفسهم • فما ينالون ما نالوا إذا حمدوا
لبعض الشعراء وقال آخر :
- وفتى كأن جبينه بدر الدجا • قامت عليه نوادب وروامس
غرس الفسيل مؤملاً لبقائه • فما الفسيل ومات عنه الغارس
وقال الأسود بن يعفر : لابن يعفر
- ماذا أومل بعد آل محرق • تركوا منازلهم وبعد إباد
أهل الخوزنق والسدير وبارق • والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم • ماء الفرات يحيى من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم • فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به • يوماً يصير إلى بلى وتفاد

وقال عبید بن الأبرص :

لعبید بن
الأبرص

يا حارِ مَراحٍ من قومٍ ولا ابتكروا • إلا وللنوتِ في آثارهم حادى
يا حارِ ما طلعتُ شمسٌ ولا غربتُ • إلا تقربُ أجالا لِمِعادِ
هل نحن إلا كأرواحٍ يُمرُّ بها • تحتَ الترابِ وأجسادِ كأجسادِ

لما مات أسماء بن خارجة الفزاري قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ،
ومات حين شاء .

للحجاج في بن
خارجة

وقال فيه الشاعر :

لبعض الشعراء
فيه

إذا مات ابنُ خارجةَ بنِ زَيدٍ • فلا مَطَرَتُ على الأرضِ السماءُ
ولا جاءَ البريدُ بغيرِ جيشٍ • ولا حملتُ على الطُّهرِ النساءُ
فيومٍ منك خيرٌ من رجالٍ • كثيرٍ عندهم نَعَمٌ وشاء

١٠

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

لمسلم بن الوليد

أمسعودُ هل غاداك يومٌ بفرحةٍ • وأمستَ لم تعرِضَ لها الترحاتُ
وهل نحن إلا أنفُسُ مستعارةٌ • تمرُّ بها الرُّوحاتُ والغدواتُ
بكيتَ وأعطتكَ البكاءَ مصيبةً • مضتُ وهي فردٌ ما لها أخواتُ
كأنك فيها لم تكن تعرفُ العزا • ولم تتعمدُ غيرك النكباتُ
سقى الضاحكُ الوسمى أعظمَ حفرةٍ • طواها الردى في اللحدِ وهي رُفاتُ
أرى بهجةَ الدنيا رجيحَ دوائرٍ • لهنَّ اجتماعٌ مرةً وشتاتُ
طوى أيديَ المعروفِ مصرعُ مالكٍ • فهنَّ عن الآمالِ منقبضاتُ

١٥

وقال أيضاً (١) :

أما القبورُ فإنهن أوانسٌ • بجوارِ قبرِكِ والديارِ قبورُ
عمَّت فواضله وعمَّ مُصابُه (٢) • فالناسُ فيه كلهم ماجور

٢٠

(١) يناسب هذا الشعر للتميمي في رثاء منصور بن زياد

(٢) في بعض الاصول : عمَّت مصيبتُه وعم هلاكُه .

رَدَتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتِهِ * فَكَانَهُ مِنْ نَشْرِهَا مَشْهُورٌ

وقال أشجع بن عمرو السلمي يرثي منصور بن زياد :

لأشجع في ابن
زياد

يا حُفْرَةَ الْمَلِكِ الْمُؤَمَّلِ رَفْدُهُ * مَا فِي ثَرَاكِ مِنَ النَّدى وَالْخَيْرِ ؟

لَا زِلْتَ فِي ظِلِّينِ ظِلٌّ سَخَابَةٌ * وَطَفَاءٌ دَانِيَةٌ وَظِلٌّ حُبُورٌ

وَسَقَى الْوَلِيَّ عَلَى الْعِهَادِ عِرَاصَ مَا * وَالْآكِ مِنْ قَبْرِ وَمِنْ مَقْبُورِ

يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَبْحَثَ حَمَى النَّدى * وَفَجَعَلَهُ بَوْلِيَهُ الْمَذْكَورِ

يَا يَوْمَهُ أَعْرَيْتَ رَاحِلَةَ النَّدى * مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ فَقِيرِ

يَا يَوْمَهُ مَاذَا صَنَعْتَ بِمُرْمِلِ * يَرْجُو الْغَنَى وَمُكَبَّلِ مَاسُورِ

يَا يَوْمَهُ لَوْ كُنْتَ جِئْتَ بِنُصْحِهِ * فَجَمَعْتَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَقْبُورِ

لِلَّهِ أَوْصَالَ تَقَسَّمَهَا الْبَيْلَى * فِي اللَّحْدِ بَيْنَ صَفَايِحِ وَصُخُورِ

عَجِبَا لِحَسَةِ أَذْرُعِ فِي خَمْسَةِ * غَطَّتْ عَلَى جَبَلِ أَشْمٍ كَبِيرِ

مَنْ كَانَ يَمْلَأُ عَرْضَ كُلِّ تَنُوقَةٍ * وَارَاهُ حَوْلًا مَأْجِدًا مَحْفُورِ

ذَلَّتْ بِمَصْرَعِهِ الْمَكَارِمُ وَالنَّدى * وَذُبَابُ كُلِّ مُهْتَدٍ مَأْثُورِ

أَفَلْتَ نَجُومَ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَمَا * طَلَعَتْ بِنُورِ أَهْلَةٍ وَبُدُورِ

لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ * أَكْبَادُنَا أَسْفًا عَلَى مَنْصُورِ

أَبَقِيَ مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صَفَائِهَا * وَمَضَى لَوَقْتِ حِمَامِهِ الْمَقْدُورِ

أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ الَّتِي * بُدِّلَتْهَا مِنْ قَصْرِكَ الْمَعْمُورِ

بَلَيْتَ عِظَامُكَ وَالصَّفَا حُجْرَةً * لَيْسَ الْبَيْلَى لِفِعَالِكَ الْمَشْهُورِ

إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقْدَتْرِي * سَكْنَا لِعُودِي مِنْبَرٍ وَسَرِيرِ

وقال يرثي محمد بن منصور :

وله في ابن
منصور

أَنْعَى فَنَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ * مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ

أَنْعَى فَنَى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ * بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ

فَاتْلَمْ الْمَجْدُ بِهِ ثَلَاثَةً * جَانِبُهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ

- أنعى ابن منصور إلى سيده • وأيد ليس برعسديد
 وأشعث يسعى على صبية • مثل فراخ الطير مجهود
 وطارق أعيا عليه القرى • ومسلم في القيد مضمود
 اليوم تخشى عثرات الندى • وعدوة البخيل على الجود
 أورده حوضاً عظيم الشأى • في المجد يوم غير محمود
 كل أمرى يجرى إلى مدة • وأجل قد خط معذود
 سينطق الشعر بأيامه • على لسان غير معقود
 فكل مفقود إلى جنبه • وإن تغالى غير مفقود
 يا وافتى قومهما إن من • طلبتما تحت الجلاميد
 طلبتما الجود وقد ضمه • محمد في بطن ملحود
 فاتكما الموت بمعروفه • وليس ما فات بمرود
 يا عضداً للمجد مفتوقة • وساعداً ليس بمعضود
 أو هن زنديها وأكباهما • قرع المنايا في العناديد
 وهدت الركن الذى كان بال • أمس عماداً غير مهدود
- ١٥ وقال حبيب الطائى يرثى خالد بن يزيد بن مزيد :

للطائى فى رثاء
خالد بن يزيد

أشيبان لاذك الهلال بطالع • علينا، ولا ذاك الغمام بعائد
 أشيبان عمت نارها من رزيته • فماتتكي وجداً إلى غير واحد
 فمجانب الدنيا بسهل ولا الضحى • بطلق ولا ماء الحياة يبارد
 فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة • ووحدته من فيها بمصرع واحد

للتيمى فى يزيد
ابن مزيد

٢٠ وأنشد أبو محمد التيمى^(١) فى يزيد بن مزيد :

أحقاً أنه أودى يزيد • فبين أيها الناعى المشيد

(١) فى بعض الاصول ، اللبى ، .

أتدرى من نَعَيْتَ^(١) وكيف فاهت * به شفقتك وارك الصعيد
أحامي الملك والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني زيار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * يدريها وهل يخضر عود
أما هددت لمصرعه زيار * بلى ، وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه * طريف المجد والمجد التليد
وهدد العز والإسلام لما * ثوى وخليفة الله الرشيد
لقد أوفى ربيعة كل نحس * لمهلكه وغيب السعود
وأصلت الأسيئة من قناها * وأشرعت الرماح لمن يكيد
نعى يزيد إن لم يبق بأس * غداة مضى وإن لم يبق جود
نعى أبي الزبير لكل يوم * عبوس الوجه زينته الحديد
أودى عصمة الباري يزيد * وسيف الله والغيث الحميد
فمن يحمى حمى الإسلام أم من * يذب عن المكاره أو يذود
ومن يدعو الأنام لكل خطب * يخاف وكل معضلة توود
ومن تجلى به الغمرات أم من * يقوم بها إذا أعوج العود
ومن يحمى الخديس إذا تعايا * بحيلة نفسه البطل النجيد
وأين يوم منتجع ولاج * وأين تحط أرحلها الوفود
لقد رزئت زيار يوم أودى * عميداً ما يقاس به عميد
فلو قيل الفداء فداء منّا * بمهجته المسود والمسود
أبعد يزيد تختزن البواكي * دموعاً أو تُصان لها حدود
أما بالله لا تنفك عني * عليه بدمعها أبداً تجود

(١) في بعض الاصول : « ابن لي كيف قلت » .

وإنَّ تَجْمُدَ دُمُوعِ لَيْمٍ قَوْمٍ • فليس لدمع ذي حَسَبٍ جُمُودُ
 وإنَّ يَكُ غَالَهُ حَسَبُ فَأُودَى • لقد أودى وليس له نَدِيدُ
 وإنَّ يَعْثُرُ بِهِ دَهْرٌ لَمَّا قَدْ • يُفَادِي مِنْ مَخَافَتِهِ الْأَسْوَدُ
 وإنَّ يَهْلِكُ يَزِيدُ فَكُلُّ حَيٍّ • فَرُبُّسٌ لِلنِّيَّةِ أَوْ طَرِيدُ
 فَإِنَّ يَكُ عَنْ خُلُودٍ قَدْ دَعْتَهُ • مَا رُهِرَهُ فَكَانَ لَهَا الْخُلُودُ
 فَمَا أودَى أَمْرُؤُ أودَى وَأَبْقَى • لَوَارِثِهِ مَكَارِمٌ لَا تَبِيدُ
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَخِي أَنَّ الْمَنَايَا • غَدَرْنَ بِهِ وَهَنَ لَهُ جُنُودُ
 قَصَدْنَ لَهُ وَكُنَّ يَحْدُنُّ عَنْهُ • إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ لَهَا الْوَقُودُ
 فَهَلَّا يَوْمَ يَقْسِدُهَا يَزِيدُ • إِلَى الْأَبْطَالِ وَالْخَيْلَانِ حِيدُ
 وَلَوْلَا تَقَى الْخُتُوفَ عَلَى سِوَاءٍ • لَلْفَاظِهَا بِهِ حَتْفٌ عَنِيدُ
 أَضْرَابَ الْفُؤَارِ كُلِّ يَوْمٍ • تَرَى فِيهِ الْخُتُوفُ لَهَا وَعِيدُ
 فَمَنْ يَرْضَى الْقَوَاعِطَ وَالْعَوَالِي • إِذَا مَا هَزَّهَا فَرَعٌ شَدِيدُ
 لَتَبِكَ قُبَّةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا • وَهَتْ أَطْنَابُهَا وَهَى الْعَمُودُ
 لَيْسِكَ مُرْهَقٌ يَتْلُوهُ خَيْلٌ • إِلَّا بَالَةً^(١) وَهُوَ مَجْدُولٌ وَحِيدُ
 وَيَسْكَ خَامِلٌ نَادَاكَ لَمَّا • تَوَاكَلَهُ الْأَقَارِبُ وَالْبَعِيدُ
 وَيَسْكَ شَاعِرٌ لَمْ يُبْقِ دَهْرٌ • لَهُ نَشْبًا وَقَدْ كَسَدَ الْقَصِيدُ
 تَرَكْتَ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي • مُحَلَّلَةً وَقَدْ حَانَ الْوُرُودُ
 وَغَادَرْتَ الْجِيَادَ بِكُلِّ لَغْزٍ • عَوَاطِلَ بَعْدَ زِينَتِهَا تَرُودُ
 فَإِنَّ تَصْبَحُ مُسَلَّةً فَمَّا • تُفِيدُ بِهَا الْجَزِيلَ وَتَسْتَفِيدُ
 أَلَمْ تَكُ تَكْشِفُ الْغَمْرَاتِ عَنْهَا • عَوَابِسَ وَالْوُجُوهَ الْبَيْضَ سُودُ
 أُصِيبَ الْمَجْدُ وَالْإِسْلَامُ لَمَّا • أَصَابَكَ بِالرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ
 لَقَدْ عَزَى رِيْعَةً أَنْ يَوْمًا • عَلَيْهَا مِثْلُ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أِبَاسِلٌ »

ومثلك من قصدن له المنايا * بأسهمها وهن له جنود
 فيالدهر ما صنعت يداه * كأن الدهر منها مُستفيد
 سقى جدثاً أقام به يزيد * من الوشمي بسام رعود
 فإن أجزع لمهلكه فاني * على النكبات إذا ودى جليلد
 ليذهب من أراد فلست آسى * على من مات بعدك يا يزيد

٥

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة : لابن أبي حفصة
 في رثاء معن

زار ابن زائدة المقابر بعدما * ألفت إليه عرى الأمور نزار
 إن القبائل من نزار أصبحت * وقلوبها أسفاً عليه حرار
 وذت ربيعة أنها قُسمت له * منها فعاش بشطرها الأعمار
 فلا بكين فتى ربيعة مادجا * ليلٌ بظلمته ولاح نهار
 لازل قبر أبي الوليد تجوده * بعهادها وبوبلها الأمطار
 قبر يضم مع الشجاعة والندى * حلسا يُخالطه تُقى ووقار
 إن الرزية من ربيعة هالك * ترك العيون دموعهن غزار
 رحب السرادق والضياء جبينه * كالبدر شق ضياءه الإسفار
 لهفاً عليك إذا الطعان يمارق * ترك القنا وطواهن قصار
 خلى الأعتة يوم مات مشيع * بطل اللقاء مجزب مغوار
 يمسي ويصبح معلماً تذكى به * نارٌ بمعترك وتخمّد نار
 مهما يمر فليس يرجو نقضه * أحدٌ وليس لنقضه إمرار
 لو كان خلفك أو أمامك هائباً * أحداً سواك لها بك المقدار

١٠

١٥

٢٠

وقال يرثيه :

بكي الشام معنًا يوم خلى مكانه * فكادت له أرض العراقين ترجف
 ثوى القائد الميمون والذائد الذي * به كان يرعى الجانب المنخوف
 أتى الموت معنًا وهو للعرض صائن * وللمجد مبتاع وللهال متلف

وما مات حتى قلدته أمورها • ربيعة والحيات قيس وخندف

وحتى فشا فى كل شرق ومغرب • أياذ له بالضرب والنفع تعرف

وكم من يد عندى لمعن كريمة • سأشكرها مادامت العين تطرف

بكنه الجياد الأعوجية إذ توى • وحن مع النبع الوشيج المثقف

وقد غنيت ربح الصبا فى حياته • قبولاً فأمنت وهى نكباء حرجف

وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد بن زبيدة الأمين :

جرت جوار بالسعد والنحين • فنحن فى وحشة وفى أنس

العين تبكى والسن ضاحكة • فنحن فى مأتم وفى عرس

يضحكنا القائم الأمين ويُسكننا وفاة الإمام بالأمس

بدران بدر أضحى ببغداد فى السخلد وبدر بطوس فى الرمس

وأشدد العتبى :

والمرء يجمع ماله مستهتراً • فرحاً وليس بآكل ما يجمع

ولياً تبين عليك يوماً مرة • يسكى عليك مقنعاً لا تسمع

وقال حارثة بن بدر الغداني يرثى زياد بن ظبيان :

صلى الإله على قبر وطهره • عند الثوية يسقى فوقه المور

زفت إليه قريش نعش سيدها • فشم كل الثقى والبر مقبور

أبا المغيرة والدنيا مغيرة • وإن من عرت الدنيا لمغرور

قد كان عندك للبروف معرفة • وكان عندك للتشكير تشكير

لو خلد الخير والإسلام ذا قدم • إذا لحدك الإسلام والخير

قد كنت تخشى وتعطى المال من سعة • إن كان بيتك أضحى وهو مهجور

وقال نهار بن توسة يرثى المهلب :

ألا ذهب الغزو المقرّب للعتى • ومات الندى والحزم بعد المهلب

أقام يَمرو الروذ رهن ضريحه • وقد غنينا عن كل شرق ومغرب

لأن الشيبان فى
رثاء الرشيد
ومدح الأمين

للعتبى

للغداني فى ابن
ظبيان

لابن توسة فى
رثاء المهلب

وقال المهلهل بن ربيعة : يرثي أخاه كليب بن وائل ؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته :

للمهلهل فرثاء
كليب

ذهب الخيارُ من المعاشِرِ كلِّهم • وأسَدَبَ بعدَكَ يا كَلِيبُ المَجْلِسُ
وتناولوا من كلِّ أمرٍ عَظِيمَةٍ • لو كَدَتِ حاضِرَ أمرِهِم لم يَنْبَسُوا

وقال عبد الصمد بن المعتدل يرثي سعيد بن سلم :

لابن المعتدل
في رثاء سعيد
ابن سلم

كَمْ يَتِيمٍ جَبْرَتُهُ بَعْدَ يَتِيمٍ • وَعَدِيمٍ نَعَشَتَهُ بَعْدَ عَدِيمٍ
كُلُّ مَا عَضَّ بِالْحَوَادِثِ نَادَى • رَضِيَ اللهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ

وقال ابن أخت تأبط شرأ يرثي خاله تأبط شرأ الفهمي ؛ وكانت هذيل قتلته :

لابن أخت
تأبط شرأ
يرثي خاله

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ • لَقَتَيْلًا دَمُهُ مَا يُطْلُ

قَذَفَ العِبءَ عَلَيَّ وَوَلَّى • أَنَا بِالْعِبءِ لَهُ مَسْتَقِيلٌ

ووراء الثأرِ مني ابنُ أختٍ • مَصِصُ عَقْدَتِهِ مَا تُحَلُّ

مُطْرَقٌ يَرشِحُ مَوْتًا كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُكُ السَّمَّ صِلُّ

خَبْرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَلٌ • جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الأَجَلُ

بَزَنِي الدَّهْرَ وَكَانَ غَشُومًا • بِأَبِي جَارُهُ مَا يَذُلُّ

شامسٌ في القَرِّ حَتَّى إِذَا مَا • ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظَلُّ

يَابِسُ الجُنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوَيْسٍ • وَنَدِي الكَفَيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا • حَلَّ حَلَّ الحَزْمِ حَيْثُ يُحَلُّ

وَلَهُ طَعْمَانٌ أَرَى وَشَرِيٌّ • وَكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

رَائِحٌ بِالْمَجْدِ غَادٍ عَلَيْهِ • مِنْ ثِيَابِ الحَمْدِ ثَوْبٌ رِفْلُ

أَفْتَحُ الرَّاحَةَ بِالْجُودِ جَوَادًا • عَاشَ فِي جَدْوَى يَدَيْهِ المِقْلُ

مُسْبِلٌ فِي الحَيِّ أَحْوَى رِفْلُ • وَإِذَا يَغْزُو فِسْمَعٌ أَزْلُ

(١) في بعض الاصول : « وتكلموا في أمر كل » .

يركب الهولَ وحيداً ولا يصحبه إلا اليماني الأفلُ
 فاحسبوا أنفاسَ يومِ فلما هوموا رُعُهم فاشمعلوا
 كلُّ مايض قد تردى بمايض ه كَسَنَا البرق إذا ما يُسلُ
 فلئن فَلَمتْ هُذَيْلُ شِبَاهُ ه لِمَا كَانَ هُذَيْلًا يَفُلُ
 وبِمَا أْبْرَكَهَا فِي مُنَاخِ ه جَعَجِعَ يَنْقَبُ مِنْهُ الْأَظْلُ
 صليتُ مِنْهُ هُذَيْلُ بِخَرْقٍ ه لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا
 يُنْهَلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا ه تَهَلَّتْ كَانَتْ لَهَا مِنْهُ عَلُ
 تَضْحَكُ الصَّبْعُ لِقَتْلِ هُذَيْلٍ ه وَتَرَى الذَّنْبَ لَهَا يَسْتَهَلُ
 عِشَاقِ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانَا ه تَنْخَطِّمُ فَمَا تَسْتَقِلُ
 وَفُتُوْهُ هَجَّروا ثم اسروا ه ليلهم حتى إذا آنجأ حلوا
 فاسقنيها يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو ه إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لِحُلُ

وقال أمية بن أبي الصلت يرثى قتلى بدر من قريش :

أَلَا بَكَيْتَ عَلَى الْكِرَا * مِ بَنِي الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَادِحِ
 كَبُكََا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو ه عِ الْأَيْكَ فِي الْغَصَنِ الْجَوَانِحِ
 يَبْكِينَ حَرَى مَسْتَكِينَاتٍ يَرْحَنُ مَعَ الرَّوَانِحِ
 أَمْثَالُهُنَّ الْبَاكِيَا ه تِ الْمُعْوِلَاتِ مِنَ النَّوَانِحِ
 مِنْ يَبْكُهُمْ يَبْكِي عَلَى ه حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحِ
 مَنْ ذَا يَبْدِرِ فَالْعَقْنَ قَلٍ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَعَّاجِحِ
 شُمِطِ وَشُبَّانِ بِهَا * لَيْلٍ مَغَاوِيرِ وَحَاوِحِ
 أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ه وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ
 أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّةَ فِيهِ مُوَحْشَةُ الْأَبَاطِحِ
 مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبَطْرِيقٍ نَقِيَّ اللَّوْنِ وَاضِحِ
 رُغْمُوصِ أَبْوَابِ الْمَلُو ه كِ وَجَانِبِ لِلْخَرْقِ فَاتِحِ

لابن أبي الصلت
 يرثى قتلى بدر

ومن السراطة العلا . جملة الملازمة المناجح
القائلين الفاعلين الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالأنافح
نُقِلُ الجفان مع الجفا * ن إلى جفان كالمناضح
ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رَحَّ رَحَّارح
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح
وهب المئين من المئين إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤ . بل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا . م مزينة وزن الرواجح
كتناقل الأبطال بالسقطاس في الأيدي الموائح
لله درُّ بنى على . أئيم منهم وناصح
إن لم يُغيروا غارة . شعواء تُحجر كل ناصح
بالمقربات المبيدات الطامحات مع الطوائح
مُرداً على جرد إلى . أسد مكالبة كواح
ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح
يزهاء ألف ثم ألف بين ذى بدن وراح
الضارين التقدمية بالمهتدة الصفايح

سهل بن هارون روى الأخفش لسهل بن هارون :

ماللحوادث عنك منصرف * إلا بنفيس مالها خلف
فكانها رام على حنق * وكأني لسهامها هدف
دهر سررت به فأعقبتى . حزناً به ما عشت أنحف^(١)

(١) في بعض الأصول : « جريانة ما عشت أنحف » .

فأبك الذي ولي لمهلكه . عنك السرور وخلف الأسف
 إذ لا يرُدُّ عليك ما أخذت . منك الحوادث دُمعة تكف
 قبرٌ بمختلف الرياح ، به . من لست أبلغه بما أصف
 أنس الثرى بمحله وله . قد أوحش المستأنس الألف
 فالصبر أحسن ما اعتصمت به . إذ ليس منه لدى مُتصِف

وقال فروة بن نوفل الحروري ، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج
 ويقولون : والله لنحرقنهم ولنفعلن ولنفعلن . فقال في ذلك فروة بن نوفل ،
 وكان من الخوارج :

ما إن نبأ إذا أروأحنا قسِضت . ماذا فعلتم بأجسادِ وأبشارِ
 تجرى المَجْرَةُ والنَّسرانِ بينهما * والشمس والقمرُ السَّاري بمقدار
 لقد علمت وخيرُ العلم أنفعه . أن السعيد الذي ينجو من النار
 وقال يرثي قومه :

وله في رثاء قومه

مُهمُ نصبوا الأجساد للنَّبل والقنا . فلم يبق منها اليوم إلا رميمها
 تظل عتاقُ الطير تحجل نحوهم * يُعللن أجساداً قليلاً نعيمها
 لطف براها الصوم حتى كأنها * سيوف إذا ما الخيل تدمى كلومها

التعازي

قال عبد الرحمن بن أبي بكر لسليمان بن عبد الملك يعزيه في ابنه أيوب ، وكان
 وليَّ عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقد أحبته ، ومن
 قصر عمره كانت مصيبته في نفسه ؛ فلو لم يكن في ميزانك لكنت في ميزانه !
 وكتب الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه في ابنه عبد الملك :

وعوّضت أجراً من فقيد ، فلا يكن فقيدك لا يأتي وأجرُك يذهبُ

العتبي قال : قال عبد الله بن الأهم : مات لي ابن وأنا بمكة ، فجزعت عليه جزعا شديداً ؛ فدخل عليّ ابن جريج يعزيني ، فقال لي : يا أبا محمد ، آسلُ صبراً واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسيانا كما تسلو البهائم .

لابن جريج يعزى
ابن الأهم

وهذا الكلام لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يُعزى الأشعث بن قيس في

ابن له ، ومنه أخذ ابن جريج ؛ وقد ذكره حبيب في شعره فقال :

وقال عليّ في التّعازي لِأشعث * وخافَ عليه بعضَ تلكَ المآثمِ

أَتَصْبِرُ لِلْبِساوَى عِزَاءً وَحِسْبَةً * فَتُؤَجَّرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبِهَائِمِ

أنى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه لأشعث يعزیه عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحققت ذلك منك أرحم ، وإن تصبر فإن في الله خلفاً من كل

على والأشعث
في وفاة ابنه

هالك ، مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت آثم .

وعزى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبة إلا ومعها أعظم منها ، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

لابن السماك
يعزى رجلاً

الأصمعي قال : عزى صالح المزى رجلاً بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة ، فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ؛ واعلم أن التهته على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

اصالح المري
في مثله

العتبي قال : عزى أبي رجلاً فقال : إنما يستوجب على الله وعده من صبر لحقه ، فلا تجمع إلى ما فجعت به الفجاعة بالأجر ، فإنها أظلم المصيبتين عليك ، ولكل اجتماع فرقة إلى دار الحلول .

لوالد العتبي في مثله

عزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بُني له صغير ؛ فقال : عوضك الله منه ما عوضه الله منك .

لابن عباس يعزى
عمر في ابن له

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا عزى قوماً قال : عليكم بالصبر

لعلي في العزاء

فإن به يأخذ الحازم ، وإليه يرجع الجازع .

وكان الحسن يقول في المصيبة : الحمد لله الذي آجرنا على ما لو كلفنا غيره
لعجزنا عنه .

كتاب تعزية

٥ أما بعد : فإن أحق من تعزى ، وأولى من تأسى وسلم لأمر الله ، وقيل
تأديبه في الصبر على نكبات الدنيا وتجرع غمص البلوى - من تنجز من الله
وعده ، وفهم عن كتابه أمره ، وأخلص له نفسه ، وأعترف له بما هو أهله ،
وفي كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه ، وأزس من كل
فقيد وإن عظمت اللوعة به : إذ يقول الله عز وجل : ﴿ كل شيء هالك إلا
١٠ وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ وحيث يقول : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة
قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك
هم المهتدون ﴾ والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق أجمعين ،
وفي أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة ، وأحسن الأسوة ، فهل أحد منهم
إلا وقد أخذ من فئات الدنيا بأجزل الإعطاء ، ومن الصبر عليها بأحتساب الأجر
١٥ فيها بأوفر الأنصاء .

فجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم ، وكان ذخر الإيمان ، وقره
عين الإسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحي ، ونتيج الرحمة ، وحضين الملائكة ،
وبقية آل إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الأنبياء والمرسلين
فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيته . ورضى صلى الله عليه وسلم من
٢٠ فراقه بثواب الله بدلا ، ومن فقدانه بموعوده عوضاً ؛ فشكر قضاءه واتبع
رضاه ؛ فقال : « يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، وإنا بك
يا إبراهيم لمحزونون »

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مشفٍ عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه

وفكره في غيرها بتنقل الأحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة -
ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه ، وتسهلت الفجائع لديه ، فأخذ للأمر
أهبطه ، واستعد للهوت عدته ؛ ومن صحب الدنيا بحسن الروية ، ولاحظها بعين
الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها .

- ٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أذكروا الموت فإنه هادم اللذات ومُنْعَصُ
الشهوات . وليس شيء مما أقتصصت إلا وقد جعلك الله مقدماً في العلم به ؛
ولعمري إن الخطب فيما أصبت به لعظيم ، غير أن معوضه من الأجر والثوبة
عليه بحسن الصبر ، يهونان الرزية وإن ثقلت ، ويسهلان الخطب وإن عظم ؛
فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين ، وقرية^(١)
١٠ الشاكرين ، وجعلك من المرصدين قولاً وفعلاً ، الذين أعطاهم الحسنى ، ووقفهم
للصبر والتقوى .

محمد بن الفضل عن أبي حازم قال : مات عُبَيْة بن عِيَّاض بن غَنَمِ الفهرى ،
فعرى رجل أباه فقال : لا تجزع عليه فقد قُتِلَ شهيداً ، فقال : وكيف أجزع على
من كان في حياته زينة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

في عزاء عقبه بابنه

- ١٥ ابن الغار قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل ، قال : سمعت الأصمعي يقول :
دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان ،
فأثدته بيتين ، فما برحت حتى دعا بالمائدة ، فقلت للأصمعي : ما هما ؟ فسكت ،
فسألته ؛ فقال : أتدرى ما قال الأحوص ؟ قلت : لا أدري . قال : قال الأحوص :

عزاء الأصمعي
لجعفر بن سليمان
في أخيه

قَدْ زَادَهُ كَلْفًا بِالْحُبِّ إِذْ مَنَعَتْ . أَحْبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنِعَا

- ٢٠ قال أبو موسى : والأبيات لأراكة الثقفى يرثى بها عمرو بن أراكة ويُعرى
نفسه ، حيث يقول :

لَعَمْرِي لئن أَتْبَعْتَ عَيْنَكَ مَاضِي * بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الحِمَامِ إِلَى القَبْرِ

(١) في بعض الاصول : « ومزيد الشاكرين » .

- لَتَسْتَنْفِدَنَّ ماءَ الشُّونِ بِأَمْرِهِ * وإن كنت تمر بهنَّ من تَبِجِ البَحْرِ
تَبِينُ فإن كان الهكا رَدَّ هَالِكَا * على أَحَدٍ فَاجْهَدُ بُكَاءَكَ على عمرو
- فلا تَبِكِ مِيتاً بعدَ موتِ أَحِبَّةٍ * على وَعِباسِ وآلِ أبى بكرِ
أبو عمر بن يزيد قال : لما مات أخو مالك بن دينار ، بكى مالك ، وقال :
يا أخى ، لا تقر عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أمت أم في النار ؛ ولا أعلم ذلك
حتى ألحق بك !
- وقالت أعرابية ورأت ميتاً يدفن : جاني الله عن جنبيه الشرى ، وأعانه
على طول البلى .
- وعزى أعرابي رجلاً فقال : أوصيك بالرضا من الله بتضائه ، والتنجس لما
وعد به من ثوابه ؛ فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله .
- وعزى أيضاً رجلاً فقال : إن من كان لك في الآخرة أجراً ، خير لك ممن
كان لك في الدنيا سروراً .
- وجزع رجل على ابن له ، فشكا ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك
يغيب عنك ؟ قال : نعم ؛ كان مغيبه عنى أكثر من حضوره . قال : فاتركه غائباً ،
فإنه لم يذهب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة .
- وعزى رجل نصراني مسلماً ، فقال له : إن مثلي لا يعزى مثلك ، ولكن انظر
ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه .
- وكان على بن الحسين رضى الله عنه في مجلسه وعندده جماعة ؛ إذ سمع ناعية
في بيته ؛ فنهض إلى منزله فأسكتهم ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقالوا له : أمن حدث
كانت الناعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت
نطيع الله فيما نحب ، ونحمده على ما نكره .
- تعزية : التمس ما وعد الله من ثوابه بالتسليم لقضائه ، والانتفاء إلى أمره ؛
فإن ما فات غير مستدرك .
- وعزى موسى المهدي إبراهيم بن سلم على ابن له مات ، فجزع عليه جزعا

لمالك بن دينار
في أخيه

لأعرابية في بيت

لأعرابى يعزى

الحسن وجازع
على ابنه

لنصراني يعزى
مسلماً

لبنى بن الحسين
في ناعية

للشون بن يزيد
الفضل بن سهل

موسى المهدي
إبراهيم بن سلم

شديدا ، فقال له : أيسرك وهر بليّة وفزّة ، وبجزك وهر صلوات ورحمة .

لابن جبير سفيان الثوري ، عن سعيد بن جبير قال . ما أعطيت أمة عند المصيبة ما أعطيت هذه الأمة من قولها : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . ولو أعطيتها أحد لأعطيها يعقوب حيث يقول : ﴿ يا أسدنا على يوسف ! وابصت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ .

وَعزى رجل رجلًا بابلًا له فقال له : لو ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك : فما بقاء من ذهب أصله وفرعه .

تعازي المملوك

العبي قال : عزى أكرم بن صبيح عمرو بن هند ملك العرب على أخيه ، لابن هند لأكرم يعزى ابن هند

فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سَفَرُوا لِيَحْلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك ؛ واعلم أنّ الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل ، فجمعك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته . واليوم : غنيمة وصديق ، أنك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته . وغد : لا تدري من أهله ، وسيأتيك إن وجدك ! فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

لما هلك أمير المؤمنين المنصور ، قدمت وفود الأمصار على أمير المؤمنين المهدي ، وقدم فيهم أبو العيّن المحدث ؛ فتقدم إلى التعزية فقال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له ؛ فلا مصيبة أعظم من مصيبة إمام والد ، ولا عقبى أفضل من خلافة الله على أوليائه ؛ فاقبل من الله أفضل العطية ، واصبر له على أعظم الرزية .

ولما مات معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد غائب ؛ صلى عليه الضحّاك

ان قيس الفهري ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتيه حتى
دخل عليه عبد الله بن همام السلولي ، فقال :

أصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ . واشكرَ جِباءَ الذي بالمُلْكِ حاباكا
لا رزءَ أعظمُ في الأقوامِ قد عَلِمُوا . مِمَّا رزِمْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْبَاكا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الأرضِ كُلِّهم . فانتَ ترعاهُمُ وآلَهُ يرعاكا
وفي مُعاويةِ الباقي لَنَا خَلْفٌ . إذا نُعيتَ ولا نَسَمَعُ بِمُنْعَاكا
فافتتح الخطباءُ الكلام .

عزاء شبيب
المنصور في أبي
العباس

عزى شبيب بن شبة المنصور على أخيه أبي العباس فقال : جعل الله ثواب
مارزمت به لك أجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم ذلك لك بعافية تامة ، ونعمة
عامة ؛ فتواب الله خير لك منه ، وما عند الله خير له منك ، وأحق ما صبر عليه
ماليس إلى تغييره سبيل .

لابن إسحاق
يعزى بعض
الخلفاء

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخلفاء يعزيه : إن أحق من عرف حق الله
فيما أخذ منه ، من عرف نعمته فيما أبقى عليه . يا أمير المؤمنين ، إن الماضي
قبلك هو الباقي لك ، والباقي بعدك هو المسأجور فيك ، وإن النعمة على الصابرين
فيما ابتلوا به أعظم منها عليهم فيما يعافون منه .

الرشيد وعبد
الملك بن صالح

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين
قد أصيب الليلة بآبن له ووُلِدَ له آخر ! فلما دخل عليه قال سرى الله يا أمير المؤمنين
فيما ساءك . ولا ساءك فيما سرى ، وجعل هذه بهذه ، مشوبة على الصبر ، وجزاء
على الشكر .

المأمون يعزى أم
الفضل بن سهل

ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزئها بابنها الفضل بن سهل فقال :
يا أُمَّه ، إنك لم تفقدى إلا رؤيتيه ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا أمير المؤمنين ،
إن رجلا أفادنى ولداً مثلك لجدير أن أجزع عليه .

من عمر بن عبد
العزيز إلى عماله
بعد موت ولده

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إن عبد الملك
كان عبداً من عبيد الله ، أحسن الله إليه وإلى فيه ؛ أعاشه ما شاء وقبضه حين شاء

وكان - ما علمت - من صالحى شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحريبا للخير ، وأعوذ بالله أن يكون لى محبة أخالف فيها محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن فى إحسانه إلى ، وتتابع نعمه على ، ولأعلن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ؛ قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه .

- ٥ دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك وقد توفى ابنه أيوب فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يقول : من أحب البقاء - ولا بقاء - فليوطن نفسه على المصائب .

عزاء زياد
سليمان بن
عبد الملك فى ابنه

لما مات معاوية دخل عطاء بن أبي صيفى على يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين أصبحت رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ؛ فاحتسب على الله أعظم الرزية وأشكره على أحسن العطية .

لعطاء يعزى
يزيد فى معاوية

- ١٠ عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، أعد لما ترى عدة تكن لك جنة من الحزن وسترا من النار ! فقال عمر : هل رأيت حزنا يُحتج به ، أو غفلة يذبه ^(١) عليها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعله وانتباهه لكننته ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

لابن الوليد يعزى
عمر بن عبد العزيز
فى ابنه

- ١٥ وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يرد عليه شيئا ؛ ثم دنا إليه آخر فعزاه فلم يرد عليه شيئا ، فلما رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه ؛ فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركت الناس وهم لا يعزون بامرأة إلا أن تكون أمًا ، انقلبوا رحمكم الله .

عمر بن عبد العزيز
فى وفاة أخيه

- ٢٠ وجد فى حائط من حيطان تبع مكتوباً :
أَصْرِبْ لِدَهْرٍ نَالَ مِنْهُ . لَكَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَسَرِّحْ وَحُزْنَ مَرَّةً . لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا السُّرُورُ

لبعض الشعراء
فى التذرية

(١) فى بعض الأصول : يذوب ، أى يذوب شيئا فمقتل يعطيه العيشة

وهذا نظير قول العتابي :

للعنابي

وقائلةٍ لِمَا رَأَيْتِي مُسَهَّداً ۞ كَأَنَّ الحِشَاءَ مِنِّي تَلَدَعُهُ الجُرُ
أَبَاطِنُ دَاءٍ أَمْ جَوَى بَكَ قَاتِلٌ ۞ فقلتُ الذي بي ما يقومُ له صَبْرُ
تَفَرُّقِ الأَافِ وموتُ أَحِبَّةٍ ۞ وفقدُ ذَوِي الأفضالِ قالت كذا الدهرُ

لابن طاهر يعزى
المتوكل في ابنه

كتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزيه بآبن له :

إني أعزبك لا أني على ثقةٍ ۞ من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزى بباقي بعد ميته ۞ ولا المعزى وإن عاش إلى حين

لأبي عبيدة

وقال أبو عبيدة :

فإن أشك من ليلى بجرجان طوله ۞ فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصر
وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهم ۞ فقلت لها : لا علم لي فسلي القدر

الحكيم يعزى
سليمان بن عبد
الملك في ابنه

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أصيب بابنه أيوب : يا أمير المؤمنين
إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه : فإن رأيت أن تقدم ما أخرت العجزة فترضى
ربك وتريح بدنك من حسن العزاء والصبر على المصيبة ، فافعل .

للحسن يعزى عمر
ابن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه في ابنه عبد الملك بيت شعر : وهو :
وعوّضت أجراً من فقيد فلم يكن ۞ فقيدك لا يأتي وأجرُك يذهب

للاسكندر يعزى
أمه عن فقده

ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه أن أصنعى طعاماً يحضره الناس
ثم تقدمي إليهم أن لا يأكل منه محزون . ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده :
فقلت : ما لكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ،
وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ! فقلت : مات والله ابني ! وما أوصى
إلي بهذا إلا ليعزيني به !

لسهل بن هارون
في التعزية

وكان سهل بن هارون يقول في تعزيتيه : إن أجر التهنئة بأجل الثواب أو جِب
من التعزية على عاجل المصيبة .

كِتَابُ الْيَسْتِيْمَةِ

فِي النَّسَبِ وَفَضَائِلِ الْعَرَبِ

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النوادر والمراثي ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسُلم إلى التواصل : به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يُعَدَّ من الناس .

وفي الحديث : تعلموا من النسب ما تعرفون به أحسابكم وتصلون به أرحامكم .

وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنييط السواد : إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا .

أصل النسب

قال معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب ، قال : ولد نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافث ؛ فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والنبط ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

أصل قريش

كانت قريش تُدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين في بني كنانة ، فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، من كل أوب إلى البيت ؛ فسُموا قريشا . والنقرش : التجميع . وسُمي قصي بن كلاب

بجمعاً ، فقال فيه الشاعر :

قُصِيَ أَيْوَكُم مَن يُسَمَّى مُجْمَعاً ۝ بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

وقال حبيب :

غَدُوا فِي نَوَاحِي نَعِيشِهِ وَكَأَنَّمَا ۝ قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجْمَعٌ

يريد بجمع قصي بن كلاب ، وهو الذي بنى المشعر الحرام ، وكان يقوم (١)

عليه أيام الحج ؛ فسماه الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده . وإنما جمع قصي

إلى مكة بنى فهر بن مالك ، فجندم قريش كلها فهر بن مالك ؛ فما دونه قريش

وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر ؛ وأما قبائل قريش

فإنها تنتهى إلى فهر بن مالك لا تتجاوزه ، وكانت قريش تسمى آل الله ،

وجيران الله ، وسكان الله .

وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي ذِمَّتِهِ ۝ لَمْ نَزَلْ فِيهَا عَلَى عَهْدِ قَدُمٍ

إِنَّ لِلبَيْتِ لِرَبًّا مَانِعًا ۝ مَن يُرِذُ فِيهِ بِأَسْمٍ يُحْتَرَمُ

لَمْ نَزَلْ لِلَّهِ فِينَا حُرْمَةً ۝ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنَّا النَّقَمَ

ل عبد المطلب في
قومه

وقال الحسن بن هاني في بعض بني شيبه بن عثمان الذين بأيديهم مفاتيح الكعبة :

لأن نواس في
مدح بني شيبه

إِذَا اشْتَعَبَ النَّاسُ الْبُيُوتَ فَأَتَمُّ ۝ أَوْلُو اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَحْرَمِ

نسب قريش

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : تسمية من انتهى إليه الشرف

من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام ، عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : هاشم ،

وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتميم ، ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم .

فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب ، يسق الحجاج في الجاهلية ،

بنو هاشم

وبقى له ذلك في الإسلام .

(١) في بعض الأصول : « يسرج » .

- بنو أمية : ومن بنى أمية : أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حمت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه .
- بنو نوفل : ومن بنى نوفل : الحرث بن عامر ، وكانت إليه الرفاة ، وهي ما كانت تُخرج من أموالها وترفد به مُنقطع الحاج .
- بنو عبد الدار : ومن بنى عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضاً في بنى عبد الدار .
- بنو أسد : ومن بنى أسد : يزيد بن زَمعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة ؛ وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافقه ولَّاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً ؛ واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف .
- بنو تيم : ومن بنى تيم : أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق ، وهي الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه .
- بنو مخزوم : ومن بنى مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة ؛ فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ؛ وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .
- بنو عدى : ومن بنى عدى : عمر بن الخطاب ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية ؛ وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به .
- بنو جهم : ومن بنى جهم : صفوان بن أمية ، وكانت إليه الأيسار ، وهي الأزمات ؛ فكان لا يُسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي يتسرون على يديه .
- بنو سهيل : ومن بنى سهيل : الحرث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سمَّوها لأهلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية ، وهي : السقاية ، والعمارة ، والعقاب ،
والرفادة ، والسدانة ، والحجابة ، والندوة ، والذراء ، والمشورة ، والأشناق ، والقبعة ،
والأعنة ، والسفارة ، والأيسار ، والحكومة ، والأموال المحجرة - إلى هؤلاء
العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت في أوليتهم ، يتوارثون ذلك كإبراً
عن كابر ؛ وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم ؛ وكان كل شرف من شرف الجاهلية
أدرکه الإسلام فوصله ، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان
النفر في بني هاشم .

فأما السقاية فمعرفة ، وأما العمارة فهو ألا يتكلم أحد في المسجد الحرام
يهجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته . وكان العباس ينههم عن ذلك .

وأما حلوان النفر ، فإن العرب لم تكن تملكُ عليها في الجاهلية أحداً ، فإن
كان حرب أفرعوا بين أهل الرياسة ، فن خرجت عليه القرعة أحضره ، صغيراً
كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أفرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو
صنير فأجلسوه على المن .

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهاب قال : حدثني أبو ذكوان عن أحمد
بن يزيد الأنطاكي أنه سمع المأمون يقول لأبي الطاهر الذي كان على البحرين : من
أى قريش أنت ؟ قال : من بني أسامة بن لؤي ، فقال المأمون : ما سمعنا لأسامة
ابن لؤي نسباً في بطوننا العشرة ، لو عَلِمْنَا به على بُعده منا لكننا به بررة .

فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعلي بن أبي طالب : أخبرنا عنكم وعن بني أمية . فقال : بنو أمية أغدرُ
وأمكر وأفجر ، ونحن أصبح وأفصح وأسمح .

وسأل رجل الشَّعْبِيَّ عن بني هاشم وبني أمية ، فقال : إن شئت أخبرتك ما قال
علي بن أبي طالب فيهم . قال : أخبرني . قال : أما بنو هاشم فأطعمها للطعام ،
وأضربها للهام ؛ وأما بنو أمية فأبعدها حِلْمًا وأطابها للأمر الذي لا يُنال فينالونه .

ولماوية قيل لمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم . قال : بنو هاشم أشرف واحداً ، ونحن أشرف عدداً ، فما كان إلا كلاً ولا ، حتى جاؤا بواحدة بذت الأولين والآخرين . يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وبقوله : أشرف واحداً : عبد المطلب ابن هاشم .

الرشيد وأموي الرياشي عن الأصمعي قال : تصدى رجل من بني أمية لهارون الرشيد فأثدده :
يا أمين الله إني قائل * قول ذي فهمٍ وعلمٍ وأدبٍ
عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشمياً * وهما بعدُ لِأُمِّ ولِأَبِّ
فاحفظ الأرحام فينا إنما * عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلب
لكم الفضل علينا ، ولنا * بكمُ الفضل على كلِّ العربِ
فأحسن جائزته ووصله .

سفيان الثوري يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خَلَقَ الخَلْقَ
لجعلني في خيرٍ خَلَقَهُ ، وجعلهم أفرأفًا لَجَعَلَنِي في خيرِ فرقةٍ ، وجعلهم قبائلَ لَجَعَلَنِي
في خيرِ قبيلةٍ ، وجعلهم بيوتًا لَجَعَلَنِي في خيرِ بيتٍ . فأنا خيركم بيتًا وخيركم نسبا .
وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ سببٍ ونسبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا
سببي ونسبي .

جماعة بني هاشم بن عبد مناف

وجماعة قريش

عبد المطلب عبد المطلب بن هاشم ولده عشرة بنين ، منهم : عبد الله أبو محمد صلى الله
عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزبير ، أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية . والعباس ،
وضرار ، أمهما نائلة النمرية . وحزمة ، والمقوم ، أمهما هالة بنت وهيب .
وأبو لهب ، أمه لبنى خزاعية . والحارث ، أمه صفية من بني عامر بن صعصعة .
والغيداق ، أمه خزاعية .

جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

وهو أمية الأكبر : حرب بن أمية ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ،
وعمر بن أمية ، وأبو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العنابس ، والعاص ، وأبو العاص ،
والعيص ، وأبو العيص ؛ وهؤلاء يقال لهم الأعياص ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان ،
وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ،
ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

جماعة بني نوفل

الحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومطعم بن نوفل ، ومنهم عدى بن الحيار
ابن نوفل ؛ ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ؛ وهو كاتب المصاحف
لعمر بن الخطاب ؛ ومسلم بن قرطه ، قتل يوم الجمل .

جماعة بني عبد الدار

عثمان بن طلحة ، صاحب الحجابة ؛ وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة ؛ والحارث
ابن علقمة بن كعدة ، كان رهينة قريش عند أبي يكسوم ؛ والنضر بن الحرث بن
علقمة بن كعدة ، بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبغاً ،
أمر علي بن أبي طالب فقتله يوم الأثيل .

جماعة بني أسد بن عبد العزى

منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية ابنة عبد المطلب ، ويزيد
ابن زمعة بن الأسود صاحب المشورة ؛ وأبو البخترى ، واسمه العاص بن هشام
ابن الحرث بن أسد ؛ وورقة بن نوفل بن أسد ، هو الذي أدرك الإيمان بعقله
وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بني تميم بن مرة

منهم أبو بكر الصديق ، وطلمجة بن عبيد الله ، وعمرو بن عبد الله بن معمر ،
وعبد الله بن جدعان ، وعلى بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، والمهاجر بن فهد بن
عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

جماهير مخزوم بن مرة

منهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ،
وعبد الرحمن بن الحرث ، وعمرو بن حُرَيْث ، وأبو جهل بن هشام بن
المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ،
وعبد الله بن المهاجر ، وعمار بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل بن هشام بن
المغيرة — ولي المغيرة المدينة وضرب سعيد بن المسيب — ومنهم سعيد بن المسيب
ابن أبي وهب الفقيه .

جماهير عدى بن كعب

منهم : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من
أصحاب حراء ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولي الكوفة
لعمر بن عبد العزيز ، وسراقة بن المعتمر ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ،
والنعمان بن عدى بن النضلة ، استعمله عمر على مَيْسَانَ ، وعبد الله بن مطيع ،
وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضياً لعمر بن العاص
بمصر : فقتله الخارجي وهو يظنه عمرو بن العاص ، وقال فيه : أردت عمراً
وأراد الله خارجة !

جماهير جمح

منهم : صفوان بن أمية ، من المؤلفات نلوبهم ، وأمّية بن خلف ، قتل يوم

بدر ؛ وأبى بن خلف ؛ ومحمد بن حاطب ؛ وجميل بن معمر بن حذافة ؛ وأبو عزة وهو عمرو بن عبد الله ؛ وأبو محذورة ، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى سهم

الحرث بن قيس ، صاحب حكومة قريش ؛ وعمرو بن العاص ؛ وقيس بن عدى ؛ وأخيس بن حذافة ، ومنبه ؛ ونبيه ، ابنا الحجاج ؛ ومنهم العاصي بن منبه ، قُتل مع أبيه ، قُتل على وأخذ سيفه ذا الفقار ، فصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لؤى

منهم : سهيل بن عمرو ، من المؤلفة قلوبهم ؛ ومنهم ابن أبي ذئب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ؛ وحويطب بن عبد العزى ، من المؤلفة قلوبهم ؛ وعبد الله بن مخزومة ، بدرى ؛ ونوفل بن مساحق ؛ وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، الفقيه ؛ وعبد الله بن أبي سرح ، بدرى ؛ ومنهم ابن أم مكتوم ، مؤذن النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير بنى محارب بن فهر بن مالك

منهم : الضحاك بن قيس الفهري ، وحبيب بن مسلمة .

جماهير بنى الحارث بن فهر بن مالك

منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، أمين هذه الأمة ؛ وسهيل ؛ وصفوان ، ابنا وهب ؛ وعياض بن غنم بن زهير ؛ وأبو جهم بن خالد ؛ وبنو الحرث . هؤلاء من المطيبين الذين تحالفوا وغمسا أيديهم في حفنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش

بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وهم قريش الظواهر لأنهم

نزلوا حول مكة وما والاها^(١) .

فمن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، من المهاجرين الأولين .

ومن بنى محارب بن فهر : الضحاك بن قيس الفهري ، صاحب مرج راهط .

وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشرة التي ذكرناها قبل هذا الباب .

ومن بطون قريش

بنو زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي . منهم وهب بن عبد مناف بن زهرة ، أبو أمية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، خال النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم بنو حبيب بن عبد شمس ؛ ومنهم عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحب العراق ؛ ومنهم بنو أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه عيلة ، فيقال لهم العبلات ؛ وبنو عبد العزى بن عبد شمس ، منهم أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج ابنته التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : « وليكنَّ أبا العاص لم يُذمَّ صهره » ؛ ومنهم بنو المطلب بن عبد مناف ؛ ومنهم محمد بن إدريس الشافعي .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : المطعم بن عدى .

ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخويننا عبد شمس ونوفلاً هـ أعيدُ كما أن تبعثنا بيننا حرباً

٢٠ وولد أمية الأكبر : العاص ، وأبا العاص ، والعيص ، وأبا العيص ، فهؤلاء

يقال لهم الأعياص ، وحرباً وأباحرب ، وهذه البطون التي ذكرنا كلها من قريش ليست من البطون العشرة التي ذكرناها أولاً وذكرنا جماهيرها .

(١) في بعض الأصول : « نزلوا حول مكة وليست لهم » .

فضل قريش

قال النبي عليه السلام : الأئمة من قريش . وقال : قدموا قريشا ولا تقدموها .
ولما قُتل النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف ، قال : « لا يُقتل قرشي
صبراً بعد اليوم » يريد أنه لا يكفر قرشي فيقتل صبراً بعد هذا اليوم .

الأصمعي قال : قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السملاء :
يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رئة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ،
وتيامنوا عن شذشنة تغلب ، ليست فيهم غمضة قضاة ، ولا طمطممانية حمير .
قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين ، [قريش] . قال : صدقت ! فن
أنت ؟ قال : من جرم . قال الأصمعي : جرم فصحاء العرب .

قدم محمد بن عمير بن عطار في نيف وسبعين راكباً ، فاستزارهم عمرو بن
عتبة ، قال : فسمعتة يقول : يا أبا سفيان ، ما بال العرب تطيل كلامها وأتم
تقصرونه معاشر قريش ؟ فقال عمرو بن عتبة : بالجندل يُرعى الجندل ، وإن
كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ، ويُكنى بأولاه ويُستشفي بأخراه ، يتحدر
تحدر الزلال على الكبد الحزى ، ولقد نقصوا وأطال غيرهم فما أخلوا^(١) ،
ولله أقوام أدركتهم كأنما خلَقوا لتحسين ما قبَّحت الدنيا ، سهلت ألقاظهم كما
سهلت عليهم أنفاسهم ، فابتذلوا أموالهم ، وسانوا أعراضهم ، حتى ما يجد الطاعن
فيهم مطعنا ، ولا المادح مزيدا ، ولقد كان آل أبي سفيان مع قلتهم كثيرا منه
نصيبتهم ، والله درُّ مولاهم حيث يقول :

وضع الدهر فيهم شفرتيه ه فضى سالمي وأمساوا شعوبا

شفرتان والله أفنتا أبدانهم ، وأبقنا أخبارهم ، فتركناهم حديثا حسنا في الدنيا ،
ثوابه في الآخرة أحسن ، وحديثا سيئا في الدنيا ، ثوابه في الآخرة أسوأ ،
فيامو عوظا بمن قبله موعوظا به من بعده ، اربح نفسك إذا خسرها غيرك .

(١) في بعض الأصول : « ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد » .

قال : فظننت أنه إن أراد أن يعلبه أن قریشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلمت .

العتبي قال : شهدت مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين ، فقتبأحوا في موارد وتجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال : إن لقریش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكلّ عنها الشفار المشحودة : ولو احتفلت الدنيا ما تزيت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أخلاقهم ؛ وإن قوما منهم تخلقوا بأخلاق العوام فصار لهم رفق بالثؤم ، وخرق في الحرص ولو أمكنهم لقاسموا الطير في أرزاقها ؛ إن خافوا مكروهاً تعجلوا له الفقر ؛ وإن عجّلت لهم النعم أخروا عنها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وعجزة حملة الشكر .

ابن عتبة
وقرشيون
تشاحوا

قال أبو العيناء الهاشمي : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز كلام ، فلما أصبح رجع عنه ؛ فقالوا له : ألم تقل أمس كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأقوال إذا اختلفت الأحوال .

محمد بن الفضل
وقوم

ودخل محمد بن الفضل على والي الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحق استوى عندى الهاشمي والنبطي . فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالاتهما عندك فما ذلك بزائد النبطي زينة ليست له ، ولا ناقص الهاشمي قدراً هو له ، وإنما يلحق النقص المسوي بينهما !

بينه وبين والي
الأهواز

العتبي قال : قال عمرو بن عتبة : اخنصم قوم من قریش عند معاوية فنعوا الحق ، فقال معاوية : يامعشر قریش ، ما بال قوم لآيم يصلون بينهم ما انقطع ، وأنتم لعلات تقطعون بينكم ما وصل الله ، وتباعدون ما قرب ؟ بل كيف ترجون لغيركم وقد عجّزتم عن أنفسكم ؟ تقولون كفانا الشرف من قبلنا ؛ فعندها لزمتمكم الحجة : فاكفوه من بعدكم كما كفاكم من قبلكم ، أو تعلقون أنكم كنتم رقاعاً في جنوب العرب ، وقد أخرجتم من حرم ربكم ، ومنعتم ميراث أيسكم وبلدكم ، وأخذ لكم ما أخذ منكم ؛ وسماكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردّ به كيد العجم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ لا يلاف قریش إلا لافهم ﴾ فارغبوا

لابن عتبة ينصح
قرشيين

في الائتلاف أكرمكم الله به ، فقد حذرتمكم الفرقة نفسها ، وكفى بالتجربة واعظاً .

مكان العرب من قريش

يحيى بن عبد العزيز ، عن أبي الحجاج رياح بن ثابت ، عن بكر بن خنيس ،
عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينهض إلا بالجناحين .

قال عمرو بن عتبة : ما استدر لعمى كلام قط فقطعه ، حتى يذكر العرب بفضل
أو يوصى فيهم بخير . ولقد أنشده مروان ذات يوم للنابغة حيث يقول :

فهم درعى التي استلأمت فيها • إلى يوم النّسار وهم مجنّى

فقال معاوية : ألا إن دروع هذا الحى من قريش إخوانهم من العرب ،
المتشابكة أرحامهم تشابك حلق الدرع ، التي إن ذهب حلقه منه فرقت بين أربع ؛
ولا تزال السيوف تذكره مذاقة لحوم قريش ما بقيت دروعها معها ، وشدت
نطقها عليها ، ولم تفك حلقها منها ؛ فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جزراً .

العبي عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال : عقلت النساء أن يلدن مثل عمى ؛
شهدته يوماً وقد قدمت عليه وفود العرب ، ففضى حوائجهم وأحسن جوائزهم ؛

فلما دخلوا عليه ليشكروا سبقهم إلى الشكر ، فقال لهم : جزاكم الله يامعشر العرب
عن قريش أفضل الجزاء ؛ بتقدمكم إياهم في الحرب ، وتقديمتكم لهم في السلم ،
وحقتكم دماهم بسفكها منكم ؛ أما والله لا يؤثر عليكم غيركم منهم إلا حازم
كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجز لئيم ؛ شجرة قامت على ساق ، فتنزع أعلا
واجتمع أصلها ، عضد الله من عضدها ، فيالها كلمة لو اجتمعت ، وأيدياً لو اتلفت !
ولكن كيف بإصلاح ما يريد الله إفساده ؟

فضل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو الحجاج رياح بن ثابت ، قال : حدثنا بكر
ابن خنيس ، عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتكم الجرائح فاسألوا العرب ؛ فإنها تعطى لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله . ثم قال : « من أبغض العرب أبغضه الله .

لابن الكلبي

- ابن الكلبي قال : كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في أمة من الأمم : خمس منها في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ فأما التي في الرأس : فالفرق ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنثار ، وقص الشارب ؛ وأما التي في الجسد : فتقليم الأظفار ، ونف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ؛ وكانت في العرب خاصة ، القيافة ؛ لم يكن في جميع الأمم أحد ينظر إلى رجلين أحدهما قصير والآخر طويل ، أو أحدهما أسود والآخر أبيض ، فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل ، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض ، إلا في العرب .

١٠

لابن المقفع

- أبو العيناء الهاشمي عن القهذمي عن شيب بن شيدة قال : كنا وقوفاً بالمربد ، وكان المربد مآلف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع ، فبششنا به وبدأناه بالسلام ، فرد علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى دار نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ؛ فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ؛ فإن الذي تطلبونه لم تُفاته ، ومهما قضى الله لكم من شيء تناولوه ! فقبلنا وملنا ؛ فلما استقر بنا المكان قال لنا : أي الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر ؛ فما استنبطوا شيئاً يعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم بنفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طرفة . قلنا : الهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا : الترك . قال : كلاب ضالة ^(١) . قلنا : الجزر . قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

٢٠

(١) في بعض الأصول : « محتلسة » .

قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتني حظي من النسبة ، فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ؛ أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ؛ يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ؛ أدبهم أنفسهم ، ورفعتهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم وأسننهم ؛ فلم يزل جباه الله فيهم وجباؤهم في أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فن وضع حتهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ؛ ودفع الحق باللسان أكبت للجنان .

ذكر الأصمعي عن ذي الرمة قال : رأيت عبداً أسود ابني أسدٍ قدم علينا من شق النيامة ، وكان وحشياً ؛ لطول تغربه في الإبل ، وربما كان لقي الأكرة فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رأني سكن إلي ، ثم قال لي : يا غيلان ، لعن الله بلادا ليس فيها عربي ، وقائل الله الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الشَّرِيِّ مُسْتَعْرَبُ التُّرَابِ

وما رأيت هذه العرب في جميع الناس إلا مقدار الفرحه في جلد الفرس ؛ ولولا أن الله رق عليهم فجعلهم في حشاه ؛ لطمست هذه العجبان آثارهم ، والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا لتركها لهم . الأكرة : جمع أكار ، وهم الجرأت . وقوله : جعلهم في حشاه ، أي : استبطنهم . يقول الرجل للعربي إذا استبطنه : خبانك في حشاي وقال الراجز :

وصاحب كالتَّمَلِّ الْمَمْدَّه جعلته في رُقعة من جِلْدِي

وقال آخر :

لقد كنت في قوم عايك أشحية . يُجَبِّكَ إِلَّا أَنْ مَا طَاحُ طَاحُ

ذو الرمة وعبد
أسود

يَوَدُّونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ * وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفْسُ الشَّحَانِحُ

علماء النسب

- أبو بكر
وابن المسيب
- كان أبو بكر رضى الله عنه نسبة ، وكان سعيد بن المسيب نسبة ، وقال له رجل : أريد أن تعلمنى النسب ، قال : إنما تريد أن تساب الناس :
- عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر ، حتى رُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلِمَ . قَالَ عَلِيٌّ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَابَةً . فَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : مِنْ رِبِيعَةَ . قَالَ : وَأَيُّ رِبِيعَةَ أَنْتُمْ ، أَمِنْ هَامَتَهَا [أَمْ مِنْ هَازِمِهَا] ؟ قَالُوا : مِنْ هَامَتَهَا الْعَظْمَى . قَالَ : وَأَيُّ هَامَتَهَا الْعَظْمَى أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : ذُهِلَ الْآكِبَرُ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَمَنْكُمْ عَوْفُ بْنُ مَحَلْمٍ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : لَا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ جَسَّاسُ بْنُ مَرَّةٍ الْحَامِيُّ الذَّمَارُ ، وَالْمَانِعُ الْجَارُ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ أَحْوَالُ الْمَلُوكِ مِنْ كِنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَمَنْكُمْ أَصْهَارُ الْمَلُوكِ مِنْ لَحْمٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَلَسْتُمْ ذُهِلًا الْآكِبَرُ ، أَنْتُمْ ذَهَلُ الْأَصْغَرِ . فَقَامَ إِلَيْهِ غَلَامٌ مِنْ شَيْبَانَ حِينَ بَقَلَ وَجْهَهُ ، يُقَالُ لَهُ دَعْفَلُ ، فَقَالَ :
- ١٥

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ * وَالْعِبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمَلَهُ

- يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكنتمك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش ؟ قال : بخ بخ ! أهل الشرف والرياسة : فمن أى قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال : أمكنت والله الراى من سواء الشجرة . أفينكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل فسمى بجمعا ؟ قال : لا . قال : أفينكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْتَنْتُونَ بِحِجَافٍ ؟ قال : لا . قال : فنكم شيبه الحمد ، عبد المطلب ، مطعم طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟
- ٢٠

قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الغلام :

صَادَفَ دَرُّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ ۖ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهُ

قال : فتبسم النبي عليه السلام : قال علي : فقلت له : وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على بائقة . قال : أجل : قال : مامن طامة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

قال ابن الأعرابي : بلغني أن جماعة من الأنصار وقفوا على دَعْفَلِ النسابة بعد ما كف ، فسلموا عليه ، فقال : من القوم ؟ قالوا : سادة اليمن . فقال : من أهل مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كسدة ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الطوال قسبا المدحسون نسبا ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أقودها للزحوف ، وأخرقها للصفوف ، وأضرها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أحضرها قراء ، وأطيبها فناء ، وأشدّها لقاء رهط حاتم بن عبد الله [الطائي] ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الغارسون للنخل ، والمطمعون في المحل ، والقائلون بالعدل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

مسئلة بن شبيب ، عن المنقري ، قال : ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس قال : خرجت حاجا ، حتى إذا كنت بالمحصب من منى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم سحجن ، يُنحون الناس عنه ويوسعون له : فلما رأيتهم دتوت منه : فقلت : من الرجل ؟ قال : رجل من مهرة ، ممن يسكن الشجر . قال : فكرهته ووليت عنه ، فناداني من ورأى : مالك ؟ فقلت : لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك . قال : إن كنت من كرام العرب فسأعرفك . قال : فكررت عليه راحلتي ، فقلت : إني من كرام العرب . قال : فمن أنت ؟ قلت : من مضر . قال : فمن الفرسان أنت أم من الأرحاء ؟ فعلبت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالأرحاء خندفا : فقلت : بل من الأرحاء . قال : أنت امرؤ من خندف ؟ قلت : نعم . قال : من الأرنبة

- أنت أم من الجمجم ؟ فعلت أنه أراد بالأرنبه خزيمه ، وبالجمجمه بنى أد بن طابحه ؛
قلت : بل من الجمجمه . قال : فأنت امرؤ من بنى أد بن طابحه ؟ قلت : أجل ؛
قال : فمن الدوانى أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلت أنه أراد بالدوانى الرباب
ومزينة ، وبالصميم بنى تميم ؛ قلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من بنى تميم .
٥ قلت : أجل . قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين ، أو من إخوانهم
الآخرين ؟ فعلت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناة ، وبالأقلين ولد الحارث ،
وبإخوانهم الآخرين بنى عمرو بن تميم ؛ قلت : من الأكثرين ، قال : فأنت إذاً
من ولد زيد ، قلت : أجل ؛ قال : فمن البحور أنت أم من الجُدود أم من الثماد ؟
فعلت أنه أراد بالبحور بنى سعد ، وبالجدود بنى مالك بن حنظلة ، وبالشماد
بنى امرئ القيس بن زيد ؛ قلت : بل من الذرى . قال : فأنت من مالك بن حنظلة .
١٠ قلت : أجل . قال : فمن اللهاب أنت أم من الشعاب أم من اللصاب ؟ فعلت
أنه أراد باللهاب مجاشعا ، وبالشعاب نهشلا ، وباللصاب بنى عبد الله بن دارم ؛
فقلت له : من اللصاب . قال : فأنت من بنى عبد الله بن دارم ؟ قلت : أجل .
قال : فمن البيوت أنت أم من الزوافر ؟ فعلت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ،
وبالزوافر الأحلاف ؛ قلت : من البيوت . قال : فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة
١٥ ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لايك امرأتان ، فأيهما أمك ؟

قول دغفل في قبائل العرب

- دغفل وزباد الهيثم بن عدى عن عوانة قال : سأل زياد دغفلا عن العرب ، فقال :
الجاهلية ليمن ، والإسلام لمضر ، والفينة بينهما لربيعة . قال : أخبرني عن مضر ؛
٢٠ قال : فاخر بكنانة ، وكأثر بتميم ، وحارب بقيس ؛ ففيها الفرسان والأنجاد ؛
وأما أسد ففيها دل وكبر .

- دغفل ومعاوية وسأل معاوية بن أبي سفيان دغفلا فقال له : ما تقول في بنى عامر بن صعصعة ؟
قال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء ؛ قال : فما تقول في بنى أسد ؟ قال : عاقه قافة ،
فصحاء كافة . قال : فما تقول في بنى تميم ؟ قال : حجر أخشن ، إن صادفته آذاك ،

وإن تركته أعفاك . قال : فما تقول في خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ! قال :
فما تقول في اليمن ؟ قال : شدة وإباء .

قال نصر بن سيار :

إنا وهذا الحمى من يمن لنا ، عند الفخار أعزة أكفاء
قوم لهم فينا دماء جمّة ، ولنا لديهم أجنة ودماء
وربيعة الأذنان فيما بيننا ، لا هم لنا سلم ولا أعداء
إن ينصرونا لا نعز بنصرهم ، أو يتخذونا فالسباء سماء

مفاخرة يمن ومضر

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك - وهما عند هشام بن
عبد الملك - فقال له خالد : قل . فقال الأبرش : لنا ربيع البيت - يريد الركن
اليمني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة .

قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا
الخليفة المؤمل .

قال الأبرش : لا فاخرت مضر يا بعدك !

ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بتقديمهم
وحدثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال
أمير المؤمنين [وأهله] ! قال : لا بد أن تقول . قال : وما [عنى أن] أقول لقوم
يا أمير المؤمنين هم بين حائك برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ؛ دل عليهم هدهد ،
وملكتهم امرأة ، وغرقتهم فأرة ؟ فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

الخشني يرفعه إلى أنس ، قال : تفاخرت الأوس والخزرج ؛ فقالت الأوس :
منا غسيل الملائكة حظلة الراهب ، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذي حمت

لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمه بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد ابن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب سيد القراء ؛ ومنا الذي أيده الله بروح القدس في شعره ، حسان ابن ثابت .

البيوتات

قال أبو عبيدة في كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان في سمرة علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فاتفقوا على خمسة أبيات : بيت بني معاوية الأكرمين في كندة ، وبيت بني جشم بن بكر في تغلب ، وبيت ابن ذى الجدين في بكر ، وبيت زُرارة بن عدس في تميم ، وبيت بني بدر في قيس - وفيهم الأحرز بن مجاهد التغلبي ، وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما يخوضون فيه ؛ فقال له عبد الملك : مالك يا أحرز ساكتا منذ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم علما . قال : وما أقول ؟ سبق أهل الفضل في فضلهم أهل النقص في نقصانهم ، والله لو أن للناس كلهم فرسا سابقاً لكانت غرته بنو شيبان فقيم الإكثار . وقد قال المسيّب بن علس :

١٥

تبيت الملوك على عتبتها • وشيبان إن عتبتت تعتبت
فكالشهد بالراح أخلاقهم • وأحلامهم منها أعذب
وكالمسك ترُبُ تقاماتهم • وترُبُ قبورهم أطيّب

بيوتات مضر وفضائلها

قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن مضر . فقال : كِنَانَةٌ جُمُجِمَتْهَا فِيهَا العِينَانُ ، وَأَسَدٌ لِسَانُهَا ، وَتَمِيمٌ كَاهِلُهَا . وقالوا : بيت تميم ، بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة ، وبيت قيس ، فزارة ومركزه بنو بدر ؛ وبيت بكر بن وائل شيبان ، ومركزه بنت بني ذى الجدين .

علماء النسب في
حضرة عبد الملك

لنبي صلى الله
عليه وسلم

لبعضهم

وقال معاوية للكلبي حين سأله عن أخبار العرب . قال : أخبرني عن أعز العرب معاوية والكلبي فقال : رجل رأيت به باب قبته فقسم النوى بين الخليفين أسد وغطمان معا . قال : ومن هو ؟ قال : حصن بن حذيفة بن بدر . قال : فأخبرني عن أشرف بيت في العرب . قال : والله إني لأعرفه وإني لأبغضه ! قال : ومن هو ؟ قال بيت زرارة ابن عدس . قال : فأخبرني عن أفصح العرب . قال : بنو أسد .

والمجتمع عليه عند أهل النسب . وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج ، أن أشرف بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية ، بيت بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم ، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل ، ودعا ببردَى محرق . فقال : لَيْلَبَسْ هذين البردين أكرمُ العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة . فأحجم الناس ؛ فقام الأحمير بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فقال : أنا لهما ! فأترز بأحدهما وارتندي بالآخر ؛ فقال له المنذر : وما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار كلها في مضر . ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة . قال : هذا أنت في أصلك ؛ فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة ، ونخال عشرة ! قال : فهذا أنت في عشيرتك ؛ فكيف أنت في نفسك ؟ فقال : شاهدُ العين شاهدي . ثم قام فوضع قدمه في الأرض . وقال : من أزالها فله من الإبل مائة ! فلم يقم إليه أحد ولا تعاطى ذلك . ففيه يقول الفرزدق :

فما تم في سعدٍ ولا آل مالك . غلامٌ إذا ما سيل لم يتهدل

لهم وهب النعمان بردَى محرقٍ . بمجدٍ معدٍ والعديد المحصل

ومن بيت بهدلة بن عوف كان الزبرقان بن بدر ، وكان يسمى سعد بن زيد مناة بن تميم أسعد الأكرمين . وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارذ بن عوف بن كعب بن سعد ، ثم في آل كرب بن صفوان بن عطارذ . وكان إذا اجتمع الناس أيام الحج بمسعى لم يبرح أحد حتى يحوز آل صفوان ومن

ورث ذلك عنهم ، ثم يمر الناس أرسالا . وفي ذلك يقول أوس بن مغراء

السعدى : *أما السعدى* *فما زلت أرى من أمة* *تجف على جبل* *باليوم* *بأمة*

ولا يريمون في التعريف موقفهم * حتى يُقال أجزوا آل صفوانا

ما تطلع الشمس إلا عند أولنا * ولا تغيب إلا عند آخرانا

قال الفرزدق :

ترى الناس ما سيرتنا يسرون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

بيوتات اليمن وفضائلها

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأجد نفسَ ربكم من قبَلِ اليمنِ »

لأنني صلى الله
عليه وسلم

معناه والله أعلم : أن الله ينفس عن المسلمين بأهل اليمن ؛ يريد الأنصار .

ولذلك تقول العرب : نفسني فلان في حاجتي ، إذا رَوَّحَ بعض ما كان يغمه من
أمر حاجته .

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة

لابن عباس

ركنُها ومن الشرف صميمها .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ أجودَّ العربِ ؟ قالوا : حاتم طيِّ ، قال :

أعمر بن الخطاب

فمن فارسها ؟ قالوا : عمرو بن معديكرب . قال : فمن شاعرها ؟ قالوا :

امرؤ القيس بن حجر . قال : فأى سيوفها أقطع ؟ قالوا : الصمصامة . قال : كفى

بهذا نخرًا لليمن .

وقال أبو عبيدة : ملوك العرب حمير ، ومقاولها غسان ولخم ، وعددها

لأبي عبيدة

وفرسانها الأزدي ، ولسانها مذحج ، وريحانها كندة ، وقريشها الأنصار .

وقال ابن الكلبي : حمير ملوك وأرادف الملوك ، والأزد أسد ، ومذحج الطعان

لابن الكلبي

وهمدان أحلاس الخيل ، وغسان أرباب الملوك .

ومن الأزدي الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ،

وهم أعز الناس أنفسا ، وأشرفهم همما ؛ لم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكتب إليهم أبو كرب تبع الآخر يستدعيهم إلى طاعته ويتوعدهم إن لم يفعلوا أن يغزؤهم ؛ فكتبوا إليه :

العبدُ تبعكم يريدُ قتالنا . ومكانه بالمنزل المتذلل
إنا أناسٌ لا ننام بأرضنا * عضَّ الرسولُ يظيرُ أم المرسلِ

قال : فغزاهم أبو كرب ، فكانوا يحاربونه بالنهار ، ويُقرونه بالليل ، فقال أبو كرب : ما رأيتُ قوماً أكرم من هؤلاء ؛ يحاربوننا بالنهار ، ويُخرجون لنا العشاء بالليل ! ارتحلوا عنهم . فارتحلوا .

لأنه صلى الله عليه وسلم

ابن لهيعة عن ابن هُبيرة عن علقمة بن وعلّة عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن سبب ما هو : أبلد أم رجل أم امرأة ؟ فقال : بل رجل وُلد له عشرة ، فسكن الين منهم ستة ، والشام أربعة . أما اليمانيون ، فكندة ومذحج والأزد وأنمار وحمير والأشعريون . وأما الشاميون فلخم وجذام وغسان وعاملة .

ابن لهيعة قال : كان أبو هريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممن هو ؟ فإذا قال من جذام ، قال : مرحباً بأصهار موسى وقوم شعيب .

ابن لهيعة عن بكر بن سواده ، قال : أتى رجل من مهرة إلى علي بن أبي طالب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من مهرة . قال : ﴿ وأذكرُ أخوا عادٍ إذ أنذَرَ قومه بالأحقاف ﴾ .

وقال ابن لهيعة : قبر هود في مهرة .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب

قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ثم العشيرة ، ثم الفصيلة .

وقال غيره : الشعوب العجم ، والقبائل العرب ، وإنما قيل للقبيلة قبيلة ، لتقابلها وتناظرها ، وأن بعضها يكافئ بعضاً ، وقيل للشعب شعب لأنه

انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ؛ وقيل لها عمائر ، من الاعتار والاجتماع ، وقيل لها بطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أخاذ ، لأنها دون البطون ، ثم العشيرة : وهي رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهي أهل بيت الرجل خاصة . قال الله تعالى : ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

تفسير الأرحاء والجماجم

وقال أبو عبيدة في التاج : كانت أرحاء العرب ستا ، وجماجمها ثمانية ، فالأرحاء الست ، بمضر منها اثنتان ، ولريبعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللنان في مضر : تيم بن مرة ، وأسد بن خزيمه ، واللنان في اليمن : كلب بن وبرة ، وطئ بن أدد . وإنما سُميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دُوراً ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب ، وذلك قليل منهم .

وقيل للجماجم جماجم ، لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكنفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكنت باسمه معروف بموضعه .

والجماجم ثمان : فاثنتان منها في اليمن ، واثنتان في ربيعة ، وأربع في مضر فالأربع التي في مضر : اثنتان في قيس ، واثنتان في خندف ، ففي قيس : غطفان وهوازن ، وفي خندف : كنانة وتميم ، والتي في ربيعة : بكر بن وائل وعبد القيس ابن أفضى ، والتي في اليمن : مذحج - وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ - وقضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

ألا ترى أن بكرا وتغلب ابني وائل قبيلتان متكافئتان في العدد والعدد ؟ فلم يكن في تغلب رجالٌ شُهرت أسماءهم حتى انتسب إليهم واجتري بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من بني تغلب لم يجتري حتى يقول تغلبي . ولبكر

رجال قد اشتهرت أسماءهم حتى كانت مثل بكر ، فنها شيبان وعجل ويشكر وقيس
وحنيفة وذهل .

ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها في النسب ليس بينها وبين
ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة ، فلا يجتزئ الرجل منهم إذا سئل
أن يقول : عنزي ؟

والرجل من عبد القيس ينسب شيبانيا وجرميا وبكريا .
ومثل ذلك أن ضبة بن أدم تميم لا يجتزئ الرجل منهم أن يقول : ضبي .

والتيمي قد ينسب فيقول : منقري ، وهجيمي ، وطهوي ، ويربوعي
ودارمي ، وكبي .

وكذلك الكناني ينسب فيقول : لبثي ، ودؤلي ، وضمري ، وفراسي ، وكل
ذلك مشهور معروف .

وكذلك الغطفاني ينسب فيقول : عبي ، وذيباني ، وفزاري ، ومري ،
وأشجعي ، وبغضي .

وكذلك هو ازن منها : ثقيف ، والأعجاز ، وعامر بن صعصعة ، وقشير ،
وعقيل ، وجعدة .

وكذلك القبائل من يمن التي ذكرنا .

فهذا فرق ما بين الجماع وغيرها من القبائل ، والمعنى الذي به سميت جماجم .
وجمرات العرب أربعة ، وهم : بنو تميم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن
كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عيس بن بغض ، وإنما قيل لهما الجمرات لاجتماعهم ،
والجمرة : الجماعة ، والتجمير : التجميع .

أسماء ولد نزار

سطيح وتقسيم
ميراث نزار

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني : لما احتضر نزار بن معد بن
عدنان ، ترك أربعة بنين : مضر ، وربيعة ، وأمار ، وإياد ، وأوصى أن يقسم

ميراثهم بينهم سطيح الكاهن : فلها مات نزار ، صفهم سطيح بين يديه ، ثم أعطاهم على الفراسة : فأعطى ربيعة الخيل ، ويقال له ربيعة الفرس . وأعطى مضر الناقة الجراء ، فيقال له مضر الجراء . وأعطى أثماراً الحمار . وأعطى إياباً أثاث البيت . قال : فقيل لسطيح : من أين علمت هذا العلم ؟ قال : سمعته من أخي حين سمعته من موسى يوم طور سيناء .

الأصمعي قال : أخبرني شيخ من تغلب ، قال أردقني أبي ، فلما أضحى رفع عقيرته فقال : *نا منه رجلاً نخرجاً به ، إن كنت ذلك لك*

شعر لبيعة ابن نزار

رَأْتِ سِدْرَةَ مِنْ سِدْرٍ حَوْءٍ لَ قَابَتَتْ هـ بِهِ بَيْتَهَا أَنْ لَا تُعَاذِرَ رَامِيَا

إِذَا هِيَ قَامَتْ فِيهِ قَامَتْ ظِلِيلَةٌ هـ وَأَذْرَكَ رَوْقَاهَا الْغُصُونَ الدَّوَانِيَا

تَطَلَّعُ مِنْهُ بِالْعَيْشِيِّ وَبِالضُّحِيِّ هـ تَطَلَّعَ ذَاتِ الْخِدْرِ تَدْعُو الْجَوَارِيَا

ثم قال : أتدرى من قاتل هذه الآيات يا بني ؟ قلت : لا أدري . قال : قالها

ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية .

أنساب مضر

ولد مضر بن نزار : اليأس ، والناس ، وهو عيلان . أمهما الرباب بنت

حيدة بن معد ، فولد الناس - الذي هو عيلان بن مضر - قيس بن عيلان بن مضر .

وولد اليأس بن مضر : عمرا . وهو مدركة ، وعامرا ، وهو طابخة . وعميرا ،

وهو القمعة ، ويقال إن القمعة هو أبو خزاعة .

وأمهم خندف ، وهي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ؛

فجميع ولد اليأس بن مضر بن نزار من خندف . ولذلك يقال لهم خندف لأنها

أمهم وإليها ينسبون ، فجميع ولد مضر بن نزار : قيس ، وخندف .

ومن بطون خندف : بنو مدركة بن اليأس بن مضر ، وهم : هذيل بن مدركة ،

وكنانة بن خزيمه بن مدركة ، وأسد بن خزيمه بن مدركة ، والهون بن خزيمه بن

مدركة . [ومن أسد بن خزيمه أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان ؛

فمن دودان : بنو عمرو بن دودان ، قبيلة [وهم وجزه بنو أسد .
ومن بني طابخة بن اليأس بن مضر : ضبة بن أد بن طابخة ، ومزينة ؛ وهم
بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة ؛ والرباب
بنو أد بن طابخة ، وهم عدى ، وتميم ، وثور ، وعكل ، وإنما سميت الرباب لأنها
اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الربابة ؛ ويقال إنهم إذا تحالفوا وضعوا أيديهم
في جفنة فيها رُب ، وصوفة ؛ وهو الربيط بن الغوث بن أد بن طابخة ؛ وكانوا
أصحاب الإجازة ، ثم انتقلت في بني عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة
ابن تميم ؛ وتميم بن مرة بن أد بن طابخة .

جميع قبائل مضر يجمعها قيس وخندف ؛ وقد تنسب ربيعة في مضر ؛ وإنما
هم إخوة مضر ؛ لأن ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم حيان بن هذيل ، بطن ؛ وخناعة بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وحرث
ابن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وكاهل بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصاهلة بن كاهل بن
الحارث بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصبيح بن كاهل ، بطن ؛ وكعب بن كاهل ، بطن .
فمن بني صاهلة : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
شهد بدرًا . ومن بني صبيح بن كاهل : أبو بكر الهذلي الفقيه ، ومنهم صخر بن
حبيب الشاعر ، الذي يقال فيه صخر الغي ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن
عبد شمس . ومنهم : أبو ذؤيب الشاعر ، وهو خويلد بن خالد . وبطون هذيل
كلها لا يُنسب إلى شيء منها ، وإنما يُنسب إلى هذيل ؛ لأنها ليست جمجمة .

بطون كنانة وجماهيرها

كنانة بن خزيمية بن مدركة ، منهم قریش ، وهم بنو النضر بن كنانة ؛ ومنهم بكر
ابن عبد مناة ، بطن ؛ وحديج بن ليث بن بكر بن عبد مناة ، بطن ؛ وغفار بن مُليل
ابن ضمرة بن بكر ، بطن - منهم أبو ذر الغفاري صاحب النبي عليه الصلاة والسلام

- ومدلج بن مرة بن عبد مناة ، بطن - منهم سراقه بن [مالك بن] جمشم المدلجي
الذي تصور إبليس في صورته يوم بدر وقال لقريش : إني جارٌ لكم - وبنو مالك
ابن كنانة ، بطن - منهم جذل الطعان ، وهو علقمة بن أوس بن عمرو بن ثعلبة
ابن مالك بن كنانة . ومن ولد جذل الطعان ، ربيعة بن مكدم ، وهو أشجع بيت
في العرب ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وَدِدْتُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي
بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْكُمْ ثَلَاثِينَ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . ومن بني الحارث بن مالك
بن كنانة ، منهم العملىس ، وهو أبو ثمامة الذي كان ينسئ الشهور حتى أنزل الله
فيه ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ؛ وبنو مخدج بن عامر بن ثعلبة ، بطن ؛
وبنو ضمرة في كنانة الأحابيش ، منهم البراض بن قيس الذي يقال فيه « أفنك من
البراض » ، ومن بني كنانة الأحابيش ، منهم مبذول وعوف وأحمر وعون ؛ ومن
بني الحرث بن عبد مناة : الخليس بن عمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش
يوم أحد ؛ ومن بني سعد ايث : أبو الطفيل عامر بن وائلة ، ووائلة بن الأسقع ،
كانت له صحبة مع النبي عليه الصلاة والسلام ؛ ومن بني حدج بن ليث : نصر بن
سيار صاحب خراسان ؛ ومن بني ضمرة بن بكر : عمارة بن مخشى - الذي عاهد النبي
عليه الصلاة والسلام على بني ضمرة .

بطون أسد وجماهيرها

- أسد بن خزيمه بن مدركة بن اليباس بن مضر ؛ منهم دودان الذي يقول فيه
امرؤ القيس :
قُولَا لِدُودَانَ عَيْبِدِ الْعَصَا . مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْيَاسِلِ !
ومنهم : كاهل بن عمرو بن صعب ، وحلبة ؛ فأما بنو حلبة فأفناهم امرؤ القيس
ابن حجر بأبيه ؛ ومنهم غنم بن دودان ، وثلعبه بن دودان ؛ ومنهم قعيس بن
الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ؛ ومنهم بنو الصيदा بن عمرو بن قعيس ؛
ومنهم فقعس بن طريف بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم جحوان بن فقعس ،
ودثار ، ونوفل ، ومنقذ ، وهو حذلم ، بنو فقعس ؛ فمن بني جحوان طليحة

ابن خويلد الأسدي ؛ ومن بني الصيदा شيخ من عميرة القائد ، والصامت بن الأفقم الذي قتل ربيعة بن مالك أبا لييد بن ربيعة الشاعر يوم ذي علق .
وفي بني الصيदा يقول الشاعر :

يا بني الصيِّداء ردُّوا فرسى * إنما يُفعلُ هذا بالذليلِ

ومن بني قُعيص : العلاء بن محمد بن منظور ، ولي شرطة الكوفة ؛ ومنهم
ذؤاب بن ربيعة الذي قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، ومنهم : قبيصة
ابن برمّة ، ومنهم بشر بن أبي خازم الشاعر ؛ ومن بني سعد بن ثعلبة بن دودان :
سويد بن ربيعة ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن شاس أبو عرار ، والكميت
ابن زيد ؛ ومنهم : ضرار بن الأزور صاحب المختار ؛ ومنهم بنو غاضرة بن مالك
ابن ثعلبة بن دودان ؛ ومن بني غاضرة زر بن حبيش الفقيه ، ومنهم الحسحاس
ابن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحسحاس ؛ ومن أسد بنو غنم بن دودان ؛
ومنهم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أيمن بن خريم
الشاعر ، والأقيشر الشاعر ؛ ومن بني كاهل بن أسد علباء بن الحرث الذي يقول
فيه امرؤ القيس :

وأفْلَتْهُنَّ عِلبَاءُ جريضا * ولو أدرَكنَّهُ صَفيرَ الوطابِ

الهون بن خزيمه بن مدركة

منهم القارة ، وهم عائذة ويثع ، بنو الهون بن خزيمه بن مدركة ؛ والقارة
أرعى حتى في العرب ، ولهم يقال :
* قد أنصف القارة من راماها *

فهذه قبائل بني مدركة بن اليأس ، وهي : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمه
بن مدركة ، وأسد بن خزيمه بن مدركة ، والهون بن خزيمه بن مدركة .

ومن قبائل طابخة بن اليأس

بطون ضبة وجماهيرها

ضبة بن أد بن طابخة بن اليأس : ولد ضبة بن أد سعدا وسعيداً وباسلاً ، وله
المثل الذي يقال فيه : « أسعد أم سعيد » فقتل سعيد ولم يعقب ؛ ولحق باسل
بأرض الديلم ؛ فتزوج امرأة من أرض العجم ، فولدت له الديلم . فيقال إن باسل
ابن ضبة أبو الديلم . وفي ذلك يقول أبو بَجِير يَعِيبُ به العرب :

زَعَمْتُمْ أَنَّ الْهِنْدَ أَوْلَادُ خِنْدِفٍ * وَيَدِينَكُمْ قُرْبَىٰ وَبَيْنَ الْبَرَابِرِ
وَدَيْلَمٌ مَنْ نَسَلِ ابْنِ ضَبَّةَ بَاسِلِ * وَبُرْجَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادَ وَاحِدٍ * وَصَارُوا سِوَاءً فِي أَصُولِ الْعَنَاصِرِ
بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَمْلاكَ أَكْرَمُ مِنْكُمْ * وَأَوْلَىٰ بِقُرْبَانَا مُلُوكُ الْأَكَاكِرِ

فمن بني سعد بن ضبة : بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر ، بطن . وبنو عائذة بن
مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .

ومنهم : عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ، وبنو ثعلبة بن سعد بن ضبة .
فمن بني كوز : المسيب بن زهير بن عمرو ، ومن بني زهير : عمرو بن مالك بن
زيد بن كعب ، وكان سيداً مطاعاً ، وولد له عبد الحارث ، وحصين ، وعمرو ،
وأدهم ، وذبحه ، وعامر ، وقيصة ، وحنظلة ، وخيار ، وحاتر ، وقيس ، وشيبة ،
ومنذر ، كل هؤلاء شريف قد رأس وربيع - يعني قد أخذ المربع - وكان
الرئيس إذا غنم الجيش معه أخذ الربيع .

ومن ولد الحصين بن ضرار : زيد الفوارس ، وله يقول الفرزدق :
زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ * وَأَبُو قَبِيصَةَ وَالرَّيْسُ الْأَوَّلُ
الرئيس الأول : محم بن سويط ربع ضبة وتميم والرباب .

ومن بني زيد الفوارس : ابن سُبرمة القاضي . ومن بني عائذة بن مالك :
 شُرْحاف بن المثلّم - الذي قتل عمارة بن زياد العبسي . ومن بني السيد بن مالك :
 زيد بن حصين ، ولى أصبهان . وعبد الله بن علقمة الشاعر الجاهلي . ومنهم
 عميرة بن اليثربّي قاضي البصرة ، وهو الذي قتل علباء وهند الجملي . وقال في
 قتلها يوم الجمل :

إني أنا عميرة بن اليثربّي * قتلْتُ علباء وهند الجمليّ

ومن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة : عاصم بن خليفة بن يعقل ، الذي قتل
 بسطام بن قيس .

مزينة

مزينة : بنو عمرو بن أد بن طابخة بن اليأس ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة
 كلب بن وبرة . منهم : النعمان بن مقرن ، ومنهم معقل بن سنان بن نبیثة صاحب
 النبي عليه الصلاة والسلام ، وزهير بن أبي سلمى الشاعر ، ومعن بن أوس الشاعر .
 ومنهم إياس بن معاوية القاضي . وإنما مزينة كلها بنو عثمان وأوس بن عمرو
 ابن أد بن طابخة ، وفي ذلك يقول كعب بن زهير :

متى أدعُ في أوس وعُثمان تأتني * مساعيرُ قومٍ كلُّهم سادة دِعَمُ
 هُمُ الأُسْدُ عند البأس والحشد في القري * وهُمُ عند عَقْدِ الجارِ يوفون بالذَمِّ

الرباب

وهم : عدى ، وتميم ، وثور ، وعُكل ؛ وإنما سميت هذه القبائل الرباب ،
 لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم في جفنة فيها رُب ؛ وقال بعضهم : وإنما سموا الرباب
 لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداحاً ، من كل قبيلة منهم قدح ، وجعلوها في قطعة آدم ،
 وتسمى تلك القطعة الربة ، فسموا بذلك الرباب .

فمن بني عدى بن عبد مناة بن أد بن طابخة : ذو الرمة الشاعر ، وهو غيلان
 ابن عقبه . ومن بني تميم بن عبد مناة : عمر بن لجأ الشاعر الذي كان يهاجى جريراً ؛

ومن بنى عكل بن عبد مناة : النمر بن تولب الشاعر ؛ ومن بنى ثور بن عبد مناة :
سفيان الثوري الفقيه . فهذه الرباب ، وهم بنو عبد مناة .

صوفة

- هم بنو الغوث بن مر بن آذ بن طابخة ، وفيهم كانت الإجازة في الجاهلية :
٥ هم كانوا يدفعون بالناس من عرفات ، ثم انتقلت الإجازة في بني عطارذ بن عوف
ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ فمن الغوث شرحبيل بن عبد العزى
الذى يقال له شرحبيل بن حسنة .

بطون تميم وجماهيرها

- ١٠ تميم بن مُر بن آذ بن طابخة بن اليأس بن مضر . كان لتميم ثلاثة أولاد :
زيد مناة ، وعمرو ، والحارث بن تميم .

فمن الحارث بن تميم : شقرة ، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ؛ وإنما
قيل له شقرة لبيت قاله ، وهو :

وقد أحمل الرُّمَحَ الأصمَّ كُعبَه * به من دمَاءِ القومِ كَالشَّقِرَاتِ

- ١٥ والشقيرات : هى شقائق النعمان ، شبه الدماء بها فى حرمتها .
ومن بنى شقرة : المسيب بن شريك الفقيه ، ونصر بن حرب بن مخزومة .

ومن عمرو بن تميم : أسيد بن عمرو بن تميم ، ومنهم أكثم بن صيفى حكيم
العرب ، وأبو هالة زوج خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن حجر
الأسيدي الشاعر ، وحنظلة بن الربيع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام الذى
يقال له حنظلة الكاتب .

٢٠ بنو العنبر بن عمرو بن تميم

منهم سوار بن عبد الله القاضى ، وعبيد الله بن الحسن القاضى ، وعامر بن
قيس الزاهد . ومنهم : بنو دُعَّة بنت مِغْنَجِ التى يقال فيها : « أحق من دعة » ؛

وهي من إبياد بن نزار تزوجها عمرو بن جندب بن العنبر ، فولدت له بني الهُجيم
ابن عمرو بن تميم ، ويقال لهم الجبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم ، منهم : عباد بن أخضر ، وحاجب بن ذبيان
الذي يعرف بحاجب الفيل ، ومالك بن الرّيب الشاعر ؛ ومنهم : قطري بن الفُجاءة
صاحب الأزارقة ، وسلم وأخوه هلال بن أحوز .

الحيطات

وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أن أباهم الحارث أكل طعاماً فخبط
منه ، أي ورم بطنه . منهم : عباد بن الحصين من فرسان العرب ، كان على شرطة
مصعب بن الزبير .

غيلان وأسلم وحرماز

بنو مالك بن عمرو بن تميم

فبنو غيلان : أبو الجرباء ، شهد يوم الجمل مع عائشة ، وقتل يومئذ . ومن
بنو حرماز : سُمرة بن يزيد . كان من رجال البصرة في أول ما نزلها الناس .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

الأبناء ، وهم ستة من ولد سعد بن زيد مناة ، يقال لهم : عبد شمس ، ومالك
وعوف ، وعوافة ، وجشم ، وكعب .
فبنو سعد بن زيد مناة ، وأولاد كعب بن سعد ، يسمون مُقاعس والأجارب
إلا عمراً وعوفاً ابني كعب .

فبنو عبد شمس بن سعد : تميلة بن مُرة صاحب شرطة إبراهيم بن عبد الله
ابن الحسن . وإياس بن قتادة ، حامل الديات في حرب الأزدي تميم - وهو ابن
أخت الأحنف بن قيس - وعبد بن الطيب الشاعر . وحمّان ، وهو عبد العزى
ابن كعب بن سعد .

الأجارب

هم بطنان في سعد ، وهم : ربيعة بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج كعب بن سعد . وفيهم يقول أحمر بن جندل :

ذودا قليلا تلحق الحلاب * يَلْحَقُنَا حِمَانُ والأجارب

٥ فمن بني الأجارب : حارثة بن قدامة ، صاحب شرطة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وعمرو بن جرموز ، قاتل الزبير بن العوام .

مقاعس : هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . ومن أخاذ مقاعس :

منقر بن عبيد بن مقاعس ؛ منهم قيس بن عاصم سيد الوبر ، وعمرو بن الأهم ، وخالد بن صفوان بن عمرو بن الأهم ، وشيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو

١٠ ابن الأهم . ومن بني عبيد بن مقاعس ، وهم إخوة منقر : الأحنف بن قيس ، وسلامة بن جندل ، والسليك بن سلكة رجلى العرب ، ويقال له الرئبال ، كان يُغير وحده . ومنهم عبد الله بن صفار الذي تُنسب إليه الصُفْرية . وعبد الله بن إباض الذي تُنسب إليه الإباضية . فهذه مقاعس وجماهيرها .

بنو عطاردين عوف

١٥ ابن كعب بن سعد

منهم : كرب بن صفوان بن حُباب . صاحب الإفاضة ، إفاضة الحاج يدفع بهم من عرفات ، وله يقول أوس بن مغراء :

ولا يريمون في التعريف موقِفهم * حتى يقال أجزوا آل صفوانا

قريع بن عوف

٢٠ ابن كعب بن سعد

منهم الأضبط بن قريع رئيس تميم يوم ميظ ، وبنو لآي بن أنف الناقة الذين مدحهم الحطينة ، فقال فيهم .

قومٌ همُ الأنف والأذنان غيرُهم * ومن يسوَّى بأنف الناقة الذنبا

ومنهم أوس بن مغراء الشاعر . وهذا أشرف بطن في تميم .

بهدة بن عوف

ابن كعب بن سعد

منهم الزبرقان بن بدر ، واسمه حصين . ومنهم الأحيمر بن خلف بن بهدة ،

صاحب بردى محرق ، والذي يقول فيه الفرزدق :

فيا أبنه عبد الله وأبنه مالك * ويابنت ذى البُردين والفرس النهدي

جشم بن عوف بن كعب بن سعد

يقال لبني جشم وعطارد وبهدة : الجذاع .

حنظلة بن مالك الأحمق

بن زيد مناة

البراجم خمسة من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم : غالب ، وعمرو ،

وقيس ، وكُلفة ، وظُلميم ، بنو حنظلة بن مالك الأحمق بن زيد مناة بن تميم . منهم

عُميرة بن ضابئ الذي قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة

ابن مالك بن زيد مناة بن تميم

من ولده رياح بن يربوع بن حنظلة . منهم : عتاب بن ورقاء الرياحي والي

أصبهان وأحد أجواد الإسلام ، ومطر بن ناجية الذي غلب على الكوفة أيام

ابن الأشعث . وسُحيم بن وثيل الشاعر . والحارث بن يزيد ، صاحب الحسن بن

علي . وأبو الهندي الشاعر ، واسمه أزهري بن عبد العزيز ؛ ومعقل بن قيس صاحب

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأبيرد بن قرة .

غُدانة بن يربوع ، منهم : وكيع بن أبي سُود ، وحارثة بن بدر وكان

فارساً شاعراً .

ثعلبة بن يربوع ، منهم مالك ومتمم ابنا نويرة ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ،
الذي يقال صياد الفوارس .

وبنو سليل بن يربوع ، منهم : المساور بن رثاب .

كليب بن يربوع ، منهم : جرير بن الخطفي الشاعر .

العنبر بن يربوع ، منهم : سجاح بنت أوس التي تنبأت في تميم .

زيد بن مالك ، وكعب الضراء بن مالك ، ويربوع بن مالك بن حنظلة بن

مالك بن زيد مناة : أمهم العدوية ، وبها يعرفون . يقال لهم بنو العدوية .

طهية ، وهم بنو أبي سُود بن مالك ، وعوف بن مالك . أمهم طهية بها

يعرفون ، ويقال لبني طهية وبني العدوية : الجمار .

ومن بني طهية بنو شيطان . ومنهم دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛

فولد دارم بن مالك : عبد الله ، ومجاشع ، وسدوس ، وخيبري ، ونهشل ، وجرير ، وأبان ومناف

فمن ولد عبد الله بن دارم : حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم . وهلال

ابن وكيع بن بشر ، وهو بيت بني تميم وصاحب القوس . ومحمد بن جبير بن عطارد .

مجاشع بن دارم . منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع بن حابس ، وأعين بن

ضبيعة بن عقال ، والبحتات بن يزيد ، والحارث بن شريح بن زيد صاحب خراسان ،

والبغيث الشاعر - واسمه خدّاش بن بشر - والأصبغ بن نباتة ، صاحب علي .

نهشل بن دارم . منهم : خازم بن خزيمه قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود

الذي مدحه الخطيئة ، وكثير عزة الشاعر ، والأسود بن يعفر الشاعر .

أبان بن دارم . منهم : سورة بن بجر - كان فارساً - صاحب خراسان ،

وذو الحزق بن شريح الشاعر .

سدوس بن دارم ، وهؤلاء قد بادوا .

وربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعه بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ،

وربيعة بن مالك بن حنظلة : يقال لهم : الربائع .

فمن ربيعة بن حنظلة : أبو بلال الخارجي ، واسمه مرداس بن جدير .
 ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : علقمة بن عبدة الشاعر ، وأخوه شأس .
 ومن ربيعة بن مالك بن حنظلة : الحنيف بن السجف .
 جُشيش بن مالك - وأمه حُطَي ، على مثال حبلى ، وبها يُعرفون - منهم :
 حصين بن تميم الذي كان على شرطة عبيد الله بن زياد . ويقال لجشيش وربيعة
 ٥ ودارم وكعب بنى مالك بن حنظلة بن مالك : الحشباب . انقضى نسب الرباب
 وضبة ومزينة وتميم .

بطون قيس وجماهيرها

نسب قيس بن عيلان بن مضر ، قيس بن الناس ، وهو عيلان بن مضر .
 ١٠ فمن بطون قيس : عدوان وفهْم ابنا عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمهما جديلة
 بنت مُدركة بن اليأس بن مضر ، نسبوا إليها .
 فمن عدوان : عامر بن الظرب حَكَمَ العرب بعكاظ ، ومنهم أبو سيارة ، وهو
 حُمَيْلة بن الأزل . ومنهم تأبط شرًا ، وهو ثابت بن عَمَيْثل .
 غطفان بن قيس عيلان - وأعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .
 ١٥ فمن بطون غطفان : أشجع بن ريث بن غطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان ؛
 منهم : نصر بن دُهمان . وكان من المعمرين ، عاش مائتي سنة ، ومنهم فروة بن نوفل .
 عَبَس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهي إحدى جمرات العرب ، منهم :
 زهير بن جذيمة ، كان سيد عبس كلها حتى قتله خالد بن جعفر الكلابي ؛ وابنه
 قيس بن زهير فارس داحس ؛ وعنبرة الفوارس ؛ والحطيئة ؛ وعروة بن الورد ؛
 ٢٠ والربيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم السكلمة ؛ ومروان بن زنباع الذي يقال
 له مروان القرظ ، وخالد بن سنان الذي ضيَّعه قومه .
 ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم : فزارة بن ذبيان بن بغيض ،

وفيهم الشرف ؛ ومنهم حذيفة بن بدر ؛ ومنهم منظور بن زِيَّان بن سيار ، وعمر
ابن هُبيرة ، وعدى بن أُرطاة .

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ منهم هَرَم بن سنان المرّي الجواد الذي
كان يمدحه زُهَيْر ؛ ومنهم زياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم الحارث بن ظالم الذي يقال
فيه « أَمْنَعُ مِنَ الْحَارِثِ » ؛ ومنهم : شَيْب بن البرصاء ، وأرطاة بن سُهَيْبَة ، وعقيل
بن عُلْفَة المرّي ، وابن مِيَادَة الشاعر ، ومسلم بن عقبة صاحب الحرة ، وعثمان بن
حيان ، وهاشم بن حَرَمَلَة . الذي يقول فيه الشاعر :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمَ بْنَ حَرَمَلَةَ ۝ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
والشماخ الشاعر ، وأخوه مُرَرْد . ابنا ضرار .

ومن بطون أعصُر : غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس بن مُضَر .
منهم طفيل الخيل . وقد رَبَعَ غَنِيًّا ومنهم : مرثد بن أبي مرثد ، شهد بدرًا .

باهلة

هم بنو معن بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة ، وهم : قتيبة ووائل وأود
وجأوة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، منهم : حاتم بن النعمان . وقتيبة بن مسلم ،
وأبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسليمان بن ربيعة ، وآله
أبو بكر الصديق ، وزيد بن الحباب .

بنو الطفاوة بن أعصر

وهم : ثعلبة وعامر ومعاوية ؛ أمهم الطفاوة وإليها ينسبون ، وهم إخوة غنيّ
ابن أعصر ؛ فهذه غطفان .

بنو خصفه بن قيس بن عيلان

محارب بن زياد بن خصفه بن قيس بن عيلان ، منهم الحكم بن مَنيع الشاعر ،
وبقيع بن صفار الشاعر الذي كان يهاجى الأخطل . وولد محارب : ذهل وغَم ؛

وهم الأبناء؛ والخضير، وهم بنو مالك بن محارب. وقائمة لبا قد حرج ماله
 سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة. منهم: العباس بن مرداس، كان
 فارساً شاعراً، وهو من المؤلفة قلوبهم؛ والفجاءة الذي أحرقه أبو بكر في الردة.
 ومنهم: صخر ومعاوية. ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد، وهما أخوا خنساء؛
 وخفاف بن عمير الشاعر، ونُبَيْشَةَ بن حبيب قاتل ربيعة بن مكرم، ومُجاشع بن
 مسعود من أهل البصرة، وعبد الله بن خازم صاحب خراسان.

بنو ذكوان وبهز وبهثة بنو سليم

منهم: أبو الأعمور السلمي صاحب معاوية، وعمير بن الحباب قائد قيس،
 والجحاف بن حكيم. فهذه بطون سليم ومحارب.

قبائل هوازن

هم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
 منهم سعد بن بكر بن هوازن، وفيهم آسْتُرَضَعُ النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم
 نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن - منهم مالك بن عوف النصرى قائد المشركين
 يوم حنين.

جشم بن معاوية بن بكر، منهم: دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ فارس العرب.
 ثقيف، وهو قَيْسُ بن مُنْبَه بن بكر بن هوازن. منهم: مسعود بن مُعْتَب،
 والمختار بن أبي عبيد. ومنهم: عُرُوة بن مسعود عظيم القرينين، والمغيرة بن
 شعبة، وعبد الرحمن بن أم الحكم.

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

فن بطون عامر: بنو هلال بن عامر بن صعصعة، منهم: ميمونة زوج النبي
 عليه الصلاة والسلام، ومنهم عاصم بن عبد الله صاحب خراسان، ومُحَمَّد بن
 ثور الشاعر، وعمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر فارس الضَّحِيَاء؛ ومن ولده

خالد وحرملة ابنا هُوذة ، صَحبَا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وِخْدَاش بن زهير .
 نمير بن عامر بن صعصعة . منهم : الراعي الشاعر ، وهو عُبَيْد بن حصين ،
 وهمام بن قبيصة ، وشريك بن حُباشة الذي دخل الجنة في الدنيا في أيام عمر
 ابن الخطاب .

٥ بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
 وهم ستة بطون ، منهم عَقِيل بن كعب ، رهط توبة بن الحُمَيْر صاحب ليل
 الأخيلىة . منهم : بنو المنتفق .

بنو الحريش بن كعب ، رهط سعيد بن عمر ، ولى خراسان ، وهو صاحب
 رأس خاقان .

١٠ بنو العجلان بن كعب
 رهط تميم بن مقبل الشاعر .

ومنهم بنو قشير بن كعب ، رهط مالك بن سلمة الذي أسر حاجب بن زرارة .
 ومنهم : بنو جعدة بن كعب ، رهط النابغة الجعدي ، وهو أبو ليلى ؛ فهذه
 بطون كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

١٥ ومن أنحاذ ربيعة بن عامر بن صعصعة : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛
 منهم المحلق بن حنتم بن شداد . ومنهم زُفر بن الحارث الكلابي ، ويزيد بن الصَّعِق ،
 ووكيع بن الجراح الفقيه .

جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم الطُّفَيْل ، فارس
 قَرَزَل ، وعامر بن الطُّفَيْل ، وعَلَقمة بن عَلَاثة ، وأبو بَرَاء عامر بن مالك
 ملاعب الأستة .

٢٠ بنو كلاب بن عامر بن صعصعة :
 الضباب بن كلاب ، منهم : شمر بن ذى الجوشن .
 هؤلاء بنو عامر بن صعصعة .

بنو سلول

هم بنو مرة بن صعصعة ، نسبوا إلى أمهم سلول .
 غاضرة ، وهم غالب بن صعصعة ، ومالك ، وربيعه ، وغُوَيْضرة ، وحارث ،
 وعبد الله ، - وهما عادية - وعوف ، وقيس ، ومُساور ، وسيار ، وهو غَزِيَّة .
 لوذان ، وجَحُوش ، وجَحَّاش ، وعوف ؛ وهم الوَقعة ، بنو معاوية بن
 بكر بن هوازن .

بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يقال لهم : الأبناء .
 هذا آخر نسب مضر بن نزار .

نسب ربيعة بن نزار

ولد ربيعة بن نزار : أسد ، وضبيعة ، وعائشة ، وهم باليمن في مراد ، وعمرو ،
 وعامر ، وأكلب ؛ وهم رهط أنس بن مدرك .
 فمن قبائل ربيعة : نزار .

ضبيعة بن ربيعة بن نزار - وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . ومنهم الحارث
 الأضجم ، حكم ربيعة في زهرة ، وفيه يقول الشاعر :

قلوُصُ الظلامِ من وائلٍ * تردُّ إلى الحارثِ الأضجِمِ
 فهما يشأُ يأتِ منه السَّدَادُ * وهما يشأُ منهم يَهْضِمِ

ومنهم المتلمس ، وهو جرير بن عبد المسيح الشاعر ، صاحب طرفة بن العبد .
 الذي يقول فيه :

أودى الذي علقَ الصحيفةَ منهما * ونجماً حذارَ حمائمِ المتلمسِ

ومنهم المسيب بن علس الشاعر . ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر .
 وكان المرقش الأكبر عمَّ المرقش الأصغر ، والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد
 ابن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .

عزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان : يقدم ويذكر ، فنهما تفرقت

عزة ؛ فمن يذكر : بنو جِلَّان بن عتيك بن أسلم بن يذكر ، وبنو هِرَّان بن
صُبَّاح بن عتيك بن أسلم بن يذكر ، وبنو الدُّوَل بن صُبَّاح بن عتيك بن أسلم
ابن يذكر ، وهم الذين أسروا حاتم طيَّ وكعب بن مامة والحارث بن ظالم ؛ وفي
ذلك يقول الحارث بن ظالم :

٥ أبلغ سرّاة بني غمِظٍ مُعْلَغَةً ۞ أنى أفنم في هِرَّان أرباعا
ومنهم كِدَام بن حيان من بني هُمَيم ، كان من خيار التابعين ، وكان من خيار
أصحاب عليّ ، ولهما يقول عبد الله بن خليفة :

يا أَخَوَيَّ من هُمَيمِ هُدَيْتِنا ۞ وِيسرْتِنا للصالحات فأبشِرا
ومن بني يقدم عَنزة ، سيد بني بغيض الشاعر ، وعمران بن عصان الذي
١٠ قتله الحجاج بدير الجماجم .

عبد القيس بن أفصى بن دُغَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وُلد لعبد القيس :
أفصى واللَّبؤ . وولد لأفصى : عبد القيس وشَنّ ولُكَيْز .

١٥ اللَّبؤ بن عبد القيس : منهم رِثاب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضبيب ،
كان بمن وحّد الله في الجاهلية ، وسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم وفدّ
عبد القيس ، وكان يُسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحُجَين
ابن عبد الله :

ومِنّا الذي بالبعثِ يُعرَفُ نسلُهُ ۞ إذا مات مِنهُم مَيِّتٌ جَدٌ بالقَطْرِ
رِثابٌ وأنى للبرية كُلهما ۞ يَمِثِلُ رِثابٌ حين يُخطر بالسُغْرِ
٢٠ لُكَيْز بن عبد القيس ، منهم بنو نُكْرَة بن لُكَيْز بن عبد القيس . منهم
الممزق الشاعر ، وهو شأس بن نهار بن أسرج الذي يقول :

فإن كنتُ ما كولا فكن خيرَ آكلٍ ۞ وإلا فأدرِكني وما أُمزِقِ
وَصُبَّاح بن لُكَيْز . منهم : كعب بن عامر بن مالك ، وكان بمن وفد عليّ
النبي عليه الصلاة والسلام .

وبنو غَم بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم حَكِيم بن جَبَلَة صاحب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفيه يقول :

دعا حَكِيم دعوة سَمِيعَة ٥ نالَ بِهَا المُنزِلَةَ الرُّفِيعَة

وبنو جَدِيمَة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم الجارود العَبْدِي ، وهو بِشْر بن عمرو .

وعَصْر بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم عمرو بن مَرَجُوم الذي يمدحه المثلث .

وبنو حُطَمَة بن محارب بن عمرو بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، إليهم تنسب الدروع الحُطَمِيَة .

وعامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم مَهْزَم بن الفِزْر ، الذي يقول فيه الجرمازي :

يَحْمِلُنَ بالموماةَ بَحْرًا يَجْرِي ٥ العامِر بن المِهْزَم بن الفِزْر

العُمُور من عبد قيس : الدَّيْل وعجل ومحارب ، بنو عمرو بن وداعة بن لُكَيْز . فمن بني الدَّيْل : سُحَيْم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعد بن أبي وقاص .

ومن بني محارب : عبد الله بن همام بن أمراء القيس بن ربيعة ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عجل : صعصعة بن صوحان ، وزيد بن صوحان ؛ من أصحاب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . فهذه عبد القيس وبطونها وجاهيرها .

النمر بن قاسط

النمر بن قاسط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فمن ولد النمر بن قاسط : تَيْم الله ، وأوس مناة ، وعبد مناة ، وقاسط ، ومُنْبَه ، بنو النمر بن قاسط .

أوس مناة بن النمر ، منهم صُهب بن سنان بن مالك ، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . كان أصابه سبأ في الروم ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله ابن جُدعان فأعتقه ؛ وقد كان النعمان بن المنذر استعمل أباه سناناً على الأبلّة .
ومنه : سُمران بن أبان ، الذي يقال له مولى عثمان بن عفان .

- ٥ ومن تيم الله : الضَّحَّيَّان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيبان ، وإنما سُمي الضَّحَّيَّان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم ، وقد رُبِعَ ربيعة أربعين سنة . وأخوه عوف بن سعد ، ومن ولده ابن القرية البليغ ، واسمه أيوب ابن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج . ومنهم ابن الكيس النسابة ، وهو عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . فهذا النمر بن القاسط .

تغلب بن وائل

١٠

تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . فمن بطون تغلب : الأراقم ، وهم : جشم ، وعمرو ، وثعلبة ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب ؛ وإنما سموا الأراقم لأن عيونهم كعيون الأراقم .

- ١٥ ومن بطون تغلب : وكليب وائل الذي يقال فيه : « أعز من كليب وائل » وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ؛ وأخوه مهلهل بن ربيعة .
ومن بني كنانة بن تيم بن أسامة : إياس بن عينان بن عمرو بن معاوية ، قاتل عُمَيْر بن الحباب ، وله يقول زفر بن الحارث :

ألا يا كلبُ غيرك أرجفوني . وقد ألصقت خدك بالشرابِ

٢٠ ألا يا كلبُ فانتشيري وضحّي . فقد أودى عُمَيْرُ بن الحبابِ

رِمَاحُ بني كِنانة أَقصدتني . رِمَاحُ في أعاليها أَضطرابُ^(١)

ومن بني حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهذيل بن هُبيرة ، وهو الذي

(١) كذا في الأصول ، وفي البيت إقواء .

تقول فيه مَهَيْشَةَ بنت الجَرَّاح البَهْرَانِي تُعَيِّرُ قِضَاعَةَ :

إِذَا مَا مَعَشَرٌ شَرِبُوا مُدَامًا ۝ فَلَا شَرِبَتْ قِضَاعَةٌ غَيْرَ بَوَّلِ

فِيَمَا أَنْ تَقُودُوا الْخَيْلَ شُعْنًا ۝ وَإِمَّا أَنْ تَدِينُوا لِلْمُهْذَبِ

وَتَتَّخِذُوهُ كَالنُّعْمَانِ رَبًّا ۝ وَتُعْطُوهُ خِرَاجَ بَنِي الدَّمِيلِ

الدَّمِيلِ : ابن الحَمِّ .

ومن عدى بن معاوية بن غم بن تغلب : فارس العصا ، وهو الأخنس ابن شهاب .

ومن بنى القَدْوُ كَس بن عمرو بن الحارث بن جشم : الأخطل الشاعر النصراني ومنهم : قبيصة بن والق ، له هجرة ، قتله شيبب الحروري ، وكان جواداً كريماً ،

فقال شيبب حين قتله : هذا أعظم أهل الكوفة جفنة ! قال له أصحابه : أتطرى المنافقين ؟ فقال : إن كان منافقاً في دينه فقد كان شريفاً في دنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جعيل . الذي يقول فيه جرير :

وَسُمِّيَتْ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَامِ ۝ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الْجَعْلُ

وَكَانَ مَحَلُّكَ مِنْ وَاثِلٍ ۝ مَحَلَّ الْقَرَادِمِ مَنْ آسَتْ الْجَمَلُ

فهذه تغلب ، ليس لها بطون يُنسب إليها كما يُنسب إلى بطون بكر بن واثل ، لأن بكرًا جمجمة ، وتغلب غير جمجمة .

بكر بن واثل

القبائل من بكر بن واثل : يشكر بن بكر بن واثل ، وعجل ، وحنيفة - ابنا لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن واثل - ، وشيبان وذهل وقيس بنو ثعلبة ابن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن واثل وأمهم البرشاء من تغلب .

يشكر بن بكر

منهم الحارث بن حلزة الشاعر ، ومنهم شهاب بن مذعور بن حلزة ، وكان

من علماء الأنساب ؛ ومنهم سويد بن أبي كاهل الشاعر .

عجل بن لجيم

- منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار ، كان سيّد بني عجل يوم ذي قار ؛ ومنهم
الفرات بن حيّان ، له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم إدريس بن معقل
جَدّ أبي دُلف ؛ ومنهم شِبابة بن المعتمر بن لقيط ، صاحب الديوان ؛ ومنهم الأغلِب
الراجز ؛ ومنهم أبحر بن جابر بن شريك ، وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

حنيفة بن لجيم

- ولد له الدّيل ، وعدى وعامر . فمن بني الدّيل بن حنيفة : قتادة بن مسلبة ،
كان سيّداً شريفاً ؛ ومنهم ثمامة بن أنال بن النعمان بن مسلبة ، ومنهم : هوذة بن
علي بن ثمامة ، الذي يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرَّ هُوذَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَمِّدٍ ۝ إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

- ومن بني الدليل بن حنيفة : شمر بن عمرو ، الذي قتل المنذر بن ماء السماء
يوم عين أباغ ؛ ومنهم بنو هِفَّان بن الحارث بن ذهل بن الدليل ، وبنو عُبيد بن
ثعلبة ، ويزبوع بن ثعلبة بن الدليل . وبنو أبي ربيعة في شيبان ، سيدهم هانئ
ابن قبيصة .

شيبان بن ثعلبة بن عكابة

- منهم جَسَّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قاتل كليب بن وائل : وهمام بن
مرة بن ذهل بن شيبان ؛ وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجدين ،
وابنه بسطام بن قيس ، فارس بني شيبان في الجاهلية ، وقد رُبِعَ الذُّهْلِيُّنَ وَاللُّهَازِمِ
اثنى عشر مِرباعاً ومنهم : هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن المزدلفِ عمرو بن
أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، الذي أجاز عيال النعمان بن المنذر وماله عن
كسرى ، وبسببه كانت وقعة ذي قار ، ومنهم مصقلة بن هُبيرة ، كان سيّداً شريفاً ،

وفيه يقول الفرزدق :
 وبيت أبي قابوس مصقلة الذي * بنى بيتاً مجيداً اسمه غير زائل
 وفيه يقول الأخطل :

دع المغمّر لا تُقتل بمصرعه * وسلِّ بمصقلة البكرى ما فعلاً
 بمُتَلِفٍ ومُفِيدٍ لا يَمُنُّ ولا * يُعْنَفُ النفسَ فيما فاته عَدَلاً
 إنَّ ربيعةَ لا تَنفِكُ صالحةً * مادافعَ الله عن حوائك الأَجَلَا

ومن ذهل بن شيبان : عوف بن محلم الذي يقال فيه : « لا حُرَّ بوادي
 عوف ، والضحاك بن قيس الخارجي ، والمثنى بن حارثة ، ويزيد بن رزيم ؛
 ومنهم الغضبان بن القبعثري ، ويزيد بن مسهر أبو ثابت ، الذي ذكره الأعمش ؛
 والحوفزان ، وهو الحارث بن شريك ، ومطر بن شريك ؛ ومن ولده : معن بن
 زائدة ؛ وشيب الحروري .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة

منهم : الحارث بن وعله ، وكان سيداً شريفاً ، ومن ولده : الحُضَيْنُ بن المنذر
 ابن الحارث بن وعله صاحب راية ربيعة بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله
 تعالى عنه ، وله يقول علي :

لَمَنْ رَايَةَ سِوَاءِ يَخْفُقُ ظِلْمُهَا * إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا
 ومنهم القعقاع بن شور بن النعمان ، كان شريفاً ؛ ومنهم دَعْفَلُ بن حنظلة
 الغلام ، كان أعلم أهل زمانه . وهؤلاء من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة ،
 أمهم إرقاش ، وإليها يُنسبون ، ومنها يقال : الحُضَيْنُ بن المنذر بن الحارث
 ابن وعله الرقاشي .

قيس بن ثعلبة بن عكابة

منهم الحارث بن عباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة : كان على جماعة بكر
 ابن وائل يوم قِصَّة ، فأسرهم هاهل بن ربيعة وهو لا يعرفه نخلي سيده . ومنهم :

مالك بن مسمع بن شيبان بن ثعلبة ، يُكنى أبا غسان . ومنهم الأعشى ، أعشى بكر ، وهو من بنى تيم اللات من قيس بن ثعلبة بن عكابة ؛ ومن بنى تيم اللات أيضا : مطر بن فضة ، وهو الجعد بن قيس ، كان شريفاً سيداً ، وهو الذي أمر خاقان الفارسي بالقادسية ، ومن ولده عبيد الله بن زياد بن ظبيان .

سدوس

من شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم : خالد بن المعمر ومجزأة بن ثور ، وأخوه شقيق بن ثور ، وابن أخيه سويد بن منجوف بن ثور ، وعمران بن حطان .

اللهازم

وهم : عنزة بن أسد بن ربيعة ؛ وعجل بن لجيم . وتيم الله . وقيس ابنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل ، وهم حلفاء .
والذهلان : شيبان وذهل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل بن لجيم يقال لها حذام ، وفيها يقول لجيم :

إذا قالت حذام فصدّقوها * فإنّ القول ما قالت حذام

انقضى نسب ربيعة بن نزار .

إياد بن نزار

ولد إياد بن نزار : زهراً ودُعْمِيّاً ونِمارة وثعلبة . فولد نِمارة الطّمّاح ، ولهم يقول عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغُ بني الطّمّاحِ عنا . ودُعْمِيّاً فكيف وجدتمونا

وولد زهر بن إياد حذاقة ، رهط أبي دُواد الشاعر .

وأما أنمار بن نزار بن معد ، فلا عقب له إلا ما يقال في بَجيلة وخثعم ، فإنه يقال إنهما أبنا أنمار بن نزار ، وتأبى ذلك بَجيلة وخثعم ويقولون : إنما تزوج إراش بن عمرو بن العوث بن أخي الأزد بن العوث ، سلامة بنت أنمار ، فولدت له

أثمار بن إراش ، فنحن ولده . وقال حسان بن ثابت :
 ° ولَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنَ مُحْرَقٍ °
 أراد بالعنقاء : ثعلبة بن عمرو مُزَيَّبِيَاءَ ، سُمِّيَ بِالْعَنْقَاءِ لَطُولِ عُنُقِهِ ؛ وَمُحْرَقٌ
 هو الحارث بن عمرو مُزَيَّبِيَاءَ ، وَكَانَ أَوَّلَ الْمُلُوكِ أَحْرَقَ النَّاسَ بِالنَّارِ ؛ وَالْوَالِدَةُ
 الَّتِي ذَكَرَهَا حَسَانٌ ، أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ الْخَزْرَجِ بِنْتُ حَارِثَةَ كَانَتْ عِنْدَ الْعَنْقَاءِ ، فَوَلَدَتْ
 لَهُ وَابْنَهُ كُلَّهُم ؛ وَكَانَتْ أُخْتَهَا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو . فَوَلَدَتْ لَهُ أَيْضًا .

انقضى نسب بني نزار بن معد .

القبائل المشتبهة

الدُّثَلُ فِي كِنَانَةَ ؛ وَالذُّثَلُ بْنُ حَنْبَلَةَ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، مِنْهُمْ : قَتَادَةُ بْنُ سَلْمَةَ ،
 وَهُوَ ذُو بَنِي عَلِيٍّ ، صَاحِبُ النَّجْدِ الَّذِي يَمْدَحُهُ أَعْشَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .

سُدُوسٌ ؛ فِي رِبِيعَةَ ، وَهُوَ سُدُوسُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، مِنْهُمْ : سُوَيْدُ
 ابْنُ مَنجُوفٍ ؛ وَسُدُوسٌ ، مَرْفُوعَةُ السَّيْنِ ، فِي تَمِيمٍ ، وَهُوَ سُدُوسُ بْنُ دَارِمٍ .

مُحَارِبُ بْنُ فَهْرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي قَرِيشٍ ؛ وَمُحَارِبُ بْنُ خَفْصَةَ فِي قَيْسٍ ؛ وَمُحَارِبُ
 ابْنُ عَمْرٍو بْنِ وَدِيعَةَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ .

غَاظِرَةُ فِي بَنِي صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ؛ وَغَاظِرَةُ فِي ثَقِيفٍ .

تَيْمٌ بْنُ مَرَّةٍ فِي قَرِيشٍ رَهْطُ أَبِي بَكْرِ ، تَيْمٌ بْنُ غَالِبٍ بْنِ فَهْرٍ فِي قَرِيشٍ
 أَيْضًا ، وَهُمْ بَنُو الْأَدْرَمِ ؛ وَتَيْمٌ بْنُ عَبْدِ مَنَاءَةَ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ فِي مِضَرٍ ؛ وَتَيْمٌ بْنُ
 ذُهَلٍ فِي ضَبَّةٍ ؛ وَتَيْمٌ فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ؛ وَتَيْمٌ فِي شَيْبَانَ .

تَيْمٌ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُمَاكَةَ ؛ وَفِي النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَتَيْمٌ اللَّهِ فِي ضَبَّةٍ .

كَلَابُ بْنُ مَرَّةٍ فِي قَرِيشٍ ؛ وَكَلَابُ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ فِي قَيْسٍ .

عَدِيُّ بْنُ كَعْبٍ مِنْ قَرِيشٍ ، رَهْطُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ؛ وَعَدِيُّ بْنُ عَبْدِ مَنَاءَةَ مِنْ
 الرِّبَابِ ، رَهْطُ ذِي الرُّمَّةِ ؛ وَعَدِيُّ فِي فِزَارَةَ ؛ وَعَدِيُّ فِي بَنِي حَنْبَلَةَ .

ذُهَلُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُمَاكَةَ ؛ وَذُهَلُ بْنُ شَيْبَانَ ؛ وَذُهَلُ بْنُ مَالِكٍ فِي ضَبَّةٍ .

ضبيعة في ضبة ؛ وضبيعة في عجل ؛ وضبيعة في قيس بن ثعلبة ، وهم رهط الأعشى .

مازن في تيم ؛ ومازن في قيس عيلان ، وهم رهط عتبة بن عزوان ؛ ومازن في صعصعة بن معاوية ؛ ومازن في شيبان .

٥ سهم في قريش ؛ وسهم في باهلة .
سعد بن ذبيان ؛ وسعد في بكر في هوازن ، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وسعد في عجل ؛ وسعد بن زيد مناة في تميم .

جشم في معاوية بن بكر ، وجشم في ثقيف ، وجشم في الأرقام .
بنو ضمرة في كنانة ، وبنو ضمرة في قشير .

١٠ دودان في بني أسد ، ودودان في بني كلاب .
سليم في قيس عيلان ، وسليم في جذام من اليمن .

جديلة في ربيعة ، وجديلة في طي ، وجديلة في قيس عيلان .

الخزرج في الأنصار ، والخزرج في النمر بن قاسط .

وأسد بن خزيمة بن مدركة ، وأسد بن ربيعة بن نزار .

١٥ شقرة في ضبة ، وشقرة في تميم .

ربيعة : ربيعة الكبرى ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، ويلقب ربيعة

الجوع ، وربيعة الوسطى ، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ؛ وربيعة

الصغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة . وكل واحد منهم عم الآخر .

مفاخرة ربيعة

٢٠ قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خيبروني عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس في قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً . قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى لها أن تكون في قريش . قال : لا . قالوا : ففي حمير وملوكها .

عبد الملك
وبعض جلسائه

قال : لا . قالوا : فني مضر . قال : لا . قال مصقلة بن ربيعة العبدى : فهى إذا
 فى ربيعة ونحن هم . قال : نعم . قال جلساؤه : ما نعرف هذا فى عبد القيس إلا
 أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم ؛ أما أشد الناس لحكيم بن جَبَل ، كان
 مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ففُطعت ساقه فضمَّها إليه حتى مر به الذى
 قطعها فرماه بها فجذله عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله واتكأ عليه ، فر به الناس
 فقالوا له : يا حكيم ، من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا . وأنشأ يقول :

ياساق لا تراعى • إن معى ذراعى • أحمى بها كراعى

وأما أسنى الناس ، فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند ، فسار
 إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، فيطعم الناس ؛
 فبينما هو ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ،
 اعتل بعض أصحابنا فاشتبهى خبيصاً فعملنا له . فأمر خبازَه أن لا يطعم الناس
 إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم !
 فسُمى مُطعم الخبيص .

وأما أطوع الناس فى قومه ، فالجارود بشر بن العلاء ؛ إنه لما قبض
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتدت العرب ، خطب قومه فقال :
 أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حى لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ،
 فمن ذهب له فى هذه الردة دينار أو درهم أو بعير أو شاة فله على مثله ! فما خالفه
 منهم رجل .

أما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية فى وفد
 أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ! قدتم أرض الله المقدسة ؛
 منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبرّ كبيركم ويرحم صغيركم ؛ ولو أن
 الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلهاء عقلاء ! فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام
 فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية

إنا قدمنا الأرض المقدسة : فلعمري ما الأرض تقدّس الناس ، ولا يقدّس الناس إلا أعمالهم ؛ وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمنًا ؛ وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماً عقلاء ، فقد ولدتم خير من أبي سفيان : آدم صلوات الله عليه ؛ فمنهم الحلیم والسفيه ، والجاهل والعالم .

وأما أحلم الناس [فالأشجُّ العبدى] ، فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ؛ ثم قال : يا أشج ، أدن منى . فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يجهما الله : الأناة ، والحلم ! وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً ؛ ويقال : إن الأشج لم يغضب قط .

جمرات العرب

وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ؛ وبنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد ؛ وبنو ضبة بن أد بن طابخة ؛ وبنو عبس بن بغيض . وإنما قيل لهذه القبائل جمرات لأنها تجمعت في أنفسها ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير : التجميع ؛ ومنه قيل : جمره العقبة ، لاجتماع الحصى فيها ؛ ومنه قيل : لا تجمروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم . يعنى : لا تجمعوهم في المغازى .

وأبو عبيدة قال في كتاب التاج أطفئت جمرتان من جمرات العرب : بنو ضبة لأنها صارت إلى الرباب مخالفتها ؛ وبنو الحارث ؛ لأنها صارت إلى مذحج مخالفتها ؛ وبقيت بنو نُمير إلى الساعة لم تحالف ولم يدخل بينها أحد .

وقال شاعرهم يرد على جرير :
نُميرٌ جمرَةٌ العرب التي لم ٥ تزل في الحرب تلتهب اليها
وإن إذ أسبُّ بها كُليئاً ٥ فتحت عليهم للخسف بابا
فلولا أن يقال هجا نُميراً ٥ ولم نسمع لشاعرها جواباً

رَغَبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كَلَيْبٍ * وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا

أَنْسَابُ الْيَمِينِ

قَحْطَانُ بْنُ عَابَرَ - وَعَابَرٌ . هُوَ هُوْدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ابْنُ شَالِحِ بْنِ
أَرْخَشُدِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنُ كَلْبِ بْنِ مَتَوْشَلَخِ بْنِ أَخْنُوخَ - وَهُوَ
إِدْرِيسُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مَهْلَيْلِ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أُنُوشِ بْنِ شَيْثِ
- وَهُوَ هَبَةُ اللهِ - ابْنُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَوَلَدَ قَحْطَانُ : يَعْرُبَ - وَهُوَ الْمُرْعَفُ - وَسِبْأُ ، وَالْمُسْلَفُ ، وَالْمِرْدَادُ ،
وَوَدِيقِيُّ ، وَتَسْكَلا ، وَأَيْبَالُ ، وَعُوبَالُ ، وَأَزَالُ ، وَهَدُورَامُ ، وَهُوَ جَرْمُ ، وَأَوْفِيرُ ،
وَهُوَيْلَا ، وَرُوحُ ، وَإِرْمُ ، وَنُوبَتُ : فَهَؤُلَاءِ وَلَدَ قَحْطَانُ فِيمَا ذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَلَاذٍ .
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ : وَلَدُ قَحْطَانُ : الْمُرْعَفُ - وَهُوَ يَعْرُبُ - ،
وَلَأَيُّ ، وَجَارُ ، وَالْمُتَلَمِّسُ ، وَالْعَاصِيُّ ، وَالْمُنْتَعِشُ ، وَعَاصِبُ ، وَمَعُوذُ ، وَشَيْمُ ،
وَالْقَطَامِيُّ ، وَظَالِمُ ، وَالْحَارِثُ ، وَنُبَاتَةُ . فَهَؤُلَاءِ إِلَّا ظَالِمًا ، فَإِنَّهُ كَانَ
يَغْزُو بِالْجِيُوشِ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَدَ قَحْطَانُ أَيْضًا : جُرْهُمًا ، وَحَضْرَمُوتَ . فَمِنْ أَسْرَافِ
حَضْرَمُوتِ بْنِ قَحْطَانُ : الْأَسْوَدُ بْنُ كَبِيرٍ ، وَلَهُ يَقُولُ الْأَعْشِيُّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :
* مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ *

وَمِنْهُمْ مَسْرُوقُ بْنُ وَاثِلٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ الْأَعْشِيُّ :

قَالَتْ قَتِيلَةُ : مَنْ مَدَحَتْ فَقَلْتُ : مَسْرُوقَ بْنَ وَاثِلِ

فَوَلَدَ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ يَشْجَبُ : وَوَلَدَ يَشْجَبُ سِبْأُ . وَوَلَدَ سِبْأُ حَمِيرًا ،
وَكَهْلَانَ ، وَصَيْفِيًّا ، وَبَشْرًا ، وَنَصْرًا ، وَأَفْلَحَ ، وَزَيْدَانَ ، وَالْعُودَ ، وَرُثْمًا ،
وَعَبْدَ اللهِ ، وَنَعْمَانَ ، وَيَشْجَبَ ، وَشَدَادًا ، وَرَبِيعَةَ ، وَمَالِكَا ، وَزَيْدًا . فَيُقَالُ لِبَنِي
سِبْأِ كُلِّهِمُ : السَّبْبِيُّونَ ، إِلَّا حَمِيرًا وَكَهْلَانَ . فَإِنَّ الْقَبَائِلَ قَدْ تَفَرَّقَتْ مِنْهُمَا . فَإِذَا
سَأَلْتَ الرَّجُلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : سَبْبِيُّ . فَلَيْسَ بِحَمِيرِي وَلَا كَهْلَانِي .

حمير

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فولد حمير بن سبأ : مالكا
والهميسع ، وزيدا ، وأوسا ، وعرييا ، ووائلا ، ودرمييا ، وكهلان ، وعيمكرب ،
ومسروحا ، ومرة . رهط معديكرب بن النعمان القليل الذي كان يحضرموت .

- ٥ فن بطون حمير : معدان بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن
ابن عريب . وملحان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
وائل ، رهط عامر الشعبي الفقيه . وعِدَاد بن ملحان : وشيبان في همدان . فن
كان منهم باليمن فهو حميري ، ويقال له شيباني .
ومن بطون حمير : شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . وإليه
١٠ تُنسب الرماح الشرعية .

ومن بطون حمير : الدرون ، وقد يقال لهم الأذواء . وأيضا . رمُدد ، فمنهم :
بنو فهد ، وعبد كلال ، وذو كلاع - وهو يزيد بن النعمان ، وهو ذو كلاع الأكبر .
يقال : تكَّلَع الشيء . إذا تجمَّع - وذو رُعَيْن ، وهو شراحيل بن عمرو القائل :
فإن تك حمير عَدَرَتْ وخانت * فعذرة الإله لذي رُعَيْن

- ١٥ ذو أصبح : واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث . وهو أول من
سُحِلت له السياط الأصبحية . ومن ولده : أبرهة بن الصباح كان ملك تهامة ، وأمه
ريحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة . وابنه أبو شمر ، قُتِل مع علي بن
أبي طالب يوم صفين . وأبو رُشد بن كُريب بن أبرهة ، كان سيد حمير بالشام
زمن معاوية . ومنهم يزيد بن مفرغ الشاعر .

- ٢٠ ذو يزن ، واسمه عامر بن أسلم بن زيد بن الغوث بن قطن بن عريب .
ومنهم : النعمان بن قيس بن سيف بن ذي يزن الذي أتى الحبشة عن اليمن - وجاء
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى حلة يوضع وعشرين قلوفا ،
فأعطاهما إلى ذي يزن - وإلى ذي يزن تنسب الرماح اليزنية .

ذو جدن : وهو علس بن الحارث بن زيد بن الغوث ، ومن ولده علقمة بن شراحيل . ذو قيفان الذي كانت له صمصامة عمرو بن معديكرب ، وقد ذكره عمرو في شعره حيث يقول :

وَسَيْفٌ لِابْنِ ذِي قَيْفَانَ عِنْدِي ، تَخْيِيرَ قَضَلُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

حضور بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية . وهم في همدان .

فمن حضور : شعيب بن ذى مهزم ، النبي الذي قتله قومه . فسلب الله عليهم بختنصر فقتلهم ، فلم يبق منهم أحد فاصطلبت حضور ؛ ويقال : فيهم نزلت : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرَكَضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ فيقال إن قبر شعيب هذا النبي في جبل باليمن في حضور يقال له ضين ، ليس باليمن جبل فيه ملح غيره ، وفيه فاكهة الشام ، ولا تمر به هامة من الهام .

الأوزاع

وهم : مرثد بن زيد بن زُرعة بن سبأ بن كعب ، وهم في همدان إلا جرش ابن أسلم بن زيد بن الغوث ، الأصغر بن أسعد بن عوف .

شحيح بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو . وصيفي بن سبأ ، الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن تبع ، وهو أسعد أبو كرب .

التبابعة

تبع الأصغر أسعد أبو كرب ، واسمه تَبان بن مَلِكِيكرب ، وهو تبع الأكبر ابن قيس بن زيد بن عمرو ، ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار .

وتبع بن الرائش بن قيس بن صيفي . وملكيكر ب تبع الأكبر ، يسكن
أبا مالك ، وله يقول الأعشى :

وخان الزمانُ أبا مالكٍ . وأى أمرى لم يُخْضَهُ الزَّمانُ

ومن بني صيفي بن سبأ : بلقيس ، وهي بلقمة بنت آل شَرْخ بن ذى جدن

٥ ابن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر .

ومنهم : حمير التبابعة . وهم تسعة ، منهم تبع الأصغر ، وتبع الأكبر ؛ ومنهم

المثامنة ، وهم ثمانية رهط ولاة العهود بعد الملوك ؛ وهم الثمانية ، أربعة آلاف ؛

والقيل الذي يكلم الملك فيسمع كلامه ولا يكلم غيره ؛ ومنهم أبو فریقيش بن

قيس بن صيفي الذي افتتح إفريقية فسميت به ، ويومئذُ سُميت البرابرة ؛ وذلك

١٠ أنهم قالوا إنه قال لهم : ما أكثر بربرتكم .

قضاة

هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وأسم

قضاة : عمرو .

فمن قبائل قضاة وبطونها وجماهيرها : كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان

١٥ ابن عمران بن الحاف بن قضاة ؛ وذلك أن وبرة ولد له : كلب ، وأسد ،

ونمر ، وذئب ، وثعلب ، وفهد ، وضع ، ودب ، وسيد ، وسرحان . فمن أشرف

كلب : الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، وهو الذي تزوج عثمان بن

عفان ابنته نائلة بنت الفرافصة ؛ ومنهم زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله

ابن كنانة .

٢٠ ومن أسلافهم في الإسلام دحية بن خليفة الكلبي ، وهو الذي كان جبريل

عليه السلام ينزل في صورته .

ومنهم حسان بن مالك بن جذيمة .

ومن قضاة : القين بن جدرة بن شبيب اللات بن أسد بن وبرة ؛ فمن أشرف

القين : دَعَج بن كُثَيْف ، وهو الذي أسر سِنَان بن حَارِثَةَ المَرِّي ؛ ومنهم نَدِيمَا
جَدِيمَةَ ، وهما مَالِك وَعَقِيل ابْنَا فَارِج ، ولهما يَقُول المُنْجَل :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلاً صفاء مَالِك وَعَقِيلُ

ومنهم سَعْد بن أَبِي عَمْرٍو وكان سَيِّد بنِي القَيْن ورئسَهُم .

ومن قِضَاعَةَ : تَنُوخ ، وهم ثَلَاثَةُ أَبْطَن : منهم بَنُو تَيْمِ اللَّهِ بنِ أَسَد بنِ وَبْرَةَ ،
ومنهم مَالِك بنِ زَهِير بنِ عَمْرٍو بنِ فَهْم بنِ تَيْمِ اللَّهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مَالِك بنِ فَهْم ،
ومنهم أُذَيْنَةُ الذي يَقُول فِيهِ الأَعَشَى :

أزال أُذَيْنَةَ عَن مَلِكِهِ * وَأَخْرَج مَن قَصْرِهِ ذَا يَزَن

ومن بنِي قِضَاعَةَ : جَرْم وهو عَمْرٍو بنِ عِلَاف بنِ حُلْوَان بنِ عَمْرَان بنِ
الحَاف بنِ قِضَاعَةَ ، وَإِلَى عِلَاف تَنَسَّب الرِّحَال العِلَافِيَّة ، وَقَالَ الشَّاعِر :

* مَجُوف عِلَافِي وَنِطْعٌ وَنُمرُق *

ومن جَرْم : الرَّعْل بنِ عُرْوَةَ وكان شَرِيفاً ، ومنهم عِصَام بنِ شَهْبَر بنِ الحَارِثِ
وكان شَاعِراً شِجَاعاً ، وله يَقُول النَّابِغَةُ :

فإِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولِ * وَلَسْكَنُ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

وله قِيلَ : ١٥

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَاماً * وَعَلَّتْهُ الكَرَّ والإِقْدَامَا

وَجَعَلْتَهُ مَلِكاً مُهْمَاماً

ولجِرم أربعة من الولد : قَدَامَةُ ، وَجُدَّة ، وَمَلِكَان ، وَنَاجِيَّة ؛ فمن بنِي قَدَامَةَ :
كِنَانَةُ بنِ صَرِيمِ الذي كَانَ يُهَاجِي عَمْرٍو بنِ مَعْدِيكَرْب ، وَوَعْلَةَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ
الحَارِثِ الذي قَتَلَ الحَارِثَ بنِ عَبْدِ المَدَانِ .

ومنهم بَنُو شَتْن ، وهم بِالْيَمَامَةِ مَعَ بنِي هِزَانَ بنِ عَنزَةَ ؛ ومنهم أَبُو قَلَابَةَ الفَقِيه
عَبْدُ اللَّهِ بنِ زَيْد ؛ وَالمَسَاوِر بنِ سَوَار ، وَلى شَرْطَةَ الكُوفَةِ لمُحَمَّد بنِ سَلِيمَانَ .
ومن بنِي جُدَّة بنِ جَرْم : بَنُو رَاسِب ، وهم بَنُو الخَزْرَجِ بنِ جُدَّة بنِ جَرْم .

ومن قِضَاعَةَ : سَلِيح ، وهو عَمْرٍو بنِ حُلْوَان ، بنِ عَمْرَان .

ومن بني سعد بن سَليح : الصَّجَاعِمَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَلُوكَ الشَّامِ قَبْلَ غَسَّانَ .
ومن بني النمر بن وبرة خُشَيْنَ ، منهم أبو ثعلبة الخشني صاحب النبي صلى الله
عليه وسلم .

ومن بني النمر بن وبرة : غاضرة وعاتية ابنا سُليم بن منصور .

- ٥ ومن بني أكرم بن النمر : مَشْجَعَةُ بن الغوث : منهم معاوية بن حِجَار ، الذي
يقال له ابن قارب ، وهو الذي قتل داود بن هبولة السليحي ، وكان ملكا .
بهاء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ ؛ فولد بهراء : أهود ، وقاسطا ، وعبدَةَ
وقسراً ، وعدياً ، بطون كلها .

- ومنهم قيس وشيب ، بطنان عظيمان ، ومنهم المقداد بن عمرو صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود : لأن الأسود بن
١٠ عبد يغوث كان تبناه ، وقد انتسب المقداد إلى كندة ؛ وذلك أن كندة سبته في
الجاهلية فأقام فيهم وانتسب إليهم .

ومن قُضَاعَةَ : بَلِيُّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ : منهم المجذّر بن زياد
قاتل أبي البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى في يوم بدر
وهو يقول :

١٥

بَشْرٌ يَبْتُمُّ مَنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِيُّ • أَوْ بَشْرٌ بَمِثْلِهَا مِثِّي أَبِي
أَنَا الَّذِي أَرَعُمُ أَصْلِي مَنْ بَلِي • أَضْرِبُ بِالْهِنْدِيِّ حَتَّى يَنْشَى

وفيهم بنو إراشة بن عامر ؛ منهم كعب بن عُجْرَةَ الأنصاري صاحب النبي عليه
الصلاة والسلام ، وسهل بن رافع صاحب الصاع .

- ٢٠ وفيهم بنو العجلان بن الحارث : منهم ثابت بن أرقم شهد بدرًا وهو الذي
قتله طليحة في الردة .

ومنهم بنو وائلة بن حارثة أخى بني عِجْلَانَ : منهم النعمان بن أعصر ،
شهد بدرًا .

ومن قضاة : مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وهو الذي
تنسب إليه الإبل المهرية .

ومنهم : كرز بن روعان . من بني المذسم الذي صار إلى معديكرب بن جبلة
السكندی ، وهو الذي يقول :

٥ تقولُ بُنيَّتِي لما رأَتْنِي ۝ أَكْرَهُ عَلَيْهِنَّ وَأَذْبُ وَحْدِي

لعمرُك إن ونيّتَ اليَوْمَ عنهم ۝ لَتَتَنَقَّلِينَ مَصْرُوعًا بَخَدِّ

ومنهم ذَهَبُ بن قِرْضِم بن العُجَيْل ، وهو الذي كان وفد إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وكتب له كتاباً وردّه إلى قومه .

١٠ جُهَيْنَةُ بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . منهم : سُويد بن
عمرو بن جذيمة بن سيرة بن حُديج بن مالك بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعه بن مُضر
ابن مالك بن عَظْمَان بن قيس بن جهينة ، وكان شريفاً .

ومن قضاة : نَهْد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . منهم
الصَّعْق ، وهو جُشَم بن عمرو بن سعد ، وكان سيد نهد في زمانه ، وكان قصيراً
أسود دميماً ، وكان النعمان قد سمع شرفه فأتاه : فلما نظر إليه نَبَتَ عنه عَيْنُهُ ،
١٥ فقال : « تسمع بالمُعَيْدِي خَيْرٌ من أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال
ليست بِمُسُوكٍ يُسْتَقَى فيها الماء ، وإنما المرء بأصخريه : قلبه ولسانه ، إذا نطق
نطق ببيان ، وإن صال صال بجنان . قال : صدقت ! ثم قال له : كيف عليك
بالأمور ؟ قال : أبغض منها المقبول ، وأبرم المسحول ، وأحيلها حتى تحول ،
وليس لها بصاحب ، من لم ينظر في العواقب .

٢٠ ومنهم : ودعة بن عمرو صاحب بَسْبَس ، طليعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
عُدْرَةُ بن سعد هُذَيْم بن زيد بن لَيْث : منهم خالد بن عَرَفْطَةَ ، ولاء سعد
ابن أبي وقاص ميمنة الناس يوم القادسية . ومنهم عُرْوَةُ بن حِزَام صاحب عفرام
ومنهم رَزَاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأمه ، وهو الذي أعان قُصَيًّا حتى غلب على
البيت . ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر بن نَهْيَك صاحب بَيْدَةَ .

وبنو الحارث بن سعد . إخوة عُذرة .
فهؤلاء بطون قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة . وهؤلاء أولاد
جمير بن سبأ .

كهلان بن سبأ

٥ الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .
فمن قبائل الأزد : الأنصار ، والأوس ، والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن
عمرو بن عامر ، وأمهما قبيلة .

هؤلاء الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة - وهو العنقاء - ابن عمرو بن
ثعلبة - وهو المزيقيا - ابن عامر ، وهو ماء السماء .

١٠ فمن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس -
- وهم بنو السَّمِيعَة ، بها يعرفون - وهم عوف [وحبيب] وثلعة ولوذان ،
بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . منهم : عاصم بن ثابت
ابن أبي الأفلح الذي حَمَّت لحمه الدبر ، والأحوص [بن محمد] بن عبد الله الشاعر ،
وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان الحارث ، بدرى . وأبو مليل
١٥ ابن الأزعر ، بدرى .

حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، منهم : سويد بن الصامت
قتله المجذّر بن زياد في الجاهلية ، فوثب ابنه على المجذّر فقتله في الإسلام ، فقتله
النبي عليه الصلاة والسلام .

٢٠ عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .
منهم : سعد بن معاذ الذي اهتز لموته العرش ، بدرى ، حكم في بني قريظة والنضير ،
وعمر بن أخو سعد بن معاذ ، شهد بدرًا وقتل يوم أحد . والحارث بن أنس ، شهد
بدرًا وقتل يوم أحد ، وعمار بن زياد قتل يوم بدر ، وأسيد بن الحضير بن سمالك ،

شهد العقبة وبدراً؛ وربيعة بن زيد شهد العقبة وبدراً.
 ربيعة بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك
 ابن الأوس. منهم: رفاعة بن قيس، قتل يوم أحد. وسلمة بن سلامة بن وقش،
 شهد بدرًا وقتل يوم أحد. وأخوه عمرو بن سلامة، قتل يوم أحد، ورافع بن
 يزيد، بدرى.

زَعُورًا بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. منهم:
 مالك بن التَّيْهَانِ أبو الهيثم، نقيب بدرى عقبي؛ وأخوه عتبة^(١) بن التَّيْهَانِ، بدرى
 قتل يوم أحد.

خَطْمَةٌ هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس. منهم: عدى بن خرشة،
 وعمرو بن خرشة، وأوس بن خالد، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وعبد الله
 ابن يزيد الأنصاري، ولي الكوفة لابن الزبير.

واقف: هو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس. منهم: هلال بن
 أمية، وعائشة بن نمير الذي ينسب إليه بئر عائشة بالمدينة، وهرم بن عبد الله السلمي
 ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس. ومنهم: سعد بن خيشمة بن الحرث، بدرى
 عقبي نقيب، قتل يوم أحد.

عامرة: هم أهل رابح بن مرة بن مالك بن الأوس. منهم: وائل بن زيد بن
 قيس بن عامرة، وأبو القيس بن الأسلت.

الخزرج

فن بطون الخزرج: النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج: غنم بن مالك بن
 النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. منهم: أبو أيوب خالد بن زيد، بدرى.
 وثابت بن النعمان؛ وسراقة بن كعب؛ وعمارة بن حزم؛ وعمرو بن حزم؛ بدرى
 عقبي؛ وزيد بن ثابت صاحب القرآن والفرائض؛ بدرى؛ ومعاذ ومعوذ وعوف

(١) ويروى وعتيك،

- بنو الحارث بن رفاعه . وأمههم عفرام ، بها يعرفون ، شهدوا بدرًا ؛ وأبو أمامة أسعد بن زرارة ؛ نقيب عقبي بدرى ؛ وحارثة بن النعمان ، بدرى .
- مبذول : اسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج .
منهم : حبيب بن عمرو ، قتل يوم اليمامة ، وأبو عمرة ، وهو بشير بن عمرو ، قتل مع علي بن أبي طالب بصفين . والحارث بن الصمة ، بدرى . وسهل بن عتيك ، بدرى .
- حُدَيْلَة : هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . أمه حديلة وبها يعرفون . منهم : أنى بن كعب بن قيس بن عبيد بن معاوية . وأبو حبيب بن زيد ، بدرى .
- مَعَالَة : هو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار . منهم : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام شاعر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام .
- ملحان بن عدى بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : سُليمان بن ملحان ، وحرام بن ملحان ، بدريان ، قتل يوم بئر معونة .
- غنم بن عدى بن النجار . منهم : صرمة بن أنس بن صرمة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . ومحرز بن عامر ، بدرى . وعامر بن أمية ، بدرى ، قتل يوم أحد . وأبو حكيم وهو عمرو بن ثعلبة ، بدرى . وأبو خارجة وهو عمرو ابن قيس ، بدرى . وابنه سبرة أبو سليط ، بدرى . وثابت بن خنساء ، بدرى . قتل يوم أحد ، وأبو الأعور وهو كعب بن الحرث ، بدرى . وأبو زيد أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الحسحاس الذين ذكروهم حسان في قوله :

* ديار من بني الحسحاس قفر *

مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن زيد ، قطع

مسيلة جسده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليه ؛ وعبد الرحمن بن كعب من الذين تولوا وأعييهم تفيض من الدمع ، بدرى . وقيس بن أبي صعصعة ، بدرى . وغزيرة بن عمرو ، عقبي .

بنو الحارث بن الخزرج . منهم : عبد الله بن رواحة الشاعر ، بدرى عقبي نقيب . وخلاد بن سويد ، بدرى ، قتل يوم قريظة . وسعد بن الربيع ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم أحد . وخارجة بن زيد ، بدرى عقبي نقيب قتل يوم أحد . وابنه زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته . وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة وهو على الأنصار ؛ وبشير بن سعد ، بدرى عقبي . وأبو النعمان بن بشير . وزيد بن أرقم . وابن الأطنابة الشاعر .

وزيد بن الحارث الشاعر ، بدرى . وأبو الدرداء وهو عويمر بن زيد . وعبد الله بن زيد الذى أرى الأذان . وسبيع بن قيس ، بدرى . وعامر بن كعب الشاعر .

بنو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . منهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو ، بدرى عقبي . وعبد الله بن الربيع ، بدرى . وأبو سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك .

بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج . منهم سعد بن عبادة بن دُلَيْم ، كان من النقباء ، وهو الذى دعا إلى نفسه يوم سقيفة بني ساعدة . والمنذر بن عمرو ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم بئر معونة . وأبو دجانة وهو سيمك بن أوس بن خرشة . وقيس ابن سعد . وأبو أسيد وهو مالك بن ربيعة قتل يوم اليمامة . ومسيلة بن مخلد . سالم بن عوف بن الخزرج . منهم : الرَّمَق بن زيد الشاعر ، جاهلى . ومالك ابن العجلان بن زيد بن سالم سيد الأنصار الذى قتل الفِطْطِيُّونَ .

القَوَوقِل : هو غَنَم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . منهم : عبادة بن الصامت ، بدرى نقيب . ومالك بن الدُّخْشُم ، بدرى . والحارث بن خزيمة ، بدرى .

بنو يياضة بن عامر بن زُرَيْق . منهم : زياد بن لبيد ، بدرى . وفروة بن عمرو ، بدرى عقبي . وخالد بن قيس ، بدرى . وعمرو بن النعمان رأس الخزرج

- يوم بعث . وابنه النعمان صاحب راية المسلمين بأحد .
- العجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ ومن
بني العجلان : عبد الله بن فضلة بن مالك بن العجلان البدرى ، قتل يوم أحد .
وعياش بن عباد بن فضلة . ومُليل بن وبرة ، بدرى . وعصمة بن الحصين بن وبرة
بدرى . وأبو خيثمة ، وهو مالك بن قيس .
- الحُبلى : وهو سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ سمي
الحبلى لعظم بطنه . منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ؛ وابنه
عبد الله بن عبد الله ، شهد بدرًا وقتل يوم اليمامة . وأوس بن خولى ، بدرى .
- بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج .
منهم : ذكوان بن عبد قيس ، بدرى عقبى قتل يوم أحد . وأبو عباد سعد بن
عثمان ، بدرى . وعُتبة بن عثمان بدرى . والحارث بن قيس ، بدرى . وأبو عياش بن
معاوية فارس جُلوة ، بدرى . ومسعود بن حَلْدَة ، بدرى . ورفاعة بن رافع ،
بدرى . وأبو رافع بن مالك ، أول من أسلم من الأنصار .
- بنو سلمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج . منهم :
جابر بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . ومعاذ بن الصَّمَّة ، بدرى .
وخراش بن الصمة ، شهد بدرًا بفرسين . وعُتبة بن أبي عامر ، بدرى . ومعاذ بن
عمرو بن الجموح ، بدرى ، وهو الذى قطع رجل أبي لهب . وأخوه معوذ بن
عمرو ، قتل يوم بدر . وأبو قتادة واسمه النعمان بن ربيع . وكعب بن مالك
الشاعر وأبو مالك بن أبي كعب الذى يقول :
- لَعَمْرُ أَيْهَا مَا تَقُول حَلِيلَتِي هَذَا إِذَا فَرَّ عَنْهَا مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
- وبشر بن عبد الرحمن ؛ والزبير بن حارثة ؛ وأبو الخطاب وهو عبد الرحمن
ابن عبد الله ؛ ومعن بن وهب - هؤلاء الخمسة شعراء - وعبد الله بن عتيك ، قاتل
ابن أبي الحقيق . هذا نسب الأنصار .

خزاعة

هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ؛ وإنما قيل لهم خزاعة ؛
 لأنهم انخزعوا من ولد عمرو بن عامر في إقبالهم من اليمن ؛ وذلك أن بني مازن
 من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد - نزل بنو مازن على ماء بين زبيد
 ورمع يقال له غسان ؛ فمن شرب منه فهو غساني ؛ وأقبل بنو عمرو فانخزعوا من
 قومهم فنزلوا مكة ؛ ثم أقبل أسلم ومالك ومليكان بنو أفضى بن حارثة فانخزعوا ،
 فسموا خزاعة ، وافترق سائر الأزد ، فالأنصار وخزاعة وبارق والمُهْجَن وغسان ؛
 كلها من الأزد ، فجميعهم من عمرو بن عامر ، وذلك أن عمرو بن عامر ولد له حفنة
 والحارث وهو محرق ، لأنه أول من عذب بالنار ، وثعلبة العنقاء ، وهو أبو الأنصار ،
 وحارثة ، وهو أبو خزاعة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووداعة ، وهو في
 همدان ، وعوف ، وذهل ، وهو وائل ، وعمران . فلم يشرب أبو حارثة ولا
 عمران ولا وائل من ماء غسان ، فليس يقال لهم غسان .

بطون من خزاعة

حليل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . وهو كان صاحب
 البيت قبل قريش ، منهم المحترش بن حليل بن حبشية - الذي باع مفتاح الكعبة
 من قصي بن كلاب - ، وهلال بن حليل ، وكرز بن علقمة - الذي قفا أثر النبي
 صلى الله عليه وسلم حتى دخل الغار ، وهو الذي أعاد معالم الحرم في زمن معاوية
 فهي إلى اليوم - ، وطارق بن باهية الشاعر .

قير بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . فمن بني قير : بُسر
 ابن سقيان الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلجلة بن عمرو الذي
 ذكره أبو الكنود في شعره ، ومن ولده قبيصة بن ذؤيب بن جلجلة ، ومالك بن
 الهيثم بن عوف .

كليب بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة ، منهم : السفاح

ابن عبد مناة الشاعر ، وخرّاش بن أبي أمية حليف بني مخزوم ، وهو الذي حجّم^(١) النبي عليه الصلاة والسلام .

ضاطر بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : حفص ابن هاجر الشاعر ، وُقرة بن إياس الشاعر . وكان ابنه يحيى بن قرة سيد قومه - وطلحة بن عُبيد الله بن كُرَيْز بن الحدادية الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو .

حَرَام بن عمر بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم أكرم ابن أبي الجون ، وسلمان بن صرد بن الجون ، ومعتب بن الأكوع الشاعر . وأم معبد : وهي عاتكة بنت حُليفة التي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجرته إلى المدينة .

١٠ غاضرة بن عمرو بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : عمران بن حصين صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وسعيد بن سارية ، ولى شرطة علي بن أبي طالب . وأبو جمعة جد كثير عزة . وجعدة وأبو الكنود ابنا عبد العزى .

١٥ مليح بن خزاعة ، منهم : عبد الله بن خلف ، قتل مع عائشة يوم الجمل . وأخوه سليمان بن خلف ، كان مع عليّ يوم الجمل ، وابنه طلحة بن عبد الله ابن خلف يقال له طلحة الطلحات ، وهو أجود العرب في الإسلام ، وعمرو بن سالم الذي يقول :

لَا هُمْ إِنْ نَاشَدُوا مُحَمَّدًا * حِافًا أَيْبِنَا وَأَيْبِيهِ الْأَتْلَدَا

ومنهم كثير عزة الشاعر ، كنيته أبو عبد الرحمن .

٢٠ عدى بن خزاعة . منهم : بديل بن ورقاء الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وابنه عبد الله بن بديل ، ونافع بن بديل ، قتل يوم بئر معونة ، ومحمد بن ضمرة كان شريفًا ، والحيسان بن عمرو الذي

(١) في بعض الأصول : حلق .

جاء بقتلى أهل بدر إلى مكة وأسلم بعد ذلك .

سعد بن كعب بن خزاعة ؛ منهم : مطرود بن كعب الذي رثى بني عبد مناف ،
وعمر بن الحَمِيق صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد وهو أسد
ابن عبد الله ؛ والحصين بن فضالة ، كان سيد أهل تهامة ، مات قبل الإسلام ؛
والحرث بن أسد ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

المُصطلق بن سعد بن خزاعة ؛ منهم جُويرية بنت الخزرج زوج النبي عليه
الصلاة والسلام .

وإخوة خزاعة وهم ينسبون في خزاعة : أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو
ابن عامر ؛ منهم : بريدة بن الحُصَيْب صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . وسَلْبة
ابن الأكوغ صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومَلْكان بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر . ومنهم ذو الشمالين ، وهو
عمير بن عبد عمرو ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومالك بن الطلائفة ،
كان من المستهزئين من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونافع بن الحارث ولي مكة
لعمر بن الخطاب .

مالك بن أفضى بن عمرو بن عامر ؛ منهم : عويمر بن حارثة ؛ وسليمان بن كثير ،
من نُقباء بني العباس ، قتله أبو مسلم بخراسان .

سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرهد
ابن رِزاح كان شريفًا ، وأبو بردة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .
فرغت خزاعة .

بارق والهجن

ولد عدى بن حارثة بن عامر : سعدا - وهو بارق - ، وعمراً - وهم الهجن -

نخزاعة وبارق والهجن : من بني حارثة بن عمرو بن عامر .

فمن بارق : سراقه بن مرداس الشاعر وجعفر بن أوس الشاعر ، ومنهم
النعمان بن تحميصه ، جاهلي شريف . وبارق والهجن لا يقال لهما غسان ؛ وغسان
ماء بالمشلل ، فمن شرب منه من الأزد فهو غساني ، ومن لم يشرب منه فليس بغساني ؛
وقال حسان :

٥ إذا سألتِ فإنا معشرٌ نُجِبُّ . الأزدُ نِسبتنا والماءُ غسانٌ

ومن الهجن : عرجفة بن هرثمة الذي جند الموصل ، وعداده في بارق ؛ ومنهم
ربعة وملادس وعلبة وشيبب والمع ، بنو الهجن .

١٠ حُجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن
الأزد ؛ ومنهم : أبو شجرة بن حُجنة ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم :
صيفي بن خالد بن سلمة بن هُرَيم .

والعتيك : هو ابن الأزد بن عمران بن عمرو ؛ منهم : المهلب بن أبي صفرة ،
واسم أبي صفرة ظالم بن سراقه ؛ وجديع بن سعيد بن قبيصة . ومن العتيك :
عمرو بن الأشرف ، قتل مع عائشة يوم الجمل ؛ وابنه زياد بن عمرو ، كان
شريفاً ؛ وثابت قُظنة الشاعر . ويقال إن العتيك : ابنُ عمران بن عمرو بن
١٥ أسد بن حُزيمة . فهؤلاء بنو عمران بن عمرو بن عامر ؛ وهم : الحجر ،
والأزد ، والعتيك .

ومن بطون الأزد :

بنو ماسخة بن عبد الله بن مالك بن النصر بن الأزد ، إليهم تنسب القسي
الماسخية ، كان أول من رمى بها بنو زهران بن كعب بن الحارث بن كعب
٢٠ ابن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد . ومنهم : حُمة بن رافع ؛ وفيهم :
بنو الغمر بن عثمان بن النصر بن هوازن ؛ ومنهم : أبو الكنود صاحب
ابن مسعود ، قتل يوم الفجار ؛ وأبو الجهم بن حبيب ، كان والياً لأبي جعفر ؛

وأبو مريم ، وهو حذيفة بن عبد الله ، صاحب رايتهم يوم رستم ، والحارث بن حصيرة الذي يحدث عنه ، ومخلد بن الحسن ، كان فارساً بخراسان .
وفهم بن زهران بطن وحُدان بطن ، وزيادة بطن . ومَعُولَة ، بنو شمس ابن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن هوازن .
فمن بني حُدان : صبرة بن شيبان ، كان رأس الأزد يوم الجمل ، وقتل يومئذ .

ومن بني مَعُولَة بن شمس : الجُلندي بن المُستكين صاحب عثمان ، وابنه جَيْفَر . وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعبيد ابني الجلندي ، ومنهم الغطريف الأصغر والغطريف الأكبر من بني دُهَمان بن نصر بن زهران ، ومنهم سبالة ، وحدرج ، ورثن بنو عمرو بن كعب بن الغطريف ، بطون كلهم ،
وبنو جَعِشمة بن يشكر بن ميسر بن صعب بن دُهَمان .

بنو راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، منهم : عبد الله ابن وهب ذو الثففات ، رئيس الخوارج ، قتله علي بن أبي طالب يوم النهروان .
ومن الناس من ينسب بني راسب في قُضاة .

ثمالة ، وهو عوف بن أسلم بن أبحر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد . وثمالة منزلهم قريب من الطائف ، وهم أهل روية وعقول ، ومنهم : محمد بن يزيد النحوي المعروف بالبرد صاحب الروضة ، وقال فيه بعض الشعراء :

سألنا عن ثمالة كلِّ حَيٍّ . فقال القائلون ومن ثمالة .

فقلتُ : محمد بن يزيد منهم ، فقالوا الآن زدت بهم جهالة .

بنو لُهَب بن أبحر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أعْيَف كلِّ حَيٍّ في العرب - العائف : الذي يزجر الطير - ولهم يقول كثير عزة :

تيممتُ لُهَباً أبتغى العلمَ عندهم . وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لُهَبِ

دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ، ومنهم حُمّة بن الحارث بن رافع ، كان سيد دوس في الجاهلية ، وكان استخى العرب ، وهو مُطعم الحاج بمكة ، ومنهم أبو هُريرة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، واسمه عُمر بن عامر . ومنهم جَدِيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وجهضم بن عوف بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس ، ومنهم الجراميز ، جمع جرموز ، والقرايس ، جمع قردوس ، والقسامل ، جمع قسملة ، والأشاعر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دوس ، وفيهم يقول الأعمى :

قالوا الأشاعر تهجوكم فقلت لهم . ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
وهم من الحسب الزاكي بمنزلة . كطحلب الماء لا أصل ولا ورق
لا يكبرون وإن طالت حياتهم . ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

عكّ بن عدنان بن عبد الله بن زهران . وعكّ أخو دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران عند من نسبهم إلى الأزدي ، ومن قال غير ذلك ، فهو عكّ ابن عدنان أخو معد بن عدنان . وفي عكّ : قرن ، وهو بطن كبير ، منهم مقاتل ابن حكيم ، كان من نقباء بني هاشم بخراسان .

غسان ، وهم بنو عمرو بن مازن ، وفيهم : صريم ، وبنو نفيل ، وهم الصبر ، سُموا بذلك لصبرهم في الحرب ، وفي بني صريم شقران وتمران ابنا عمرو بن صريم ، وهما بطنان في غسان .

بنو عذرة بن عمرو بن عوف بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزدي . منهم : الحارث بن أبي شمر الأعرج ، ملك غسان الذي يقال فيه الجفني ، وليس بجفني ولكن أمه من بني جفنة . ومن بني عمرو بن مازن : عبد المسيح ابن عمرو بن ثعلبة صاحب خالد بن الوليد ، ومنهم عبد المسيح الجهبذ ، ومنهم سطيح الكاهن ، وهو ربيعة بن ربيعة .

ومن بني غسان : بنو جفنة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة

ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزدي ؛ ومنهم : ملوك غسان بالشام ، وهم سبعة وثلاثون ملكا ، ملكوا ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن جاء الإسلام .

بجيلة ، وهم عبقر والغوث وصهيب ، ووداعة وأشهل ؛ نُسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ؛ وهم بنو أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخو الأزدي بن الغوث . منهم : جرير بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان يُقال لجرير : يوسف هذه الأمة ؛ لحسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتُ بجيلة * نِعَمَ الفَيِّ وبُئِستِ القبيلةُ

ومنهم : الضبين بن مُضر الذي وقع بيني كنانة ، ومنهم القاسم بن عُقيل أحد بني عائذة بن عامر بن قُداد . كان شريفا . وهو الذي ابتدأ منافرة بجيلة وقضاة .

وفي بجيلة قيس بن عبقر منهم : خالد بن عبد الله القسري صاحب العراق . ومنهم بنو أحمس ، وهم بنو علقمة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو ابن الغوث ؛ وبنو زيد بن الغوث بن أنمار ؛ وبنو دهن بن معاوية بن أسلم ابن أحمس رهط عمار الدهني .

ومن قبائل بجيلة : هُدم ، وهديم ، وأحمس ، وعادية ، وعدية ، وقينان ، وعُرينة بن زيد .

خنعم - هو : خنعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخى الأزدي ابن الغوث . ففي خنعم : عفرس ، وناهس ، وشهران ، فيها الشرف والعدد . فمن بني شهران : بنو قحافة بن عامر بن ربيعة ؛ منهم : أسماء بنت عميس ، ومالك بن عبد الله الذي قاد خيل خنعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ومن ربيعة بن عفرس : نُفيل بن حبيب دليل الحبشة على الكعبة ، وهو القاتل :

وكاهم يُسائل عن نُفيل . كأنَّ عليَّ للحُبُشان دينا

وما كانت دلائلهم بزَيْنٍ * ولكن كان ذاك على شَيْننا
فإنك لو رأيت ولم تَرِيه * لدى جنب المَحْصَبِ مارأينا
إذا لم تفرحى أبداً بشيء * ولم تأسى على ما فات عينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً * وحُصَبَ حجارة ترمى علينا

ومن خثعم : عثعث بن قحافة ، وهو الذي هزم همدان ومذحج . وله

يقول الشاعر :

وجرثومة لم يدخل الذلُّ وسَطَها * قريبة أنسابٍ كثيرٍ عديدها
مُلمِلمة فيها فوارسُ عَثْعَثٍ * بنوهُ وأبناء الأقبِصِرِ جِدها

ومنهام حمران الذي يقول :

١٠ أقسمتُ لا أموتُ إلا حُرّاً * وإن وجدتُ الموتَ طعماً مُراً

أخافُ أن أخدَعَ أو أغرأ

ويقال إن خثعم اسمه أفتل ، وإنما خثعم بجمل كان لهم نسبوا إليه .

همدان

وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحِيار بن مالك بن زيد

١٥ ابن كهلان : فولدت همدان : حاشداً وبكيلاً ؛ ومنهما تفرقت همدان .

فمن بطون همدان شيبام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد .

ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن جشم بن حاشد . ومنهم وداعة

ابن عمرو بن عامر ، رهط مسروق بن الأجدع ؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة

ابن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنهم انتسبوا إلى همدان

٢٠ ومن همدان : بنو السبيع بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن جشم

ابن حاشد ؛ منهم : سعيدي بن قيس بن زيد بن حرب بن معديكرب بن سيف بن عمرو

السيبيعي ؛ ومن بني ناعط : الحارث بن حميرة الذي يمدحه أعشى همدان بقوله :

إلى ابن حميرة تخدي بنا * على أنها القاص الضمر

ومن بنى بكيل بن جشم بن خوان بن نوف بن همدان : بنو جوب - وهم الجويون - ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل . وبنو أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب . وبنو شاكر ، وهم أبو ربيعة ابن مالك بن معاوية بن صعب ، وهم الذين قال فيهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم الجمل : لو تمت عدتكم ألقا لعبد الله حق عبادته . وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر :

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مُغلقةً . ومثلُ همدانَ سنى فتحةَ البابِ

كالهَندوانِ لم تُقللْ مضارِبُهُ . وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرٌ وجابِ

وقال فيهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزيّنُهُم . وبأسٌ إذا لاقوا وحسُنُ كلامِ

فلو كنتُ بواباً على بابِ جنّةٍ . لقلتُ لهمدانَ أدخلوا بسلامِ

ومن أشرف همدان : مالك بن حريم الدلاني ، وكان فارساً شاعراً : ومنهم محمد بن مالك الخيواني ، وكان يُجبر قريشاً في الجاهلية على اليمن ؛ وفي همدان : جشم ، وهم رهط أعشى همدان ؛ وفيهم خيوان ، وهو مالك بن زيد بن جشم بن حاشد ؛ وفيهم دألان بن سابقة بن ناشج بن دافع ؛ منهم مالك بن حريم الذى يقول :

وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُم . فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ

متى تجمع القلبَ الذكى وصارماً . وأنفاً حمياً تجتديك المظالمُ

ومنهم : أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل . منهم : أبو رهم بن مطعم الشاعر ، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بن خمسين ومائة سنة .

وفي همدان : إلهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك ، ومنهم : حوشب . قتل بصفين مع معاوية .

كِنْدَةَ

كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

فن بطون كندة : الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة ؛ منهم : شريح بن الحارث القاضي ؛ ومنهم معاوية الأكرمين الذي مدحهم الأعشى ؛ ومنهم الأشعث ابن قيس بن معديكرب ؛ والصباح بن قيس وشرحبيل بن السمط ، ولي حص ؛ وحجر بن عدى الأديب صاحب علي ، وهو الذي قتله معاوية صبراً .

ومنهم : بنو مرة بن حجر ، لهم مسجد بالكوفة ؛ ومنهم : الأسود بن الأرقم ؛ ويزيد بن فروة الذي أجاز خالد بن الوليد يوم قطع نخل بني وليعة ؛ وفي كندة معاوية الولادة . سُمي بذلك لكثرة ولده ؛ ومنهم حجر الفرد ، سمي بذلك لجوده ، وأهل اليمن يُسمون الجواد : الفرد ، ومنهم معاوية مقطّع النجد ، كان لا يتقلد أحد معه سيفاً إلا قطع نجاده .

فن بنى حجر الفرد المملوك الأربعة : مخوس ، ومشرح ، وجمد ، وأبضعة ؛ وأختهم العمردة ، بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن حجر الفرد ؛ وهم الذي يقول فيهم الشاعر :

نَحْنُ قَتَلْنَا بِالنَّجِيرِ أَرْبَعَةَ * مَخُوسٍ مِشْرَحًا وَجَمْدًا أَبْضَعَهُ

ومن بنى امرئ القيس بن معاوية : رجاء بن حيوة الفقيه ، وامرؤ القيس ابن السمط . ومن أشراف بنى الحرث بن معاوية بن ثور : امرؤ القيس الشاعر ابن حجر بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور ؛ وهم ملوك كندة ؛ ومنهم : حجر بن الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قظام بنت عوف بن محلم الشيباني .

ومن بطون كندة : السكاسك والسكون . ابنسا أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حديج ؛ قاتل محمد بن أبي بكر ؛ ومنهم الجون بن يزيد ، وهو أول

من عقد الحلف بين كندة وبين بكر بن وائل ؛ ومنهم حُصَيْن بن نَمِير السَّكُونِي ،
صاحب الجيش بعد مُسلم بن عُقبَةَ صاحب الحرَّة .
ومن السَّكُون : تَجِيب ؛ وهما عدي وسعد ابنا أشرس بن شبيب بن السكون
وأمهما تَجِيب بنت ثوبان بن مذحج ، إليها ينسبون .
٥ فمن أشراف تَجِيب : ابنُ غزالة الشاعر ، جاهلي ، وهو ربيعة بن عبد الله ؛
وحارثة بن سلمة ، كان على السكون يوم مُحَيَّاة ، وهو يوم اقتتلت معاوية بن كندة
وكنانة بن بشر الذي ضرب عثمان يوم الدار .
والسَّكاسك بن أشرس بن كندة ، منهم الضَّحَّاك بن رَمَل بن عبد الرحمن ؛ وُحَوَيَّ
ابن مانع الذي زعم أهل الشام أنه قتل عمار بن ياسر ؛ ويزيد بن أبي كبشة صاحب
١٠ الحجاج . انقضى نسب كندة .

مذحج

ومن بني أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان : مالك بن أدد ، وهو مَذْحِج وطَيْئ بن أدد
والأشعر بن أدد .
١٥ وقال ابن الكلبي : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر : مالك
ابن مذحج وطئ بن مذحج والأشعر بن مذحج .
فمن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛ وولده الحكم بن سعد
العشيرة ، وهو قبيل كبير ؛ منهم الجراح بن عبد الله الحكمي ، قتله الترك أيام
عمر بن عبد العزيز ، وهم موالي أبي نواس . وفي بعضهم يقول :
٢٠ يا شقيق النَّفْسِ مِنْ حَكْمٍ هـ نِمْتَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أُنْمِ
وإنما سمي سعد العشيرة ؛ لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده
ثلاثمائة رجل ؛ ومنهم عمير بن بشر ، ومنهم بُندقة بن مَظَّة .
ومن بطون سعد العشيرة : جَعْف بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛

وصعب بن سعد العشيرة ، دخل في جُعب وجزء بن سعد العشيرة فمن ولد جزء بن سعد العدل ، والجمد ؛ وكان العدل على شرطة تبع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يدي عدل . وهو قولُ الناس : فلان على يدي عدل ، إذا كان مشرفاً على الهلاك .

- ٥ ومن أشرف جُعب : أبو سبرة ، وهو يزيد بن مالك ؛ كان وقد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له ؛ ومنهم شراحيل بن الأصهب ، كان أبعد العرب غارة كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء في مائة فارس من بني أبيه ؛ فقتله بنو جعدة ففيه يقول نابغة بنى جعدة .

أَرَحْنَا مَعْدًا مِنْ شَرَا حَيْلٍ بَعْدَ مَا هَ . أَرَاهَا مَعَ الصُّبْحِ الْكِرَاكِبِ مَظْهَرًا

- ١٠ وعلقمة الحزَابِ أَدْرَكَ رَكُضَنَا هَ . بِذِي الرَّمْكِ إِذْ صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرًا
وعلقمة الحزَاب كان رأس بني جعب بعد شراحيل . ومن بني جعب : زحر ابن قيس صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومنهم الأشعر بن أبي حمران الذي يقول فيه :

أُرِيدُ دُعَاءَ بَنِي مَازِنٍ هَ . وَرَاقَ الْمُعَلَّى بِيَاضِ اللَّبَنِ

- ١٥ خَلِيلَانَ مُخْتَلَفٌ بَيْنَنَا هَ . أُرِيدُ الْعَلَاءَ وَيَبْغِي السَّمْنَ
ومنهم : عبيد الله بن مالك الفانك الجعفي .

ومن بني سعد العشيرة : أود ؛ وزُبيد ، واسمه منبّه ؛ وهما ابنا صعْب بن سعد العشيرة وزُبيد الأصغر ، وهو منبّه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زُبيد بن صعْب بن سعد العشيرة . ومنهم : أبو المغراء الشاعر ، ومنهم

- ٢٠ الزعافر وهو عامر بن حرب بن سعد بن منبّه بن أود ، ومنهم عبد الله بن إدريس الفقيه ، ومنهم الأفوه الشاعر ، واسمه سلامة بن عمرو ، ومنهم : بنو رَمَان بن كعب بن أود ، من ولده عافية بن يزيد القاضي ، وبنو قرن لهم مسجد بالكوفة .
زُبيد بن صعْب بن سعد العشيرة . واسمه منبّه وهو زُبيد الأكبر . من

ولده زُيد الأصغر ، وهو زيد بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زيد
ابن صعْب .

ومن بني زيد الأصغر : عمرو بن معديكرب ، وعاصر بن الأصقع الشاعر ،
ومعاوية بن قيس بن سلمة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمي الأفكل لأنه
كان إذا غضب أَرعد ؛ ويقال : الأفكل من بني زيد الأكبر . ومنهم : الحارث
ابن عمرو بن عبد الله بن قيس بن أبي عمرو بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن زيد
الأصغر . فهذه سعد العشيرة .

ومن مدحج : جنب ، وصداء ، ورُهاء ، فمن بني جنب : مُنبه ، والحارث ،
والغلي وشيخان ، وشمران ، وهَمَّان . فهؤلاء الستة - وهم جنب - بنو يزيد بن
حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد ؛ وإنما قيل لهم جنب ؛ لأنهم جانبوا
أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ؛ وحالفت صداء بني الحارث بن كعب . فمن
جنب أبو طيبان الجنبى الفقيه . ومنهم : معاوية الخير بن عمرو بن معاوية صاحب
لواء مدحج . وهو الذى أجاز مهلهل بن ربيعة التغلبى على بكر بن وائل ، فتزوج
ابنة مهلهل . وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب وائل :

هان على تغلب بما لقيت * أختُ بنى الأكرمين من جُشم

أنكحها فقدُها الأراقم فى * جنبٍ وكان الحياء من أدم

لو بأبائين جاء يخطبُها * رُمْل ما أنف خاطب بدم

وقوله : وكان الحياء من أدم ، أى إنه ساق إليها فى مهرها قبة من أدم .

صداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهم حلفاء

بني الحارث بن كعب بن مدحج .

رهاء بن مُنبه بن علة بن جلد بن مالك . ومنهم : هِزَّان بن سعيد بن قيس

بن سرح ، كان من أشرف أهل الشام .

بنو الحارث بن كعب بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهو بيت

مذحج . منهم : زَعْبِل ، بطن في بني الحارث ، وهو الذي يقال فيه : لا يكلم زَعْبِل .
 وكان شريفًا . ومنهم الْمُحَجَّل بن حَزْن . ومنهم بنو حماس بن ربيعة . منهم النجاشي
 واسمه قيس بن عمرو . وفيهم بنو المَعْقِل بن كعب بن ربيعة . ومنهم مَرثد ومُرَيْثد
 ابنا سلمة بن المعقل ، قيل لهم المرثد . ومنهم المأمون بن معاوية اجتمعت عليه
 ٥ مذحج ومُزاحم بن كعب . ومنهم اللجلاج ، وأخوه مُسهر الذي فقأ عين عامر بن
 الطفيل يوم فَيْف فَيْف الريح ، وعبد يَغوث بن الحارث الشاعر قتيل التيم يوم
 الكلاب ، وهو القاتل :

أقول وقد شدوا الساقى بِدِسْعَةٍ ٥ أليال تيمم أطلقوا من لسانيا

وَأَضْحَك مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشِمِيَّةٌ ٥ كَأَن لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا

١٠ ومنهم بنو قُنَان بن سلمة . منهم : الحُصَيْن ذو العُصَّة بن مَرثد بن شداد بن
 قُنَان ، وهو رأس بني الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ،
 قتلته همدان ؛ من ولده : كثير بن شهاب بن الحُصَيْن .
 ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث .

وفي بني الحارث بن كعب : الصُّبَاب : منهم هند بن أسماء الذي قتل
 ١٥ المُنتشر الباهلي .

وفيهم : بنو الدِّيَان . فيهم زياد بن النضر صاحب علي . والربيع بن زياد ،
 ولي خراسان أيام معاوية . والنابعة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبار . هؤلاء
 بنو الحارث بن كعب .
 الصُّبَاب في بني الحارث بن كعب : مفتوحة الضاد ، وفي عامر بن صعصعة :

٢٠ مكسورة الضاد .

ومن بطون مذحج : مُسَلِيَّة بن عامر بن عمرو بن عُلَّة بن جَلْد بن مالك . فولد
 مُسَلِيَّة ، كنانة وأسدا : منهما تفرقت مسلية .

كنانة وأسد ابنا مُسَلِيَّة . فمن بني كنانة بن مسلية : بنو صُبَّح وثلعة ابنا ناشرة ،
 بنو حبابة

وأمهما حُبابة بها يعرفون . منهم أبي بن ربيعة بن صُبح الذي يقول له عمرو بن معد يكرب :

تَمَنَّائِي لِيَقْتَلَنِي أُنَى * وَدَدْتُ وَأَيْنَا مَنِي وَدَادِي ^(١)

ومن بني حُبابة : عامر بن إسماعيل القائد ، وابن الحُبابة الشاعر ، جاهلي ومن مذحج النَّخَع بن عمرو بن عُلَّة بن جلد بن مالك بن أدد .

فمن بطون النَّخَع : عمرو ، بطن ؛ وصُهبان ، بطن ؛ ووَهيبيل ، بطن ؛ وعامر ، بطن ؛ وجذيمة ، بطن ؛ وحارثة ، بطن ؛ وكعب ، بطن .

فمن بني جَذِيْمَة سعد بن مالك بن جلد بن النَّخَع : الأشتر ، واسمه مالك بن الحارث ؛ وثابت بن قيس بن أبي المُنْقَع .

ومن بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع : إبراهيم بن يزيد الفقيه ، والحجاج ابن أُرطاة .

ومن بني وَهَيْبِيل بن سعد بن مالك بن النَّخَع : سِنَان بن أنس الذي قتل الحسين ابن علي ؛ وشريك بن عبد الله القاضي .

ومن بني صُهْبَان بن سعد بن مالك بن النَّخَع : كُمَيْل بن زياد صاحب علي بن أبي طالب ، قتله الحجاج .

وفي النَّخَع : جُشْم ، وبكر . فمن بني جُشْم : العُريَان بن الهيثم بن الأسود . ومن بني بكر بن عوف بن النَّخَع : يزيد بن المكفف . وعلقمة بن قيس . وأخوه أبي بن قيس ، قُتِل مع عليّ بصفين . وأخوهما يزيد بن قيس . وابنه الأسود بن يزيد العابد .

ومن مَذْحِج : عَدَس بن مالك بن أدد . فولد عَدَس : سعداً الأكبر ، وسعداً الأصغر ، ومالكا ، وعمرا ، ومخامرا ، ومعاوية ، وعربيا ، وعَتِيكا ، وشهابا ، والقَريّة ، وياما .

(١) في بعض الاصول : و ثمامة قفرة بغت المبيضا .

فمن بنى مالك بن عَنَس : الأسود بن كعب الذى تنبأ باليمن .
 ومن بنى يام بن عَنَس : عَمَّار بن ياسر صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .
 ومن بنى سعد الأكبر : الأسود بن كعب : تبناه سعد الأكبر ، وكان كاهناً .
 ومن أشرف عَنَس : عامر بن ربيعة ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو حليف لقريش .

ومن بطون مذحج : مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ، ويسمى يُحَايِر .
 فمن بطون مراد : ناجية وزاهر وأنعم . فمن بنى ناجية بن مراد : فروة بن
 مُسِيك ، كان والياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نَجْران .

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث . ومنهم أُويس
 القَرْنى بن عمرو بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عَصْوَان بن قَرْن بن
 رُدْمان بن ناجية بن مراد ، وهو الذى يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه :
 يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر . وكان من التابعين ، وقد أتى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه .

وفى ناجية بن مراد : بنو عَطِيف بن عبد الله بن ناجية ، ويقال إنهم من
 الأزْد . وهانىء بن عُرْوَة المقتول مع مُسَلَّم بن عقيل .
 وفى ناجية بن مراد : بنو جمل بن كنانة بن ناجية ، منهم : هند بن عمرو ،
 قتله عمرو بن اليبثري يوم الجمل ، وقال فى ذلك :

إِنى لَمَنْ يَجْهَلُنى ابن اليبْثري . قَتَلت عِلْبَاءَ وهند الجملى

وابناً لَصُوحان على دين على

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث ، وهو قيس
 بن مكشوح .

طىء

هو طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان أخو مذحج ،

- ويقال ابن مدحج في رواية ابن الكلبي؛ فولد طيئ الغوث وفطرة والحارث .
- فبن بطون طيئ : جديلة وهم بنو جندب وبنو حور ، وأمهما جديلة وبها يعرفون ، وهي جديلة طيئ . فأما بنو حور بن جديلة فسهليون وليسوا من الجبليين ، وأما بنو جندب بن جديلة فهم من الجبليين ، وفيهم الشرف والعدد ، وفيهم الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب .
- فبن بنى ثعلبة بن جدعاء : المعلى بن تيم بن ثعلبة بن جدعاء ، عليه نزل امرؤ القيس بن حُجر الشاعر ؛ إذ قُتل أبوه حجر بن الحارث ، وقال في المعلى :
- كأني إذ نزلتُ على المعلى . نزلت على البواذخ من شَمَامِ
فما ملكُ العراقِ على المعلى . بمقتدِرٍ ولا مُلكُ الشَّامِ
أقرَّ حشا امرئِ القيسِ بنِ حُجْرٍ . بنو تيمٍ مصابيحُ الظلامِ
- فسمي بنو تيم بن ثعلبة : مصابيح الظلام .
- فبن ثعلبة بن جدعاء : الحر بن مشجعة بن النعمان ، كان رئيس جديلة يوم مسيلة الكذاب ؛ ومنهم أوس بن حارثة بن لام سيد طيئ ؛ ومنهم حاتم بن عبد الله الجواد ؛ وابنه عدى بن حاتم ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليها وجلس هو على الأرض . قال عدى : فما رمت حتى هداني الله للإسلام ، وسرّني ما رأيت من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وفي بنى عمرو بن الغوث بن طيئ : ثعل ، بطن ، ونبهان ، بطن ؛ وبولان ، بطن ؛ وسلامان ، بطن ؛ وهني ، بطن .
- فبن هني : إياس بن قبيصة ؛ وأبو زيد الشاعر ، واسمه حرملة بن المنذر .
- ومن بنى سلامان : بنو بختر ، بطن طيئ ، ومن بنى بختر معرض بن صالح ، اجتمعت عليه جديلة والغوث .
- ومن بنى ثعل : عمرو بن عبد المسيح ، كان أرمى العرب ، وإياه يعني امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ * مَخْرَجٌ كَفَيْهِ مِنْ قُتْرَةٍ

وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .
ومن بني ثعل : أبو حنبل الذي يعد في الأوفياء نزل به امرؤ القيس ومدحه
ومنهم زيد الخيل ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير ، وقال :
« ما بلغني عن أحدٍ إلا رأيتُه دون ما بلغني ، إلا زيد الخيل » .
وفي طي : سُدوس . وهي مضمومة السين ، والتي في ربيعة مفتوحة السين .

الأشعر

هو الأشعر بن أدد أخو مذحج - ويقال : ابن مذحج ، في رواية ابن الكلبي -
فولد الأشعر : الجماهر ، والأرغم ، والأدغم ، والأنعم ، وجُدَّة ، وعبد شمس ،
وعبد الشُّريا .

فمن بطون الأشعريين : مُراطة ، وُصنامة ، وأسد ، وسهلة ، وعُكابة ،
والشراعبة ، وعُسامة ، والدعاج .

ومن أشراف الأشعريين : أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، صاحب
النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم مالك بن عامر بن هاني بن خِفاف ، وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية ، وهو أول من عبر دجلة يوم المدائن ،
وقال في ذلك :

امضُوا فَإِنَّ الْبَحْرَ بَحْرٌ مَأْمُورٌ * وَالْأَوَّلُ الْقَاطِعُ مِنْكُمْ مَأْجُورٌ

قد خابَ كِسْرَى وَأَبُوهُ سَابُورٌ * مَا تَصْنَعُونَ وَالْحَدِيثُ مَأْتُورٌ

وابنه سعد بن مالك ، كان من أشراف أهل العراق ، ومنهم : السائب ابن مالك ،
كان على شرطة المختار وهو الذي قوى أمره ؛ ومنهم : أبو مالك الأشعري ، زوجته
النبي عليه الصلاة والسلام إحدى نساء بني هاشم وقال لها : « ما رضيت أن زوجتكَ
رجلا هو وقومه خيرٌ مما طلعت عليه الشمس ! » وقال النبي عليه الصلاة والسلام :
« يا بني هاشم ، زوجوا الأشعريين وتزوجوا إليهم ؛ فإنهم في الناس كصرة المسك »

وكالاترج الذي إن شمته ظاهراً وجدته طيباً ، وإن آخبرت باطنه وجدته طيباً ،
فهؤلاء بنو أدد ، وهم مذحج وطبي والأشعر ، بنو أدد بن زيد بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان .

لخم

هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولدت لخم : جزيلة ،
ونمارة ؛ ومنهما تفرقت بطون لخم .

فمن بني نمارة : بنو الداري ، وهو هاني بن حبيب بن نمارة . منهم تميم
الداري صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

وفي نمارة الأجوّد ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زياد بن نمارة رهط الطرمّاح
ابن حكيم الشاعر ؛ ويقال إن الطرمّاح من طبيّ - ومنهم : قصير بن سعد صاحب
جذيمة الأبرش .

ومن بني نمارة : ملوك الحيرة اللّخميون . رهط النعمان بن المنذر بن امرئ
القيس بن النعمان .

وفي جزيلة بن لخم بطون كثيرة ، منهم : إراش ، وحجر ، ويشكر وأدب ،
وخالفة - وهو راشدة - وغنم ، وجديس ، بطن عظيم .

وفي جزيلة بن لخم أيضاً العَمَرَط ، وفيهم عباد الحيرى منهم رهط عدى
ابن زيد العبادي . وفيهم بنو منارة ، وفيهم جدس بن إدريس بن جزيلة بن لخم
منهم مالك بن دُعر بن حُجر بن جزيلة بن لخم ؛ يقال إنه الذي آستخرج يوسف
ابن يعقوب - صلوات الله وسلامه عليه - من الجب .

جذام

هو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولد جذام حراماً وحشماً ؛
ومنهما تفرقت جذام .

فمن بنى حشم بن جذام : بنو عتيب بن أسلم بن خالد بن شنوءة بن تديل
ابن حشم بن جذام ، وهم الذين يُنسبون في بني شيبان .

وفي حرام بن جذام بنو غطفان ، وأفصى ، ابنا سعد بن إياس بن حرام ؛
وفيها عدد جذام وشرُفها ؛ ويقال إن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان
هو هذا .

فمن بنى أفصى بن سعد : رَوْح بن زنباع ، وزير عبد الملك بن مروان ؛
وقيس بن زيد ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى غطفان بن سعد : عَنَس ، ونضرة ، وأبامة ، وعبدة ، وحرب ،
ورِيث ، وعبد الله ، بطون كلهم ؛ فانتسب ريث وعبد الله في غطفان بن قيس ،
وغيرهم في جذام

عاملة

هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب
ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولد الحارث الزهد ومعوية وأمهما
عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاة ، فنسبا إلى أمهما ؛ ويقال عاملة هو
الحارث نفسه .

فمن بنى معاوية بن عاملة : شعل ، وسلبه ، وعجل ، بطون كلهم .
فمن أشراف عاملة قوَال بن عمر ؛ وشهاب بن برهم ، وكان سيداً ؛ وهمام
ابن معقل ، وكان شريفاً مع مسلمة بن عبد الملك ؛ ومنهم عدى بن الرقاع الشاعر ؛
ومنهم قُعبيس الذي أسر عدى بن حاتم الطائي فأخذه منه شُعب بن الربيع
الكلبي فأطلقه بغير فداء .

فهؤلاء بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب
ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ وهم لحم وجذام وعاملة ، بنو عدى بن الحارث ؛
وكندة بن عُفير بن عدى بن الحارث .

خولان

هو خولان بن عمرو بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن مُرة بن أدد . فولد
خولان : حَبِيباً ، وعمرراً ، والأصهب ، وقيساً ، ونبتاً ، وبكراً ، وسعداً : منهم
أبو مسلم عبد الرحمن بن مِشْكَم الفقيه .

جرهم

هو من القبائل القديمة ، وهو جُرهم بن يَقْطَن بن عابر . وعند عابر تجتمع يمن
ومضر : لأن مضر كلها بنو فالغ بن عابر ، واليمن كلها بنو قحطان بن عابر .

حضر موت

هو ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث
ابن حيدان بن قُصَي بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن حمير .
منهم : ذو مَرْحَب ، وذو نَحْو ، ومنهم الأعدل : ومنهم : بنو مَرْتَد ،
وبنو ضَجْع ، وبنو حُجْر ، وبنو رَحَب ، وبنو أَقْرَن ، وبنو قَلِيَان .

قول الشعوبية وهم أهل التسوية

ومن حجة الشعوبية على العرب أن قالت : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية ،
وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد .

واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون إخوة ، تتكافأ دماءؤهم
ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم . وقوله في حجة الوداع ، وهي
خطبته التي ودع فيها أمته وختم نبوته : «أيها الناس ، إن الله أذهب عنكم نخوة
الجاهلية وفخرها بالآباء . كلُّكم لآدمَ وادمُ من تراب ، ليس لعربيٍّ على عجميٍّ
فضلٌ إلا بالتقوى»

وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافقٌ لقول الله تعالى :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ فأبتم إلا فخراً وقلتم لا تساوينا العجم وإن تقدمتنا إلى الإسلام ، ثم صلت حتى تصير كالخني ، وصامت حتى تصير كأوتار ، ونحن نساخكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إذ أبيتكم إلا خلافه ، وإنما نجيبكم إلى ذلك لاتباع حديثه وما أمر به صلى الله عليه وسلم ، فترد

عليكم حجبتكم في المفاخرة ، ونقول : أخبرونا إن قالت لكم العجم هل تعدون الفخر كله أن يكون ملوكاً أو نبوة ؟ فإن زعمتم أنه ملك قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والعمارة والعمالقة والآكسرة والقياصرة ، وهل ينبغي لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذي سُخِّرَتْ له الإنسُ والجن والطير والريح ، وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملك الإسكندر الذي ملك الأرض

كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني ردما من حديد ساوى به بين الصّدفين ، وحين وراه خلقاً من الناس تربي على خلق الأرض كلها كثرة ؛ يقول الله عز وجل : ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا أُجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ فليس شيء أدل على كثرة عددهم من هذا ، وليس لأحد من ولد آدم مثل آثاره

في الأرض ؛ ولو لم يكن له إلا منارة الإسكندرية الذي أسسها في قعر البحر وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله في زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز : من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك ، والذي تحته بنت ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل ، والذي له

نهران ينبتان العود والقوه والجوز والكافور ، الذي يوجد ريحه على آتني عشر ميلاً - إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً . أما بعد ، فإنني أردت أن تبعث إلى رجلا يعلنني الإسلام ويوقفني على حدوده والسلام .

وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوة فإن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا أربعة : هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً ؛ ومنا المصطفون من العالمين : آدم ونوح ، وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر : فنحن الأصل وأتم الفرع ، وإنما أتم غصن من أغصاننا ، فقولوا بعد هذا ما شئتم

وآذعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض [لها] ملوك
تجمعها ، ومدائن تضمها ، وأحكام تدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها
في الأدوات والصناعات : مثل صنعة الديساج ، وهي أبداع صنعة : ولعب
الشطرنج ، وهي أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة
رطل : ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون ، والأسطرلاب الذي
يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك ، وعلم الكسوف
[وغير ذلك من الآثار المتقنة] ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم
قواصمها ، ويقمع ظالمها ، وينهى سفيتها ؛ ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ،
ولا أثر في فلسفة ، إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك
أن للروم أشعاراً عجيبه قائمة الوزن والعروض : فما الذي تفخر به العرب على
العجم ؟ وإنما هي كالذئب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ،
ويغير بعضها على بعض ، فرجالها مَوْتَقُونَ في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا
مُرْدَفَات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريخ استنقذن بالعشى وقد وطئن
كما توطأ الطريق المهيّج ، فخر بذلك شاعر فقال :

وَأَلْحَقُ رَكْبَ^(١) الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَّةً

فقيل له : ويحك ! وأي فخر لك أن تالحق بالعشى وقد نُكِحَ وَاْمَتْهُنَّ ؟

وقال جرير يعير بني دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وَبِرَحْرَحَانَ غَدَاةً كَبَلًا مَعْبُدًا * نَكِحَتْ نِسَاؤُكُمْ بَغِيرَ مُهُورٍ

وقال عنبرة لامراته :

إِنَّ الرَّجَالَ لَهْمٌ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ * إِنْ يَاخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتَخْضِي

وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَاخُذُونِي عَنَوَةٌ * أَقْرُنْ إِلَى سَيْرِ الرَّكَّابِ وَأَجْنَبِ

وَيَكُونُ مَرَكَبُكَ الْقَعُودَ وَرَحْلَهُ * وَأَبْنِ النَّعَامَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مَرَكَبِي

(١) في بعض الأصول : « وأوثق عند » .

أراد بابن النعمامة : باطن القدم .
وسبى ابن هبولة الغسانی امرأة الحارث بن عمرو الكندي ، فلحقه الحارث
فقتله وارْتَجَعَ المرأة وقد كان نال منها ، فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم
والله ، فما اشتملت النساء على مثله ! فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى
قطعاها : وقال في ذلك :

كلُّ أُنثى وإن بدالك منها ٥ آية الودِّ عهدُها خيستَعورُ
إنَّ مَنْ غزاه النساءُ بوَدِّه ٥ بعدَ هندیٍّ جَاهِلٌ مغرورُ
وسبت بنو سليم ریحانة أخت عمرو بن معديكرب فارس العرب ، فقال
فيها عمرو :

١٠ أمِن ریحانة الداعی السميعُ ٥ يُورِّقُنِي وأصحابی هجوع
وفيها يقول :

إذالم تستطعُ أمراً فدعهُ ٥ وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ
وأغار الحوفزان على بنى سعد بن زيد مناة ، فاحتمل الزرقاء من بنى ربيع
ابن الحارث ، فأعجبه وأعجبها : فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم ، فاستنقذها
وردها إلى أهلها بعد أن وقع بها .

١٥ فهذا كان شأن العرب والعجم في جاهليتها . فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم
شطر الإسلام : وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الأحمر والأسود
من بنى آدم ، وكان أول من تبعه حز وعبد واختلف الناس فيهما ، فقال قوم :
أبو بكر وبلال ، وقال قوم : عليٌّ وصُهب .

٢٠ ولما طعن^(١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيباً على المهاجرين
والأنصار فصلى بالناس وقيل له : استخلف . فقال : ما أجد من^(٢) استخلف .
فذكر له الستة من أهل حراء ، فكلهم طعن عليه ، ثم قال : لو أدرك سالمًا مولى

(١) في بعض الاصول : « احتضر » .

(٢) في بعض الاصول : « لا إخالني من » .

أبي حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال في ذلك شاعر العرب :

هذا صُهَيْبُ أُمَّ كُلِّ مُهَاجِرٍ ۝ وَعَلَا جَمِيعَ قَبَائِلِ الْأَنْصَارِ

لَمْ يُرَضْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَصَلَاتِنَا ۝ وَهُمْ الْهَدَاةُ وَقَادَةُ الْأَخْيَارِ

هَذَا وَلَوْ كَانَ الْمُثَرَّمُ سَالْتُمْ ۝ حَيًّا لَنَالَ خِلَافَةَ الْأُمُصَارِ

مَا بَالَ هُنْدَى الْعُجْمِ تَحْيَا دُونَنَا ۝ إِنَّ الْغَوَى لِنِي عَمَى وَخَسَارِ

وقال بَجِيرُ يَعْبُرُ الْعَرَبَ بِاخْتِلَافِهَا فِي النَّسَبِ وَاسْتِلْحَاقِهَا لِلْأَدْعِيَاءِ :

زَعَمْتُمْ بَأْنَ الْهِنْدِ أَوْلَادُ خَنْدِفٍ ۝ وَبَيْنَكُمْ قُرْبَى وَبَيْنَ الْبَرَارِ

وَدَيْلِمُ مِنْ نَسْلِ ابْنِ ضَبَّةَ بَاسِلٍ ۝ وَبُرْجَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ

فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادًا وَاحِدٍ ۝ وَصَارُوا سِوَاهُ فِي أُصُولِ الْعُنَاصِرِ

بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَمْلَاكُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ ۝ وَأَوْلَى بِقُرْبَانَا مُلُوكُ الْأَكَاكِرِ

أَنْظَمِعَ فِي صَهْرَى دَعِيًّا مُجَاهِرًا ۝ وَلَمْ تَرِ سِتْرًا مِنْ دَعَى مُجَاهِرِ

وَتَشْتُمُ لَوْ مَا رَهْطَهُ وَقَبِيلَهُ ۝ وَتَمْدَحُ جَهْلًا طَاهِرًا وَأَبْنَ طَاهِرِ

وقد ذكرت هذا الشعر تامًا في كتاب النساء والأدعياء والنجباء .

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوية :

وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ۝ أَوْاصِرُ إِلَّا دَعْوَةٌ وَبُطُونُ

إِذَا مَا دَعَا بِأَسْمَى الْعَرِيفِ أَجَبْتَهُ ۝ إِلَى دَعْوَةٍ مِمَّا عَلَى يَهُونِ

لِأَزْدِ عِمَانَ بِالْمَهْلَبِ نَزْوَةٌ ۝ إِذَا أَفْتَخَرُوا الْأَقْوَامَ ثُمَّ تَلَيْنِ

وَبُكْرٌ يَرَى أَنَّ النَّبُوَّةَ أَنْزَلَتْ ۝ عَلَى مَسْمَعِ فِي الْبَطْنِ وَهُوَ جَنِينِ

وَقَالَتْ تَمِيمٌ لَا تَرَى أَنَّ وَاحِدًا ۝ كَأَحْنَفْنَا حَتَّى الْمَمَاتِ يَكُونِ

فَلَا لُمْتُ قَيْسًا بَعْدَهَا فِي قَتِيَّةٍ ۝ إِذَا أَفْتَخَرُوا إِنْ الْفَخَارُ فَنُونَ^(١)

(١) في بعض الاصول : والحديث شجون .

ردّ ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب :

- وأما أهل التسوية فإن منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث ،
فقصوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ وإلى قول
النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع : أيها الناس ، إن الله قد
أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفأخرها بالآباء . ليس لعربي على عجمي نخر إلا بالتقوى ،
كلكم لآدم وادم من تراب . وقوله : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يد على من سواهم . وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين
سواء في طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة .

- لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة ،
لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول : فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله صلى الله عليه
وسلم : أقبِلوا ذوى الهيئات عثراتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم :
هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول : لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوتوا
هلكوا . تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشرف وأخيار ، فإذا جملوا كلهم
جملة واحدة هلكوا .

- وإذا ذمّت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الخمار . وكيف يستوى
الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى في نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ
مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البدن
بالعقل والحواس الخمس . وقالوا : القلب أمير الجسد . ومن الأعضاء خادمة ،
ومنها مخدومة .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ما دعت الشعوبية فخرهم على العرب بآدم عليه السلام
وبقول النبي عليه الصلاة والسلام : لا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ .
ثم فخرهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من العجم غير أربعة : هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم
الصلاة والسلام ؛ واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
ثم فخرُوا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لسارة ، وأن إسماعيل لآمة تسمى هاجر .
وقال شاعرهم :

فِي بِلْدَةٍ لَمْ تَصِلْ عُمْكُلُهَا طُنْبًا ۝ وَلَا خِيبَاءٌ ، وَلَا عَكٌّ وَهَمْدَانُ
وَلَا لَجْرُمٍ وَلَا بَهْرَاءٍ مِنْ وَطَنِ ۝ لَكِنِهَا لِبَنِي الْأَحْرَارِ أَوْطَانُ
أَرْضِ يُبْنَىٰ بِهَا كَسْرَىٰ مَسَاكِنُهُ ۝ فَمَا بِهَا مِنْ بَنِي اللَّخْنَاءِ إِنْسَانُ

فبنو الأحرار عندهم : العجم ؛ وبنو اللخناء عندهم : العرب ؛ لأنهم من ولد
هاجر وهي أمة ، وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء ؛
إنما اللخناء من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها وجمع الخطب ، وإنما أخذ من
اللخن ، وهو نتن الريح ؛ يقال : لَحِنَ السَّقَاءُ ، إِذَا تَغَيَّرَ رِيحُهُ ؛ فأما مثل هاجر
التي طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فرأشاً ، وللطَّيِّبِينَ إسماعيل ومحمد
أماً ، وجعلهما سلالة - فهل يجوز لِمُلْحِدٍ فضلاً عن مسلم أن يسميها لخناء ؟

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس
وتفاضلهم ، والسيد منهم والمسود .

إننا نحن لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ، ولا السيد منهم والمسود ، والشريف
والمشروف ؛ ولكننا نزع أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم ،
ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعدهمهمهم ؛ ألا ترى أنه من كان
دنى الهمة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بنى هاشم في ذؤابتها ، ومن

أمية في أرومتها ، ومن قيس في أشرف بطن منها : إنما الكريم من كرمت أفعاله ،
والشريف من شرفت همته ؛ وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : إذا
أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله في قيس بن عاصم : هذا سيد أهل الوبر . إنما
قال فيه لسودده في قومه بالذنب عن حريمهم ، وبذله رفته لهم : ألا ترى أن عامر
ابن الطفيل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر . وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر عن ورائته . أبي الله أن أتمو بأيم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقى . أذاها وأري من رماها بمنكب

وقال آخر :

١٠ إنا وإن كرمت أوائلنا . لسنا على الأحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا . نبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأقضي بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي

ولا يردّها أحد بعدى : أيما رجل رمى رجلا بلامه دونها كرم ، فلا لوم عليه ،

وأيما رجل ادعى كرمًا دونه لوم فلا كرم له .

١٥ ومثله قول عائشة أم المؤمنين : كل كرم دونه لوم فاللوم أولى به ، وكل لوم

دونه كرم فالكرم أولى به . تعنى بقولها ، أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه

وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لوم أوليته ، وإن لومت فلا ينفعه كرم أوليته .

وقال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكفر والإقداما

٢٠ وصيرته ملكا هماما

وقال آخر :

مالي عقلي وهمتي حسبي . ما أنا موالي ولا أنا عربى

إن أنتمى منتم إلى أحد . فإني منتم إلى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب
عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين
التي نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : حَسَبُ الرَّجُلِ مَالُهُ ، وَكِرْمُهُ دِينُهُ .
وقال عمر بن الخطاب : إِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلِكَ حَسَبٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ دِينٌ
فَلِكَ كِرْمٌ .

وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب ؛ إنه ذهب فيه كل
مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوية ، فنقض في آخره كل
ما بنى في أوله ؛ فقال في آخر كلامه ؛ وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لأب
وأُم ، خلَقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطراً
عليهم الأقدار ؛ فهذا نسبهم الأعلى الذي يرتدع به أهل العقول عن التَّعْظُمِ
والكبرياء ، والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فنقطع الأنساب ، وتبطل
الأحساب ، إلا من كان حسبه التقوى ، أو كانت مائتته طاعة الله .

قول الشعوية في مناكح العرب

قالت الشعوية : إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في
غاراتهم بلا عقد نكاح ولا استبراء من طمث ، فكيف يدرى أحدهم من أيوه .
وقد نخر الفرزدق بنى ضبة حين يبتزون العيال في حروبهم في سبيّة سبّوها
من بني عامر بن صعصعة فقال :

فَظَلَّتْ وَظَلُّوا يَرْكَبُونَ هَبِيرَهَا هـ . وليس لهم إلا عواليهم سِتر

والهبير : المطمئن من الأرض ؛ وإنما أراد هاهنا فرجها .

وهو القائل في بعض ما يفخر به :

ومنا التميمي الذي قام أَيْرُهُ هـ ثلاثين يوماً ثم قد زادها عشراً

باب المتعصمين للعرب

قال أصحاب العصبية من العرب : لو لم يكن منا على المولى عتاقة ولا إحسان إلا استنقأنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشرك إلى دار الإيمان كما في الأثر : إن قوماً يقادون إلى حظوظهم بالسراجر . كما قال : عجب ربنا من قوم يُقادون إلى الجنة في السلاسل .

على أنا تعرضنا للقتل فيهم ؛ فمن أعظم عليك نعمة ممن قتل نفسه لحياتك ؟ قاله أمرنا بقتالكم ، وفرض علينا جهادكم ورغبنا في مكابحتكم .

وقدم نافع بن جبیر بن مطعم رجلاً من أهل الموالي يصلى به ، فقالوا : له في ذلك ؛ فقال : إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه .

وكان نافع بن جبیر هذا إذا مزت به جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا قرشي ؛ قال : واقوماه ! وإذا قالوا : عربي ؛ قال : وابلدناه ! وإذا قالوا : مولى ؛ قال : هو مال الله ، يأخذ ماشاء ويدع ماشاء . قال : وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب أو مولى .

وكانوا لا يكتونهم بالكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون في الصف معهم ، ولا يتقدمونهم في الموكب ، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤسهم ، وإن أطمعوا المولى لسنته وفضله وعلبه أجلسوه في طرف الحيوان ؛ لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العرب ، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب ، وإن كان الذي يحضر غريباً ؛ وكان الخاطب لا يخاطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها ، وإنما يخاطبها إلى موالها ؛ فإن رضى زواج وإلا رد ، فإن زوج الأب والأخ بغير رأى مواله فسخ النكاح ، وإن كان قد دخل بها كان سفاح غير نكاح .

وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرّة بن جندب فقال إنى رأيت هذه الجراء قد كثرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ؛ فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة

السوق وعمارة الطريق ؛ فما ترون ؟ فقال الأحنف : أرى أن نفسي لا تطيب ؛ أخى لأمي وخالي ومولاي ، وقد شاركناهم وشاركونا في النسب . فظننت أني قد قتلت عنهم ؛ وأطرق . فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلى أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه . فقال : قوموا حتى أنظر في هذا الأمر .

قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلي حزينا ؛ فلما كان بالغداة أرسل إلي ، فعلبت أنه أخذ برأيي وترك رأي سمرة .

وروى أن عامر بن عبد القيس في نسكه وزهده وتقشفه وإخباته وعبادته كلمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عبد الله بن عامر صاحب العراق في تشنيع عامر على عثمان وطعنه عليه ، فأنكر ذلك ، فقال له حمران : لا كثر الله فينا مثلك ؛ فقال له عامر : بل كثر الله فينا مثلك اقليل له : أيدعو عليك وتدعو له ؟ قال : نعم ، يكسحون طارقنا ، ويخرزون خفافنا ، ويحوكون ثيابنا . فاستوى ابن عامر جالسا ، وكان متكئا ، فقال : ما كنت أظنك تعرف هذا الباب ، لفضلك وزهادتك . فقال : ليس كل ما ظننت أني لا أعرفه ، لا أعرفه .

وقالوا : إن خالد^(١) بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما وجه أخاه عبد العزيز إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبوا امرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، فأقاموها في السوق حاضرة بادية المحاسن ، وغالوا فيها^(٢) وكانت من أكل الناس كالا وحسنا ، فتزايدت فيها العرب والموالي وكانت العرب تزيد فيها على العصبية ، والموالي تزيد فيها على الولاء ، حتى بلغت العرب عشرين ألفا ، ثم تزايدوا فيها حتى بلغوها تسعين ألفا ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا انتهلك تسعين ألفا من

(١) في بعض الاصول : أمية بن خالد .

(٢) في بعض الاصول : فاعترضوها وقلبوها .

بيت المال وقتل أمة من إمام المؤمنين . فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيت هؤلاء الإسماعيلية والإسماعية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات واحمرت الحدق ، فلم يبق إلا الخطب بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة . فقال قطرى : خلّوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها . قالوا : فأقذ منه . قال : لا أفيد من وزعه الله . ثم قدم هذا العبدى بعد ذلك البصرة ، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب ، فوصله وأحسن إليه .
قال : أبو عبيدة : مر عبد الله بن الأهم بقوم من الموالي وهم يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده . قال أبو عبيدة : ليته سمع لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان .

١٠ الأصمعى قال : قدم أبو مهدية الأعرابي من البادية فقال له رجل : أبا مهدية أتوضئون بالبادية ؟ قال : والله يا ابن أخي لقد كنا نتوضأ فتكفينا التوضئة الواحدة ثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الخمراء - يعنى الموالي - فجعلت تليق آسائها بالماء كما تلاق الدواء .

ونظر رجل من الأعراب إلى رجل من الموالي يستنجى بماء كثير ، فقال له :
١٥ إلى كم تغسلها ويك ! أتريد أن تشرب بها سويقاً !
وكان عقيل بن علفة المرى أشد الناس حمية في العرب ، وكان ساكناً في البادية ، وكان يُصهر إليه الخلفاء : وقال لعبد الملك بن مروان وخطب إليه ابنته الجرباء : جنبني هجناء ولدك . وهو القائل :

كنا بنو غيظ رجالاً فأصبحت ه بنو مالك غيظاً وصيرنا لمالك
٢٠ لحى الله دهرأ ذغذع المال كله ه وسود أشباه الإمام العوارك
وقال ابن أبي ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان جائراً^(١) شديد العصبية :
من كان فقيهه البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : ثم من ؟ قلت :
محمد بن سيرين . قال : فما هما ؟ قلت : موليان .

(١) فى بعض الأصول : «ديانا» .

قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ،
وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالى .

فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأى ، وابن أبي الزناد ،
قال : فما كانا ؟ قلت من الموالى .

فارتد وجهه ، ثم قال : فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت : طاوس ، وابنه وهمام بن
منبه . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى .

فانتفخت أوداجه فانتصب قاعداً ، [ثم] قال : فمن كان فقيه خراسان ؟
قلت : عطاء بن عبد الله الخراسانى . قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد وجهه تربداً واسودت أسودادا حتى خفته ، ثم قال : فمن كان فقيه
الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد تعيظاً وحنقا ؛ ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن
مهران . قال : فما كان ؟ قلت : مولى .

قال : فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قلت : فوالله لولا
خوفه لقلت : الحكم بن عيينة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ،
فقلت : إبراهيم ، والشعبي . قال : فما كانا ؟ قلت : عريان . قال : الله أكبر !
وسكن جأشه .

وذكر عمرو بن بجر الجاحظ ، فى كتاب الموالى والعرب : أن الحجاج لما
خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقى مالمقى من قراء أهل العراق
وكان أكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل
البصرة ؛ فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم
ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أتم علوج
وعجم ، وقراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وصيرهم كيف شاء ،
ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التى وجهه إليها ؛ وكان الذى تولى
ذلك منهم رجل من بنى سعد بن عجل بن لجيم ، يقال له خراش بن جابر ؛

وقال شاعرهم :

وَأَنْتَ مَنْ نَقَشَ الْعِجْلِي رَاحَتَهُ * وَفَرَّ شَيْخِكَ حَتَّى عَاذَ بِالْحَكْمِ

يريد : الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج على البصرة .

وقال آخر ، وهو يعنى أهل الكوفة ، وقد كان قاضيهم رجلاً من الموالي

يقال له : نوح بن دزاج :

إِنَّ الْقِيَامَةَ فِيمَا أَحْسَبُ اقْتَرَبْتُ * إِذْ كَانَ قَاضِيَكُمْ نُوحُ بْنُ دِرَاجٍ

لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا بَقِيَتْ * صَحِيحَةٌ كَفُّهُ مِنْ نَقْشِ حَجَّاجٍ

وقال آخر :

جَارِيَةٌ لَمْ تَذِرْ مَا سَوَّقُ الْإِبِلُ * أَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كِنِّ وَظِلِّ

لو كان عمره وشاهداً وابن جبل^(١) * مَا نُقِشَتْ كَفَّاكَ مِنْ غَيْرِ جَدَلِ

ويروى أن أعرابياً من بني العنبر دخل على سوار القاضي فقال : إن أبي مات

وتركني وأخأ لي - وخط خطين - ثم قال : وهجينا - ثم خط خطاً ناحية - فكيف

يقسم المال ؟ فقال له سوار : هاهنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال

بينكم أثلاثاً . قال : ما أحسبك فهمت عني ، إنه تركني وأخى وهجينا ، فكيف

يأخذ الهجين كما أخذ أنا وكما يأخذ أخى ؟ قال : أجل . فغضب الأعرابي ثم أقبل

على سوار فقال : ما علمت والله ، إنك قليل الخالات بالدهناء . قال سوار :

لَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى شَيْئاً .

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ويليه - إن شاء الله تعالى

الجزء الرابع . وأوله : كتاب المسجدة : في كلام الأعراب

فهرس الجزء الثالث من العقد الفريد

صفحة	صفحة
٢٠	كتاب الجوهرية : في الأمثال
كانت باطلا . الدعاء بالخير . تعبير الإنسان صاحبه بعينه .	لابن عبد ربه
٢١	٣ أمثال رسول الله ﷺ
الدعاء على الإنسان	٥ أمثال روتها العلماء
٢٢ رمى الرجل غيره بالمعضلات . المكر والخلافة	ابن بشير على منبر الكوفة
اللهو والباطل . خلف الوعد	٦ ابن الزبير وأهل العراق
٢٣ اليمين الغموس	مثل في الرياء
أمثال الرجال وأختلاف نعتهم	فخ الإسرائيلى والصفورة
في الرجل المبرز في الفضل . الرجل النبيه الذكر	٧ لأسرائيلى وقبرة . من أمثال الهند
٢٤ الرجل العزيز يمز به الذليل . الرجل الصعب . النجد يلقى قرنه	٨ من ضرب به المثل من الناس
٢٥ الأريب الداهى التنبيه بلا منظر ولا سابقة	من يضرب به المثل من النساء
الرجل العالم التحريز	٩ ما تمثلوا به من الهائم
٢٦ الرجل المجرب	١٠ ما يضرب به المثل من الحيوان
٢٧ الذب عن الحرم . الصلة والقطيعة . الرجل يأخذ حقه قسراً . الإطراق حتى تصاب الفرصة	١١ أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي
٢٨ الرجل الجلد المصحح . الذل بعد العز . الانتقال من ذل إلى عز	١٤ ومن أمثال العرب
٢٩ تأديب الكبير . الدليل المستضعف . الدليل يستعين بأدل منه . الاحق المائق	في حفظ اللسان
٣٠ الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان . الواهن العزم الضعيف الرأى	١٥ لاكثر الكلام وما يتق منه . في الصمت .
٣١ الذي يكون ضاراً ولا نفع عنده . الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه . أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وأفراقهم . المتساويان في الخير والشر	القص في المدح
٣٢ الفاضلان وأحدهما أفضل . الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره . المكافأة	١٦ صدق الحديث . من أصاب مرة وأخطأ مرة
	١٧ سوء المسألة وسوء الإجابة . من صمت ثم نطق بالفهامة . المعروف بالكذب يصدق مرة . المعروف بالصدق يكذب مرة . كتمان السر
	١٨ انكشاف الامر بعد اكتتاه . إبداء السر الحديث يتذكر به غيره .
	١٩ العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه . الاعتذار في غير موضعه . التعريض بالكناية المن بالمعروف الحمد قبل الاختبار .

صفحة	صفحة
٤٩	الأمثال في القربى
الرجل بما يعنيه . قلة الاكتراث قلة اهتمام الرجل بصاحبه .	التعاطف بين ذوى الارحام
٥٠	٣٣ من أمثالهم في التحنن على الاقارب حماية القريب وإن كان مبغضاً
الجشع والطمع . الشره إلى الطعام . الغلط في القياس .	٣٤ إعجاب الرجل بأهله . تشبيه الرجل بأبيه . تحاسد الاقارب .
٥١ وضع الشيء في غير موضعه . كفران النعمة . التبذير . التهمة .	٣٥ قولهم في الاولاد . الرجل يؤق من حيث أمن
٥٢ تأخير الشيء وقت الحاجة إليه . الإسامة قبل الإحسان . البخل .	٣٦ الأمثال في مكارم الأخلاق
٥٣ الجبن . الجبان يواسد بما لايفعل الاستغناء بالحاضر عن الغائب . المقادير .	الحلم . العفو عند المقدرة
٥٤ الرجل يأتي إلى حتفه . لايقال للجاني على نفسه جالب الشر على أهله . تصرف الدهر	٣٧ المساعدة وترك الخلاف . مداراة الناس . مفاكهة الرجل أهله .
٥٥ الأمر الشديد المعضل . هلاك القوم .	٣٨ اكتساب الحمد واجتناب الذم . الصبر على المصائب . الحض على الكرم .
٥٦ إصلاح ما لاصلاح له صفة العدو . البخيل يعتمل بالعسر اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل . البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه .	٣٩ الكرم لايجد . القناعة والدعة . الصبر على المكاره تحمده العواقب .
٥٧ موت البخيل وماله وافر . البخيل يعطى مرة طلب الحاجة المتذرة .	٤٠ الانتفاع بالمال . المتصافيان . خاصة الرجل من يكسب له غيره .
٥٨ الرضا بالبعض دون الكل . التوق في الحاجة استتمام الحاجة .	٤١ المروءة مع الحاجة . المال عند من لايسحقه الحض على الكسب .
٥٩ المصانة في الحاجة . تعجيل الحاجة . الحاجة تمسك من وجهين . من منع حاجة فطلب أخرى . الحاجة يحول دونها مانع .	٤٢ الخبير بالأمر البصير به الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه . انتحال العلم بغير آله .
٦٠ اليأس والخيبة . طلب الحاجة في غير موضعها طلب الحاجة بعد فرتها .	٤٣ من يوصى غيره ويبنى نفسه . الاخذ في الامور بالاحتياط . الاستعداد للأمر قبل نزوله
٦١ الرضا من الحاجة بتركها . من طلب الزيادة فانه تص . الخلاه بالحاجة .	٤٤ طلب العافية بمسامة الناس . توسط الامور .
٦٢ إرسالك في الحاجة من تشن به . قضاء الحاجة قبل السؤال . الانصراف بحاجة تامة مقضية تجديد الحزن بعد أن يبكي منه .	٤٥ الإبابة بعد الإجرام . مدافعة الرجل عن نفسه . قولهم في الانفراد .
٦٣ جامع أمثال الظلم . الظلم من نوعين .	٤٦ من ابتلى بشيء مرة مخافة أخرى . اتباع الهوى الحذر من العطب .
	٤٧ حسن التدبير والنهي عن الخرق . المشورة . الجد في طلب الحاجة .
	٤٨ التأنى في الأمر . سوء الجوار . سوء المرافقة .

صفحة	صفحة
٨٦	٦٤
بين سلمان وأبي الدرداء . أبو موسى وعامر	من يزداد غمها على غمها . المغبون في تجارته .
ابن عبد القيس . من عمر بن عبد العزيز إلى ابن	سرعة الملامة .
حيوة . من عمر بن الخطاب إلى ابن غزوان	٦٥
٨٧	الكريم يهتضمه التميم . الانتصار من الظلم .
مواعظ الآباء للأبناء . لقمان يوصى ابنه .	الظلم ترجع عاقبته على صاحبه . المضطر إلى
٨٨	القتال . المأخوذ بذنب غيره .
لعلى بن الحسن يوصى ابنه .	٦٦
٨٩	المتبرئ من الشيء . سوء معاشرته الناس . الجبان
لعبد الملك يوصى بنيه .	وما يندم من أخلاقه .
٩٠	٦٧
من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله . ومن	إفلات الجبان بعد إشفائه .
على إلى ابنه الحسن .	٦٨
٩٣	الجبان يهدد غيره . تصرف الدهر . الاستعداد
مقامات العباد عند الخفاء .	بالنظر عن الضمير .
٩٦	٦٩
مقام صالح بن عبد الجليل . مقام رجل من	نفى المال عن الرجل . إذا لم يكن في الدار
العباد عند المنصور	أحد . اللقاء وأوقاته .
٩٦	٧٠
مقام الأوزاعي بين يدي المنصور .	في ترك الزيارة .
٩٧	٧١
كلام أبي حازم سليمان بن عبد الملك .	استجهال الرجل ونفى العلم عنه . أمثال مستعملة
٩٨	في الشعر .
مقام ابن السماك عند الرشيد .	٧٥
٩٩	كتاب الزمردة في المواعظ والزهد
كلام عمرو بن عبيد عند المنصور . خبر سفيان	٧٦
اثوري مع أبي جعفر .	للنبي صلى الله عليه وسلم .
١٠٠	٧٧
كلام شيبان شبة الدهدى . من كره الموعدة	لابن عباس في كلام لعلى . حكيم بيباب
لبعض ما فيها من الغلاظ أو الخرق .	بعض الملوك .
١٠١	٧٨
المأمون وواظ . راهب وضالون في سفرهم	مواعظ الأنبياء عليهم السلام .
١٠٢	٨٠
باب من كلام الزهاد وأخبار العباد .	من وحى الله تعالى إلى أنبيائه .
١٠٣	٨١
أبو الدرداء وزوجه . لابن دينار في قحط .	المسيح عليه السلام . موسى عليه السلام .
١٠٤	٨٢
لابي حنيفة في أيوب السخيتاني . بين ابن واسع	يوسف عليه السلام .
وابن دينار . بشر بن منصور على فراش الموت .	مواعظ الحكماء
١٠٥	٨٣
كيف يكون الزهد .	للحسن . كلمات أربع للعرب والعجم . وصية
١٠٦	أبي بكر لعمر . الحسن وابن الأهم .
صفة الدنيا .	٨٤
١٠٧	لحكيم يعظ قوما . لابي الدرداء .
للنبي صلى الله عليه وسلم . لابن مسعود .	٨٥
١٠٨	لحكيم يعظ رجلا . الرشيد وابن السماك .
للمسيح عليه السلام .	
١٠٩	
لنوح عليه السلام . لقمان . لابن الحنفية .	
١١٠	
لابي العتاهية .	
١١١	
للرشيد . لابن عبد ربه .	
١١١	
لابراهيم بن آدم . للشعبي .	

مكاتبة جرت بين الحكماء

الحسن وعمر بن عبد العزيز

صفحة	صفحة
١٣٣ النهى عن كثرة الضحك .	١١٢ قولهم في الخوف . لابن عباس وعلى رضى الله
١٣٤ الهى عن خدمة السلطان وإتيان الملوك .	عنهما . عمر بن عبد العزيز في مرضه .
لابن الخطاب . بين زياد وأصحابه .	١١٣ لعلى رضى الله عنه . للفضيل بن عياض .
١٣٥ من كليله ودمنة . لابن عبد ربه .	لعمر بن ذر .
١٣٦ القول في الملوك . للأصمى . لعبدالله بن الحسن .	١١٤ قولهم في الرجاء .
١٣٧ بلاء المؤمن في الدنيا . كتمان البلاء إذا نزل .	١١٥ معاوية عند الموت . لأعرابي في دعائه .
١٣٨ الفناة . للنبي صلى الله عليه وسلم . لقيس بن	١١٦ قولهم في التوبة . للمسيح عليه السلام . لعلى
عاصم . اسعد بن أبي وقاص .	رضى الله عنه . ابن العلاء في عابد .
١٣٩ ابن أبي حازم . للبحترى . عبد الملك وعروقه	١١٧ لابن عبد ربه . لابن عباس .
ابن أذينة .	١١٨ المبادرة بالعمل الصالح للنبي صلى الله عليه وسلم
١٤٠ للنبي صلى الله عليه وسلم . للحسن . لابن عبد ربه	لابن المبارك .
لمحمود الوراق .	١١٩ العجز عن العمل .
١٤١ اسكر بن حماد لابن أبي حازم .	١٢٠ لعلى رضى الله عنه . لابن السماك الحسن ورجل
١٤٢ للأضبط بن قريع لمسلم بن الوليد . لكثيرم العتاني	١٢١ قولهم في الموت
١٤٣ لابن عباس . اعلى بن أبي طالب . للمسيح عليه	بين النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> وابن الخطاب . لأبي العتاهية
السلام . لمحمود الوراق .	لعمر بن عبد العزيز . يعقوب عليه السلام .
١٤٤ ليونس بن حبيب . لخالد بن صفوان بين	١٢٢ لامية بن أبي الصلت . لاصغ بن الفرج .
حكيمين . بين الأصمى وأعرابية .	لصريع الغواني .
١٤٥ الرضا بقضاء الله .	١٢٣ للصلتان العبدى . لأبي العتاهية .
للفضيل بن عياض . الرشيد وبطريق هرقة	١٢٤ لابن عبد ربه .
١٤٦ لأبي العتاهية . لابن عمر في وفاة زيد بن حارثة	١٢٥ لأبي الأسود .
الحسن وابن الأهم في مرضه .	١٢٦ لعدي بن زيد . لخريث بن جبلة .
١٤٧ هشام بن عبد الملك حين حضرته الوفاة .	١٢٧ قولهم في الطاعون
نقصان الخيز وزيادة اشرف	عمر بن الخطاب وابن الجراح في طاعون
لمعاد بن جبل .	وقع بالشام .
العزلة عن الناس	١٢٨ ابن وهب وابن الزيات . ابن الزيات وابن
للنبي صلى الله عليه وسلم .	أبي دواد .
١٤٨ لقمان يعظ ابنه . لابراهيم بن آدم . لابن	١٣٠ من أحب الموت ومن كرهه .
محيريز . لايوب السخيتاني . لابن أبي حازم	١٣١ للنبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> وعبد الله بن عمر .
١٤٩ إعجاب الرجل بعلمه .	١٣٢ التهجد .
لابن الخطاب . معاوية وبعض الرجال .	للنبي صلى الله عليه وسلم .
لمحمود الوراق .	البكاء من خشية الله عز وجل .

- صفحة
- ١٦٤ عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة . الحجاج وموت ابنه محمد . عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك مسلمة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في احتضاره . ارسول ﷺ في قبضه .
- ١٦٥ عائشة مع أبيها في احتضاره . عمر مع أبي بكر في احتضاره .
- ١٦٦ معاوية في احتضاره . عمرو بن العاص في احتضاره
- ١٦٧ الجزع من الموت
- لابن عياض . حزن سعيد بن أبي الحسن على أخيه . الحسن في احتضاره . حجر بن الأديب في موته .
- ١٦٨ البكاء على الميت
- لإبراهيم الأحنف وبأبيه . للنبي ﷺ في وفاة ابنه إبراهيم ، النبي ﷺ وبأبيات من الانصار . النبي ﷺ وبأبيات فلي أحد ابن الخطاب حين نعى لولده ابن مقرن . ابن الخطاب حين نعى لولده زيد أخوه .
- ١٦٩ عمر ووفاء خالد . معاوية في النساء . لابن عباس . للفرزدق . القول عند المقابر . لزيد بن علي . للرقاشي .
- ١٧٠ لعلي . للنبي صلى الله عليه وسلم . للحسن البصري لابن الفضل . لأعرابي على قبر الرسول ﷺ
- ١٧١ لماطمة على قبر أبيها ﷺ . ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب . علي بن أبي طالب على قبر خباب . الحسن على قبر علي .
- ١٧٢ ابن السماك في رثاء الطائي . للأحنف على قبر أخيه
- ١٧٣ عائشة على قبر أبي بكر . رثاء على لابي بكر .
- ١٧٤ عبد الملك على قبر معاوية . للضحاك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .

- صفحة
- ١٥٠ تواضع ابن سيرين . للنبي ﷺ لثمان يهظ ابنه للأشعث في تخفيف الصلاة . بين طاهر ابن الحسين والمروزي .
- ١٥١ لمحمود الوراق . لمساور الوراق . للغزال لابي عثمان المازني .
- ١٥٢ أبو العتاهية ومتصوف .
- الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم
- ١٥٣ لابن عباس . لعائشة في النبي ﷺ .
- ١٥٤ عمر بن ذر ودعاء له . لعروة بن الزبير في مناجاته دعاء داود . من دعاء يوسف .
- ١٥٥ من دعاء علي بن الحسين . دعاء للفضيل بن عياض . دعاء لابن مسعود .
- ١٥٦ كيف يكرن الدعاء .
- دعاء النبي ﷺ وأبي بكر وعمر
- ١٥٧ الدعاء عند الكرب .
- الكلمات التي تلتق آدم من ربه اسم الله الأعظم
- ١٥٨ الاستغفار دعاء المسافر
- ١٥٩ الدعاء عند الدخول على السلطان .
- لابن عباس المنصور وجعفر بن محمد
- ١٦٠ الدعاء على الطعام . الدعاء عند الأذان . الدعاء عند الطيرة .
- الساعة التي يستجاب فيها الدعاء والتعويد .
- ١٦٢ كتاب الدرّة
- في النوادب والتعاضد والمرأى
- لابن عبد ربه لابن ذر .
- القول عند الموت .
- ١٦٣ بين أبي بكر وطلحة . لمعاذ في احتضاره . لعمر بن عتبة في مثله لابن الخطاب في مثله الأسواري وأزاد مرد في احتضاره .

صفحة	صفحة
١٩٢	١٧٥
لابى العتاهية فى رثاء الامين . لابی شأس فى رثاء ابنه .	الراثون على قبر الاسكندر لابی العتاهية فى ابن له لابی ذر فى مثله لابن سليمان فى مثله . لاعرابية فى أبيها . لاعرابية فى رثاء ابنها .
١٩٣	١٧٦
من رثى إخوته .	عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه . ابن ذر وجنازة جار له . لجارية على قبر أبيها .
لمة م بن نويرة .	خصى للوليد على قبره . معارية على قبر أخيه لابن خذاق .
١٩٤	١٧٧
رثاء أخت النضر له .	لعروة بن حزام . للطرماح . لابن اريب .
١٩٥	١٧٨
عمر بن الخطاب والحنساء فى أخويها . عائشة والحنساء فى صدار كانت تلبسه .	لافنون فى بكاء نفسه .
١٩٦	١٧٩
للحنساء فى أخويها .	لهديبة العذرى . لمحمد بن بشير .
١٩٨	١٨٠
لاخت اوليد بن طريف فى رثائه . لآخر فى رثاء أخيه .	لابى العتاهية فى أبيات أوصى أن تكتب على قبره لبعض الشعراء فى معارضته . أبيات قيل لأنها لابی نواس . لابی نواس .
١٩٩	١٨١
لكعب فى أبى المغوار .	أبيات على قبر الإيادى . أبيات على قبر محمد بن عبد الله .
٢٠٠	١٨٢
لامرئى القيس يرثى إخوته ، الأبيرد فى رثاء أخيه بريد	من رثى ولده .
٢٠٢	١٨٤
لشبل بن معبد البجلي	لابى ذؤيب فى رثاء بنيه . وله فى طفله .
٢٠٣	١٨٥
من رثت زوجها	لاعرابى فى رثاء بنيه . لاعرابية فى رثاء ابنها للحسن بن هانى . لابن الاهتم يرثى ابنا له .
لاسماء فى الزبير . لبانة زوجة الامين ترثه	١٨٦
٢٠٤	لابى العتاهية فى رثاء ابن له . لاعرابى فى رثاء ابن له . عمر بن الخطاب وأعرابى فقد ابناً له . المنصور وشعر المطيع حين مات ولده
لاعرابية فى زوجها . الاصمى وجارية على قبر زوجها .	١٨٧
٢٠٥	لاعرابية تندب ابنها . لابی الخطار فى رثاء ابنه . لجرير يرثى ولده سواده . لابی الشعب فى ابنه . لابن عبد الاعلى فى رثاء أيوب بن سليمان
من رثى جاريته .	١٨٨
الاصمى وجارية .	لاب فى رثاء ابنه . لاعرابى فى رثاء ابنه .
٢٠٦	١٨٩
مروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة .	لابن عبد ربه فى طفل له لاعرابية فى ولد لها . لاعرابى فى ابنين له .
٢٠٧	١٩٠
لحيبب فى مثله . لاعرابى يرثى امرأته .	لهذيلبة فى رثاء إخوة وابن .
٢٠٨	١٩١
للوراق يرثى جارية محب وجارية له مانت . من رثى ابنة . للبحترى فى ابنة الحميدى .	لشيبانية فى حزنها على أهلها . لابن ثعلبة فى ولد له . للعتبي فى مثله . لآب فى رثاء ابنه .
٢٠٩	
مرافى الاشراف .	
٢١٠	
لحسان يرثى الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر . وله فى رثاء أبى بكر وله فى رثاء عثمان . للفرزدق فى رثاء عثمان .	
٢١١	
للسيد الحميرى فى رثاء على . للفرزدق فى رثاء عبد العزيز بن مروان . لجرير فى رثاء عمر بن عبد العزيز .	

تعازي الملوك
 لا كثم يعزى ابن هند . في مهلك المنصور ،
 ٢٣١ في موت معاوية بن أبي سفيان . عزاء شبيب
 للمنصور في أبي العباس لابن إسحاق يعزى
 بعض الخلفاء . الرشيد وعبد الملك بن صالح
 المأمون يعزى أم الفضل بن سهل . من عمر بن
 العزيز إلى عماله في موت ولده .
 ٢٣٢ عزاء زياد لسليمان بن عبد الملك في ابنه .
 لعطاء يعزى يزيد في معاوية لابن الوليد يعزى
 عمر بن عبد العزيز في ابنه . عمر بن عبد العزيز
 في وفاة أخته . لبعض الشعراء في التعزية .
 ٢٣٣ للعتابي . لابن طاهر يعزى المتوكل في ابنه .
 لأبي عيينة . لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك
 في ابنه . للحسن يعزى عمر بن عبد العزيز .
 للاسكندر يعزى أمه عن فقده . لسهل بن
 هارون في التعزية .

كتاب القيمة

٢٣٤

في النسب وفضائل العرب

في الحديث . لعمر بن الخطاب
 أصل النسب .
 أولاد نوح .
 أصل قريش .
 ٢٣٥ لعبد المطلب في قومه . لأبي نواس في مدح بني
 شيبه . بنو هاشم .
 ٢٣٦ بنو أمية . بنو نوفل . بنو عبد الدار . بنو أسد
 بنو تميم . بنو مخزوم . بنو عدى . بنو جهم
 بنو سهم .
 ٢٣٧ مكارم قريش . بين المأمون وأبي الطاهر .
 فضل بني هاشم وبني أمية
 لعلى فيهم . وللشعبى .

٢١٢ لجرير في رثاء الوليد . لبعض الشعراء في رثاء
 قيس بن عاصم . للسندی في رثاء يزيد بن
 هبيرة . لمنصور النمري في رثاء ابن مزيد .
 ٢١٣ للأعجم يرثى المغيرة .
 ٢١٤ لبعض الشعراء . لابن يعفر .
 ٢١٥ لعبيد بن الأبرص . للحجاج في ابن خارجة .
 لبعض الشعراء فيه . لمسلم بن الوليد .
 ٢١٦ لأشجع في ابن زياد . وله في ابن منصور .
 ٢١٧ للطائي في رثاء خالد بن يزيد . للثيمى في
 يزيد بن مزيد .
 ٢٢٠ لابن أبي حفصة في رثاء معن .
 ٢٢١ لأبي الشيبان في رثاء الرشيد ومدح الأمين .
 للغداني في ابن ظبيان . لأبي تومعة في رثاء المهلب
 ٢٢٢ للبهلول في رثاء كليب . لابن المعدل في رثاء
 سعيد بن سلم . لابن اخت تأبط شرا يرثى خاله
 ٢٢٣ لابن أبي الصلت يرثى قتلى بدر .
 ٢٢٤ لسهل بن هارون .
 ٢٢٥ لفروة الحريري في رثاء الخوارج . وله في رثاء قومه
 التعازي لابن أبي بكر يعزى سليمان في ابنه .
 ٢٢٦ لابن جريج يعزى ابن الأهم . على والأشعث
 في وفاة ابنه . لابن الصماك يعزى رجلا لصالح
 المرى في مثله . لوالد العتيبي في مثله . لابن
 عباس يعزى عمر في ابن له . لعلى في العزاء .
 ٢٢٧ للحسن في المصيبة .

كتاب تعزية

٢٢٨ في عزاء عقبه بابنه . عزاء الأصمى لجعفر بن
 سليمان في أخيه .
 ٢٢٩ لمالك بن دينار في أخيه . لأعرابية في ميت
 لأعرابي يعزى . الحسن وجازع على ابنه لنصراني
 يعزى مسلماً . لعلى بن الحسين في ناعية .
 ٢٣٠ لابن جبير لرجل يعزى رجلاً .

صحيفة	صحيفة
٢٥١	٢٣٨
مفاخرة يمن ومضر .	لمعاوية الرشيد وأموى للنبي ﷺ
الابرش يفاخر ابن صفوان . أبو العباس	جماعة بنى هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش .
وقوم من اليمن .	عبد المطلب .
٢٥٢	٢٣٩
مفاخرة الاوس والخزرج .	أمية الأكبر .
اليبوتات .	٢٤٠
علماء النسب في حضرة عبد الملك .	جماهير بنى تيم بن مرة .
يبوتات مضر وفضائلها .	مخزوم بن مرة .
للنبي صلى الله عليه وسلم . لبعضهم .	كعب بن عدى .
٢٥٣	٢٤١
معاوية والكلي . النعمان والاحيمر . شىء	جموح .
عن بهدلة .	بنى مسم .
٢٥٤	٢٤٢
يبوتات اليمن وفضائلها .	عاسر بن اوى .
للنبي ﷺ . لابن عباس . امر بن الخطاب .	بنى محارب بن فهر بن مالك .
لابن عبيدة . لابن السكبي .	بنى الحارث بن فهر بن مالك .
٢٥٥	٢٤٣
للنبي ﷺ . لابن الكلي .	قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش .
٢٥٦	٢٤٤
تفسير الارحاء والجمام . لابن عبيدة .	ومن بطون قريش
٢٥٧	٢٤٥
أسماء ولد نزار .	فضل قريش .
سطيح وتقسيم ميراث نزار .	للنبي ﷺ . معاوية وأصحابه . ابن عتبة
٢٥٨	٢٤٦
شعر لربيعة بن نزار .	وابن عمير .
أنساب مضر	٢٤٧
٢٥٩	٢٤٨
بطون هذيل وجماهيرها .	ابن عتبة وقريشون تشاحوا . محمد بن الفضل
بطون كنانة وجماهيرها .	وقوم . بينه وبين والى الاهواز . لابن عتبة
٢٦٠	٢٤٩
بطون أسد وجماهيرها .	ينصح قريشيين .
٢٦١	٢٥٠
الهون بن خزيمه بن مدركة .	٢٤٥
٢٦٢	٢٥١
ومن قبائل طابخة بن اليأس .	مكان العرب من قريش .
٢٦٣	٢٥٢
بطون ضبة وجماهيرها .	للنبي ﷺ . لمعاوية . لابن عتبة في معاوية .
٢٦٤	٢٥٣
مزينة - الرباب .	٢٤٦
٢٦٥	٢٥٤
صوفة .	لابن الكلي . لابن المقفع .
٢٦٦	٢٥٥
بطون تميم وجماهيرها .	٢٤٧
٢٦٧	٢٥٦
بنو العنبر بن عمرو بن تميم .	ذو الرمة وعبد أسود .
	٢٤٨
	علماء النسب .
	أبو بكر وابن المسيب . أبو بكر وبعض القبائل
	٢٤٩
	دغفل وقوم من الأنصار . ابن شيدان وقوم
	من العرب .
	٢٥٠
	قول دغفل في قبائل العرب .
	دغفل وزباد . دغفل ومعاوية .

- ٢٦٥ الجبطات .
 غيلان وأسلم وحرماز . بنو مالك بن عمر
 ابن تميم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم .
 ٢٦٦ الأجارب .
 بنو عطارذ بن عوف بن كعب بن سعد .
 قريع بن عوف بن كعب بن سعد .
 ٢٦٧ بهلة بن عوف بن كعب بن سعد .
 حنظلة بن مالك الاحق بن زيد مناة .
 يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم
 ٢٦٩ بطون قيس وجماهيرها .
 ٢٧٠ باعلة - بنو الطفاوة بن أعصر .
 بنو خصفة بن قيس بن عيلان .
 ٢٧١ بنو ذكوان وبنو وهبة بنو سليم .
 ٢٧١ قبائل هوازن .
 عاصر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
 ٢٧٢ بنو كعب بن ربيعة بن عاصر بن صعصعة .
 بنو العجلان بن كعب .
 ٢٧٣ بنو سلول . نسب ربيعة بن نزار .
 ٢٧٥ النمر بن قاسط .
 ٢٧٦ تغلب بن وائل .
 ٢٧٧ بكر بن وائل . يشكر بن بكر .
 ٢٧٨ عجل بن لجم . حنيفة بن لجم .
 شيبان بن ثعلبة بن عكابة .
 ٢٧٩ ذهل بن ثعلبة بن عكابة .
 قيس بن ثعلبة بن عكابة .
 ٢٨٠ سروس - اللهازم - لإياد بن نزار .
 ٢٨١ القبائل المشتبهة .
 ٢٨٢ مفاخرة ربيعة . عبد الملك وبعض جلسائه
 ٢٨٤ جمرات العرب .
 ٢٨٥ أنساب اليمن .
- ٢٨٦ ح - ير .
 ٢٨٧ الاوزاع - النبايعة .
 ٢٨٨ قضااعة .
 ٢٩٢ كهلان بن سبأ .
 ٢٩٣ الخزرج .
 صحيفة
 ٢٩٧ خزاعة .
 بطون من خزاعة .
 ٢٩٩ بارق والهجن .
 ٣٠٠ ومن بطون الأزد .
 ٣٠١ بنو لهب .
 ٣٠٢ دوس . عك . غسان . بنو عنزة .
 ٣٠٣ بجيلة خثعم .
 ٣٠٤ همدان .
 ٣٠٦ كندة .
 ٣٠٧ مذحج .
 ٣١٠ مسابية . بنو حبابة .
 ٣١١ النخع . بنو جذيمة . بنو حارثة . وهبيل .
 صهبان . جشم وبكر . عنس .
 ٣١٢ مراد - طيء .
 ٣١٤ الأشعر .
 ٣١٥ لحم - جذام .
 ٣١٦ عاملة .
 ٣١٧ خولان - جرم - حضرموت .
 قول الشعوبية وهم أهل التسموية .
 ٣٢٢ رد ابن قتيبة على الشعوبية .
 ٣٢٣ رد الشعوبية على ابن قتيبة .
 ٣٢٥ قول الشعوبية في مناقح العرب .
 ٣٢٦ باب المتعصبين للعرب .

رقم	تاريخ	ملاحظات
٢٢٨	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٢٩	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٠	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣١	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٢	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٣	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٤	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٥	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٦	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٧	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٨	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٣٩	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٠	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤١	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٢	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٣	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٤	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٥	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٦	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٧	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٨	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٤٩	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢
٢٥٠	مناوبة الرشيد وأبى القاسم	٢٨٢

تاريخ الخلفاء

العقود الفريدة

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد مزنة الإندلسي

المتوفى سنة ٥٣٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العرابي

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى: ريشة محمد علي بمصر

جميع حقوق الطبع محفوظة

[الطبعة الثانية]

مطبعة الأبتقامة بالقاهرة

١٣٧٢ - ١٩٥٣

(١) في بعض الأصول: تحقيق

كِتَابُ الْعَسْجِدَةِ

فِي كَلَامِ الْأَعْرَابِ

فرش كتاب العسجدة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفي تفضيل العرب ، وفي كلام بعض الشعوية ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصة ؛ إذ كان أشرف الكلام حسبا ، وأكثره رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة ؛ وإذ كان مدار الكلام كله عليه ، ومُنْتَسَبُهُ إليه .

قال رجل من منقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابي في بت ، ما في رجليه حذاء ، فأجابه بكلام وددت أني مت قبل أن أسمعه ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال لي : ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحنا كيهم ؟ أم كيف نسايقهم وإنما نجري بما سبق إلينا من أعرافهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك في الأولى ، ولا أدع حمدك على الأخرى .

خالد بن صفوان
وأعرابي

وتكلم ربيعة الرأي يوما بكلام في العلم فأكثر ، فكان العُجْبُ داخله ، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال : ما تعدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . فكانما ألقمه حجرا .

بين أعرابي
وربيعة في مثله

قول الأعراب في الدعاء

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب ،
لولا جفاء فيهم .

لعمري
ابن عبد العزيز

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .

غيلان

قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابي يقال له مرثد : اللهم اغفر لي واجلدني

لأعرابي

بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ،

والتوبة مقبولة ، والآنفس مريجة ، والتضرع مرجو ، قبل أز العروق ، وحشك

النفس ، وعَلَز الصدر ، وتزِيل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحْيِف التراب ؛

وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أعني على

الموت وكرهته ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ،

وعلى يوم القيامة وروعته : أغفر لي مغفرة واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كريبا ؛

أغفر لي جميع ما اقترضت علي ولم أؤده إليك : أغفر لي جميع ما تبنتُ إليك منه

ثم عدت فيه . يارب تظاهرتُ على منك النعم ، وتداركتُ عندك مني الذنوب ؛

فلك الحمد على النعم التي تظاهرتُ ، وأستغفرك للذنوب التي تداركتُ . أمسيت

عن عذابي غنيا ، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيرا : اللهم إني أسألك نجاح الأمل

عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي : اللهم اجعلني من الذين

إذا أعطيتهم شكروا ، وإذا آتيتهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذكروا ، واجعل لي

قلبا تواباً أو أباً ، لا فاجراً ولا مرتاباً . اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ،

وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علي العذاب ، ولا تقطع بي الأسباب ،

وأحفظني في كل ما تحيط به شفقتي ، ويأتي من ورائه سُبحتي ، وتعجز عنه قوتي ،

أدعوك دعاء ضعيف^(١) عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنين على نفسه - دعاء من بدنه

ضعيف ، ومُنته عاجزة ؛ قد انتهت عدته ، وخلقتُ جدته ، وتم ظمؤهُ ؛ اللهم

(١) في بعض الأصول : وخفيف .

لا تخيبنني وأنا أرجوك ، ولا تعذبنني وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسبته ،
 وحسن التباعة ، وتشننج العروق ، وإساعة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على
 حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذي لا يؤدى قبيلهُ ،
 ولا يخيب سُوله ، ولا يُردّ رسوله . اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن
 ٥ الدل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى بخورا ، أو أكون بك
 مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُضال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال
 النعمة ، وفجأة النعمة .

لأعرابي في
 الصواف

دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال : إلهي ، مَنْ أولى بالنقصير والزلل
 مني وأنت خلقتني ، وَمَنْ أولى بالعمو منك عنى وعلمك بي ما ض ، وقضاؤك بي
 ١٠ مُحيط ؛ أطعتك بقوتك والمِنَّة لك ، وعصيتك بعلمك ، فأسألك يا إلهي بوجوب
 رحمتك ، وانقطاع حجتي ، وافتقاري إليك ، وغناك عنى - أن تغفر لي وترحمني ؛
 إلهي لم أحسن حتى أعطيتني . فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ ، اللهم إنا
 أطعناك في أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ،
 ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاعفر لي ما بين ذلك ؛
 ١٥ اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأولياتك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ^(١) . إلهي
 أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا إليك
 ملهوف ؛ إذا أوحشتني الغربية ، آنسني ذكرك ؛ وإذا أكبت عليّ الغيوم ،
 لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها
 عن قضائك ، فأقلني إليك مغفورا لي ، معصوما بطاعتك باقى عمرى ،
 يا أرحم الراحمين .

٢٠

الأصمعي قال : حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيَا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ : يَا خَيْرِ
 مَوْفُودٍ سَعَى إِلَيْهِ الْوَفْدُ ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتِي ، وَأَتَيْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ
 لَا تَغْسِلُهَا إِلَّا نَهَارٌ وَلَا تَحْمِلُهَا إِلَّا بَحَارٌ : أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ

لآخر في مثله

(١) في بعض الاصول : « وخير المعينين للمتوكلين عليك » .

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المشفقون ، ارحموا من شملته الخطايا ،
وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ممالك من التلاد : ارحموا
من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب : ارحموا أسير ضراً ، وطريد فقر .
أسألكم بالذي أعلمتكم الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي عظيم جرمي .
ثم وضع في حلقة الباب خده وقال : ضرع خدي لك ، وذل مقامي بين يديك ،
ثم أنشأ يقول :

عظيم الذنب مكروب ه من الخيرات مسلوب

وقد أصبحت ذا فقير ه وما عندك مطلوب

العتبي قال : سمعت أعرابيا بعرفات عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن هذه
عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ،
أن لا يشرك بك شيئاً بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أتتك
العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العناة من شعب المضيق ؛ رجاء ما لا خلف له
من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أبدت لك وجوهها المصونة ،
صابرة على وهج^(١) السماء ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ،
يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعاضاً من نعمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير
وشيق . ثم بسط كلنا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنت بسطت يدي إليك
راغباً ، فظالم كفيئتيه ؛ ساهياً بنعمتك التي تظاهرت على عند الغفلة ، فلا أياس
منها عند التوبة ؛ ولا تقطع رجائي منك لما قدمت من أقراف ، وهب لي الإصلاح
في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، إنك سميع مجيب .

ودعا أعرابي فقال : يا عماداً من لاعماد له ، وباركن من لا ركن له ،
ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنقذ المهلكي^(٢) ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذي سبغ لك
سواد الليل وبياض النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) في بعض الأصول : دفع .

(٢) في بعض الأصول : الغرق .

ودوى الماء؛ يا محسن، يا مجمل، يا مفضل، لا أسألك الخير بخير هو عندك،
ولكنني أسألك برحمتك، فاجعل العافية لي شعاراً وداراً، وجنة دون كل بلاء.

الأصمعي قال خرجت أعرابية إلى منى فقطع بها الطريق، فقالت: يا رب،
أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت، وكل ذلك منك عدل وفضل، والذي عظم
على الخلائق أمرك؛ لا بسطت لساني بمسئلة أحد غيرك، ولا بذت رغبتي إلا إليك
ياقوة أعين السائلين، أغنى بحدود منك أتجبح في فرايس نعمته، وأتقلب في
رواق نضرته، آحلتني من الرجلة، وأغنى من العيلة، وأسدل علي سترك الذي
لا تحرقه الرماح، ولا تزيله الرياح، إنك سمع الدعاء.

لآخر بني

قال: وسمعت أعرابياً في فلاة من الأرض وهو يقول في دعائه: اللهم إن
استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للثوم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك
لعبز! إلهي كم تحببت إلي بنعمتك وأنت غني عني، وكم أتبعض إليك بذنوبي
وأنا فقير إليك! سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

لأعرابي في فلاة

قال: وسمعت أعرابياً يقول في دعائه: اللهم إن ذنوبي إليك لا تضرك، وإن
رحمتك إياي لا تنقصك؛ فاعنر لي ما لا يضرك، وهب لي ما لا ينقصك.

قال: وسمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه: اللهم إني أسألك عمل الخائفين،
وخوف العاملين، حتى أتعمم بترك النعيم طمعاً فيما وعدت، وخوفاً بما أوعدت
اللهم أعزني من سطواتك؛ وأجرني من نقماتك؛ سبقت لي ذنوب وأنت تغفر
لمن يتوب^(١)؛ إليك بك أتوسل، ومنك إليك أفر.

لآخرين

قال: وسمعت أعرابياً يقول: اللهم إن أقواماً آمنوا بك بألسنتهم ليحتموا
دماءهم فأدركوا ما أملوا، وقد آمنوا بك بقلوبنا لنجبرنا من عذابك فأدرك منا
ما أملناه.

قال: ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول
رب، أترك معدننا وتوحيدك في قلوبنا، وما إخالك تفعل! وإن فعلت لتجمعننا

(١) في بعض الأصول: «يحب»

مع قوم طالما أیغضناهم لك .

الإصمعی قال : سمعت أعرابیا يقول فی صلاته : الحمد لله حمداً لا یبلى جدیده ولا یحصى عدیده ، ولا یبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خیر غائب تنتظره ،

واجعل القبر خیر بیت نعمره ، واجعل ما بعده خیراً لنا منه ؛ اللهم إن عینی قد آغرورقتا دموعاً من خشیتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدِّ بحلمك علی جهل من لم یرجُ غیرك

الإصمعی قال : وقف أعرابی فی بعض المواسم فقال : اللهم إن لك علی حقوقاً فتصدق بها علی ، وللناس قبلی تبعات فتحملها عني ؛ وقد وجب لكل ضیف

قری ، وأنا ضیفك اللیلة ، فاجعل قرای فیها الجنة .

قال : ورأیت أعرابیا أخذ بحلقتی باب الكعبة وهو يقول : سائلك عبدُ بابك ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تبعاتهُ فأرض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعفُ عنه غیر راض .

قال : ودعا أعرابی عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعل ، ولا فعال إلا بمال ؛ فأعطني ما أستعين به علی شرف الدنيا والآخرة .

قال زید بن عمر^(١) : سمعت طاوساً يقول : بینا أنا بمكة إذ دفعتُ إلى الحجاج ابن یوسف ، فثنی لی وساداً فجلست ؛ فبینا نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابی فی الوادی رافعا صوته بالتلیبة ، فقال الحجاج : علی بالملی . فأثنی به ، فقال : من الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : لیس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتنی ؟

قال : من أی البلدان أنت ؟ قال : من أهل الیمین . قال له الحجاج : فكيف خلقت محمد بن یوسف ؟ یعنی أخاه ، وكان عامله علی الیمین ؛ قال : خلقتُهُ عظیماً جسیماً خراجاً ولأجاً . قال : لیس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتنی ؟ قال : كيف خلقت سیرته فی الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق مطیعاً للمخلوق ؛

فأزور من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك علی هذا وقد تعلم مكاتته منی ؟ فقال له الأعرابی أفتراه بمكاته منك أعزّ منی بمكاتی من الله تبارك وتعالی ، وأنا وافد

(١) فی بعض الاصول : عمرو ،

(٢) فی بعض الاصول : عمرو ،

بيته ، وقاضى دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ! قال : فوجم لها الحجاج ولم يُجر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فنبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهم إلى جوارك والرضا بضمائك : مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين : اللهم عد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

- ٥ قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجى ونصبي وتعبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبةً أعظم من ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك ^(١) .
- الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عجبت إليك الأصوات بضروب من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البلاء ^(٢) إذا نسيتنى أهل الدنيا . اللهم هب لى حقل ، وأرض عنى خلقك ، اللهم لا تُعَيِّنِي بطلب مالم تقدره لى ، وماقدرته لى فيسره لى .

- ١٠ قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبك فى أمرك ، وخليفتك فى أهلك ، وولىّ نبيج طلبتِك . امضِ مُصاحبا مكلوئا ، لا أشمت الله بك عدوئا ، ولا أرى محبيك فىك سوءا .
- ١٥ قال : ومات ابن لأعرابي فقال : اللهم إني وهبتُ له ما قصر فيه من برى ، فهب له ما قصر فيه من طاعتك : فإنك أجود وأكرم .

قولهم فى الرقائق

- العبي قال : ذكر أعرابي مصيبة فقال : والله تركت سود الرءوس بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهوت المصائب بعدها .

٢٠

(١) فى بعض الأصول : ورجبتك .

(٢) فى بعض الأصول : البكاء .

- أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثى آل أبي سفيان : *قال أبو مالك*
 رمى الجدثان نسوة آل حرب • بمقدار تمدن له سُموذا
 فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا
 فإنك إذ سمعت بكاء هندي • ورملة إذ يلطن الحدودا
 بكيت بكاء موجعة بجزن • أصاب الدهر واحدها الفريدا
 قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءك قالت : إن فقدى إياه
 أمتنى كل فقد سواه ، وإن مصيتي به هونت على المصائب بعده ؛ ثم أنشأت تقول :
 من شاء بعدك فليمت • فعليك كنت أحاذر
 كنت السواد لمقلتي • فعليك يبكي الناظر
 ليت المنازل والديا • رَحَقَارُ ومقَابِرُ
 وقيل لأعرابي : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك هم الغداء
 والعشاء لي حزنا !
 وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، وذهب
 جلده : ذهب شبابه .
 وقيل لأعرابي : ما أنحل جسمك ؟ قال : سوء الغداء ، وجُدوبة المرعى ،
 واختلاجُ الهموم في صدري . ثم أنشأ يقول :
 الهمُّ مالم تُمضيه لسبيله • داءٌ تضمُّهُ الضلوعُ عظيمُ
 ولربما استيأست ثم أفولُ لا • إن الذي ضمِّنَ النجاحَ كريمُ
 وقيل لأعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تمقيدني
 الشعرة ، وأعثر في البعرة : قد أقام الدهر صعري بعد أن أقمت صعره .
 وقال أعرابي : لقد كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء ، فيا خير
 مبدول ويا شرَّ بدل !

(١) في بعض النسخ: ما أحسن عزاءك قالت: إن فقدى إياه

لبعض الشعراء

وقال أعرابي :

إذا الرجال وَلَدَتْ أولادُها . وجعلت أسقامُها تعتاؤها

واضطربت من كِبَرِ أعضائها . فهى زُرُوعٌ قد دنا حصادُها

لأعرابي في
القطيعة

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرت عِيابُ الودِّ بعد

امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها : فأدبر ما كان مقبلا ، وأقبل
ما كان مدبراً .لآخرين في تغير
الديار

وذكر أعرابي منزلا باد أهله ، فقال : منزل والله رحلت عنه ربات الخدور

وأقامت فيه أنثى^(١) القدور ، وقد اكتسى بالنبات كأنما ألبس الحُلل ؛ وكان

أهله يُعْفُونَ فيه آثار الرياح ، وأصبحت الريح تُعَفِّي آثارهم فالعهد قريب

والملتقى بعيد .

١٠

ذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم ، فقال : أعينُ والله كحلت بالعبرة بعد
الحبيرة ، وأنفسٌ لبست الحزن بعد السرور .

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم ، فقال : كانوا والله في عيش رقيق الحواشي

فظواه الدهر بعد سعة ، حتى يديست أبدانهم من القُر ، ولم أر صاحبا أغرَّ من

الدنيا ، ولا ظالما أعثم من الموت ؛ ومن عصف به الليل والنهار أرياه ، ومن
وكل به الموت أفناه .

١٥

وقف أعرابي على دار قد باد أهلها ، فقال : دارُ والله معتصرة للدموع ،
حطت بها السحاب أثقالها ، وجرت بها الرياح أذيالها .وذكر أعرابي رجلا تغيرت حاله ، فقال : طُوِيت صحيفته وذهب رزقه ،
فالبلَاءُ مُسْرِعٌ إليه ، والعيش عنه قابض كفيه .

٢٠

وذكر أعرابي رجلا ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كان والله في ظل عيش
مدود ، فقدحت عليه من الدهر زَندَ عين كاية الزند .

(١) في بعض الأصول : « رواحل » .

الأصمعي قال : أنشدني العُقيل لأعرابية ترى ابنها :
لأعرابية ترى ابنها

ختلته المنونُ بعد آختيالٍ • بين صفّين من قنأ ونِصالٍ
في رداء من الصفيج صقيل^(١) • وقمص من الحديد مُذال
كنتُ أخباك لا اعتداء يدِ الدهرِ ولم تخطرِ المنونُ بيالي

وقال أعرابي يرى ابنه :
لأعرابي في مثله

دَفَنْتُ بكفي بعضَ نفسِي فأصبحتُ • وللمنفس منها دافنٌ ودفينٌ

وقال أعرابي : إن الدنيا تنطق بغير لسان فتخبر عما يكون بما قد كان .

* خرج أعرابي : هاربا من الطاعون ؛ فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ،
فقال فيه أبوه :

طاف يَبغى نَجْوَةَ • من هلاكٍ فهلكُ

ليت شِعري ضَلَّةً • أي شئ قتلُكُ

والمنايا رَصَدُ • للفتى حيث سَلَكَ

كلُّ شئ قاتلٌ • حين تلقى أجلك

وذكر أعرابي بلدا فقال : بلد كالترس ، ماتمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل ،
لأعرابي في بلد

ولا يمر فيها السّفر إلا بأدلاً دليل .
١٥

قولهم في الاستطعام

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إني والله
من بن زائدة وأعرابي

ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثل من أهل السن والحسب

إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في

المعروف ؛ فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك

فأفعل . فوصله وأحسن إليه .
٢٠

الريبع بن سليمان قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : وقف أعرابي
لأعرابي

(١) في بعض الاصول جديد .

على قوم فقال : إنا - رحمكم الله - أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفلّال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يبتليك .

ووقف أعرابي بقوم فقال : يا قوم ، تتابعن علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رُجوع ، ولا للأرض فيها صدع ، فنضب العِد ، ونشف الوشل ، وأحل الخصب ، وكلع الجذب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحتن الأيام إليكم غريب الدار ، نأى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرأ رحم اغترابى ، وجعل المعروف جوابى .

آخر

١٠ خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم معوزون^(١) ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من أمرٍ بخير ، كلاه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؛ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

المهدي فى الطواف

١٥ الأصمعى قال : أغير على إبل خزيمة ، فركب بحيرة ، فقيل له : أتركب حراماً ؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له .

خزيمة فى إبل
أغير عليها

وقال أعرابي :

لأعرابي

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع . كلّ الحذاء يَحْتَدِي الحافى الوَقِعُ

أبو الحسن قال : اعترض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال :

بين عتبة بن
أبي سفيان
وأعرابي

٢٠ أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيأخاه قال : أسمعته فقل . قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالحمولة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وتراذف ضر ، وعندك ما يسعُه ويصرف

(١) فى بعض الاصول : « مبطلون » .

عنه بؤسه فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ،
فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وسأل أعرابي فقال : رحم الله مسلها لم تمجّ أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً
من مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والدار مضيعة ، والحياة زاجر يمنع من كلامكم ،
والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله أمراً يميز
وداعياً يجير . فقال له بعض القوم : بمن الرجل ؟ فقال : بمن لا تنفعكم معرفته ،
ولا تضركم جهالته . ذلّ الاكتساب ، يمنع من عز الاتساق .

العتبي قال : قدم علينا أعرابي في فِشاش^(١) قد أطردت اللصاصُ إبله ، فجمعت
له شيئاً من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته . لولا شماتة أعداء ذوى إحنٍ
ما سرّنى أن إبلى في مباركها . وأن أمراً قضاه الله لم يكن
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتة أعداء ذوى حسدٍ . وأن أنال بنفعى من يرُجيني
لما خطبتُ إلى الدنيا مطالبها . ولا بدلتُ لها عرضي ولا ديني
لكن مُنافسة الأكفاء تحمّلنى . على أمورٍ أراها سوف تُردىنى
وقد خشيت بأن أبقي بمنزلةٍ * لا دين عندى ولا دنيا تُواتينى

العتبي قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسرى ، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول :

أصلحك الله قلّ ما يدي . فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهرٌ ألقى بكأسك . فأرسلونى إليك وانتظروا

قل : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ! فأمر
له بأربعة أبعرة موقورة بُراً وتمراً وخلع عليه .

(١) الفشاش : كساء غليظ .

أعرابي غير
على إبله

بين خالد القسرى
وأعرابي

ابن طوق
وأعرابي

الشيبياني قال : أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرحبة حيناً ، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكا في عبادة صوف وشملة شعر ، فكلمها أراد الدخول منعه الحجاب ، وشتمه العبيد ، وضربه الأشرط : فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة ، فعارضه الأعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إني عائد بالله من أشرطك هؤلاء . فقال مالك : دعوا الأعرابي : هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير : أن تصغى إلى بسمعك ، وتنظر إلى بطرفك ، وتقبل إلى بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابي يقول :

ببابك دون الناس أنزلت حاجتي * وأقبلت أسعى حوله وأطوف
ويمنعني الحجاب والستر مُسَبَّل * وأنت بعيد والشروطُ صفوف
يدورون حولي في الجلوس كأنهم * ذئاب جيساع يدهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مُقبلاً * فأصرف عنه إني لضعيف
ومالي من الدنيا سواك ولا لمن * تركت ورائي مريع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف * ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت أعناق الملوك ورحلتى * إليك وقد حنت إليك صروف
جئتُك أبغى اليسر منك فترني * ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لي نحو بابك عودة * فقلبي من ضرب الشرط مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه : ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوباً بثوبين ؟ فوَقعت عليه الثياب والدرهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي : ثم قال له : هل بقيت لك حاجة يا أعرابي ؟ قال :
٢٠ أما إليك فلا ! قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبقيك للعرب : فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابي إلى هشام بن عبد الملك : فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذاب الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام آنتقى العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن للناس فلم تُحجَبُ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يجزي المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أذرع الهجير ، وأخوض الدجا لخاصّ دون عام ، ولا خير في خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فرقتُ في الناس ؛ وأمر للأعرابي بمال فرقه في قومه .

طلب أعرابي من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابي : إن من وعدٍ قضى الحاجة وإن كثرتُ ؛ والمطل من غير عسر آفة الجود .

وقال أعرابي ، وأتى رجلا لم تكن بينهما حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن : فحقق الأمل ، وأحسن المشوبة ^(١) ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

وقف أعرابي على حلقة يونس النحوي ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساء ، إنا أناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نتحول من منزل وإن كرهناء ؛ فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسل سنة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ إن الله لا يستقرض من عوز ؛ ولكن ليبلو خيار عباده .

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس ، ومعى بننان لي ، والله ما علبتُهما تحللاً بخلال ؛ فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا ^(٢) ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) في بعض الأصول . المنزلة .

(٢) في بعض الأصول . ذلنا .

يقوم مقامى فإنه مقام ذل وعار وصغار ! فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال : أشدُّ والله على من سوء حالى وفاقى ، توهمى فيكم المواساة ! انتعلوا الطريق لاصحبحكم الله .

الأصمعى قال : وقف أعرابى علينا فقال : يا قوم ، تابعت علينا سنون بتغير وانتقاص ، فما تركت لنا هُبُعاً ولا رُبُعاً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا ثاغية ولا راغية ؛ فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ؛ فأعينونى من فضل ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، ونضو زمان ؛ فلقد خلفت أقواماً يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه ؛ ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى ^(١) .

١٠

الأصمعى قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فقالت : إني أتيتُ من أرض شاسعة ، تهيضنى هائضة ^(٢) وترفعنى رافعة فى بوادٍ برّين لحمى ، وهضن عظمى : وتركننى والهة ، قد ضاق بى البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد ؛ لا قرابة تُؤوينى ، ولا عشيرة تحمىنى ؛ فسألت أحياء العرب : من المرتجى سَيِّبُهُ ، المأمونُ عيبه ، الكثير نائله ، المكفى سائله ؟ فذلتُ عليك ؛ وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث : إما أن تُحيين صَفدى ، وإما أن تُقيم أودى ، وإما أن تُردنى إلى بلدى . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

لأعرابية مع
عبد الرحمن
ابن أبى بكر

١٥

وقال أعرابى :

شعر لبعض
الأعراب

٢٠

يا عاملَ الخيرِ رُزِقتَ الجنةَ • أكسُ بُنيانِي وأمَهِنَّةُ
وَكُنْ لَنَا مِنَ الزَّمانِ جُنةً • وآرَدُدْ عَلَيْنَا إِنْ إِنْ إِنَّهُ
أَقَسَمْتُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

(١) فى بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) فى بعض الأصول : « تهبطنى هابطة » .

الأصمعي قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنَة جردت وأيد جمدت ، لبعض الأعراب وحال أجهدت ؛ فهل من فاعل لخير ، وأمر يمير ؟ رحم الله من رحم ، وأقرض من يُقرض ^(١) .

الأصمعي قال : أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، وشركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ، وفلال بؤس ، وصرعى جذب ، تابعت علينا سنون ثلاثة ، غيرت النعم وأهلكت النعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نغفل بذلك أنفسنا ، ونمسي بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ، وعاد إشراقنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم بصرعنا الوعر ، ويكننا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لآئحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، وهو اسيا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزي المنصدين .

الأصمعي قال : كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز السكعاب ؛ وقد حملتنا سنو المصائب ، ونسكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا ^(٢) .

سمع عدى بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدقوا على شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهره ، وسميع شكواه خالقه ، بدنه مطلوب وثوبه مسلوب ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بني سعد في دية لزمته ، قال : فكم هي ؟ قال : مائة بعير . قال : دُونَكها في بطن الوادى !

(١) في بعض الأصول : « من لا يظلم ،

(٢) في بعض الأصول : « ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى ،

سأل أعرابي رجلا فأعطاه ، فقال : جعل الله للعروف إليك سبيلا ، وللخير عليك دليلا ، ولا جعل حظَّ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابي بقوم فقال : أشكو إليكم أيها المألأ زمانا كلح في وجهه ، وأناخ على كللكتله ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتني شدائده ، بنبل مصائبه ، عن قسي نوابه ، فما ترك لي ثاغية أجتدى ضرعها ، ولا راغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعَدِّ على حتفه ؟ فردَّ القوم عليه ولم يُنبِلوه شيئا ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأمل من أمثالكم * جوداً وليس أُلجود من فعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم * ولا أزاج السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم

١٠ الأصمعي قال : سأل أعرابي فلم يُعط شيئا ، فرفع يديه إلى السماء وقال :
يارب أنت ثقي وذخري * لصيبة مثل صغار الذر
جاءهم البرد وهم بشر * بغير لحفٍ وبغير أزر
كانهم خنافس في جحر * تراهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصق بصدري * فاسمع دعائي وتول أمرى

١٥ سأل أعرابي ومعه ابنتان له ، فلم يُعط شيئا ؛ فأنشأ يقول :

أيا أبتى صار أباكا * إنكما بعين من يراكا
الله وولاي وهو مولاكا * فأخلصا لله في تجواكا
تضرعانا تذخر أبكاكا * له له يرحم من آواكا
إن تبكي فالدهر قد أبكاكا

٢٠

العتبي قال : كانت الأعراب تنجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ،

هشام وأعرابي

فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابي فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأن

نحبك خير من أن نبغضك ! فأعطاه وأجزل له .

الأصمعي قال : وقف أعرابي غَنَوِيٌّ على قوم : فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب النّيل ؛ وعجف الخيل ؛ وبُخس الكيل ؛ فن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرصاً حسناً . لا يستقرض الله من عُدْم ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتىٍ مقتدرٍ معينٍ * على فقيرٍ بائسٍ مسكينٍ
أي بناتٍ وأبي بنسينٍ * جزاه ربّي بالذي يُعطيني
أفضلَ ما يُجزى به ذو الدينِ

الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول لرجل : أطعمك الله الذي أطعمني له ؛ لبعض الأعراب
فقد أحبيقتي بقتل جوعى ، ودفعت عنى سوء ظنى ييومى ؛ فحفظك الله على كل
جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابي رجلاً فاعتلّ عليه ، فقال : إن كنت كاذباً فجعلك
الله صادقاً !

وقال أعرابي للباؤون :

قلْ للإمام الذي تُرْجى فضائله * رأس الأنام وما الأذنب كالرأس
إني أعوذ بهرون وخُفرتة * وبأن عمّ رسول الله عباس :
من أن تُشدّ رحال العيس راجعةً * إلى اليمامة بالحرمان واليباس

الأصمعي قال : أصابت الأعراب جماعةً ، فررت برجل منهم قاعد مع زوجته
بقارعة الطريق وهو يقول :

ياربّ إني قاعدٌ كما ترى * وزوجتي قاعدة كما ترى
والبطن منّي جائع كما ترى * فما ترى ياربنا فيما ترى !

الأصمعي قال : حدثني بعض الأعراب قال : أصابتنا سنةٌ وعندنا رجل غنى
وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعاً ، فأنشأ يقول :

تشكى إلى الكلب شدة جوعه * وفي مثل ما بالكلب أو بني أكثر
 فقلت : لعل الله يأتي بغيثه * فيضحى كلاً قاعداً يتكبر^(١)
 كأني أمير المؤمنين من العتي * وأنت من النعمى كأنك جعفر
 الأصمعي قال : سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهماين : فردهما
 عليه وقال :

أعرابي
 اسمه عمرو

تركت لعمرو درهماين ولم يكن * ليؤني عني فاقني درهما عمرو
 وقلت لعمرو خذهما فاصطرفهما * سريعين في نقض المودة والأجر

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابي ، فقال : أخ في كتاب الله ، وجار في بلاد
 الله ، وطالب خير من رزق الله : فهل فيكم من مؤاس في الله ؟ .

لبعض الأعراب

الأصمعي قال : ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد ، وبلغه أن الوباء بخير
 شديد : فخرج إليها يعرضهم للموت ، وأنشأ يقول :

قلت لحمي خير آستعدى * هالك عيالي فاجهدى وجدى
 وباكرى بصالب ووردي * أعانك الله على ذي الجند

فأخذته الحمى ، فمات هو وبقي عياله .

سأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة
 ١٥ ولي بضع عشرة بنتا ، فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن ينسك وبين السماء
 صفائح من حديد ، ويكون مسيلها مما يليني فلا تقطر عليكم قطرة : وأما البنات
 فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين
 ليس لمن كاسب غيرك ! قال : فنظر إليه الأعرابي ثم قال : والله ما أدري
 ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنظر ، سيئ الخلق ، فأعضك الله بيطر أمهات
 ٢٠ هؤلاء الجلوس حولك !

مروان وأعرابي

وقف أعرابي على رجل شيخ من أهل الطائف ، فذكر له سنة وسأله ،

طائف وأعرابي

(١) في بعض الاصول : يتذمر . .

فقال : وددت والله أن الأرض خطة لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيدس لجفير أمك في أستها .

قولهم في المواعظ والزهد

أبو حاتم عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك هشام وأعرابي فقال له : عظمى يا أعرابي . فقال : كفى بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيَلِّ لِلطَّافِقِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزء من يطفف في السكيل والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله ؟ ١٠

وقال أعرابي لأخيه : يا أخى ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تقوته ، وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأن ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت عنه ، فامهد لنفسك ، وأعد لعديك ، وخذ في جهازك .

ووعظ أعرابي أخاه أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تُنذرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصى عليك ، والآنفاس تُعدّ منك ، والمنايا تُقاد إليك : أحب الأمر إليك أعوردها بالمضرة عليك . ١٥

وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثلاث خلال فيه : لأنه لبعض الأعراب متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسقط للروءة .

وقال أعرابي لرجل : أى أخى ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم ، غرثان^(١) من السكرم ؛ وأعلم أن المؤمن على خير ، ترحب به الأرض ، وتستبشر به السماء ؛ ولن يُساء إليه في بطنها ، وقد أحسن على ظهرها . ٢٠

(١) فى بعض الاصول : عربان .

وقال أعرابي : الدراهمُ مياسمُ تسمُ حمداً وذنماً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أُعطيَ مالا أُعطيَ حمداً ولا كلُّ عديمٍ ذميمةٌ .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنتَ للبالِ إذا أمسكتهُ * فإذا أنفقتهُ فالمالُ لك

وهذا نظير قول ابن عباس - ونظر إلى درهم في يد رجل - فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

لابن عباس

وقال أعرابي لأخ له : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُنفه أفنك ؛ فنكته قبل أن يأكلك .

لبعض الأعراب

وقال أعرابي : مضى لنا سلفٌ أهل توأصل اعتقدوا منا ، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً ، وإظهار البرِّ واجباً . ثم جاء الزمان بينين اتخذوا منهنم بضاعة ، وبرهم مرابحة ، وأيديهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنفد [السوق] : خذ منى وهات .

وقال أعرابي لولده : يا بني ، لا تكن رأساً ولا ذنباً ، فإن كنت رأساً قتها للنطاح ، وإن كنت ذنباً قتها للنكاح .

قال : وسمعت أعرابياً يقول لابن عمه : سأخطى ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن ليتم المعروف مني إليك ، ولتقوم الحججة لي عليك .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : إن الموقوق من ترك أرفق الحالات به لأصلحها لدينه ، نظراً لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : الله مُخْلِيفٌ ما أتلف الناس ، والدهر مُتِلِفٌ ما أخلفوا ، وكم من ميتة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للموت .
وقال أعرابي : إن الآمال قَطَعَت أعناق الرجال ، كالسراب : غرٌّ من رآه ، وأخلف من رجاه .

وقال أعرابي لصاحب له : أصحب من يتناسى معروفه عندك ، ويتذكر حقوقك عليه .

وقال أعرابي : لا تسأل عمن يفز من أن تسأله ، ولكن سل من أمرك أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : تمام العِدَّة ، وانقضاء المدة .

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر ، فقال : يا هذا ، أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقالت أعرابية لابنها : يا بني ، إن سؤالك الناس ما في أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هُنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحت عليك الحاجة ولزمتك سوء الحال ، فأجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول ، فإنه يعطى السائل .

وقالت أعرابية توصي ابناً لها أراد سفراً : يا بُني ، عليك بتقوى الله فإنها أجدي عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والنهائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثل لنفسك مثالا تستحسنه من غيرك فأحذر عليه واتخذة إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الحلة إزارها ورداءها .

قال الأصمعي : لا تكون الحلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .

أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :

إن تركبي على قدالي فاركبي . فطالما حملتني وسرت بي

في بطنك المطهر المطيب . كم بين هذالك وهذا المركب

وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ما حجَّ عبدٌ حجَّةً بأمه . فكان فيها مُنفقاً من كده

إلا استتمَّ الأجرَ عند ربِّه

قال وسمعت أعرابياً يقول : ما بقاء عمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامة بدنٍ مُعرض للآفات ! ولقد عجبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحياء له ليله وأظماً له نهاره .

وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال : أما والله لئن عزوا في الدنيا بالجور

لقد ذلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فان عوضاً عن كثير باق ، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابي الدنيا فقال : هي رنقةُ المشارب ، حمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب .

وقال أعرابي : من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يسر ، وبلغا به وإن لم يبلغ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الزهادة في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة والزهادة في الآخرة مفتاحُ الرغبة في الدنيا .

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : وإذا متُ فإلى أين يُذهب بي ؟

قالوا : إلى الله ! قال : فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟

وقال أعرابي : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنحَّ النفس عن الشهوات أسرع به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابي لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل لئنك لعطوف عن الحق ، وإن أبطأت ليُسرعنَّ إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم راجحون ؛ فلا تغرَّنك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك .

وقال أعرابي : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت .

وقال أعرابي : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافا ترفع ، والخير يُطلب عند غير أهله ، والفقير قد حل غير محله .

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له : قُلِ الحقَّ وإلا أوجعتك ضرباً ! قال له : وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوددك الله على تركه أعظم مما توعدني به .

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال الكريم يسلِّط عليه اللئيم ، والعاقل يساط عليه الجاهل .

وقيل له : أي الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بحاجته .
ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غائر العينين مُشرف الحاجبين تأتي الجبهة ،
فقال له : يا أعرابي ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .
الأصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما
أقرب من هواك مخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نتج^(١) الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة
السرور ؛ ومن غرس الشرا أتبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبانه الغيظ ، وثمرته الندم .
وقال أعرابي : الهوى^(٢) عاجله لذيد ، وآجله وخيم .
وقيل لأعرابي : إنك لحسن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندي .

قال الأصمعي : ورأيت أعرابيا أمامه شاة فقلت له : لمن هذه الشاة ؟ قال :
هي لله عندي .
وقيل لأعرابي : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار .

وقال أعرابي : من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه .
وقال : بنس الزاد التعدي على العباد .
وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة .

وقال : من ثقل على صديقه خفّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما
يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .

قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا تتوهمن - على من يستدل
على غائب الأمور بشاهدها - الغفلة عن أمور يعاينها ، فتسكون بنفسك بدأت ،
وحظك أخطأت .

ونظر أعرابي إلى رجل حسن الوجه بضمه فقال : إني أرى وجهها ما علقه

(١) في بعض الأصول : ولد .

(٢) في بعض الأصول : الشر .

بَرْدٌ وَوُضوءُ السَّحَرِ ، ولا هو بالذي قال فيه الشاعر :

من كلِّ مجتهدٍ برى أوصاله • صومُ النهار وسجدةٌ (١) الأبحار

الأصمعي قال : سمعت أعرابيا ينشد :

وإذا أظهرتَ أمراً حسناً • فليكن أحسن منه ما تُسرَّ

فُسرُّ الخيرِ مَوسومٌ به • ومُسرُّ الشرِّ مَوسومٌ بِشَرِّ

وقول الأعرابي هذا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسر

امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال : وأنشدني أعرابي :

وما هذه الأيام إلا مُعاراةٌ • فما استطعت من معروفها فتزوِّدِ

فإنك لا تدري بأية بلدةٍ • تموت ولا ما يُحدث الله في غدِ

يقولون لا تَبعدُ ومن يك مُسدلاً • على وجهه سِتْرٌ من الأرض يَبعدِ

وقال أعرابي : أعجز الناس من قَصْرٍ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيِّع

من ظفر به منهم .

وقال أعرابي لابنه : لا يسرك أن تغلب بالشر ؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب .

وقال أعرابي لأخ له : قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه .

فإن حظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدره ،

وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابي عند سوار القاضي بشهادة ، فقال له : يا أعرابي ، إن ميداننا

لا يجرى من العتاق فيه إلا الجياد . قال : لئن كشفت لتجدني عبوراً ١ فسأل

عنه سوار فأخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يا أعرابي ، أنت بمن يجرى في ميداننا .

قال : ذلك بستر الله .

(١) في بعض الاصول : « وسهرة » .

وقال أعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل حملها ، شديدة مؤنتها ، ماترك اللثام للكرام شيئاً .

احتضر أعرابي ، فقال له بنوه : عظنا يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مر أعرابي بقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ! وأنشد :

وفي الأعياص أكفاء لليلي * وفي الحدي لها كُفء كريم

وقال أعرابي : رب رجل يرره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحاف الجناح على الخوافي .

ومر أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أنبتت الطاعة وحصدته المعصية ! وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبه ، ومن فارق الحق فالجذع راحلته .

العتبي عن زيد بن عُمارة ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى منزلا : يا أخى :

أنت في دارِ شَتَاتٍ * فنأهَبُ لِشَتَاتِكَ

واجعل الدنيا كيومٍ * صُمَمْتَهُ عَنْ شَهْوَاتِكَ

واجعل الفِطْرَ إذا ما * نَلْتَهُ يَوْمَ مَمَاتِكَ

واطلبِ الفَوْزَ بعيش الز * هد^(١) من طول حَيَاتِكَ

ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول :

قائدُ الغَفْلةِ الأمل * والهوى قائدُ الزَّلَلِ

قتلَ الجهلُ أهله * ونجا كلُّ من عقل

(١) في بعض الأصول : الدهر .

فاغتنم دولة السلافة واستأنف العمل

أيها المبتنى القصور وقد شاب واكتهل

أخبر الشيب عنك أنك في آخر الأجل

فعلام الوقوف في عرصة العجز والكسل

أنت في منزل إذا حله نازل رحل

منزل لم يزل يضيّق وينبو بمن نزل

فأهّب لرحلة ليس يسعى بها جمل

رحلة لم تزل على الدهر مكروهة القفل

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما جوفى له إلا قبر.

لأعرابي
في السر

وقال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده، فانظر إلى

لآخر في الوفاء

حينته إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ماضى من زمانه.

وقال أعرابي: إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه، والسلاح عند من

لآخر فيما يضيع
الأمور

لا يستعمله، والمسال عند من لا ينفقه - ضاعت الأمور.

وسئل أعرابي عن القدر فقال: الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس:

لآخر في القدر

يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها.

وسئل آخر عن القدر فقال: علمٌ اختصمت فيه العقول، وتقاول فيه

المختلفون، وحق علينا أن نزد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وقال أعرابي تكوير^(١) الليل والنهار، لا يُبقى على الأعمار، ولا لأحد

فيه الخيار.

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خرج الحجاج ذات يوم فأحضر، وحضر

الحجاج وأعرابي

غذاؤه فقل: اطلبوا من يتعدى معنا. فطلبوا، فلم يجدوا إلا أعرابيا في شملة،

فأتوه به، قال له: هلم. قال له: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه. قال:

(١) في بعض الاصول: تعاور.

ومن هو؟ قال: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصيام، فأنا صائم. قال: صوم في مثل هذا اليوم على حر؟ قال صمت ليوم هو أحر منه! قال فأفطر اليوم وتصوم غدا. قال: ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدا؟ قال: ليس ذلك إلى قال: فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ليس إليه سبيل! قال: إنه طعام طيب. قال: والله ما طيبه خبازك ولا طباخك، ولكن طيبته العافية! قال الحجاج: تالله ما رأيت كالיום، أخرجوه عني.

لأعرابي

أبو الفضل الرياشي قال: أنشدنا أعرابي:

أباكية رزينة إن أتاها نعي أم يكون لها اضطبار
إذا ما أهل ودّي ودّعوني وراحوا والأكف بها غبار
وعودر أعظمني في لحد قبره تعاوره الجنائب والقطار
تظلّ الریح عاصفة عليه ويرعى حوله اللهق النوار
فذاك النأي لا الهجران حولا وحولا ثم تجمعننا الديار

١٠

لإبي الأخيلية

وهذا نظير قول ليلي الأخيلية:

لعمرك ما الهجران أن تشحط النوى * وليكنها الهجران ما غيب القبر

للخنساء

ونظيره قول خنساء:

نأى الخليلين كون الأرض بينهما * هذا عليها وهذا تحبها رما

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت * حبيك فاعلم أنها ستعود

عمر وأعرابي
بالجبانة

الرياشي قال: مرَّ عمر بن الخطاب بالجبانة فإذا هو بأعرابي، فقال: ما تصنع

٢٠

هنا يا أعرابي في هذه الديار الموحشة؟ قال: ودیعة لي ها هنا يا أمير المؤمنين. قال: وما ودیعتك؟ قال: بُني لي دفتنه، فأنا أخرج إليه كل يوم أذبه. قال: فاذبه حتى أسمع. فأنشأ يقول:

يا غائباً ما يؤوب من سفره * عاجله موته على صغره

يا قَزَّةَ العَيْنِ كُنْتَ لِي سَكْنًا . فِي طَوْلِ لَيْلِي نَعْمٌ وَفِي قِصْرِهِ
 شَرِبْتُ كَأَسَا أَبُوكَ شَارِبُهَا * لَا بُدَّ يَوْمًا لَهُ عَلَى كِبَرِهِ
 يَشْرِبُهَا وَالْأَنَامُ كُلُّهُمْ * مَنْ كَانَ فِي بَدْوِهِ وَفِي حَضْرِهِ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ . الْمَوْتُ فِي حُكْمِهِ وَفِي قَدْرِهِ
 قَدْ قَسَمَ الْعَمْرُ^(١) فِي الْعِبَادِ فَا * يَقْدِرُ خَلْقُ يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ

قولهم في المدح

ذكر أعرابي قوما عبادا ، فقال : تركوا والله النعيم ليتنعموا ؛ لهم عبارات
 متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا تراهم إلا في وجه وجهه عند الله .

وذكر أعرابي قوما فقال : أدبتم الحكمة وأحكمتم التجارب ؛ فلم تغرهم
 السلامة المنظوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسوييف الذي به قطع الناس مسافة
 ١٠ أجاهلهم ؛ فدلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطن أيديهم بالوجد^(٢) فأحسنوا المقال ،
 وشفعوه بالفعال .

وسئل أعرابي عن قوم فقال : كانوا إذا اصطعموا سفرت بينهم السهام ؛
 وإذا تصاخروا بالسيوف فغرت المنايا أفواهاها ؛ فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه ،
 ١٥ وحرر عبوس قد ضاحكتها ألسنتهم ؛ إنما قومي البحر . ما ألقمته التقم .

وذكر أعرابي قوما فقال : ما رأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس
 حسيب وجمل نجيب . ثم لا ينتظر الأول السابق الآخر اللاحن .

وذكر أعرابي قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم
 زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيبة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويباشرون
 ٢٠ المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغِيَ لديهم .
 وذكر أعرابي قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطنناه

(١) في بعض الأصول : الموت .

(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأخص أقدامنا ؛ وإن أقصى همهم لأدنى فعالنا .
 وذكر أعرابي أميرا فقال : إذا ولي لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيون
 على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف .
 ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زماما
 من أزمك تجزبه الأعداء ، فإني مسعر حرب ، وركاب نجب ، شديد على الأعداء
 لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، نومي غرار ، قد غدتني
 الحرب بأفاويقها ، وحلبت الدهر أسطره ؛ ولا تمنعك مني الدمامة ؛ فإن من
 تحتها شهامة .

وذكر أعرابي رجلا ببراءة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل
 الألفاظ ، عرنى اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشى الكلام ، بليل الريق ،
 قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابي رجلا فقال : رأيت له حلما وأناة ، يحدثك الحديث على
 مقاطعه ، ينشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لحنًا ولا إحالة .

العتبي قال : ذكر أعرابي قوما ، فقال : آلت سيوفهم آلا تقضى
 ديننا عليهم ، ولا تضيّع حقنا لهم ، فما أخذ منهم مردود إليهم ، وما أخذوا
 متروك لهم .

ومدح أعرابي رجلا ، فقال : ما رأيت عينا قط أخرق لظلمة الليل من عينه
 ولحظة أشبه بلهب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة
 بجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛
 لم أر أحدا أرتق لخلل الرأي منه ، بعيد مسافة العقل ومراد الطرف ، إنما يرمى
 بهمته حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابي رجلا فقال : ذاك والله فسيح النسب ، مستحكم الأدب ، من
 أى أقطاره أتيته انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

- ومدح أعرابي رجلا فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، آمرا بإرشاد ،
 وناهيا عن فساد ، لحديث السوء غير منقاد .
- وقال أعرابي : إن فلاناً « نعم » للسانه قبل أن يخلق لسانه لها ؛ فما تراه الدهر
 إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه
 المذنب ، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسىء .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : اشتري والله عرضَه من الأذى ؛ فلو كانت
 الدنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقوقا ، وكان منهاجا للأمور المشككة إذا تناجز
 الناس باللائمة .
- ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ،
 ويفتح من الرأي عيوننا منسدة .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله يتنفع سلبه ولا يستمر ظلمه ؛ إن قال
 فعل ، وإن ولي عدل .
- ومدح أعرابي رجلا فقال : ذاك والله يعنى في طلب المكارم ، غير ضال
 في مسالك طرقها ، ولا مُشتغل عنها بغيرها .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : يفوق^(١) الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم
 من الرمية ، فما أصاب قتل ، وما أخطأ أشوى ، وما عظمت له سهم منذ تحرك
 لسانه في فيه .
- وذكر أعرابي أخاه فقال : كان والله ركوبا للأهوال ، غير ألوف لربات
 الحجال ؛ إذا أَرعد القوم من غير كز^(٢) ، يهين نفسا كريمة على قومها ، غير
 مبقية لغد ما في يومها .
- ومدح رجل رجلا فقال : كأن الألسن رِيضت فما تتعقد إلا على ودّه ،
 ولا تنطق إلا بثنائه .

(١) في بعض الأصول : يسدد .

(٢) في بعض الأصول : قر .

- ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله للإخاء وصولا ، وللمال بذولا ، وكان
الوفاء بهما عليه كفيلا ، فمن فضله كان مفضولا .
- وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة
بالقليل على الكثير .
- ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله من شجر لا يخلف ثمره ، ومن بحر
لا يخاف كدره .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله قتي زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن
لبسه ، وزين به نفسه .
- ومدح أعرابي رجلا فقال : يصم أذنيه عن استماع الخنا ، ويخرس لسانه
عن التكلم به ؛ فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلى معروفه قبل طلبي إليه ،
فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أتقلني^(١) بأخرى .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عني^(٢) عن
الفحشاء ، معتصم بالتقوى ؛ إذا خرس^(٣) الألسن عن الرأي حذف بالصواب
كما يحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام
القوم سابقا .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : إن جلسه لطيب عشرته أطرب من الإبل على
الهداء ، والثمل على الغناء .
- وذكر أعرابي رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه
كذب ، كأنه الوئيل عند المحمل .

(١) في بعض الأصول : « أفقلني » .

(٢) في بعض الأصول : « عقيم » .

(٣) في بعض الأصول : « حذف » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للبعروف منه ، وما رأيت المنكر أبغض لأحد منه ^(١) .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني برمك ، فقيل له : كيف رأيتهم ؟ قال : رأيتهم قد أنست بهم النعمة كأنها من بناتهم ^(٢) .

قال : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما زال يبني المجد ، ويشترى الحمد ، حتى بلغ منه الجهد .

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من المدوح ، وإنى والله ما رأيت أعشق للمكارم في زمان اللؤم منك . ثم أنشد :

١٠ ما لي أرى أبوابهم ههجرة • وكأن بابك يجمع الأسواق
حَابُوكَ أم هَابُوكَ أم شاه والندي • بيدك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيتك للمكارم عاشقاً • والمكرّمات قليلة العشاق

وأناشد أعرابي في مثل هذا المعنى : لبعض الشعراء

بنت المكارم وسط بيتك بيتها ^(٣) • فتلاؤها بك للصدق مباح
وإذا المكارم أغلقت أبوابها • يوماً فأنت لقفلها مفتاح

١٥ وأناشد أعرابي في بني المهلب : لشاعر في بني المهلب

قدّمتُ على آل المهلب شاتياً • قصياً بعيد الدار في زمن المحل
فما زال بي إطفأهم وافنقأهم • ويرهم حتى حسبتهم أهلي

وأناشد أعرابي : لأعرابي في مثله

٢٠ كأنك في الكتاب وجدت لاء • محزّمة عليك فما تحل

(١) في بعض الاصول : « بغضه » .

(٢) في بعض الاصول : « ثيابهم » .

(٣) في بعض الاصول : « كهفها » .

وما تدرى إذا أعطيت مالا . أتكثر من سماحك أم تُنقل

إذا دخل الشتاء فأنت شمس . وإن دخل المصيف فأنت ظل

وقال أعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز :

لشاعر في عمر
ابن عبد العزيز

مُقابل الأعراف في الطاب الطاب . بين أبي العاص وآل الخطاب

○ وأنشد أعرابي :

لشاعر

لنا جواد أعار النبل نائله . والنبل يشكر منه كثرة النبل

إن بارز الشمس ألقى الشمس مُظلمة . أوزاحم الصم أجاها إلى الميئل

أهدى من النجم إن تأتبه مشككة . وعند إمضائه أمضى من السيئل

والموت يرهب أن يلقى منيته . في شدة عند لف الخيل بالخيل

قوله في الذم

١٠

الأصمعي قال : ذكر أعرابي قوما فقال : أولئك سلخت أبقاؤهم
بألهجاء ، ودُبغت وجوههم باللؤم : لباسهم في الدنيا الملامة ، وزادهم إلى
الآخرة الندامة .

قال : وذكر أعرابي قوما فقال : لهم بيوت تُدخَلُ حبواً إلى غير نمارق
ولا وسائد ، فُصِحُ الألسن برَدِّ السائل : جُعِدَ الأَكف عن النائل .

١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صغَّرَ فلانا في عيني عظم الدنيا في عينه ،
وكأنما يرى السائل إذا أتاه ، ملك الموت إذا رآه .

وسئل أعرابي عن رجل ، فقال : ما ظنكم بسكير لا يفيق ، يتهم الصديق ،
ويعصى الشفيق ، لا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة ، ولو أفلتت كلمة
سوء لم تصر إلا إليه ، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه .

٢٠

وذكر أعرابي قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجزما
على أصدقائهم : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

(٧)

وذكر أعرابي رجلاً فقال : إن فلانا ليُعدي يَأْثَمُهُ من تسمي باسمه ، وإن
خيني فلرب باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده
يُبدور الآثام ، مُعِدِمٌ مما تُحِبُّ ، مُثْرٌ^(١) مما تُكْرَهُ . وصاحب السوء قطعة من النار .

وقال أعرابي لرجل : أنت والله من إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سؤف ، وإذا
حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حَقُود .
وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لما سئل عن سفره : ما ربنا في
سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ؛ فأما الذي لقينا من الهواجر ، ولقيت منا الأباغر ،
فمقبوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

١٠ رجعنا سالمين كما خرجنا • وما خابت سريرة سالمينا

لشاعر في الهجاء وقال أعرابي :

لما رأيتك لا فاجراً • قويا ولا أنت بالزاهد

ولا أنت بالرجل المتسقي • ولا أنت بالرجل العابد

عرضتك في السوق سوق الرقيق • وناديت هل فيك من زائد

١٥ على رجل خان وود الصديق^(٢) • كفور بأنعمه جاحد

فما جاءني رجل واحد • يزيد على درهم واحد

سوى رجل زادني دانقاً • ولم يك في ذلك بالجاهد

فيعتلك منه بلا شاهد • بخافة ردك بالشاهد

وأبت إلى منزلي غائماً • وحلّ البلاء على الناقد

٢٠ قال : وذكر أعرابي رجلاً ، قال : كان إذا رأني قزب من حاجب

حاجبا ، فأقول له : لا تُقبِّح وجهك إلى قُبْحِهِ ، فوالله ما أتيتك لطمع راغبا ،

ولا لخورف راهبا .

(١) في بعض الأصول : مكثر .

(٢) في بعض الأصول : خائن للصديق .

وذم أعرابي رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ؛ عظيم الرواق ، دنى
الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابي رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير
الشبر ، لثيم النجر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبال حظه
إدبار حظ الكرام ، شجر أصوله عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر .

٦ وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك يتيم ^(١) ، أعيا ما يكون عند جلسائه أبلغ
ما يكون عند نفسه .

١٠ وذكر أعرابي رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقله من الجهل ، أخرج منه
إلى من يداوى بدنه من المرض ؛ إنه لا مرض أوجع من قلة عقل .

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره ، فقال : كيف يدرك بثأره من في
صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دقت بوجهه الحجارة لرضها ، ولو خلا
بالكعبة لسرقها .

١٥ وذكر أعرابي رجلا فقال : تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعا ؛
ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت ،
ونكحت ما وجدت .

٢٠ وسمع أعرابي رجلا يزعم ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ،
ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقل الذنوب فيحتمن عندك مقابح العيوب .
وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ،
ضعيف النكاية .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه ؛ وشهادات
الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابي رجلا بذلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

(١) في بعض الأصول : « سم » .

وذكر قوما فقال: ألبسوا نعمة ثم عروا منها فقال: ما كانت النعمة إلا طيفا

لما اتبها لها ذهبت عنهم.

وذم أعرابي رجلا فقال: هو كعبد القين يسرك شاهدا ويسوءك غائبا.

ودعت أعرابية على رجل فقالت: أمكن الله منك عدوا حسودا، وجمع بك

صديقا ودودا؛ وسلط عليك همما يضنيك، وجاراً يؤذيك.

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ذنى الهمة: ما أحوجك أن يكون عرضك

لمن يصونه، فيتكون فوق ما أنت دونه.

وذكر أعرابي رجلا فقال: إن حدثته يسابقك إلى ذلك الحديث، وإن

سكت عنه أخذ في الترهات.

وذكر أعرابي أميرا فقال: يصل النشوة، ويقضى بالعشوة، ويقبل الرشوة.

وذكر أعرابي رجلا راكبا هواه، فقال: والله هو أسرع^(١) إلى مايهواه،

من الأسن^(٢) إلى راكد المياه، أقره ذلك أو أغناه.

وقال أعرابي: ليت فلانا أقالني من حسن ظني به، فأختم بصواب إذ بدأت

بخطأ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم، وبالذم

إلى من يستوجب المدح.

وقال أعرابي لرجل: هل أنت إلا أنت لم تغير! ولو كنت من حديد وضعت

على أتون محمى لم تذب.

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه: قد كنت نهيته أن تذنس عرضك بعرض

فلان، وأعلمت أنك أنه سمين المال، مهزول المعروف، من المرزوقين بجأة، قصير

عمر الغنى، طويل عمر الفقر.

أقبل أعرابي إلى سوار فلم يصادف عنده ما أحب، فقال فيه:

رأيت لي رؤيا وعبرتها. وكنت للأحلام عبارة

(١) في بعض الاصول: «أقصد».

(٢) في بعض الاصول: «الطرق».

بأنتى أخصيطة في ليلتي • كلباً فكان الكلب سواراً
 وقال أعرابي في ابن عم له يسمى زيادا :
 لشاعر في ابن عم له

من يُبادِلني قريباً • بعيد من يُبادِل ؟
 من يُقادر ، من يُطافِس • من يُنَادِل بزياد

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابي ، فاستبطأ الثواب فقال :
 لكل أخى مدح ثواب يُعده • وليس لمدح الباهلي ثواب
 مدحت سعيدا والمديح مهزة • فكان كصفوان ، عليه تراب
 وقال أيضا :

وإن من غاية حرص الفقى • طلابه المعروف في باهله
 كبيرهم وغد ومولودهم • تلعه في قبحه القابله
 وقال أيضا :

سببناه ونحسبه لجينا • فأبدى السكير عن خبث الحديد
 وقال فيه :

لما رأنا فز بوابه • وأنسد من غير يد بابه
 وعنده من مقته حاجب • يحجبه إن غاب حجابه

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الرى ، فلم يعطه شيئا : فخرج في هباء المساور وهو يقول :

أتيت المساور في حاجة • فما زال يسعل حتى صرط
 وحك قفاه بكرسوعه • ومسح عثونه وامتنط
 فأمسكت عن حاجتي خيفة • لأخرى تقطع شرح السنفط
 فأقسم لو عدت في حاجتي • للطح بالسليح وجه النمط
 وقال غلطنا حساب الخراج • فقأت من الصرط جاء الغلط

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الصرط جاء الغلط • حتى هرب من غير

- عزل إلى بلاد أصبهان .
- أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :
 يكادُ خليلي من تقاربٍ شخصِهِ . يَعِضُ القِرَادُ أَسْتَهُ وهو قائمُ
 وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخى ذيلها على عرقوبي نعامه ، وتسدل
 خمارها على وجه كالجمالة .
- العتبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لا ترك الله محنًا في سلامي ناقة حملتني إليك
 وللدأعي عليها أحق بالدعاء عليه ؛ إذ كلفها المسير إليك .
- وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقة حملتني إليك . قال : إن وصاحبها .
 قوله : إن ، يريد « نعم » . قال قيس الرقيات :
- وتقولُ شَيْبٌ قد علا . كَ وقد كبرتِ فقلتُ إنه
 يريد : نعم .
- وذكر أعرابي رجلا ، فقال : لا يؤنس جاراً ، ولا يؤهل داراً ،
 ولا يُثَقِّبُ^(١) ناراً .
- وسأل أعرابي رجلاً فخرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بواد غير مطور ،
 وبرجل غير مبرور^(٢) : فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .
- ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت :
 والله لقد رأيتها فما رأيت طائلاً ؛ كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها دبة ، وكأن استها
 رُفعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفس عفرته يقاتل ديكاً .
- وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنك لمشرقة الأذنين ، جاحظة
 العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعت
 صخبت ، وإن رأيت حسناً دفتيه ، وإن رأيت سيئاً أذعتيه ؛ تكروهين من حقرك ،
 وتحقرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : « يبعث » .

(٢) في بعض الأصول : « مسرور » .

وهجا أعرابي امرأته فقال :

يا بَكَرَ حَوَاءَ مِنْ الأَوْلَادِ . وَأُمُّ آلاَفٍ مِنَ العِبَادِ
عَمْرُكَ مَدُودٌ إِلَى التَّنَادِي . فَحَدَّثْنَا بِحَدِيثِ عَادِ
والعهد من فرعون ذى الأوتاد . يا أقدم العالم فى الميلاد
إِنِّى مِنْ شَخْصِكَ فى جِهَادِ

وقال أعرابي فى امرأة تزوجها ، وقد خطبها شابة طرقة ودسوا إليه عجزاً :

عَجُوزٌ تُرَجِّى أَنْ تَكُونَ فِتْيَةً . وَقَدْ نَحَلَ الجُنْبَانَ وَأَحْدَوْدَبَ الظَّهْرَ
تَدَسُّ إِلَى العِطَارِ سَلْعَةٌ (١) أَهْلِهَا . وَهَلْ يُصْلِحُ العِطَارَ مَا أَفْسَدَ الأَدَهْرُ
تَزَوَّجْتُهَا قَبْلَ المِحَاقِ (٢) بَلِيْلَةً . فَكَانَ مُحَاقًا كَلَهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ
وَمَا غَزَنِي إِلاَّ خِضَابٌ بِكُفِّهَا . وَكَلَّ بَعَيْنَيْهَا وَأَثْوَأَهَا الصُّفْرَ

وقال فيها :

وَلَا تَسْتَطِيعُ الكَحْلَ مِنْ ضَبِقِ عَيْنَيْهَا . فَإِنْ عَالَجْتَهُ صَارَ فَوْقَ المِحَاجِرِ
وَفِي حَاجِبَيْهَا حَزَّةٌ كَغِرَارَةِ * فَإِنْ حُلِقًا كَانَا ثَلَاثَ غَرَائِرِ
وَتُدْيَانِ أَمَا وَاحِدٌ فَهُوَ مِزْوَدٌ * وَأَخْرَفِيهِ قَرْبَةً لِلسَّافِرِ

وقال فيها :

* لها جِسْمٌ بُرْغوثٌ وَسَاقًا بَعُوضَةٌ . وَوَجْهٌ كَوَجْهِ القَرْدِ بَلْ هُوَ أَقْبَحُ
وَتَبْرُقُ عَيْنَاهَا إِذَا مَا رَأَيْتَهَا . وَتَعْبِسُ فى وَجْهِ الصَّجِيعِ وَتَسْلُحُ
لَهَا مَضْحَكٌ كَالْحَشِّ تَحْسَبُ أَنَهَا * إِذَا ضَحَكَتْ فى أَوْجْهِ القَوْمِ تَسْلُحُ
وَتَفْتَحُ - لَا كَانَتْ - فَمَا لورأيتَه . تَوَهَّمْتَهُ بَابًا مِنَ النِّسَارِ يُفْتَحُ
إِذَا عَينَ الشَّيْطَانِ صُورَةَ وَجْهَهَا . تَعُوذُ مِنْهَا حِينَ يُمَسَّى وَيُصْبِحُ

(١) فى بعض الأصول : ميرة .

(٢) فى بعض الأصول : الهلال .

في سوداء وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مرودها * تسكحل عينيهما ببعض جلدها

وقال فيها :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعدة

لاشك إذ لو نكحنا واحد * أنكنا من طينه واحدة

٥

لكثير في نسب وقال كثير في نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً * ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ملاحه من سواده * وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

أعرابي وعامل وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة !

١٠

فقال له : فإن عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال :

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تُضيّع

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

١٥

قولهم في الغزل

بعض الأعراب ذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل

عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها

وما نقص منه .

٢٠ وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : والله ما رأيت دمة تترقق من عين

يأتمد على ديباجة خد ، أحسن من دبرة أهطرتها عينها فأعشب لها قلبي .

قال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلباً مروعا ، وعيناً دوعا : فإذا يصنع

كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داهما ، دواؤهما ، وسمةًهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابي : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُججا ، وجراjob زُجا ، يسجن
التياب ، ويسلبن الألباب .

وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزنها القمر ، فلها غاب أرْتديه ،
قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ^(١) ما أحل الله مما حرم الإشارة بغير
باس ، والتقرب من غير مساس .

وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جرلة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس
عن الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدى للعاشقين . لوم العاذلين قرطه في آذانهم ،
ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ^(٢) ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني .

وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمت عينٌ نظرت إليها ، وشفى قلب تفجع
عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بي طرفها ، ويتجهمني لسانها .
قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إني ذاكرٌ لها وبينى وبينها عدوة الطائر ،
فأجد لذكرها ريح المسك .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدناير ، وأعناق
كأعناق اليعافير ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بججول تخفق ، وأوشحة
تعلق ، وكم أسير هنن وكم مطلق .

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس ^(٣) الشام ؛ والحريص
جاحد ، والمُضِل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما أمتها ^(٤) .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هو ان وليكن غلط باسمه ، وإنما يعرف
من يقول ، من أبكنه المنازل والطلول .

(١) في بعض الأصول : « أعذب » .

(٢) في بعض الأصول : « نيران في أبدانهم » .

(٣) في بعض الأصول : « أطوار » .

(٤) في بعض الأصول : « مالمستها » .

وقال أعرابي : كنت في شبابي أعضّ على الملام ، عضّ الجواد على اللجام ،
حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لساني لِذِكْرِهَا لَنَلُول ، وإن حَبِّهَا لَقَلْبِي
لَقَتُول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

٥ وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع
بالقلب من الوئيل بالمحل ؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذئفاء ، ومعها صبي يبكي ؛ فكلما
بكى قبلته ؛ فأنشأ يقول :

يا لَيْفِي كُنتِ صَبِيًّا مُرَضَعًا ۝ تَحْمَلُنِي الذَّئْفَاءُ حَوْلًا أَكْتَعَا
١٠ إِذَا بَكَيْتُ قَبْلَتْنِي أَرْبَعًا ۝ فَلَا أزالُ الدَّهْرُ أَبْكَى أَجْمَعَا

وأشده أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي :

جاريةٌ في سَفَوَانِ دارِها ۝ تَمْشِي الهَوَيْنا مائلاً خِمارِها
قد أعصرت أو قد ذنأ أعصارها ۝ يَطِيرُ مِنْ غُلْمِها إِزارها

١٥ العتي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء ، فقال : تبسم عن شمس اللثات ،
كأفاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه .

وقال العتي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها ؛ فما زلت
أصدع الليل حتى أنصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :
يا هذا ، أما لك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله
ما يراني إلا الكواكب . قالت : فأين مَكوكِها .

٢٠ ذكر أعرابي امرأة فقال : هي السقم الذي لا بُرء معه ، والبُرء الذي لا سقم
معه ؛ وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مآتم :

بَصْرِيَّةٌ لَمْ تُبْصِرِ العَيْنُ مِثْلَها ۝ غَدَتْ بِيابِضٍ في ثِيابِ سِوَادِ (١)

غَدَوْتُ إِلَى الصَّحْرَاءِ تَبْكِينَ هَالِكًا . فَأَهْلَكْتَ حَيًّا ، كُنْتَ أَشَامَ عَادٍ |
فِيَارِبٍ خُذَلِي رَحْمَةً مِنْ فُؤَادِهَا . وَحُلٌّ بَيْنَ عَيْنَيْهَا وَبَيْنَ فُؤَادِي
وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ وَدَعَا :

مَالَتْ تُودَعُنِي وَالِدَمْعُ يَغْلِبُهَا . كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْعُصْنِ |
ثُمَّ آسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ . يَا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ
الْعَتْبَى قَالَ : أَنْشَدَ أَعْرَابِي :

يَا زَيْنَ مَنْ وَلَدَتْ حَوَاءٌ مِنْ وَلَدِ . لَوْلَاكِ لَمْ تَحْسُنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَطْبِ |
أَنْتِ الَّتِي مِنْ أَرَاهُ اللَّهُ صُورَتَهَا . نَالَ الْخُلُودَ فَلَمْ يَهْرَمْ وَلَمْ يَشِبْ
وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِي لِأَعْرَابِي :

مِنْ دِمْنَةٍ خُلِقْتَ عَيْنَاكَ فِي هَتَنِ . فَسَا يُرْدُ الْبُكَاءَ جَهْلًا مِنَ الدَّمَنِ |
مَا كُنْتَ لِلْقَلْبِ إِلَّا فِتْنَةً عَرَضَتْ . يَا حَبِّذَا أَنْتِ مِنْ مَعْرُوضَةِ الْفِتَنِ
تَسِيءُ سَلْمِي وَأَجْزِيهَا بِهِ حَسَنًا . فَمَنْ سِوَايَ يُجَازِي السُّوءَ بِالْحَسَنِ
قَالَ وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَصِفُ امْرَأَةً : فَقَالَ : بِيضَاءُ جَعْدَةٍ ، لَا يَمَسُّ الشُّوبُ
مِنْهَا إِلَّا مُشَاشَةً كَنَفِهَا ، وَحَلَبِي تَدْيِيهَا ، وَرَضْفَتِي رَكْبَتَيْهَا ، وَرَانِفَتِي
أَلْيَتَيْهَا . وَأَنْشَدَ :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْتُدِي لِقَمَصِهَا . مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا |
وَإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ . نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ عَيُورًا
وَقَالَ أَعْرَابِي : لَيْتَ فُلَانَةٌ حَظِي مِنْ أَمَلِي ، وَلِرُبِّ يَوْمِ سِرَّتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبِضَ
اللَّيْلِ بَصْرِي دُونَهَا ؛ وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْبِي مِنَ الظَّمِ .

وَذَكَرَ أَعْرَابِي امْرَأَةً فَقَالَ : تَلَاكَ شَمْسٌ بَاهَتْ الْأَرْضَ شَمْسَ سَمَائِهَا ، وَلَيْسَ لِي
شَفِيعٌ فِي اقْتِضَائِهَا ، وَإِنْ نَفْسِي لَكُنُومٌ لِدَائِمِهَا ، وَلَكِنهَا تَفِيضُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا .

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى حَبِيبٌ فَقَالَ :

وَيَا شَمْسَ أَرْضِيهَا الَّتِي تَمُّ نُورُهَا . فَبَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُ نَوْمَ شَمْسِ سَمَائِهَا

شكوتُ وما الشكوى لمثلِي عادة . ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن أطعمته شدينا أحبها ، وإلا فلا : كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا ، ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيًا وتناشدا الأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، وبعدها وتعهده فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم يذشدا شعرا ، ولكن يرفع رجلها ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكوتُ ! فقالت : كلُّ هذا تبرُّماً . يحُبُّ ! أراح الله قلبك من حُبِّي
فلما كنتُ الحبَّ قالت : لشدِّ ما صبرتُ ! وما هذا بفعلٍ شجِي القلبِ !
وأذنو فتقصيني ، فأبعدُ طالبا رضاها ، فتعتدُّ التَّباعدُ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها * وتجزعُ من بُعدي ، وتنفِرُ من قرني
فيا قوم هل من حيلةٍ تعلوونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

قولهم في الخيل

الأصمعي قال : سمعتُ أعرابيا يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع ،
كأنَّ هوداياها أعلام ، وآذانها أطرافُ أقلام ، وفرسانها أسودُ آجام .
أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يخرُجن من فرجاتِ النقعِ داميةً * كأنَّ آذانها أطرافُ أقلامِ
وقال أعرابي : خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شيءٍ بظلِّه ، وما زادنا إلا التوكل

ولا مطايانا إلا الأرجل : حتى لحقنا القوم .

وذكر أعرابي فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً في
أشطان ، فلما أرسلت لمع لمع البرق ؛ فكان أقربها إليه الذي تقع عينه [من
بُعيد] عليه .

وقال أعرابي في فرس الأعور السلمي :

مرَّ كَلْمُجِ البرقِ سامَ ناظِرُهُ هـ يسْبَحُ أولاه ويطفو آخره

فما يمسُّ الأرض منه حافرُهُ

سئل أعرابي عن سوابق الخيل ، فقال : الذي إذا مشى رَدَى ، وإذا عدادحا ؛

وإذا استقبل أفعى ، وإذا استدبر جَبِي^(١) ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابي خيلا : فقال : والله ما انحدرت في وادٍ إلا ملأت بطنه ،

ولا ركبت بطنَ جبلٍ إلا أسهلت حزنه .

وقال أعرابي : خرجت على فرس يخال اختيال النشوان ، نسوف للحزام ؛

مُهارش للجمام ؛ فما متع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

قولهم في الغيث

الأصمعي قال : قلت لأعرابي : أي الناس أوصف للغيث ؟ قال : الذي

لامرئ القيس
وعبيد بن
الأبرص

يقول - يعني امرأ القيس - :

دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ هـ طَبَقَ الأرضِ تَحْرَى وتَدْرَى

قلت : فبعده مَنْ ؟ قال : الذي يقول - يعني عبيد بن الأبرص - :

يَا مَنْ لِبَرْقِ أَيْدِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ هـ فِي عَارِضٍ مَكْفَهْرٍ أَمَزَنَ دَلَّاحِ

دَانٍ مُسْفٍ فَوْقَ الأرضِ هَيْدِبُهُ هـ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء في وجهك

سليمان وأعرابي

يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سخاء^(٢) دَاحِيَاءٌ وَطَفَاءٌ ؛ كَأَنَّ

هواديتها الدلاء ، مرجحنة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛

كثير زجلها ، قاصف رعداها ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطي سيرها ؛

مُشْعِجِرٌ قَطْرُهَا ، مَظْلَمٌ نَوْوُهَا ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها ، تبعت عن أصوله

(١) في بعض الأصول : جنأ .

(٢) في بعض الأصول : سماء .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاهِ الشجر ،
وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا جُفَاء في بعض الأودية ولقَم الطريق ، فأطال الله للامة
بقاءك ، ونسأ لها في أجلك ، فهذا بركتك وعادة الله بك على رعيته ، وصلى الله
على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أهلك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن
كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزقورة (١) يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام
أعطه ؛ فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته .

قيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور بيض في حدائق خضر .
وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة في روضة غب سارية
والشمس مكبدة .

لأعرابي

وقال أعرابي : لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهي
تروع واللابس لها أروع .

العتيبي قال : سمعت أعرابيا يقول : مررت ببلد ألقى بها الصيْفُ بَعاعه ، فأظهر
غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه ؛ فكأنه سلاسل
درع ذات فضول .

١٥

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابي :

شعر لبعض
الأعراب

أين إخواننا على السراء . أين أهل القباب والدهناء
جاورنا والأرض ملبسة نو . ر إقاح يُجساد بالانواء
كل يوم بأقحوان جديد . تضحك الأرض من بكاء السماء

ابن عمران الخزومي قال : أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش ، وعنده

لابن مطير

أعرابي يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جود ؛ فقال له الوالى : صفه ؛ فقال : دعنى
أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرت لكثرة وذقه أطباؤه . فإذا تحلب فاضت الأطباء

(١) فى بعض الاصول : مهودة .

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لَرِيقِهِ * قَبْلَ التَّبَعِ دِيمَةٌ وَطَفَاءُ
 وَكَأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتَمِقٌ * رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ وَأَلَاءُ
 وَكَأَنَّ رَيْقَهُ وَمَا يَحْتَفِلُ * وَذُقَ السَّمَاءَ عِجَاجَةً طَخِيَاءُ
 مُسْتَضِحُّكَ بِلَوَاعٍ مُسْتَعْبِرٌ * بِمَدَامَعٍ لَمْ تُنْمِرْهَا الْأَفْدَاءُ
 فَلَهُ بِلَا حَزَنٍ وَلَا بِمِسْرَةٍ * ضِحْكٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
 حَيْرَانٌ مُتَّبِعٌ صَبَاهُ تَقْوَدُهُ * وَجَنُوبُهُ كَفٌّ لَهُ وَرِهَاءُ
 ثَقُلَتْ كُلَاهُ فَبَهَّرَتْ أَصْلَابَهُ * وَتَبَعَجَتْ عَنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءُ
 غَدَقٌ تَبَعَجَ بِالْأَبَاطِجِ مُرَّقَتْ * تَلِكِ السُّيُولُ وَمَالِهَا أَشْلَاءُ
 عُرٌّ مُحَجَّجَةٌ دَوَالِجٌ ضُمَّتْ * تَحْمَلُ اللَّقَاحَ وَكُلَّهَا عِذْرَاءُ
 تُحْمَمُ فَهِنَّ إِذَا عَبَسْنَ فَوَاحِمٌ * سَوْدٌ، وَهِنَّ إِذَا ضَاحَكْنَ وَضَاءُ
 لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاكِحِ مَائُهُ * لَمْ يَبْقَ فِي لُجَجِ السَّوَاكِحِ مَاءُ

قل هشام بن عبد الملك لأعرابي: أخرج فانظر كيف ترى السحاب . فخرج فنظر ، ثم انصرف فقال : سفائن ، وإن اجتمعت فعين .

هشام وأعرابي
 يصفه السحاب
 ٢٠١٥

قولهم في البلاغة والإيجاز

١٥ قيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة .
 الأصمعي قال: خطب رجل في نكاح فأكثر وطول ، فقيل: من يجيبه؟
 قال أعرابي: أنا . قيل له: أنت وذلك؟ فالتفت إلى الخاطب فقال: إني والله
 ما أنا من تخطيطك وتمطيطك في شيء: قد ممت بحرمة ، وذكرت حقاً ، وعظمت
 مرجواً: فخلبك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفء كريم ، وقد
 أنكحناك وسلمنا .

٢٠ وتكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر ، فكان العجب داخله ، وأعرابي إلى جنبه ،
 فأقبل على الأعرابي فقال: ما تعدون البلاغة يا أعرابي؟ قال: قلت (١) الكلام

ربيعه الرأي
 وأعرابي

(١) في بعض الأصول: حذف .

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم !
فكأنما ألقمه حجرا .

شبيب وأعرابي شبيب بن شبية قال : لقيت أعرابيا في طريق مكة ، فقال لي : تكتب ؟

قلت : نعم . قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كفه ، ثم

قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عقيل الطائي
لأمته لؤلؤة : إني أعتقتك لوجه الله واقتحام العقبة ، فلا سبيل لي ولا لأحد
عليك إلا سبيل الولاء ، والمنة علىّ وعليك من الله وحده ، ونحن في الحق سواء
ثم قال : آكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئاً يقرأ : ﴿ وَكُنْتُمْ

١٠ على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ : فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها
وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب قيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعنق .

١٥ وقيل لأعرابي : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : نَحْمُرُ لَيْلَةَ وَأَدِيمُ يَوْم .

وقال آخر : سوادُ ليلةٍ وبياضُ يوم .

وقيل لأعرابي : كيف كتبناك للسر ؟ قال : ما صدرى له إلا قبر .

معاوية وأعرابية قال معاوية لأعرابية : هل من قري ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت :

خبز خمير ، ولبن فطير ، وماء نمر .

٢٠ وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : كنا بين قدر نفور ، وكأس تدور ،

وحديث لا يحور .

وقيل لأعرابي : ما أددت للبرد ؟ قال : شدة الرعدة ، وقرصاء القعدة ،

وذرب المعدة .

وقيل لأعرابي : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟
قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى : فرفع رأسه
إليه متشكراً فقال : ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك : أقول رفك الله !
فقد رفك : أم أقول : نورك الله ! فقد نورك : أم أقول : حسنك الله ! فقد
حسنك : أم أقول : عمرك الله ! فقد عمرك : ولكني أقول : جعلني الله فداك !
وقيل لأعرابي : ما تقول في ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها : صف لنا ناقتك . قال :
ما طلبتُ عليها قط إلا أدركتُ ، وما طلبتُ إلا فُت . قيل له : فلم تبعها ؟ قال :
لقول الشاعر :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ عايمٍ * كرائمٍ من ربِّ يهنُّ ضنين

وقيل لأعرابي : كيف ابنك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ،
وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر .

قيل لشرح القاضي : هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا ؟ قال ما أعلمه
إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندي ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك
أطول من يدك ! قال :

أسامرني أنت لا تمس

وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : حُمُرُ الوحش لا تحتاج
إلى بيطار .

وقال أعرابي يصف خاتما - فقال : سَيْفٌ تدوير حَلَقَتِهِ ، ودُورٌ كُرْسِيُّ فَضْتِهِ ،
وأحْكَمُ تركيبه ، وأتقنُ تدبيره ، فيه يتمُّ الملك ، وينفذُ الأمر ، ويكرُمُ الكتاب
ويشرفُ المكتوب إليه .

وقال آخر يصف خاتماً:

وأبيضُ أما جسمُهُ فَمُنَوَّرٌ • نَبِيٌّ وأما رأسُهُ فَمُعَارٌ
ولم يُكْتَسَبْ إلا لتَسْكُنَ وَسَطُهُ • بزَيْعَةٍ رأسٍ ما عليه خِمَارٌ
لها أخواتٌ أربعٌ هُنَّ مِثْلُهَا • وليكنها الصغرى وهُنَّ كِبَارٌ

قولهم في المناكح

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال: تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول:

وما يستوى الرجلان رجلٌ صحِيحَةٌ • ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فثَلَّتْ

ثم مرت بعد أيام فقالت:

وما يستوى الثوبانِ ثوبٌ به البِلَى • وثوبٌ بأيدي البائعين جَدِيدٌ

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت:

نقلُ فؤادِكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهوى • ما القلبُ إلا للحيبِ الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألفه الفتى • وحينئذٍ أبدأُ لِأوَّلِ منزلِ

الأصمعي قال: أخبرني أعرابي قال: خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة فزوجوه: فقال رجل لولي المرأة: تعمم لكم فلان فزوجتموه! فقالوا: ما تعمم لنا حتى تبرقعنا له.

أبو حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن

من يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين وكلين وعيرين ورحيين، فيدب التيسان،

وينوق العيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان، فيعج الوادي، والشقية

منكن من يتزوجها الحضري، فيكسر لها الخمر، ويضعها الخمر، ويحملها ليلة

الزفاف على عود - تعنى: سرجا.

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يشارز امرأته، فقالت لها أخته: أما والله أيام شرخه

بن جاريين

أعراب وولي
امرأة

لأعرابية تنصح
بنات عمها

إذ كان ينسكتك كما ينسكت العظم عن عنقه ، لقد كنت له تبوعا ، ومنه سموعا ؛ فلما
لان منه ما كان شديدا ، وأخلق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ا وايم الله لئن
كان تغير منه البعض لقد تغير منك الكل .

لأعرابي في
زوجته

وقيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش
فقدت يدها إلى صدري ، فوددت والله أن آجره خزت من السقف فقدت يدها
وضلعين من أضلاع صدري ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي • ولكن قرين السوء باقٍ معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا • وعذبها فيه نكير ومنكر

لآخر في مثله

وتزوج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السن ،
فقال له : ألم تكن ترضى إذا غضبت ، وتعتب إذا عنت ، وتشفق^(١) إذا أبيت ؛
فما بالك الآن ؟ قال : ذهب الذي كان يصلح بيننا .

الأصمعي
وأعرابي طلق
زوجته

الأصمعي قال : كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا
استأذنت عليه يقول : يا أمامة ، إيذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا
فلم أسمع يذكرك أمامة ؛ فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين !
قال : فوجم وجهه ندمت على ما كان مني ؛ ثم قال :

ظننت أمامة بالطلاق • ونجوت من غل الوثاق
بانث فلم يأتم لها • قلبي ولم تدمع مآقي
ودواء ما لا تشتهي • به النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب بي • من اثنين في غير اتفاق
لو لم أرخ بفراقها • لأرحت نفسي بالإباق

لأعرابي طلق
امرأته

الأصمعي قال : تزوج أعرابي امرأة فأذته وافندي منها بحمار وجبة ، فقدم
عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

(١) في بعض الأصول : وتسعد .

خَطَبْتُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بِنْتَهُ ۖ فَأَدْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي حِبَالِيَا
فَأَنْقَذَنِي مِنْهَا حِمَارِي وَجُجَّتِي ۖ تَجْزِي اللَّهُ خَيْرًا جُجَّتِي وَحِمَارِيَا

الأصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي ؛ فقال :
أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عُمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويشوب حلمه ،
ويجتمع رأيه ؛ وإن شرَّ عُمر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويحد لسانها ، وتعمق
رحمها ؛ قال له : صدقت ، اسفع يديها .

لأعرابي بين
يدي زمان

قال : وذكرت أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت : ذهب ذفره ، وبقي
بخره ، وفتر ذكره .

لبعض الأعراب
في مثله

الأصمعي قال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أيَّ ضرب
تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جمالها وطول . فتزوجها
على تلك الصفة ، فجاء ولدها في قصرها وقبحه !

قدم أعرابي من طيِّ فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجعان ، فقالت له :
من أنعم عيشا ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ،
إلا أنا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهرا إلا أنا نحن أظهر منهم ليلا .

الأصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟
قال : خيرا ، كباها الله لوجهها ولو أمر بي إلى السجن !

الأصمعي قال : استشارت أعرابية في رجل تزوجه ، فقيل لها : لا تفعل
فإنه وُكَلَّةٌ تُكَلَّةٌ ، يأكل خِطْلَه أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تحلل .
قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكله تنكته : إذا كان يكل أمره إلى الناس
ويتكل عليهم .

٢٠

العبي قال : خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى آبنتيه . وكان للخاطب
امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ؛ قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ،
ويوم اكتتاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ؛ قالت الصغرى : زوجنيه ؛ قال لها :

على ما سمعت من أختك؟ قالت: نعم، يوم تزئين، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين.

الأصمعي قال: رأيت امرأة تُرَقِّص طفلاً لها، وتقول: *يا بوعمر*

لأعرابية ترقس
طفلاً

أحبه حبّ الشحيح ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بدأ له

الأصمعي قال: هلك أعرابي، فأدمنت امرأته البكاء عليه. فقال بعض بنينا:

أعرابية فقدت
زوجها

أتفقدين من أيننا غيرة * أتفقدين نفعه وخيرته

أراك ما تبكين إلا أيره

فأمسكت عن البكاء.

جلس أعرابي إلى أعرابية، فعلت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها،

أعرابية وأعرابي
ينظر إلى ابنتها

فأنشأت تقول:

وما نلت منها غير أنك نائمك * بعينيك عينيها وأيرك خائب

الرياشي قال: أنشدني العتي لأعرابي:

لبعض الأعراب

ماذا تظن بسلمى إن ألم بها * مرّجل الرأس ذو بُردين مراح

حلو فكاهته خز عمامة * في كفه من روى إبليس مفتاح!

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خطب أعرابي امرأة، فقالت: سل عني

أعراب وامرأة
خطبها

بني فلان وبني فلان. قال لها: وما عليهم بذلك؟ قالت: في كلهم نكحت

وكنت، قال: أراك جلتفعة قد خزمتك الخزائم، قالت: لا، ولكن جواله

بالرجل عتريس.

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال، فكان يصبر عليها

٢٠

لمالها، ثم ملأها وتركها، وكتبت إليه تسترده، فكتب إليها يقول:

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلا وضرب الرقاب

فكتبت إليه: إنه والله ما يريد قيس غير طعن الكلا!

- أعرابي خاطب
المفضل الضبي قال : خطب أعرابي امرأة ، فجعل يخطبها ويُنعظ ، فضرب
ذكره بيده وقال : مه ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلاً .
- أبو البيداء
على بن عبد العزيز قال : كان أبو البيداء عنيّنا ، وكان يتجدد ويقول لقومه :
زوجوني امرأتين ! فيقال له : إن في واحدة كفاية . فيقول : أتمالي فلا ! فقالوا :
زوجك واحدة ، فإن كمتك وإلا زوجناك أخرى . فزوجوه أعرابية ، فلما دخل
بها أقام معها أسبوعاً ، فلما كان في اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البيداء ،
ما كان أمرك في اليوم الأول ؟ قال : عظيم جداً ! قالوا : ففي الثاني ؟ قال : أجل
وأعظم ! قالوا : ففي الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء
الستر ، فقالت :
- ١٠ كان أبو البيداء ينزوي في الوهق . حتى إذا أدخل في بيت أبق
فيه غزالاً حسن اللدّ خرق . مارسه حتى إذا أرفض العرق
آنكسر المفتاح وأنسد الغلق
كانت لأعرابي امرأة لا ترُد يد لأمس : فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال :
إنها حسناء : فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .
- ١٥ قال شيخ من الأعراب :
أنا شيخٌ ولي امرأة عجوز * تراودني على ما لا يجوز
تريد أنيكها في كل يوم . وذلك عند أمشالي عزيز
وقالت دقّ أيرك مذ كبرنا . فقلت لها بل اتسع القفيز
الأصمعي قال : قال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ،
وتزوج هو قبلها أربعاً ، فلاحته يوماً ، فقال فيها :
٢٠ لو لابس الشيطان ما ألبس . أو مارس الغول التي أمارس
لأصبح الشيطان وهو عابس . زوجها أربعة عمّارس
فانفلتوا منها ومات الخامس . وساقني الحين فهانا السادس

وقال فيها : *يا ربنا لا تجعلنا من الذين ينادون بالدينار والدينار* . *يا ربنا لا تجعلنا من الذين ينادون بالدينار والدينار* .
 بُوَيِّزِلُ أَعْوَامٍ أَذَاعَتْ بِخَمْسَةِ هـ وَتَعْتَدُنِي - إِنْ لَمْ يَبْقِ اللهُ - سَادِيَا
 وَمَنْ قَبْلَهَا غَيَّبَتْ فِي التَّرْبِ أَرْبَعَا هـ وَأَعْتَدَهَا مُذْ جُنَّتْهَا فِي رِجَائِيَا
 كَلَانَا مُطْلٌ مَشْرَفٌ لَغَنِيمَةٍ * يَرَاهَا وَيَقْضِي اللهُ مَا كَانَ قَاضِيَا
 وقال أعرابي :

أشكو إلى الله عيالاً ذردقاً هـ مَقرَمَيْنِ وَعَجُوزَا شَمْلِقَا
 الدردق : الصغار . والمقرم : البطيء الشباب . والشملق السينة الخلق .

قولهم في الإعراب

* الأصمعي قال : قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء !
 قلت له : أفتجز فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي .

لبعض الأعراب
 في . . . في هذا
 العنوان

* وسمع أعرابي إماماً يقرأ : وَلَا تَنْسِكُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، قَالَ : وَلَا إِنْ
 آمَنُوا أَيْضاً ، لَا تَنْسِكُهُمْ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يَلْحَنُ ، وَلَيْسَ هَذَا يُقْرَأُ . فَقَالَ : أَخْرُوهُ
 قَبْجَهُ اللهُ ! وَلَا تَجْعَلُوهُ إِمَاماً : فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ .

وسمع أعرابي أبا المسكون النهوي وهو يقول في دعائه يستسقى : اللهم ربنا
 وإلهنا وسيدنا ومولانا ، صلِّ على محمد نبينا : [اللهم] ومن أراد بنا سوءاً فأحط
 ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم أرسخه على هامسته كرسوخ السجيل
 على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثاً مريئاً مريعاً مجلجلاً مسحناً مسحناً
 سفوحاً طبقة غدقاً مُثَعَّنَجراً صَخْباً نافعا لعاقمتنا وغير ضارِّ بخاصتنا . فقال
 الأعرابي : يا خليفة نوح ، [هذا] الطرفان ورب الكعبة ، دعني حتى آوي إلى
 جبل يعصمني من الماء .

* الأصمعي قال : أصابت الأرض بجماعة : فلقيت رجلاً منهم خارجاً من
 الصحراء كأنه جذعٌ محترق . فقلت : أتقرأ في كتاب الله شيئاً ؟ قال : لا . قلت :
 فأعلمك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ (قل يا أيها الكافرون) . قال : كل يا أيها

الكافرون . قلت : [قُلْ] ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ كما أقول لك . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك .

✕ قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنْيٌ له صغير ممسك بقم قربة ، وقد خاف أن تغلبه القربة ؛ فصاح : يا أبت ، أدرك فاهما . عُلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها !

قولهم فى الدين

قال أعرابى : الدين ذل بالنهار وهم بالليل .

وقال أعرابى فى غرماء له يطلبونه بدين :

جاءوا إلى غضاباً يُلغظون معاً . فقلت موعدم دار ابن هبّار

وما أواعدكم إلا لأدراهم . عنى فيخرجنى نقضى وإمرارى .

وما جلبت إليهم غير راحلة . تحدى برحلى وسيف جفنه عارى .

إن القضاء سياتى دونه زمن . فاطو الصجفة واحفظها من النار

الأصمعى قال : كان لرجل من يحصب على رجل من باهلة دين : فلما حل دينه

هرب الأعرابى وأنشأ يقول :

إذا حل دين الرخصى فقل له . تزود بزاد واستعن بدليل

سيصبح فوقى أقمم الريش واقفاً . بقالى قلا أو من وراء ديبيل

الأصمعى قال : فأخبرنى رجل أنه رآه مقتولا بقالى قلا وعليه نسر أقمم الريش .

قال الأصمعى : اختصم أعرابيان إلى بعض الولاية فى دين لأحدهما على صاحبه ؛

بفعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال له المدعى : دعنى من هذه الأيمان

وأحلف بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلما يتبع ظلما ؛

وحتك من أدلك ومالك حت الورق من الشجر ، إن لم يكن لى هذا الحق قبلك !

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً : لا أورد الله لك صادرة ،

ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

ابعض الأعراب

لبعض الشعراء
فى غرماء

بين أعرابيين

قولهم في الزوار والملح

الشيباني قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متخوفاً بالآبار ، فأمعن في زهته وانتبذ من أصحابه ؛ فوافى خباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة . قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال : فأنت إذًا من قريش ! قال : نعم . قال : فمن أي قريش ! قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذًا من ولد عبد المطلب ! قال : نعم . قال : فمن أي ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال : فأنت إذًا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن مارأى منه وأمر له بجائزة .

الشيباني قال : خرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلًا له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي : غشوم ظلوم ! لآحياء الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ! فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي ، فأخذ وحمل ؛ فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابي ؟ قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ! قال : فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

الأصمعي قال : ولّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابياً على عمل له ؛ فأصاب عليه خيانة فمزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله ! قال الأعرابي : فقال من آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلساً واحداً فما فعل . فضحك منه وخلي سبيله .

الشيباني قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي ! وألمها في آناء الليل فكأنما آمن بنتي زلت

أبو العباس
وأعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

أعرابي

عن كبدى ، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسة درهم .

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أريتموه لتُمسِكَنَّ منه بذناب عيش أغبر .

بين أعرابي وقوم
في الهلال

الأصمعي قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركيّة مألحة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابي ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بين الأصمعي
وأعرابي في ماء

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

بينه وبين
أعرابي سمين

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إني أسألك ميتة كميتة أبي خارجة أكل بدجا ، وشرب مُعسلا ، ونام في الشمس ، فمات دَفَانٌ سَبْعَانِ رِيَانِ .

١٠

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل أعرابي المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلى : فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد حجّرتَ واسعا يا أعرابي .

النبي صلى الله
عليه وسلم وبعض
الأعراب

١٥ * قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبي رجل يَحْتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .

أبو حاتم عن أبي زيد قال : رأيت أعرابيا كأن أنفه كوز من عظمه ؛ فرآنا نضحك منه ؛ فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفتس .

٢٠ قال : وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم أقرءوا كتابي . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة : إن يوم القيامة يؤتَى بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي .

وقيل لأبي المخش الأعرابي : أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حرة ؟ قال : لأبي المخش
لا والله ما يسرنى ا قيل له : ولم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الامة وتضيع الأمة .
اشترى أعرابي غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه
يبول في الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشا فليبل فيه .

* أخذ الحجاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه ؛ فلما قرعه بسوط قال :
يا رب شكرا ! حتى ضربه سبعمئة سوط ، فلقبه أشعب ، فقال له : أتدرى لم
ضربك الحجاج سبعمئة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ؛ إن الله
تعالى يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم .
فقال الأعرابي :

يا رب لا شكر فلا تزددني أسأت في شكري فأعف عني
بعد ثواب الشاكرين مني

مرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صفه . قال : كأنه دينير !
قالوا : لم نره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جمل ، فقالوا :
هذا الذي قلت فيه كأنه دينير ؟ فقال : القرني في عين أمها حسناء .

والقرني : دويبة من خشاش الأرض إذا مسها أحد تقبضت فصارت
مثل الكرة .

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لأبغض الموت على
فراشي ، فكيف أن أمضى إليه ركضا .

* وغزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما رأيت مع رسول الله
في غزاتك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الصلاة ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن
يضع النصف الباقي !

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السخيتاني ، فقيل له : يا أعرابي ، لعلك
قدري ؟ قال : وما القدرى ؟ فذكر له محاسن قولهم : قال : أنا ذاك . ثم
ذكر له ما يعيب الناس من قولهم : فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت ؟

قال : وما المذنب ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب
الناس منهم ؛ فقال : لست بذاك . قال أيوب ؛ هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ
من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

٥ كاد الهوى يوم سلمازين يقتلني هـ وكاد يقتلني يوماً بنعمان

وكاد يقتلني يوماً بذى حُشب هـ وكاد يقتلني يوماً بسلمان

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات ! لا يموت هذا أبداً .

الشيباني قال : بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتها سنة ،

فانحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق - واسم أحدهما خندان - إذا

١٠ فارس قد أوطأ دابته رجل خندان ، فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلقا به حتى

أخذوا أرش الإصبع ، وكانا جائعين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصداً إلى بعض

الكرايج ، فابتاعا من الطعام ما اشتبها ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا عرنة مادام في الناس كُرْبُج هـ وما بقيت في رجل خندان إصبع

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام ، كثير القتال

اعرابية وابنها

١٥ للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فوائب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى

أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ فحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم وائب آخر ، فقطع

أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحسن الحال ؛ ثم وائب آخر فقطع

شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم

والمناج بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

٢٠ أَحْلِفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفا هـ أنك خير من تفاريق العصا

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجورا ، ثم يقطع

الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظة .

الأصمعي قال : خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض

لبعض الأعراب في الحج

الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

أعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق . فرفع
الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك
أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَتْ راحلتها ،
فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا
بيتي ولا بيتك !

الأصمعي قال : عُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة
وثلاثين ألفاً لم يَجِبْ على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابي أخذ يبول
في أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أطلق ؛ فأنشأ يقول :

إذا ما خرجنا من مدينة واسطِ هـ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

ذُكِرَ عند أعرابي الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوَّجوني امرأة
أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجْرِي الرهان ؛ والنزع عن القوس حتى
يُصِيب الخدق ، ورواية الشعر حتى يُفْهَم الفحول . فزوَّجوه امرأة فولدت له
ابنة ، فقال فيها :

قد كنتُ أرجو أن تكون ذكراً * فشققها الرَّحْمَ شَقًّا مَنْكَرَا

شَقًّا أَبِي اللَّهِ لَهُ أَنْ يُجْبَرَا * مِثْلَ الَّذِي لَأَمَّهَا أَوْ أَكْبَرَا

ثم حملت حملاً آخر ، فدخل عليها وهي في الطاق - وكانت تسمى ربابا - فقال :

أَيَا رَبَّابِي طَارِقٍ بِخَيْرٍ * وَطَارِقٍ بِخُصِيَّةٍ وَأَيْرٍ

وَلَا تُرِينَا طَرْفَ الْبُظَيْرِ

ثم ولدت له أخرى ، فهجر فراشها وكان يأتي جارة لها ، فقالت فيه - وكان

يكنى أبا حمزة - :

مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا هـ يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا

غَضْبَانَ أَنْ لَا نَلِدَ الْبَنِينَ هـ وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا

فألانه قولها ورجع إليها .

لأعرابي يدعو وقال سعيد بن أبي الفرج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لأهْمَ رَبِّ النَّاسِ حِينَ لَبَّوْا ۝ وَحِينَ رَاحُوا مِنْ مَنَى وَحَصَّبُوا

لَا سُقِيَتْ عَشْبَبُ وَعُغْبُ ۝ وَالْمُسْتَزَارَ لَا سَقَاهُ الْكُوكَبُ

٥ فقلت : يا أعرابي ، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع ؟ فنظر إلى كالغضبان فقال :

من أجل حُماهَنَ ماتت زينب ۝

قولهم في التاخص

١٠ أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابي ، وكان لصا :

ثلاث خِلالٍ لستُ عنهنَّ تائباً ۝ وإن لآمنى فيهنَّ كلُّ خليلٍ

فمنهنَّ أنى لا أزال مُعانيقاً ۝ حَمائلُ ماضى الشَّفرتينِ صَقيلٍ

به كنتُ أستعدي وأُعدي صحابتي ۝ إذا صرَّخَ الزَّحفانُ باسمِ قتيلٍ

ومنهنَّ سُوقُ النِّهبِ في ليلةِ الدَّجى ۝ يَحارُ بها في الليلِ كلُّ دليلٍ

ومنهنَّ تجريدُ الكعابِ ثيابها ۝ وقد مالَ جُنحُ الليلِ كلُّ تميلٍ

١٥ وهذا المعنى سبقه إليه الأول :

فلولا ثلاثُ هنَّ من عيشةِ الفتى ۝ وجدَّك لم أحفِلِ متى قام رامِسُ

فمنهنَّ سبْقُ العاذِلاتِ بِشربةٍ ۝ كأنَّ أخاها مَطْلَعُ الشَّمسِ ناعسٍ

ومنهنَّ تقريظُ الجوادِ عِنانَه ۝ إذا ابتَدَرَ الشَّخصَ الصَّفى الفوارسِ

ومنهنَّ تجريدُ الكواعبِ كالدُّمى ۝ إذا ابتَزَّ عن أكفاهِهنَّ الملابسِ

٢٠ وأول من قال هذا المعنى طرقة حيث يقول :

فلولا ثلاثُ هنَّ من عيشةِ الفتى ۝ وجدَّك لم أحفِلِ متى قام عُوْدِي

فمنهنَّ سبْقِي العاذِلاتِ بِشربةٍ ۝ كُدَيْتِ متى ماتُ عَلَّ بالماءِ نُزِيدِ

وَكُرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجْتَبَاً . كَسِيدِ الْعَصَا نَبْهَتَهُ الْمُتَوَرِّدُ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ وَالِدَجْنُ مُعْجَبٌ . بِيَهْكَئَةٍ تَحْتَ الْخَيْسَاءِ الْمُعَمَّدِ

قولهم في الطعام

الأصمعي قال : اصطحب شيخٌ وحدث في سفر ، وكان لها قرص في كل يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطنه الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص ثم يجلس يشتكى العشق ، ويتصور الشيخ جوعاً ، وكان يسمى الحدثُ جَعْفَرًا ، فقال الشيخ :

لقد رابني من جعفرٍ أن جعفرًا . يطيشُ بقرصِي ثم يبكي على مُجَلِّ
فقلتُ له لو مسكَ الحبُّ لم تبتُ . بطيناً ونسكاً الهوى شرّة الأكل

الأصمعي قال : أنشدني أعرابي لنفسه :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رايماً . وخيلاً من البرني فرسانها الزبدُ
فأطلب فيما بينهنَّ شهادةً . بموتِ كريمٍ لا يعدُّ له لعد

الشيبياني عن أبيه قال : قال أعرابي : كنت أشتهي ثريدة دكاء من الفلفل ، رقطاء من الحص ، ذات حفافين من اللحم ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها كما يضرب وليُّ السوء في مال اليتيم !

وقال رجل لأعرابي : ما يسرنى لو بتُّ ضيفاً لك ! فقال له الأعرابي : لو بتُّ ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة .

حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمرُّ إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يليك فكلُّ يا أعرابي . فقال : من أجذب انتجع . فشق ذلك على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعدُّ إلينا . وشهد بعد هذا سفرته أعرابي آخر ، فرمى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك فكلُّ يا أعرابي . قال : من أخصب تخير . فأعجب ذلك سليمان ، فقربه وأكرمه وقضى حوائجه .

مر أعرابي بقوم من السكبة في منزله لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده
يأكل معهم ، فقالوا : أعرفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا ! وأشار إلى
الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله :

أعرابي وقوم
من السكبة

◦ لم أرَ مثْلَ ثُرْبِهِ وَمَطِّهِ ◦

◦ وَأَكْلُهُ دَجَاجُهُ يَبْطِيهِ ◦

◦ وَلَفْهِ رُقَاقُهُ يَأْقُطُهُ ◦

◦ كَأَنَّ جَالِينُوسَ تَحْتَ لِابِطِهِ ◦

قال الثاني :

قال الثالث :

قال الرابع :

فقالوا للرابع : أما الذي وصفنا من فعله ففهوم ؛ فما يصنع جالينوس من

تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة ، يهضم بها طعامه ا

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له
الأعرابي : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُبِين . قال المدني : لِيَهْيُ أُمَّ
حُبِين العافية .

مدني وأعرابي

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لي لحماً . فاشتروا وطبخوا له حتى
تهراً ، فأكل منه حتى انتهى ، ولم يبق إلا عظمه ؛ وشرعت إليه عيون ولده ،
فقال : ما أنا مطعمه أحداً منكم إلا من أحسن أكله . فقال له الأكبر : ألوكة
يا أبت حتى لا أدع فيه للذرة مقيلاً . قال : لست بصاحبه . قال الآخر : ألوكة
حتى لا يدرى ألعامه هو أو لعام أول ؟ قال : لست بصاحبه . قال له الأصغر :
أدقه يا أبت وأجعل إدامه المنخ . قال : أنت صاحبه ، هو لك .

أعرابي وولده

بلغني عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلاً بحلب على الهيثم بن عدي ،
فبعث إلى ضيف له من عنزة أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبد الله بما رأيت
في حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أموراً معجبة . منها أنني
دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالي ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خصاص يبض
بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حكوا
بها أنواع الزهر ؛ فقلت لنفسي : هذا أحد العيدين ؛ الفطر أو الاضحى . ثم رجعت

لعنزي في حضر
المسلمين

- إلى ما عذب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في عقب صفر وقد مضى
العيدان قبل ذلك ! فيينا أنا واقف أتعجب إذ أتاني رجل فأخذ يدي فأدخلني
يدتاً قد نُجِّدَ ، وفي وجهه فرُّشٌ مَهْدَةٌ ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كنفية ،
والناس حوله سماطين ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكي لنا جلوسه
ووجوس الناس حوله . فقلت وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله ! قال : لجذب رجل يدي وقال : ليس بالأمير ، آجلس . قلت فمن
هو ؟ قال : عروس . قلت : واثكل أماء ! لرُبَّ عروسٍ بالبادية قد رأيتُه
أهون على أصحابه من هِنِ أمه ! فلم ألبث أن أدخلت الرجالُ عليها هناتٌ مدورات
من خشب ، أما ما خف منها فيحمل حملاً ، وأما ما ثقل فيُدحرج ؛ فوضعت
أمامنا وتخلَّق القوم عليها حلَقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت عليها ؛ فهممت والله
أن أسأل القوم خرقه منها أرفع بها قبصي ، وذلك أني رأيت لها نسجاً
متلاحماً لا يقين له سدى ولا لحمة ؛ فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق
سريعاً ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أتينا بطعام كثير من حُلُوِّ وخامض ،
وحارٍّ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم ؛ ثم أتينا
بشراب أحمر في عِساس بيض ؛ فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لي به ؛ لأنني
أخاف أن يقتلني ! وكان إلى جانبي رجل ناصحٌ لي - أحسن الله عنى جزاءه ! -
كان ينصحني بين أهل المجلس ؛ فقال لي : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام
فإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئاً أوصاني به
الأسياخ ، قالوا : لاتزال حيا مادام بطنك شديداً ، فإذا اختلفت فأوص . فلم
أزل أتداوي بذلك الشراب ولا أمله ، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي
ولا عهد لي به ، واقتدارٌ على أمرى ؛ وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي ؛ فجعلت
نفسى تحدثني بهتم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ؛ وأهم أحياناً أن أقول له :
يا ابن الزانية ! فيينا نحن كذلك ، إذ هجم علينا شياطين أربعة ؛ أحدهم قد علق
جعبة فارسية منتفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كانهم يخافون عليها القر؛ ثم بدأ الثاني فاستخرج من كفه هنة كفيشلة الخمار، فوضع طرفها في فيه فضرط فيها، ثم حسب على ججرة فاستخرج منها صوتا مُشاكلا بعضه بعضا؛ ثم بدأ الثالث وعليه قيص وسخ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرَّآتان، فجعل يمرى إحداهما على الأخرى؛ ثم بدأ الرابع عليه قيص قصير وسراويل قصيرة، فجعل يقفز صلبه، ويهز كتفيه، ثم التبط بالأرض، فقالت: معتوه ورب الكعبة. ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من هوكم. فبعثوا بهم إليهن، وبقيت الأصوات تدور في آذاننا؛ وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعلت الأصوات له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة في يده، عينها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه، ثم زم الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها، فإذا هي أحسن قينة رأيتها قط [وغنى عليها] فاستخفني حتى قتت من مجلسي فجاست إليه فقالت: يا أبي أنت وأمي، ماهذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البربط. قلت: فما هذه الخيوط؟ قال: أما الأسفل فزبر، والذي يليه مثنى، والذي يليه مثلك. والذي يليه بيم. فقالت: آمنت بالله.

١٥ وقال أعرابي. تمرنا حُخْسُ فطس، يغيب فيهن الضرس، كأن فاهما ألسن الطير، تقع التمرة منها في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك.

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك، فلما أتى بالفالودج جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أتدرى ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقا هنيئا، ومزدرداً ليناً، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه! قال: فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

لأعرابي برصام قال: ومررت بأعرابي يأكل في رمضان، فقالت له: ألا تصوم يا أعرابي؟ فقال:

وصائم هبّ يا أحماني فقالت له: آعمد لصومك وآتركني وإفطاري

أعرابي على
سفرة سليمان

لأعرابي برصام

وأظما فإني سأروى ثم سوف ترى * من ذا يصيرُ إذا مِننا إلى النار
وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة في القمعة الأعرابي ؛ فقال :
أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ! قال : وإنك أتراعيني مراعاةً من يُبصر الشعرة
في لقمتي ؟ والله لا واكثك أبداً ! فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ولا أعود
إلى مثلها .

لأعرابي على
سفرة سليمان
أيضا

أخبار أبي مَهديّة الأعرابي

أبو عثمان المازني قال : قال أبو مَهديّة : بلغني أن الأعراب والأعراب هجأها
واحد . قلت : نعم . قال : فاقراً : « الأعرابُ أشدُّ كُفراً ونفاقاً ، ولا تقرأ :
الأعراب . ولا يعزّبُ العزّبُ وإن صام وصلى .

١٠ X وتوفي بُنيّ لأبي مَهديّة صغير ، فقيل له : أبشر أبا مَهديّة ؛ فإننا نرجو أن يكون
شفيح صدق يوم القيامة ! قال : لا وكلنا الله إلى شفاعته ، إذاً والله يكون أعيانا
لسانا وأضعفنا حجة ؛ لبته المسكين كفانا نفسه !

وقيل لأبي مَهديّة : أكنتم تتوضؤون بالبادية ؟ قال : نعم والله ؛ لقد كنا نتوضأ
فتكني التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه
الحر - يعني الموالي - فجعلت تليق أستاذها كما تلاق الدواء .

١٥ وقيل لأبي مَهديّة : أتقرأ من كتاب الله شيئا ؟ قال : نعم . ثم افتتح يقرأ :
(والضحى والليل إذا سجى) حتى انتهى إلى (ووجدك ضالاً فهدى) فالتفت
إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالاً فهدى . والله
لا أقولها أبداً .

٢٠ X ولما سن أبو مَهديّة وليّ جانباً من الإمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء
وجدة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم في المسيح ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ! قال :
فهل غرتم ديتة ؟ قالوا : لا . قال : إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديتة !
فأرَضوه حتى كف عنهم .

وقيل لأبي مهدية : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؛ قال : كيف لا يصبر
على البدو من طعامه الشمس وشرابه الريح ؟
ونظر أبو مهدية إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها
ويحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !
ومات طفل لأبي مهدية ، فقيل له : اصبر يا أبا مهدية ؛ فإنه فرط أقرطته ،
وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدٌ دفنته ، وشكلٌ تعجلته ؛ والله لئن لم
أجزع للنقص ، لا أفرح للزيد .
قال أبو عبيدة : سمع أبو مهدية رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال :
ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : حيلا .

١٠ خبر أبي الزهراء

المعلّى بن المثنى الشيباني قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي
من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تحب ، وعليها
ذلاذل وأطمار من تحق صوف ، قد اتم بما يشبه ذلك : من أشوه الناس منظرا
وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول الأسمد ، ألا لبد الأموؤ
الأمقر ، ألا سعدى الأيربوعى ، ألا دارمى ! هيات هيات ! وما يغنى أصل
حوض الماء صاديا معنى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد
منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحى ، قال : فسمعت سواديا يقول له :
يا عمه ، يا إبليس ! متى أذن لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا
آبامكم وفشوا أمهاتكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من أطلب الناس
لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك
٢٠ مولى بني تميم ؛ فأتيته فأخبرته ؛ فخرج مبادرا كأنى قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل
الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها
إلى الصبيان ، وتارة يذب الشذا عن الأتان - وهو يقول لأتانه :

قد كنت بالأمعز في خصب خصب * ما شئت من حمض وماء مُنْسَكِبُ
 فربُّك اليومَ ذليلٌ قد نُصبَ هـ يرى وجوهاً حوله ما ترتقب
 ولا عليها نور إشرافِ الحسبِ هـ كأنها الزنجُ وعُبدانُ العربِ
 إلى عجيل كالرعيل والسربِ هـ ولو أمِنتُ اليومَ من هذا اللجَبِ
 رميتُ أفاقاً قويماتِ الثُصبِ هـ الریش أولاها وأخراها العقبِ

قال : فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبيجله ، إلى أن أدخله منزله ؛
 فهد له وحطه عن أمانه ، ودعا بالعلف ؛ فجعل الأعرابي يقول : أين الليف والنثيف
 والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصير ؛ وبالنثيف عشبة عندهم يقال لها البُهْمَى
 والوساد : جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُسَكُّ عليه ؛ والنجاد :
 مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الاتان إذا ظهرها قد دبر حتى
 أضرت بنا رائحته : فجعل الأعرابي يتهد ويقول :

إن تُنْحَضِي أو تُدْبِرِي أو تُزَجْرِي هـ فذاك من دُؤوبِ ليلٍ مسهرِ
 أنا أبو الزهراء من آلِ السرى * مُشْمَخِ الأنفِ كريمِ العنصرِ
 إذا أتيت خُطَّةً لم أقسرِ

١٥ * وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عوسجة من بني سعد بن دارم ، ويكنى بأبي
 الزهراء ، وما رأيت أعرابياً أعجب منه ؛ كان أكثر كلامه شعراً ؛ وأمثلة أعرابي
 سمعته كلاماً ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانفهمها ؛ وكان من أضجر
 الناس وأسوئهم خلقاً ، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال : ردوا على القوس والاتان !
 يظن أنا نتلاعب به ، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد ، وما منا إلا من يأتيه
 بما يشتهي ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتينا يوماً بخربز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها
 تأملها طويلاً وجعل يقول :

بُدِّلْتُ والدهرُ قديماً بدَّلاً هـ من قِيضِ يبيضِ القفرِ فقِعاً حَنظَلاً
 أخبتُ ما تُنبِتُ أرضُ ما كُلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنى مري .

ونحن نبدوك فيه إن شئت . قال : نخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر
لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقور أسفلها ،
فقلنا له : ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخي فقيما
ترون ! فلما طعمه استخفه واستعذبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا
نأتيه بعد بغيره ، وجعل في خلال ذلك يقول :

هذا طعامٌ طيبٌ يلينُ . في الجوفِ والحلقِ له سُكونٌ

الشهدُ والزبدُ به معجون

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمام ؟ قال : وما الحمام
يا ابن أخي ؟ قلنا له : دار فيها آيات : حار ، وفاتر ، وبارد : تكون في أيها شئت
يذهب عنك قشيف السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجبنا ،
فأتيناه به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف
مترقب ، لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار في داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه
بالثورة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز ، فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛
فقلنا حين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا ابن أخي ، وهل بقي إلا أن
أنسلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام القيط ! وجعل يقول :

وهل يطيبُ الموتُ يا إخواني . هل لكم في القوسِ والأتانِ

خذوهما مني بلا أثمانٍ * وخلصوا المهجةَ يا صبيان

فاليوم لو أبصرني جيرانِي * عُرِيان بل أعرى من العُرِيان

قد سَقَطَ الشَّعْرُ من الجثمانِ * حُسِبَتْ في المنظرِ كالشَّيْطَانِ !

قال : ثم خرج مبادراً ، وآتبعه أحداثٌ لنا ، لولا هم لخرج بحاله تلك ما يستره
شيء ؛ ولحقناه في وسط البيوت ، فأتيناه بماء بادر ، فشرب وصب على رأسه ،
فارتاح واستراح ، وأرثأ يقول :

الحمدُ لِلْمُسْتَحْمِدِ الْقَهَّارِ * أَنْقَذَنِي من حرِّ بيتِ النَّارِ

إلى ظليل ساكن الأوار . من بعد ما أيقنت بالدمار
قال : فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه ، وأتينا به مجلس أبي حماد ؛ وكان
أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب ؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر
وكان أبو الحسن التمار ماهراً ؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي
وأبازيد ، جعل ينظر ، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل ؛ فقلنا له : ماتقول يا أبا الزهراء ؟
فقال : يا ابن أخي ، إن كلامكم هذا لا يسد عوزا مما تعلمونه له . فقال أبو الحسن :
إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها . فقال له : شككت وأثككت ! وهل تخطئ
العرب ؟ قال : بلى . قال : على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك ! قال سويد :
وكنت أحدثهم سنا (قال) فقلت : جعلت فداك ، وأنا رجل من بني شيبان
وربيعة ؛ ما تعلم أنا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم ؛ فقال فيهم :
١٠ يسألني بياع تمر وجردي . ومازج أبوال له في إمانه
عن الرفع بعد الحفض ، لازل خافضاً . ونصب وجرم صبيغ من سوء رانه
فقلت له هذا كلام جهلته . وذو الجهل يروي الجهل عن نظرائه
فقال بهذا يعرف النحو كله . يرى أني في العجم من نظرائه
فأما تميم أو سليم وعامر . ومن حل غمر الضال أو في إزائه
١٥ ففهم وعنه يؤثر العلم كله . ودع عنك من لا يهتدي لخطائه
من ذا الرؤاسي الذي تذكرونه . ومن ذا الكسائي صالح في كسائه
ومن ثالث لم أسمع الدهر باسمه . يسمونه من لومه سيديواته
فكيف يخل القول من كان أهله . ويهدي له من ليس من أوليائه
٢٠ فليست لبياع التميرات مغضياً . على الضيم إن واقفت بعد عشائه^(١)
ولقد قلنا له : يا أبا الزهراء ، هل قرأت من كتاب الله شيئاً ؟ قال : إى
وأبيك ، آيات مفصلات أرددهن في الصلوات ، آباء وأمهات ، وعمات وخالات

(١) في بعض الأصول : إن راقبت فقد عدائه .

- ثم أنشأ يقول :
 قرأت قول الله في الكتاب . ما أنزل الرحمن في الأحزاب
 لعظم ما فيها من الثواب . الكفر والغاظة في الأعراب
 وأنا فأعلم من ذوى الألباب . أو من بالله بلا آرتياب
 في عرشه المستور بالحجاب . والموت والبعث وبالحساب
 وجنة فيها من الثياب . ما ليس بالبصرة في حساب
 وجحيم يلفح بالتهاب . أو وجه أهل الكفر والسباب
 ودفع رحل الطارق المنتاب . في ليلة ساكتة الكلاب
 ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت
 الكوفة ؟ قال : يا ابن أخي ، حضرا حضرا ؛ ومخلا أهلا ؛ أنكرت من أفعالكم
 الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال
 يا ابن أخي ؟ قلت له : أجدات الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ فقلت : قدم ماتوا
 بأجلهم ميتات مختلفات . قال : فماذا تنتظر نحن يا ابن أخي ؟ قلت : مثل الذى
 صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :
- يا لهف نفسي أن أموت فى بلد . قد غاب عنى الأهل فيه والولد
 وكل ذى رحمٍ شفيقٍ معتقد . يكون ما كنت سقيما كالرمد
 يارب إذا العرش وفق للرشد . ويسر الخير لشيخٍ مختصد
 ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عائدين
 متفقدين ؛ فبينما نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :
- أبلغ بناتى اليوم أبلغ بالصوى . قد كنت بأملن إياي بالغنى
 وقد تمنين وما يُغنى العنى . بأن نفسي وردت حوض الردى
 يارب إذا العرش فى أعلا السما . إليك قدمت صيامى فى الظما
 ومن صلاتى فى صباح ومسا . فعُد على شيخٍ كبير ذى آحننا
 يكفيه ما لاقاه فى الدنيا كنى

قلنا له : يا أبا الزهراء ، ما تأمرنا في القوس والآتان ، وفيما قسم الله لك عندنا
من رزق؟ فقال : يا ابن أخي ، أما ما قسم الله لي عندكم فردوداً إليكم ، وأما القوس
والآتان فبيعهوهما وتصدقوا بثمنهما في فقراء صلبة بني تميم ، وما بقي في مواليتهم .
ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له
حق إيمانه بك ، وتصديقه برسالك ، صليت عليهم وسلمت : اللهم إني جان مقترف
وهائب معترف ، لا أدعى براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ؛
اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان في قضائك ، وسابق علمك
قبض روحى في غير أهلى وولدى ، اللهم فبدل لى التعب والنصب رَوْحاً وريحاناً
وجنة نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ،
رحمه الله ؛ فما سمعت دعاءً أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً
من جنازته ؛ رحمه الله .

* * *

لبعض الأعراب

وقال أعرابي يصف كساء .

من كان ذا بت فهذا بتي . مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِيٌّ

نَسَجْتُهُ مِنْ نَعَجَاتِ بَيْتِ

وقال أعرابي : ١٥

قالت سُلَيْمَى : لَيْتَ لِي بَعْلًا بَمَنْ . يَغْسِلُ رَأْسِي وَيُسَلِّبُنِي الْحَزْنَ

وَحَاجَةٍ لَيْسَ لَهَا عِنْدِي ثَمَنٌ . مَشْهُورَةٌ قَضَاؤُهَا مِنْهُ وَهَنْ^(١)

قَلْنِ جَوَارِي الْحَيِّ : يَا سَأْمَى وَإِنْ . كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا ؟ قَالَتْ وَإِنْ !

وقال أعرابي :

جَارِيَتَانِ حَلَقْتِ أَمَاهُمَا . أَنْ لَيْسَ مَعْبُونًا مِنْ اشْتَرَاهُمَا

وَاللَّهُ لَا أَخْبِرُكُمْ إِسْمَاهُمَا . إِلَّا بِقَوْلِي هَكَذَا هُمَا هُمَا

هُمَا اللَّتَانِ صَادَتِي سَهْمَاهُمَا . حَيًّا وَحَيًّا اللَّهُ مِنْ حَيَاهُمَا

أَمَاتِ رَبِّي عَاجِلًا أَبَاهُمَا . حَتَّى تُتْلَقَ مُنْبِتِي مِنْهُمَا

(١) الوهن : « قريب من منتصف الليل » .

وقال أعرابي : *سَمِعْتُ نَظْرَةَ نِسَاءٍ إِذَا سَمِعَتْ أَوْ نَظَرَتْ فَلَمْ تَرِ شَيْئًا تَظُنُّ تَظْنِيَا .*

إِنَّ لَنَا لَكِنَّةً * مِعْنَةً * مِغْنَةً *
سَمِعْنَةً * نَظْرَنَةً * إِلَّا تَرَهُ تَظُنُّهُ

السمعنة النظرنة : المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً تظنت تظنيا .

وأشده أبو عبد الله بن لبانة الأعرابي :

*كَرِيمَةٌ يُحِبُّهَا أَبُوهَا * مَلِيحَةٌ الْعَيْنَيْنِ عَذْبًا فُورًا*

لَا تُحْسِنُ السَّبَّ وَإِنْ سَبُّوا

الأصمعي قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بكرة ، فقال : يا أصمعي ،

الرشيد
والأصمعي

إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البكرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين

بيننا أنا في صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابي قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح

كسائه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابي ، ما أجلسك ههنا

على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها . فقلت :

وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال : العجز يوقفني عن أخذه . فقلت له : فهل قلت

في سلمى شيئاً ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعني الله أبوك ! قال لا أسمعك حتى تأخذ

كسائي وتليقه عليّ ! قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

*لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى * فَيَبْطِئُهَا وَيُلْقِيَنِي عَلَيْهَا*

*وَيَأْتِيَ بِعَدَاكَ سَحَابُ مَزْنٍ * تَطْهَرْنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا*

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البكرة لا بورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابياً أتى عيناً من ماء صاف في شهر رمضان ، فشرب حتى

روى ، ثم أوماً بيده إلى السماء فقال .

*إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ الصِّيَا * مَ فَأَعْفِنَا مِنْ شَهْرِ آبِ*

*أَوْ لَا فَإِنَّا مُفْطِرُو * نَ وَصَابِرُونَ عَلَى الْعَذَابِ*

خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له . قم خائباً ! فقال .

الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلِّ له دقيق . فخرجت ولم ترد جواباً . (١)

كتاب المجتبية في النجوى

فرش الكتاب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة ،
 ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كله مركباً ،
 وأعزّه مطلباً ، وأغضّه مذهباً ، وأضيقه مسلوكاً ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة
 الفكرة ، واستعمال الفريضة ، يروم في بديته نقض ما أبرم القائل في رويته ،
 فهو كمن أخذت عليه الفجاج ، وسدّت عليه المخارج ، قد اعترض الأسته ،
 واستهدف للبرامى ، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما ينفجأه من خصمه
 فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقادته بذمامه
 بعد أن روى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يغيب حتى
 يختمر ؛ فقد كرهوا الرأى الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبرى ، فلا يزال في
 نسج الكلام واستئناسه ، حتى إذا اطمأن شارده ، وسكن نافرته ، صكّ به
 خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطئ ، تراه
 يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يطبّق المفاضل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما
 يرمى الجنديل بالجنديل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عراه ، وينقض به
 مرآته ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبنت عجمجة ؛ فلا شيء أعضل من
 الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه ، ويصرع
 مناوزه بقول كمثل النار في الخطب الجزل .

نسخة
 تاريخ
 سنة
 رقم

- لأبي الحسن قال أبو الحسن : أمرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب .
 وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .
- في ابن عفان وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .
- للنبي صلى الله عليه وسلم في الزبيرقان وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الأهتم : أخبرني عن الزبيرقان ، قال : مطاع في أدانيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبيرقان : والله يارسول الله ، لقد علم مني أكثر من هذا ، ولكن حسدني . قال عمرو ابن الأهتم : أما والله يارسول الله ، إنه لزمر المروءة ، ضيق العطن ، أحق الوالد ، لثيم الخال ؛ والله يارسول الله ، ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ! فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إن من البيان لسحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

- لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنه بالله ، إذ ساء به ظنك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ، فاكفف لأبائك ، فإنه عما تقول بمعزل .

- وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لي من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .
- وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ، ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال :
أخونُ مني والله من سفك دمه بين أخى وابن عمى ، أن يكون أحدهما أميراً !
ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم
قال له : أتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم ! قال : وأتم معشر بنى أمية
تصابون فى بصائرکم !

٥
ودخل عتبة بن أبى سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ،
فقال عقيل : من هذا الذى أجلس أمير المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك
وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك منى ، إنى لأقرب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض
ونحن سماء . قال عتبة : أبابيزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر
مما لنا عندك مما تكره .

١٥
ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له
عقيل ، وهذا معاوية عمته حمالة الخطب ! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار
فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبا لهب مفترشاً عمك حمالة الخطب ؛
فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشَّبَقَ فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكننه فى نسائكم
أبين يا بنى أمية !

٢٠
وقال له معاوية يوما : والله إن فىكم لخصلة ما تعجبني يا بنى هاشم . قال :
وما هى ؟ قال : إين فىكم . قال : إين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعير
يا معاوية ؟ أجل ، والله إن فىنا لليناً من غير ضعف ، وعزا من غير جبروت ؛
وأما أتم يا بنى أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا
يا أبا يزيد . قال عقيل :

لذى اللب قبل اليوم ما تُقرع العصاه وما علم الإنسان إلا يعلمنا

قال معاوية :

وإن سفاة الشيخ لا يحلم بعده . وإن الفتي بعد السفاة يحلم

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني أمرؤ مني التكزم شيمته . إذا صاحبي يوما على الهون أضيرا

- ثم قال : وأيم الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهديتك مهادها ، وأظلتك بخذا فيرها
ومدت عليك أطناب سلطانتها - ماذا بالذي يزيدك مني رغبة ، ولا تخشعاً
لرغبة . قال معاوية نعمتها أبا يزيد نعمتاً هس لها قلبي ؛ وإني لأرجو أن يكون الله
تبارك وتعالى مارداً في رداء ملكها ، وجباني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة
أذخرها لي ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ؛ وإنما هو المثال يُحذني
عليه ، والأمور أشباه ؛ وأيم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريماً ، وإلينا
حبيبا ، وما أصبحت أضمر لك إساءة .

بن عقيل وأمرأة

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل :

يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً ؛ أين أبي ؟ أين أخى ؟ أين عمي ؟ كأن أعناقهم
أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم فخذني على شمالك .

جواب ابن عباس رضي الله عنهما

١٥

لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛
وكان جريئاً على معاوية حقاراً له ، فبلنه عنه بعض ما عمه ؛ فقال معاوية :
رحم الله أباسفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميت في الحى
والحى في الميت ؛ استعملك على يا ابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك
عبيد الله على اليمن ، واستعمل أخاك تماماً على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ،
هناؤكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعدت غرائكم ، وقلت : آخذ اليوم
وأعطي غداً مثله . وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

٢٠

بجلا قيمكم وقيأتكم ما أكلتم . ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتهم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ،
وحاربتهموني بصيفين ، ولعمرى لبنو تميم وعدي أعظم ذنوبا منا إليكم ؛ إذ صرفوا
عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ فحتى متى أغضى الجفون على القذى ،
وأصبح الذبول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ماتقول يا ابن عباس ؟

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كنا صفيين متفاوضين ؛
لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ؛ ولكن من
هنأ أباك بإخاء أبي أكثر من هنأ أبي بإخاء أباك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ،
وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت
أنت رجلا هوأك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وابن بشر
ابن أرطاة على اليمن نخان ، وحبيب بن مرة على الحجاز فرده ، والضحاك بن قيس
الفهري على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي
يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة
حسنة لمحقتها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها . وأما خذلتنا عثمان
فلو لزمنا نصره لصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا
فيه وأما حربنا إياك بصيفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك
إيانا بميم وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها .

وسكت ، فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابن حربٍ عظيمَ القدرِ في الناسِ . حتى رماه بما فيه ابنُ عباسِ
ما زال يُهَيِّطُهُ طوراً ويُصَعِدُهُ . حتى استقاد وما بالحق من باسِ
لم يتركنْ خُطَّةً مما يُدَلُّهُ . إلا كواه بها في فُرُوةِ الراسِ

وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيتَهُ رأيت أفصح
الناس ، وإذا تكلم فأعربُ الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ما رأيت أكثر صوابا
ولا أحضر جوابا من ابن عباس .

بن ابن عباس
ومعاوية

ابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوماً على ابن عباس فقال : لو وليتمونا ما أتيتم
إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على
القاليل ، وصبري على ما صبرت عليه منكم ، إني لا أريدُ أمراً إلا أظمأتم صدره
ولا آتى معروفًا إلا صغرتم خطره وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم فأنخذونها
متكارهين عليها : تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ! فأى أمل بعد ألف ألف
أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أسراً بإعطائها منه بأخذها ؟ والله لئن انخدعت
لكم في مالي وذلك لكم في عرضي ، أرى انخداعي كرماً وذلي حليماً . ولو وليتمونا
رضينا منكم بالانتصاف ، ولا نسألكم أموالكم ، لعلنا بحالكم وحالنا ؛ ويكون
أبغضها إلينا أحبها إليكم أن نغفبكم .

فقال ابن عباس : لو ولينا أحسننا المواساة ، وما ابتلينا بالآثرة ؛ ثم لم نغشيم
الحى ، ولم نشتم الميت : فليستم بأجود منا أكفأ ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون
لأعراض المروءة ؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى في الحق منكم
في الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل في
الرعية يأتیان على المنى والأمل ، ما أرضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتم منا لم ترض
أنفسنا به لكم ؛ والكفاف رضا من لاحق له ؛ فلا تبخلونا حتى تسألونا ،
ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الحزامي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال :
يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ؛ فلا يقطع
خيرى عنكم علة ولا يوصد بابي دونكم مسألة ؛ ولما نظرت في أمرى وأمركم
رأيت أمراً مختلفاً : إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي منى ، وإذا أعطيتكم
عطية فيها قضاء حقكم فلتم أعطانا دون حقنا ، وقصر بنا عن قدرنا ؛ فصرت
كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله مامنحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا
فتحت لنا باباً حتى قرعناه ؛ ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك ولئن أغلقت

دوننا بابك لتسكُنْ أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنيمة ، وحق في النية ؛ فالغنيمة ما غلبنا عليه ، والنية ما اجتنبناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأنك منا زائر يحمله خفٌ ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني ، فإنك تُهز ولا تُندح .

٥ وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديهما وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجاباتها ولواتها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم بصديقها وجوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم بأرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقربعها ، فمن ذا يجلي في مضمارها ويجري إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟

١٥ قال : أقول : ليس حتى يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ولا يساؤون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبننا يُختم ، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لانا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

ابن عباس وابن العاص

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فمر بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه ومارأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني ولتيتي القصرة ، وكان بين عينيك دبرة ، وإذا كنت في ملا من الناس كنت الهوأة الهمة .

فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقاً علموه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً ، دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا في بني هاشم رحلك ، ولا في بني عبد شمس رحلتك ، فأنت الأثيم الزنيم ، الضال

المضل ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطر بحمله ، وتسمو بكرمه .

فقال عمرو : أما والله إني لمسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحق ملنا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائني قال : قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية

ابن أبي سفيان وبنى أمية ، وتناول بني هاشم ، وذكر مشاهدته بصفتين ، واجتمعت
٥ قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال :

يا عمرو ، إنك بعت دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، وممّاك ما بيد غيره

فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي

أعطيته ، وكلّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر في يدك كذرها عليك

بالعدل والتنقص ، وذكرت مشاهدك بصفتين ، فوالله ما ثقلت علينا يومئذ وطأتك
١٠

ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر

الحيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تبسطها إلى خير ،

وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسان غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحش

ووجه مؤنس ، ولعمري إن من باع دينه بدنياه غيره لحرى أن يطول عليها ندمه ،

لك يان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قدر وفيك حسد ، وأصغر
١٥

عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قريش أنقل على مسألة ، ولا أمر جواباً

منك ، ولو استطعت أن لا أجيبك لفعلت ، غير أني لم أبيع ديني من معاوية ،

ولكن بعت الله نفسي ولم أؤس نصيبي من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية

وأعطيته ، فإنه لا تعلم العوان الخمرّة ، وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك
٢٠

لم يغيرني له ، وأما خفة وطأتي عليكم بصفتين فليسا استنقلمت حياتي ، واستبطأتم

وفاتي ، وأما الجبن ، فقد علمت قريش أني أول من يبارز ، وآخر من ينازل

وأما طول لساني فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لساني طويل فأحس من شدائته . عليك وسيفي من لساني أطول

وأما وجهاي ولساناي ، فإني ألقى كل ذي قدر بقدره ، وأرمى كل نابع بحجره ،
فمن عرف قدره كفاني نفسه ، ومن جهل قدره كفتته نفسه ، ولعمري ما لأحد من
قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينفعني ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنی هاشمٍ مالى أراكم كأنكم ٥ في اليوم جهالٌ وليس بكم جهلٌ
ألم تعلموا أني جسورٌ على الوعى ٥ سربعٌ إلى الداعى إذا كثرت القتلى
وأولٌ من يدعو نزالٍ طبيعة ٥ جيلت عليها والطباع هو الجبل
وأنى فصلت الأمر بعد اشتباهه ٥ بدومة إذ أعيأ على الحكم الفصل
وأنى لا أعيأ بأمرٍ أريدُه ٥ وأنى إذا تجت بكاركم فخل

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويط قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إن هذا الأمر الذى نحن
فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ،
أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ! ولكننا
نقول : ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بعين ما مضى : فإنك رأس هذا الأمر
بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو . . .

مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين ، وحوارى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأفتيت بتزويج المتعة .

فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سُميت أم المؤمنين
وكنا لها خير بنين ؛ فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا
مؤمنا فقد ضللتم بقنالك المؤمنين ، وإن كان علي كافرا فقد بُؤتتم بسخط من الله
بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص فيها ، فأفتيت بها ؛ ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛
وأول مجمر سَطع في المتعة مجمر آل الزبير .

مناظرة في مجلس
معاوية

دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب؛ فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد، أيهما كان أكبر، عليّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، عليّ كان أسن من الزبير؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليا والزبير؛ إن عليا دعا إلى أمر فأتبع وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة؛ فلما ترامت الفشتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى عليّ قُدماً كعادته مع ابن عمه ونبيّه صلى الله عليه وسلم؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم... قال: إن الذي تعرّض به يرغب عنك. وأخبرت عائشة بمقاتلتهما، فرأى أبو سعيد بفنائها فنادته: يا أحول يا خبيث! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا؛ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً؛ فقال: إن الشيطان ليراك من حيث لا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أخبت لسانك.

الشعبي قال: دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره، وقال: ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف.

فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكن إن شئت أعلمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن عليّ فقال:

يا ابن الزبير، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طلق اللسان رابط الجنان؛ فإن نطق نطق بعلم؛ وإن صمت صمت بحلم؛ غير أنه كفت الكلام، وسبق إلى السنان، فأقرت بفضل الكرام؛ وأنا الذي أقول:

فيمّ الكلام لسابق في غاية هـ والناس بين مقصّر ومُبلّد

إِنَّ الَّذِي يَجْرِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ ۖ يُنْمَى بِغَيْرِ مُسَوِّدٍ وَمُسَدِّدٍ

بل كيف يُدْرِكُ نورُ بدرٍ ساطعٍ ۖ خَيْرِ الأَنَامِ وَفِرْعَ آلِ مُحَمَّدٍ

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان : أكثر الله في موالى الكرام مثلك .

فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ،

أو لكففنا عن جوابه إجلالا له ؛ ولا جواب لهذا العبد .

قال ذكوان : هذا العبد خير منك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » ؛ فَأَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ ابْنُ الْعَوَامِ

ابن خويلد : فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلا .

قال ابن الزبير : إني لست أجيب هذا ؛ فهات ما عندك .

فقال معاوية : قانلك الله يا ابن الزبير . ما أعياك وأبغاك . أتفخر بين يدي أمير المؤمنين

وأبي عبد الله ؛ إنك أنت المتعدى لَطَوْرِكَ ، الَّذِي لَا تَعْرِفُ قَدْرَكَ ؛ فَقَسَّ شِبْرَكَ

بفترتك ؛ ثم تعرّف كيف تقع بين عرانيين بنى عبد مناف ؛ وأما والله لئن دفعت

في بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لقطعتك بأمواجها ، ثم لترمين بك في لججها ؛

فما بقاءك في البحور إذا غمرتك ، وفي الأمواج إذا بهزتك ؛ هنالك تعرف

نفسك ؛ وتندم على ما كان من جرأتك ، وُتمسى ما أصبحت فيه من أمان وقد

حيل بين العير والنزوان .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال أسألکم

بالله : أتعلمون أن أبي حوارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أباسفيان

حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ،

وأمه هند آكلة الأكباد ؛ وجدى الصديق ، وجدته المشدوخ بيدر ورأس الكفر ؛

وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الخطب ؛ وجدتي

صفية ، وجدته حمامة ؛ وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج

عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى ناراً ذات لهب ؛ وخالتي عائشة أم المؤمنين ،

وخالته أشقى الأشقين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

- وقال له معاوية : ويحك يا ابن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رئاسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قُذِّناك وسُدِّناك قديماً وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفخار على رئاسة حرب بن أمية وأن أباك ٥ وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين في عزله ، إن لأمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتي لا أسرتك ، وبنى أبي لابني أبيك ، فجحدته قريشُ أشدَّ الجحود ؛ وأنكرته أشدَّ الإنكار وجاهدته أشدَّ الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فمأساد قريشاً وقادهم ١٠ إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فهديثكم تحت راية مهديتنا ، وضالكم تحت راية ضالنا ؛ فنحن الأرباب ، وأتم الأذئاب ؛ حتى خاص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان في الجاهلية عظيماً شأنه ، وفي الإسلام معروفاً مكانه ؛ ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يُعطَ أحدٌ من آبائك ؛ وإن منادى ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ وكانت داره حرماً ، لدارك ولدار أبيك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفي الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لا بتصديق عبد العزى ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ بيدى ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ٢٠ فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفأوهم من بنى أيهم ، ففضى الله منايهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فينا شرفت وُسِّيت أم المؤمنين ، وخالنتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفة فهي أدتتك من الظل ،

ولولا هي لكنت ضاحيا ؛ وأما ما ذكرت من عمك وخال أيبك سيد الشهداء ،
 فكذلك كانوا رحمهم الله ، ونغرهم وإرثهم لي دونك ، ولا نخر لك فيهم ولا إرث
 بينك وبينهم ؛ وأما قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قریش أننا
 أجدود في الإزم ، وأحزم^(١) في القدم ، وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك منتهياً
 حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذحول وقدم إليهم
 الخيول ، وخدمت أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
 مددتهم على نساءكم السجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما
 التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم يُنبِجْه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن
 الحصيد بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن شمشتك برائثته ونالتك مخالبيه ،
 وآيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بشقافها ، أو لتُصيحن منها صباح أيبك بوادي
 السباع ، وما كان أبوك المرهوب جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ بِيْرْحَانٍ فَرِيْسَةَ ضِيْعِمٍ ۝ فَقَضَقَضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَّأ

° ° °

ابن الزبير
ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع
 مروان ؛ فقال ابن الزبير : يا معاوية ، إن لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة
 وحرمة ؛ فأطبع الله نطعك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تطرق
 لإطراق الأفعوان في أصول السخبر .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذكر له مروان - فقال : إن يطلب
 هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛
 وما أراكم بمُسْتَهْيِينَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودة ،
 يسومكم خسفاً ويؤردكم تلفاً .

قال ابن الزبير : إذا والله نُطلق عقال الحرب بكتائب تمرور كرجل
 الجراد ، حافاتهما الأسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غطريفاً من قریش

(١) في بعض الأصول : وأمضى .

لم تكن أمته براعيةً ثلّة .
قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلتُ ذرّوة
السنام ، وشربت عنقوان المسكرع ، وليس للأكل بعدى إلا الفلذة ،
ولا للشارب إلا الرّثق .

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

وفد الحسن بن عليّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ،
إن الحسن لفهّ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عبوه وسقط
من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن ؛ ثم قال : أيها الناس ،
لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي . وإن أدري لعله
فتنة لكم ومتاع إلى حين . فسأه ذلك عمراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له :
أبا محمد ، أتصف الرطب ؟ فقال : أجل ، تلقحه الشمال وتخرجه الجنوب ،
وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الخراماة ؟ قال :
نعم ، تُبعد المشي في الأرض الصّحّصح حتى تنوارى من القوم ، ولا تستقبل
القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقمّة والرّمة - يريد الروث والعظم - ولا تبيل
في الماء الراكد .

ابن العاص
والحسن

١٥

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب .
فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا مانحن فيه ! فقال له مروان بن الحكم :
أذن له ؛ فإنّي أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم
قد ألهموا الكلام وأذن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب
إلى شاربك يا حسن ، ويقال إنّ ذلك من الخرق !

مروان والحسن
في مجلس معاوية

٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكننا معشر بني هاشم أفواها عذبة شفاهاها
ففساؤنا يقبلن علينا بأنفسهنّ وقبائلهنّ ؛ وأتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد ،
ففساؤكم يصرفن أفواههنّ وأنفاسهنّ عنكم إلى أصداعكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضع العذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء .
قال : وما هي ؟ قال : الغلبة . قال : أجل ، نُزعت الغلبة من نساتنا ووضعت
في رجالنا ، ونزعت الغلبة من رجالكم ووضعت في نساتكم ، فسا قام لاموية
إلا هاشمي ! فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتمكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم
عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم .

نخرج الحسن وهو يقول :

وما رَسْتُ هذا الدهر خمسين حِجَّةً . وخمساً أُرَجِّي قاتلاً بعد قاتل
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جَسِيمَهَا . ولا في الذي أهوى كدَحْتُ بَطائِل
وقد أشرعتُ في المَنايا أَكْفَهَا . وأيقنْتُ أني رهن موتٍ بعاجل

قال الحسن بن علي لحبيب بن مسleme الفهري : ربِّ مسير لك في غير

الحسن وحبيب
الفهري

طاعة الله ! قال : أما مسيري إلى أهلك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ،
ولو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله عز وجل : ﴿ خَلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿ بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحيى بن الحكم :

ابن جعفر وابن
الحكم في مجلس
عبد الملك

ما فعلتُ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتا في الدنيا وستختلفان في الآخرة ! قال يحيى : لأن
أموت بالشام أحبُّ إلي من أن أموت بها ! قال : اخترت جوار النصارى على
جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحيى : ما تقول في علي وعثمان ؟
قال : أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

قال معاوية يوماً وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو
ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

معاوية والضحاك
وابن العاص

قال الضحاك بن قيس : إكداء العاقل وإجداء الجاهل . وقال سعيد بن
العاص : أعجب الأشياء ما لم يُر مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء
غلبة من لاحق له ذا الحقّ على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطى
من لاحق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فيهم عمرو بن العاص ، وعبد الله
ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ؛ فقال عمرو : أحمد الله
يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضى على القذى ، ويتصام عن العوراء ،
ويجز ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمسنّا إليه الضر أو ديننا
إليه الحمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية :
يا معشر قريش ، حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم ؟ قال عبد الرحمن بن الحارث :
إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمراً لي
ناصر . قال عبد الرحمن : فأطعمنا مثل ما أطعمته ، وخذنا بمثل نصيحته ؛ إنا
رأيناك يا معاوية تضرب عوام قريش بأياديك في خواصها ، كأنك ترى أن بكرامها
جاروك دون لثامها ، وإنا والله لنفرغ من إناء فعم في إناء ضخم ، وكأنك بالحرب
قد حل عقابها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا ابن أخي ، ما أحوج أهلك
إليك ! فلا تفجعهم بنفسك ! ثم أنشد :

معاوية وقوم
من قريش

أعزّ رجالاً من قريش تتابعوا ه على سَفَه ، مِنى الحيا والتكرُم

٢٠

وقال معاوية لابن الزبير : تُتنازعي هذا الأمر كأنك أحق به مني ! قال :

معاوية وابن
الزبير

لم لا أكون أحق به منك يا معارية ، وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الإيمان واتبع الناس أباك على الكفر؟ قال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابه: فما أنت إلا تابع لي، ضالا كنت أو مهديا.

معاوية ومروان
وابن العاص في
الحسين

العبي قال: دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له: أشر على في الحسين. قال: تخرجه معك إلى الشام، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه. قال: أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رجليه! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص، فقال له: يا أبا عثمان، أشر على في الحسين. فقال: والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بعدك، وإنك لتخلف له قرنا إن صارعه ليصرعه، وإن سابقه ليسبقته؛ فذر الحسين منبت النخلة، يشرب من الماء، ويصعد في الهواء، ولا يبلغ إلى السماء! قال: فما غيبك عنى يوم صفين؟ قال: تحملت الحرم، وكفيت الحرم، وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبتك^(١)، ولو ثلثت لرقعتك! قال معاوية: يا أهل الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم.

مجاوبة بين بنى أمية

ابن سعيد وابن
عتبة في حفرة
معاوية

قال: لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وكان وليهم بعد الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، قال عمر بن سعيد لمعاوية: إن الوليد بن عتبة هو الذي أمر أهل المدينة بإخراجي؛ فأرسل إليه وتوثقه. فأرسل إليه معاوية، فلما دخل عليه قال له عمرو: أوليد، أنت أمرت بإخراجي؟ قال لا ورحمك أبا أمية، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أهلك؛ بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك، إلا أن تكون عصيت الله فيهم؟ إنك لتحل عري ملك شديدة عقدتها، وتمتري أخلاف فيقة سريعة درتها؛ وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسد مفسدا!

معاوية وخالد بن
عبد الله في
أموال العراق

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد،

(١) في بعض الاصول: لا طعنك.

وعند رجله أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ؛ لا ما فعل هذا - وأشار إلى خالد - استعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍ فاسق فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ! واستعملت هذا على خراسان - وأشار إلى أمية - فأهدى إلى رذونين حَطْمَيْن ، فإن استعملتكم ضيعتم وإن عزلتكم قلتكم استخف بنا وقطع أرحامنا ! فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلاً : سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزيناه ليزداد ودّاً إلى وده ، وأما المبغض المكاشح ، فإنما داريناه ضغنه وسلطانا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيك ؛ وإن هذا جَبِيّ الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال ! فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فأنى عمته أمية بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه يعرض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على التواضع ، فكحروا أمك ، وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليه . يعنى الكيمياء ، وكان يعملها .

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاهها عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشوا جبتك يا عمرو ؟ قال : أنا ! قال : قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللقاح درت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعجفتم أولادها .

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابن سليمان : بن عبد الملك كلام ، فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقل وإن شئت

خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو

عثمان وابن العاص
بعد عزله عن مصر

ابن لعمر بن
عبد العزيز وابن
سليمان

فأكثر؛ ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي إلا أن سليمان هو ولي عمر
ابن عبد العزيز .

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا عند هشام ،
فذكروا الوليد بن يزيد ، فحمقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه ؛ ودخل الوليد ،
فقال له العباس بن الوليد : كيف حبك للروميات ؟ قال : إن أباك كان
مشغولاً بهن . قال : إني لا أحبهن . [قال] : وكيف لا يُحبين وهن يلدن مثلك ؟
قال : آسكت ، فلست بالفحل يأتي عشبه بمثلي . قال له هشام : يا وليد ، ما شرابك ؟
قال : شرابك يا أمير المؤمنين . وقام بخرج ، فقال هشام : هذا الذي تزعمون
أنه أحق .

وقرب إلى الوليد بن يزيد فرسه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم
التفت إلى وليد لهشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثل هذا ؟
قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه في الجواب .

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت :
والله لا تزوجني أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى :
أما والله لقد تزوجت أسود أفوه ! قال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت
منك ! وكان عبد الملك ردى الفم ، يدمى فيقع عليه الذباب ، فسمى
أبا الذباب .

الجواب القاطع

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إني لأبغض هذه
الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ،
ولكن الأنصار والمهاجرون قتلوا أباك !

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ! قال له :
أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

ثابت بن عبد الله
وسعيد بن عثمان

عبد الملك ويحيى
ابن الحكم وبنت
عبد الرحمن بن
هشام

الحجاج وخارجي

وقال ابن الباهلي لعمر بن معديكرب : إن مُهرِك لمقرِف . قال : هجينٌ
عرف هجيناً مثله .

عمر بن
معديكرب
وباہلی

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عدداً ولاحصدنكم حصداً !
قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !

الحجاج وخارجية

وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا :
عاجلها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من
وزرائك يا حجاج ! قال لها : ومن صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم في موسى
فقالوا : أرجه وأخاه !

وأتى زيادُ برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين ؟

زياد وخارجي

قال أما الذي تسميه أمير المؤمنين فهو أمير المشركين ، وأما أنت فما أقول في
رجل أوله لزنبة وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت
ذلك ضرك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

الأشعث وشريح

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا بن الزنديق ! قال له :

ابن الفضل
وبعض قرابته

إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ؛ إذ كان
لا يرث دين ديناً .

وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها
الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من
لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

الحجاج وخارجية

لقى عثمان بن عفان علي بن أبي طالب ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت

عثمان وعلي

عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له علي : ليس لك عندي إلا
ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بجر ؟ قال : أخافك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبتُ !

قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضل قريشاً بثلاث : فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ، فنحن قومه ؛ وقال : ﴿ لَا يَلْفَافِ قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ ، وأتم قومه ؛ وقال : ﴿ وَمَلَأَ ضَرْبَ ابْنِ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وأتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿ بَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ، وأتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدنا لزدناك ! فأخذه .

وقال معاوية لرجل من النصارى : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَوْمِ ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والرد عليهم

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية . قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهي الأثى من الكلاب . قال : لا أم لك ! قال : أمي ولدتي للسيوف التي لقينك بها في أيدينا . قال : إنك تهددني ! قال : إنك لم تفتنحنا قسرا ولم تملكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقاً وأعطيتناك سمعا وطاعة ، فإن وفيت لنا وفيتنا لك ، وإن فرغت إلى غير ذلك ، فإننا تركنا ورامنا رجلا شادا وألسنة حدادا .

قال له معاوية : لا كثر الله في الناس أمثالك . قال جارية : قلُ معروفًا وراعنا ؛ فإن شر الدعاء المحتطَب .

عدد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم ترد الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبيّن جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددت فِترًا من غدر لنمُدَّن باعًا من ختر ؛ ولئن شئت لنستصفين كدرَ قلوبنا بصفو حملك . قال : فإني أفعل !

معاوية
والأحنف

قال معاوية لعدي بن حاتم : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف ؟ يعني أولاده ؛ قال : قتلوا ! قال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قُتِلَ بنوك معه وبقي له بنوه ! قال : لئن كان ذلك لقد قُتِلَ هو وبقيتُ أنا بعده ! قال له معاوية : ألم ترعِم أنه لا يُخنق في قتل عثمان عز ؛ قال : قد والله خُنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شم السيف ، فإن سلَّ السيف يسألُ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : اجعلها في كتابك فإنها حكمة .

معاوية وعدي

الشييباني عن أبي الجناح السكندى عن أبيه ، أن معاوية بن أبي سفيان بينما هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبًا ، فكان آخر كلامه أن لعن عليا ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إلى هذا القائل ما قال أنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقي ربّه ، وأفرِد في قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان والله - ما علنا - المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه ^(١) ، الميمون نقيبته ، العظيم مصيبتُه . فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت ما ترى ! وآيم الله لتصعدن المنبر فتلعننه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ، إن تعفني فهو خيرٌ لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاي أبدًا !

الأحنف وشاهي
لعن عليا

(١) في بعض الاصول : « ثوبه » .

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصنمك في القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصنمتني ؟ قال : أصعدُ المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلُّ على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلفا فافتتلا ، وادعى كلُّ واحد منهما أنه بُغِيَ عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوتُ فأقنوا رحمة الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ؛ وآلِ العنِ الفئةِ الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيرا ! أقنوا رحمة الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي ؛ فقال معاوية : إذا نُعِيتُك يا أبا بجر .

معاوية وعقيل
في أمر علي

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن علياً قد قطعك ووصلتُك ؛ ولا يرضيني منك إلا أن تلعه على المنبر ! قال : أفعل ، فأصعد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بني وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

الهيثم بن عدى قال : قال معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلاً ! قال : فكيف حبُّك له ؟ قال : حب أم موسى ، وإلى الله أشكو التقصير !

وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ! قال : نعم . قال : أنت من قنلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكني ممن حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبى بدمه نصره له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

كما قال الشاعر :

لأعرفنك بعد الموتِ تندُّبني هـ وفي حياتي ما زودتني زاداً

العقبى قال : صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولاني أمراً من أمره ، فوالله ما غششتُه ولا خنتُه ثم ولاني الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ؛ فأحسنن والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ؛ فمن كان يجهلني فإني أعرفه بنفسى . فقام إليه سلهة بن الخطل العرجي ؛ فقال : أنصفت يا معاوية وما كنت منصفاً . قال فغضب معاوية وقال : ما أنت وذاك يا أحذب ؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهيجة ، وبطنب تيس ، وبطنب بهمة ، بفنائه أعز عشر ، يحتلبن في مثل فوارة حافر العير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذلك في شر زماننا إلينا ، ووالله إن حشوه يومئذ لحسب غير دنس ؛ فهل رأيتني يا معاوية أكلت مالا حراماً أو قتلت امرأة مسلماً ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا في خمر ؟ وأى مسلم يعجز عنك فتمتله ؟ أم أى مال تقوى عليه فأكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا تراني . قال إلى أبعاد الأرض لا إلى أقربها . فضى ، ثم قال معاوية : ردوه علي ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك يا أحذب ، والله لقد بررت في قرابتك ، وأسليت فحسُن إسلامك ، وإن أباك لسيد قومك ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

معاوية وابن الخطل

الأوزاعي قال : دخل خريم الناعم على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أي ساقين . لو أنهما على جارية . قال في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

معاوية وخريم الناعم

دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أما وجدت لك أمك أسماً إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتَه يا أمير المؤمنين ، ألا سميتني باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

عبد الملك وعطاء

قال معاوية لضحار بن العباس العبدى : يا أزرق . قال : البازى أزرق . قال :

معاوية وضحار

يا أحمـر . قال : الذهب أحمـر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : شئٌ
يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد . قال : فما البلاغة عنـدكم ؟
قال : أن نقول فلا نخطف ، ونجيب فلا نبطئ .

ابن عامر وابن
حازم

وقال عبد الله بن عامر بن كـريز لعبد الله بن حازم يابن عـجلى . قال : ذاك اسمها .

قال : يابن السوداء . قال : ذاك لونـها . قال : يابن الأمة . قال : كل أثنى أمة فاقصد
بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإماء قد ولدنك .

عبد الملك وابن
ظبيان

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :
ما هذا الذى يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لانشبه أباك
قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على
من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمـام ،
ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمى سويد بن منجوف .
وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه ولد لستة أشهر .

هشام وزيد
ابن على

دخل زيد بن على بن هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا يقعد فيه ؛ فعلم أن
ذلك فعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد
يا أمر مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله ، ولا يصغر
دون تقوى الله . قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛
إنك ابن أمة . قال : زيد : أما قولك إنى أحدثت نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله ؛ وأما قولك إنى ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة
من صلبه خير البشر محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أخرج من صلبه
القردة والخسازير وعبد الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا ترانى إلا حيث
تكـره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا دَل . قال له حاجبه :
لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

١٥

٢٠

وقال زيد بن على :

شردّه الخوف وأزرى به . كذاك من يكره حرّ الجلاذ

مُخْتَفِي الرَّجُلَيْنِ يَشْكُو الْوَجَا . تَقَرَّعُهُ أَطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادًا
 قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ . وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ
 ثُمَّ خَرَجَ بِخِرَاسَانَ ، فَقَتَلَ وَصَلَبَ فِي كِنَاسَةٍ . وَفِيهِ يَقُولُ سُدَيْفُ بْنُ مَيْمُونٍ
 فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ :

وَأَذْكُرُوا مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا . وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ
 يَرِيدُ حَمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْمَقْتُولِ بِأَحَدٍ .

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ عَلِيِّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؛ فَقَالَ : زُبَيْرِيُّ . وَاللَّهِ
 لَا يَجِبُكَ قَلْبِي أَبَدًا . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَجْزَعُ مِنَ الْحُبِّ النِّسَاءُ ، وَلَكِنْ
 عَدْلٌ وَإِنصَافٌ .

عبد الملك
ورجل من قيس

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي مَرْثَمِ الْخَنْفِيِّ قَاتِلِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ : وَاللَّهِ لَا يَجِبُكَ
 قَلْبِي أَبَدًا حَتَّى تَحُبَّ الْأَرْضَ الدَّمِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ تَمْنَعُنِي لِذَلِكَ حَقًّا ؟
 قَالَ : لَا . قَالَ : فَخُسْبِي .

عمر بن الخطاب
وأبو مرثم

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَسْلَمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : عَلَى أَمْرِي أَوْطَأُكَ
 رَسَنَهُ وَسَلَطُكَ عَلَى الْأُمَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ مَدْبُورِعِي
 وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ مَقْبُولِ عَلَى لِعَظْمِ فِي عَيْنِكَ مَا اسْتَصْغَرْتَ مِنِّي . قَالَ : أَتَظُنُّ
 الْحِجَابَ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ أَمْ هُوَ يَهْوَى فِيهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْحِجَابَ
 يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْدِيكَ ، وَأَخِيكَ فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شِئْتَ .

سليمان ويزيد
ابن أبي مسلم

وَقَالَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ لَزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ : بَلِّغْنِي أَنْ كُنْتُ دَعَّيْكَ . قَالَ :
 لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَتَّقِي رَهْبَةً وَلَا يَدَّعِي رَغْبَةً .

مروان وزفر

قَالَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ لِلْحَسَنِ بْنِ دُلْجَةَ : إِنِّي أَظُنُّكَ أَحْمَقَ . قَالَ : [أَحْمَقٌ] مَا يَكُونُ
 الشَّيْخَ إِذَا عَمِلَ بَظَنَّهُ .

مروان وابن
دلجة

وَقَالَ مَرْوَانَ لِحَوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَكَانَ كَبِيرًا مُسَنَّأً : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، تَأَخَّرَ
 إِسْلَامُكَ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَاثُ . فَقَالَ : اللَّهُ الْمَسْتَعَانُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ بِالْإِسْلَامِ

مروان
وحويطب

غير مرة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول : يضع من قدرك أن تترك دين آباءك لدين محدث ، وتصير تابعا فسكت مروان .

عبد الملك وثابت
ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ما كان أعلم بك حيث كان يشتمك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يشتمني أنى كنت أنهاه أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لا ينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه حتى سيرهم - يعرض بالحكم بن أبي العاص طريد النبي صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة
من على

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من عليّ ؛ فقال له رجل من بني تميم : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال : هذا رجل فاستوص به .

معاوية
والأنصار

قال معاوية يوما : يا معشر الأنصار ، بئتم تطلبون ما عندي ؛ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا معى على ، ولقد فلتتم حدى يوم صيفين حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم ، ولقد هجوتموني [فى أسلافى] بأشد من وخز الأسل ، حتى إذا أقام الله منّا ما حاولتم ميئله ، قلت آرع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . هيات . يا أبى الحقيق العذرة .

فأجابه قيس بن سعد ، قال أما قولك جئناك نطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافي به الله ماسواه ، لا بما نمت إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ، فعلى كره منا كان ؛ وأما فلنا حدك يوم صيفين ، فأمرنا لاعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كفتها عنك ؛ وأما هجاؤنا إياك ، فقول يثبت حقه ويزول باطله ؛ وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن بها يحفظها من بعده ؛ وأما قولك يا أبى الحقيق العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا ؛ فدونك أمرك يا معاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قُبْرَةٍ بمَعْمَرٍ هـ خَلَّالِكَ الْجَوْ فَبِيضَى وَأَصْفِرَى

- وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا
وفي حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذي تحالفتما عليه أعزُّ منكما .
- مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففتروا
وثبت ابن الزبير : قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم
فأخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسَّع لك .
- وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقتت عينك ؟ قال : يوم
قتل أبوك ، وهربت عن خالتك ، وأنا للحق ناصر ، وأنت له خاذل . وكان
فقتت عينه يوم الجمل .
- وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ؟ قال : نعم ،
ولكن منابرهم الجدوع .
- كان المسور بن مخرمة جليلا نبيلًا ، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب
الخمر : فبلغه ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلدَه الحدَّ ، ففعل ، فقال
المسور في ذلك :
- أيشربها صرْفًا يفض ختامها • أبو خالدٍ ويجلِّد الحدَّ مسورُ
- قال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول :
- قاضي يرى الحدَّ في الزَّناء ولا • يرى على من يلوط من بآس
قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :
- لا أحسبُ الجورَ ينقضى وعلى الـ * أامةٍ والـ من آل عباس
قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُنقى إلى السند . وإنما مزحنا معك .
- قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع : أنشدني قولك في الخمر :
- كُميت إذا سُجَّت ، وفي الكأس وردة • لها في عظام الشاربين ديبُ
تريك القَدَى من دونها وهي دونه • لوجه أخيها في الإناء قطوب
فأنشده ؛ فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ! قال عدي : والله

سليمان وابن
المهلبعمر بن الخطاب
وعبد الله بن الزبيرعبد الله بن الزبير
وعدي بن حاتمالرشيد وابن
مزيديزيد بن معاوية
والمسورالمأمون وابن
أكرمسليمان وابن
الرقاع

يا أمير المؤمنين ، لئن رابك وُصفي لها قد رابني معرفتك بها ! ففضاحكا
وأخذنا في الحديث .

الاصمعي قال : لما ولي بلال بن أبي بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :
بلال وخالد بن صفوان

* سخابة صيفٍ عن قليل تقشعُ *

فبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القائل ؟

* سخابة صيفٍ عن قليل تقشع ؟ *

أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ! فضربه مائة سوط .

وكان خالد يأتي بلالا في ولايته ، ويغشاه في سلطانه ، ويغتابه إذا غاب عنه ،
ويقول ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر .
وأبو الزرد رجل مفلس .

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله
القسري بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرض به :

إن ها هنا رجلا يُداينون في أموالهم ، فإذا فنيت يداينون في أعراضهم ! فعلم
القرشي أنه يعرض به : فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجلا تكون أموالهم
أكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم : ورجالا تكون مروءاتهم أكثر
من أموالهم ، فإذا نفدت اذانوا على سعة ما عند الله ! فنجل خالد وقال :
أما إنك منهم ما علمت .

كان شريك القاضي يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي فحمل الربيعُ

المهدي عليه ، فدخل شريك يوما على المهدي ، فقال له المهدي : بلغني أنك
وُلدت في قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك

عزيرة ، قال : إني لأراك فاطميا خبيثا ! قال : والله إني لأحب فاطمة وأبا فاطمة .

صلى الله عليه وسلم : قال : وأنا والله أحبهما : ولكني رأيتك في منامى مصروفا

وجهك عنى ، وما ذاك إلا لبغضك لنا : وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق ! قال :

يا أمير المؤمنين : إن الدماء لا تسفك بالأحلام : وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك بأبي زنديق ، فإنَّ للزنادقة علامة يُعرفون بها .
قال : وما هي ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ،
وأنت خير من الذي حملني عليك .

عمر بن الخطاب
وإبن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت
سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطنني الإمام ولا حملني البغايا في عُبرات المآلى !
قال عمر : والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص
في الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرُقها . وقام عمر فدخل ،
فقال عمرو : لقد فُحش علينا أمير المؤمنين !

وتزعم الرواة أنَّ قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أُنثاء لم يُر
مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يُرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشت وفي صحنها قدور
أشتات تُرتقى بالسلام ؛ فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعله الرقاشي قد
أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة : ائذن لي في كلامه . فقال : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله
إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يضعف ، وكان قد تسور حائطا إلى امرأة
قبل ذلك ؛ فأقبل على الحضين فقال : أمن الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ قال :
أجل ، ضعف عمك عن تسور الحيطان ! قال : رأيت هذه القدور ؟ قال :
هي أعظم من أن لا تُرى . قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها . قال :
أجل ، ولا عيلان ؛ ولو كان رآها سُمى شعبان ، ولم يسمَّ عيلان ! قال له عبد الله :
أتعرف الذي يقول :

بين عبد الله بن
مسلم والحضين
إبن المنذر

عزلنا وأمرنا ، وبكر بن وائل * تجرُّ حُصاها تبغى من تحالف

قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وخيبة من يخيب على غيِّه * وباهلة بن يعصمر والرباب

يريد : يا خيبة من يخيب .

قال : أتعرف الذى يقول :

كأنَّ فِقَاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مَسْمَعٍ . إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بنِ وائِلِ

قال : نعم ، وأعرف الذى يقول :

قَوْمٌ قَتِيْبَةٌ أُمَّهُمْ وَأَبُوهُمْ . لَوْلَا قَتِيْبَةٌ أَصْبَحُوا فى بَجْهِلِ

٥ قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه

الأكثر : ﴿ هل أتى على الإنسان حيناً من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ . قال :

فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أن امرأة الحَضِينِ حُمِلَتْ إليه وهى حبلى من

غيره ! قال : فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رسله : وما يكون ؟

تلد غلاماً على فراشى فيقال فلان بن الحَضِينِ ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل

١٠ قتيبة على عبد الله فقال : لا يبعد الله غيرك !

والحَضِينِ هذا هو الحَضِينِ بن منذر الرقاشى ، ورقاش أمهم ، وهو من

بنى شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء على بن أبى طالب رضى الله تعالى

عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول على بن أبى طالب :

لَمَنْ رَايَةَ سِوْدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا * إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حَضِينٌ تَقَدَّمَا

١٥ يقدِّمها فى الصَّفِّ حتى يُزَيِّرَهَا * حِيَاضُ المَنَايَا تَنْفَطِرُ السُّمَّ وَالدِّمَا

جزى الله عنى والجزاء بفضله * ربيعة خيراً ما أعف وأكرماً

ابن الجارود
وابن العاس

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أى رجل أنت لو لم تكن

أنتك ! من هى ؟ قال : أحمد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، فجعلت أنقلها

فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس ببال .

ابن صفوان
ودارى

٢٠ قال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من

قريش - فقال له خالد : لقد هسمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ،

وجحمتك جُمح ، وسهمتك سهم ؛ فأنت ابنُ عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ،

وتغلقها إذا فتحت .

جواب في هزل

- كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة ، جدى يوضع على مائدته ،
فحضره أعرابي ، فمد يده إلى الجدى وجعل يسرع فيه ؛ فقال له المغيرة : إنك لتأكله
بحرٍ كأن أمه نطحتك ! قال : وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .
- المغيرة وأعرابي
يؤكله
- كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن
عنبسة بن سعيد بن العاص ، أحمر الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم : هذا
ابن عنبسة قد أقبل فى زينة قارون ! قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن :
ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا
ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجبتُه ! قال : وما تخاف من غضبه ؟
قال : بلغنى أن الدجال يخرج من غضبه يغضبها . وكان إبراهيم أعور ! قال إبراهيم
لولا أن له عندى يداً عظيمة لأجبتُه ! قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له
بمديّة فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لا يدخل عليه بملوك إلا قال له : أنت
حرٌّ ! فدخلت عليه عائداً له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لى : أنت حرٌّ ! قلت له :
أنا إبراهيم ! قال لى : أنت حرٌّ ، فضحك هشام حتى استلقى .
- ابن عنبسة
وإبراهيم فى
حضرة هشام
- قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبي صيفى بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة
خمرًا بالبقيع ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أعزفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهمى
لك ! لكن أخبرنى عن الفريعة أى أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ،
كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى ، فقيل لها : يا فريعة ، لم تطلقين وأنت
جميلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيق الله عليهم ... !
- ابن حسان وعطاء
بنو بنى
- ولقى رجل من قریش كان به وضح جارية من بدر وكان مغرمًا بالشراب ؛ فقال
لها : أشعرتِ أنه بُعث نبيٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لانصدق به حتى
يبرى الآكمه والأبرص !
- جارية وقرنى
- دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فسلم تسليمًا جافيًا ، فأدناه زياد وأجلسه
- الزبرقان وزياد

معه ؛ ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جنائك ! قال : ولم ضحكوا ؟
 فوالله إن منهم رجل إلا ودأ أنى أبوه دون أبيه ، لغيته كان أو لرشدة !
 دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال :
 يا أبا فراس ، أتدرى ممَّ يضحكون ؟ قال : لا أدري . قال : من جنائك . قال :
 أصلح الله الأمير ، حججتُ فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة آخذة
 بمنزله وهو يقول :

أَنْتَ وَهَبْتَ زَائِدًا وَمِزِيدًا ۝ وَكَهْلَةً أَوْلِجَ فِيهَا الْأَجْرَدَا ۝

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : بمن الرجل ؟ قال : من الأشعريين . فأنا
 أجنى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا نعلمت منك .

اجتمع كوسج مع رجل مُسَبِل ، فقال المسبل : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ
 يَا ذَنْ رِبِهِ ، وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَسِئًا ﴾ ! قال الكوسج : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي
 الْخَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ ﴾ !

مر مسلة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة : فقال
 الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينه بك . قال له مسلة : لو رآك أبوك آدم
 لأذهب سخنة عينه بك قرّة عينه بي . وكان مسلة من أحضر الناس جوابا .

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمشى معه ؛ فقال إبراهيم : إن الناس
 إذا رأونا فالوا : أعور وأعمش ! قال : وما عليك أن يأتمروا وتؤجروا ؟ قال :
 وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال :
 لسيد الحى يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لى : الحق أغضبك . قلت :
 أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع .

أدخل مالك بن أسماء السجن ، سجن الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة
 فاتكأ عليه المرى يحدّثه ؛ ثم قال : أندري كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في

ابن أسماء في
 سجن الكوفة

مسلة
 وموسوس

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام ! قال : ومن قتلنا منكم في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتنى بنتن إبنيك !

نميرقة في يوم ربح مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ربح ، فقال رجل منهم : إنها لرثحاء ! قالت : والله يا بني نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقال الشاعر :

فَعُضَّ الطَّرْفَ لِأَنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

قيل لشريح : أيهما أطيبُ : الجوزنيق أم اللوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب .

هشام بن القاسم قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : مَنْ

الكهل ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلت : لا ! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس

قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت :

لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعلُه النساءُ عندنا يتشبهون به كهَيْتة السويق . قال :

أَلْحَدَ لَهِ الَّذِي جَعَلَنِي فِي بَطُونِ نَسَائِكُمْ يَتَشَبَهُونَ بِي !

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي : زوجني امرأة من كلب . فزوجه ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء

كلب خُلِقن لرجال كلب .

١٥

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلك أكلٌ معدّي قال :

هيات ، تأتي ذلك قضاة .

عمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال

أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامك . وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطان

الطاق : لكن إمامك من المُنظَرين إلى يوم الوقت المعلوم ! فضحك المهدي من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

٢٠

العتيبي قال : حدثني أبي لما افتتح النجير ، وهي مدينة باليمن : سمع رجلاً من

كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كندة سعة ! فقال له : إن نساء كندة

مكاحل فقدت مَراودها .

- لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق
ابن صفوان
والفرزدق
دميماً : فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذي ﴿لما رأينهُ أكبرنهُ وقطعنَ أيديهنَّ﴾
قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : ﴿يا أبتِ أستأجرهُ إن
خيرَ منِ أستأجرتَ القويَّ الأمينَ﴾ .
- ٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشتري : أما والله لقد أخذتها
كثيرةً المثونة قليلة المعونة . قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع
سريعة الافتراق !
- واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها : لو صبرت لا اشتريت منك
الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لا اشتريت منك
الذراع بدرهم ! ١٠
- وكان بارقة رجل يحدث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة :
كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبي موسى
الأشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص .
- وقال رجل للشعبي : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاحُ
لشعبي
ما شهدناه ! ١٥
- ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة ؛ فقال : أيكما الشعبي ؟ قال
الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .
- كان معن بن زائدة ظليماً في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار
من معن بن زائدة
وكتب إليه : قد بعثنا إليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دينك ؛ فأقبض
المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعثتُ به ديني
٢٠
خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !
- بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة الممرور ، فلما أتى قال : أتدرى
ابن أبي بردة
والممرور
لم بعثت إليك ؟ قال لا أدري . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قال : لقد
ضحك أحد الحكمين من صاحبه - يعرض له بجمده أبي موسى - ففضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب .
فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأتى به في يوم سبت وفي كفه طرائف أتحف بها
في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هذا الذي في كحك ؟ قال : من طرائف الحبس .
قال : ناولني منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ ! يعرض
بعمّة كانت له من اليهود .

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضی الله عنها فأشدها :

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزْنُ بِرَبِيَّةٍ ۝ وَتُصْبِحُ غُرَّتِي مِنَ الْحُومِ الْغَوَائِلِ

قالت له : لكنك لست كذلك ! وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

نظر رجل من الأزدي إلى هلال بن الأحوز حين قدم من قنديل وقد

حسان وعائشة

ابن الأحوز
وأزدي

أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى .
فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضدّ : عيسى كان يحيي الموتى ،
وذا يميت الأحياء .

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف
عليه كل يوم في حلقة ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ! من حلق لحيتك ؟
فلما أبرمتها قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقتها في جزّة واحدة ، وأنت تحلقينها
في كل يوم .

ربيعة وبعض
النساء

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بجمص في يوم مطر ، عليه طيلسان
وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدت ثوبك أبا عبد الله !
قال : وما يضرّك ؟ قال : وددت أنك وهو في النار ! قال : وما ينفعك ؟

سعيد بن هشام
وبعض الرجال

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان
متوكئاً على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجلٌ على ديني . فقال
له حصين بن المنذر الرقائبي : فهو إذا منافق ! قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين !
قال له حصين : إذا يقتلك .

الحجاج وابن
ظبيان

خالد بن يزيد
والحجاج

ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ، فر الحجاج بخالد
ابن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف محلي وهو يخطر
متبخترا في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التخطارة ؟ فقال خالد :
بخ بخ ! هذا عمرو بن العاص ! فسمعه الحجاج ، فقال إليه فقال : قلت : هذا
عمرو بن العاص ، والله ما سرني أن العاص ولدني ولا ولدته ، ولكن إن شئت
أخبرتكم من أنا ! أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، والذي
ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر ، حتى
أقروا أنه خليفة ! ثم ولي وهو يقول : هذا عمرو بن العاص .

وهب بن منبه
ولهبي

قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن منبه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من
اليمن . قال : فما فعلت أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ،
وأممك حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد !

وقال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم
يرجع إليكم .

يزيد بن منصور
وابن مزيد

نظر يزيد بن منصور خال المهدي إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو
يسحبه ، فقال : ليس عليك عزله ، فاستحب وجرا ! قال له : على آباتك عزله
وعلى سحبه ! فشكاه إلى المهدي ، فقال : لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد
ابن مزيد !

أبو يقظان وابن
حاتم

دخل أبو يقظان القيسي على يزيد بن حاتم وهو والي مصر وعنده هاشم بن
حديج ، فقال له يزيد : حرّكه ! وعلى أبي يقظان حلة وشي وكساء خز ، فقال له
هشام : الحمد لله أبا يقظان ، لبستم الوشي بعد العباء ! قال : أجل ، تحوكون
ونلبس ، فلا عدتم هذا منا ، ولا عدنا هذا منكم .

الفرزدق
وعبد الجبار

كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سلمى المجاشعي يستمديه جارية وهو بعمان
فكتب إليه :

كتبت إلى تسهدي الجوارى ه لقد أنعظت من بلدٍ بعيد !

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحة الجنة في منامي ، فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لي : للعرب ! قال له رجل من الموالي : أصعدت العُرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمياً — لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبا جعفر ، لقد صرت حجةً لفتياننا علينا : إذا نهيناهم عن الملاهي قالوا : هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرت حجةً لصبياننا علينا : إذا لمناهم في ترك المكتب قالوا : هذا أبو صفوان سيد بني جمع لا يقرأ آية ولا يحطها .

ابن صفوان
وابن جعفر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي إليك حاجة ! قال : بحاجة أفضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لي دورك وضياحك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصلتك رحيم ! فسل حاجتك . قال : حاجتي إليك أن تردها علي يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت !

معاوية وابن عامر

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لي إليك حاجة ! قال : وأنا لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها ؟ قال : نعم . فلبس توثق منه قول : فإن حاجتي إليك أن لا تسألني حاجة .

ثمامة وبعض
الرجال

جواب في نخر

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالي قريش : آقض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتم أحد في البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكي على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيد وحربُ شاهد لم يُبك عليه .

عمرو بن سعيد
وخالد بن يزيد
في حضرة
عبد الملك

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبع البيت — يريد الركن

الأبرش وخالد
ابن صفوان

- اليمني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ! فقال خالد بن صفوان :
 منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل ! قال الأبرش :
 لا فاخرتُ مُضَرِّياً بعدك .
- ونزل بأبي العباس قومٌ من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده
 ٥ بقديهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال :
 أخوال أمير المؤمنين . قال لا بد أن تقول . قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ، وما أقول
 لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم
 هدهد ، وغرقتهم فأرة ؟
 فلم يقم بعدها ليمني قائمة .
- قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من
 ١٠ قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر . فقال له :
 لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .
- دخل عمر بن عبّيد الله بن معمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه حبرة صدّآء
 عليها أثر الحمام ، فقال له أمة بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أيُّ
 ١٥ رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ! قال : ما أحب أني من غير
 من أنا منه ؛ إن منا لسيد الناس في الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس
 في الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدي عندك . إني استنقذت أمهات
 أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالى ، فولدن في حجابك .
- قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة
 ٢٠ على السواء لعلمت . قال معاوية : إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان ، منزلي
 الأبطح ينشق عنى سَيْلُه ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه
 مدرّة ، وأسفله عذرة .
- تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا
 ابن صفية . قال عثمان : هي أذنتك من الظل ، ولولا ذلك لكنت ضاحياً .

هشام وقوم من
اليمن

الحجاج
وعبد الملك

عبد الرحمن بن
خالد ومعاوية

الزبير وعثمان

- ٥ قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : يا هذا ، إنك تتناول بهاشم كأنك جمعها ، وهي تعد في أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضل واحدا .
- زيد ومعاوية نخر مولى زياد بزياد عند معاوية ؛ فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني .
- الأحوس ومخزومي وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصاري : أتعرف الذي يقول : ذهبت قريش بالمكارم كلها . والذل تحت عمائم الأنصاري ؟ قال : لا ، ولكني أعرف الذي يقول :
- الناسُ كَنُوءُ أباحمٍ . واللهُ كَنَاهُ أبا جهلٍ
أبقتُ رياسته لِأُسرته . لُوئمَ الفروعُ ورِقَّةَ الأصلِ
- ١٠ قريش وقيس سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشي : لا أثر لكم بيطحاء مكة . قال القيسي : آثارنا في أكفاف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة ؛ فأما مكة فسوائها العاكف فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأخمه .
- الأشعث وشريح قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشدت ما ارتفعت . قال : فهل ضرك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .
- سليمان بن يزيد ابن المهلب قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذي تحالفنا عليه أعز منكنا .
- ٢٠ أعتبة وأعرابي قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلِقَانٌ وعمامة قد كورها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي . فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقها ؛ فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مذحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أو من مرادها الأطينين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فمن أيها ؟
 قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بنى زيد . قال : فأختم عتبة حتى
 وضع قلفسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، بمن
 أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فمن بيت نُبوتها ، أو من بيت مملكتها ؟
 قال : إني من ريحانتيها بنى مخزوم . قال : والله لو تدرى لم سُميت بنو مخزوم
 ريحانة قريش ، ماخرت بها أبداً ؛ إنما سميت ريحانة قريش لخور رجالها ولين
 نساءها ! قال عتبة : والله لانازع أعرابياً بعدك أبداً .

وضع فيروز بن حصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ،
 فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربناك فما انتصرت ، وممننا
 عليك فما شكرت .

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراد مالك ؛ فأرسل إلى
 بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظبيان ؛ فأتى عبيد الله فقال :
 يا أبا مسمع ، ما منعك أن ترسل إليّ ؟ قال : يا أبا مطر ، ما في كنانتي سهم أنا أوثق
 به مني بك . قال : وإني لفي كنانتك ؟ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطولتها ،
 ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقتها .

نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شرفك قبرٌ
 يتستر . قال شقيق : لكن وضعك قبر بالمشقر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
 جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبجه كلهم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
 الكلاب ، وأراد مالك قبر بجزءة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد بتستر مع
 أبي موسى الأشعري .

قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح : أي رجل أنت لو كانت أخوالك من
 غير سلول . فبادل بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت وجنبتني
 باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبي دؤاد

قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الواثق : أضوى ،
أى اسكت ، بالنبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطى ، ولا بدعى . قال له :
ليس فوقك أحد يفضلك ، ولادونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطرَح في الحالين جميعا .

ابن أبي دؤاد
وابن الزيات

دخول أحمد بن أبي دؤاد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك فاسدت هذا الرجل
يعنى محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبي دؤاد
أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

هو وأشناس

قال أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الواثق : فقال : ما زال قوم اليوم في
ثلبك ونقصك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم
والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فإله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين
من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه ، ولا ذل من كنت ناصره ؛ فماذا قلت
لهم يا أمير المؤمنين ؟ : قال أبا عبد الله .

هو والواثق

وسعى إلى بعيب عزة نسوة . جعل المليك خدودهن نعالها

وقال أبو العيناء الهاشمى : قلت لابن أبي دؤاد : إن قوما تضافروا على . قال :
﴿ يدُ الله فوق أيديهم ﴾ قلت : إنهم جماعة . قال : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
ياذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ قلت : إن لهم مكرأ . قال : ﴿ ولا يحقُّ المكرُّ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال :
ما يرى ابن أبي دؤاد إلا أن القرآن إنما أنزل عليه .

هو وأبو العيناء

جواب فى تفحش

خطب خالد بن عبد الله القسرى فقال : يا أهل البادية ، ما أحسن بلدكم ،
وأغلظ معاشكم ، وأجفى أخلاقكم ؛ لا تشهدون جمعة ، ولا تجالسون عالما . فقام
إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وغلظ طعامنا فهو
كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضرة فيكم ثلاث خصال هى شر من كل ما ذكرت .

خالد القسرى
وبدوى

قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون
الذكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها ؛
فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم بجيء ويذهب ويأمر وينهى في
الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ! قال (إنا لله وإنا إليه راجعون)
أما وجدت من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا
عبد الله ، لو استدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظم في عينك .

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الأمامة لرائض دواب زوجها في طريق
مكة : ما وجدت عملاً شراً من عمالك ؛ إنما كنت بك باستك ! فقال لها ! جعلت
فداك ! ما بين ما أكنسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : وبلي
عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ؛ فقاتهم ركضاً .

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي ؛ وددت
والله أن بني تميم جميعاً في جوفى ؛ على أن يضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ
في ناحية المجلس ، حرمازي من بني تميم : ما هذا ، يكفيك من ذاك كمرّة حمارية
تملاً بها استك إلى لهاتك !

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس فقال : أصابنا سنة
ولى بضع عشرة بنتاً ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفيحة من حديد ؛ وأما البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك
بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابي ملياً
ثم قال : ما أدري ما أقول لك ، ولكني أراك قبيح المنظر ، لثيم الخبث ؛ فأعضك
الله بيطور أمهات هؤلاء الجلوس حولك .

وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله
أن الأرض حصاء لا تنبت شيئاً ! قال : ذلك أيدس ليحجر أمك في استيها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزُرعة بن ضمرة الضمري : إني لو أدركتك

موسى بن مصعب
وامرأة

بنت الملامة
ورائض خيل

يونس النحوي
وأزدي

بين أعرابيين

٥

١٠

١٥

٢٠

يوم الأهواز لقطعت منك طابقا شحيا ، قال : أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذي بين إيسكيتي أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقئت عينك ؟ قال يوم طعنيتك في استك وأنت مؤل .

- وقال الفرزدق : ما عييتُ بجواب أحدٍ قطُّ ما عييت بجواب امرأة وصبي ونبطي ؛ فأما المرأة فإني ذهبت ببيغلتى أسقيها في النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزت البغلة حبقت ؛ فاستضحك النسوة ، فقلت لهن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملتني أثنى قط إلا فعلتُ مثلها ! فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرة ، فقد حملتك في بطنها تسعة أشهر ! فما وجدتُ لها جواباً . وأما الصبي ، فإني كنت أنشد بجامع البصرة ، وفي حلقتي الكميث بن زيد وهو صبي ، فأعجبني حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُني ؟ قال لي : حسن ! قلت : فسرك أني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أريد به بديلا ، ولكن وددت أن تكون أُمي ! قلت : استرها علي يا ابن أخي ، فما لقيت مثلها . وأما النبطي ، فإني لقيت نبطيا ييثر ، فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلت : نعم . قال : فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلني الله في حِرِّ آم الفرزدق ، من رجلى إلى عنقي ! قلت : ويحك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

للفرزدق

- ولقي جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتل عنى مسألة ؟ قال : أحتملها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أي شيء أحبُّ إليك يتقدمك الخيرُ أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن أكون معه في قران . قال : هات مسألتك . قال له الفرزدق : أي شيء أحبُّ إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يد رجل على حِرِّها قال : قاتلك الله ! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك .

بن جرير
والفرزدق

٢٠

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو
 الفرزدق ومسجد
 الأحامرة
 المزرد الخنفي ، فقال له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن ، ولا يكون
 ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدري ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفیه ؛ فإن لم
 تندضب أخبرتك . قال : فإني لا أغضب . فقال : حِرِّ أمك : لم تكن له أسنان ،
 ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ؛
 الفرزدق وابن
 عفراء
 فقال له ابن عفراء وهو بالمريد : ما شيء أحبُّ إليَّ من أن آتي كلَّ شيءٍ تكرهه !
 قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كلَّ شيءٍ أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإني أكره
 أن تأتي أمك فأتمها .

ضاف رجلٌ قبيح الوجه ذنوب الحسب ، أبا عبد الله الجُمَاز ؛ فجعل يفخر
 بين الجماز
 وضيف
 بيته ؛ فقال له الجماز : اسكت ، فقباحة وجهك ، ودناءة لفظك ^(١) ، يمنعاننا من
 سبِّك ! فأبى إلا التماذى في اللجاج ؛ فقال له الجماز :

لو كنتَ ذا عَرِضٍ هَجَوْنَاكَ • أو حَسَنَ الوَجْهِ لِنَسْكُنَاكَ
 جَمَعْتَ مَعَ قُبْحِكَ لَوْ مَا فَلَإِ • قُبُوحِ أَوْ اللُّؤْمِ تَرَكْنَاكَ !

(١) في بعض الاصول : « ودنو حسبك » .

كِتَابُ الْوَاسِطَةِ فِي الْخُطْبِ

فرش الكتاب

قال أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين
 الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله
 وتوفيقه في الخطب التي ينتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ،
 ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها في موااسمهم ، وقامت بها على رهوس
 خلفائهم ؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصلواتهم ، وخوطب بها
 العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني .

١٠. اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك
 موضع يلبق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله
 عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء
 الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر
 بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطري بن
 الفجاءة في ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظير ، منقطعة القرن ؛ وخطبة أبي حمزة
 التي سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ،
 وردد فيها المرتاب ، ثم نسمح بصدور من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛
 لمعرفتهم ببدء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشي الخزومي : من أخطب

عبد الملك
 وابن سلمة

٢٠. الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام . يعني روح بن زنباع ، قال :

ثم من ؟ قال : أخيفش ثفيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين !
وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثرُوا : والله لأرؤمَنَّكم بالخطيب
المصقع . قم يا زياد !

وقال محمد كاتب المهدي - وكان شاعراً راوية ، وطالبا للنحو علامة - قال :
سمعت أبادواد يقول - وجرى شيء من ذكر الخطب وتجبير الكلام - فقال :
تلخيص المعاني رفيق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية
نقص ، والنظر في عيوب الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني
عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الذرْبة ، وحلها
الإعراب . وبهاؤها تخيّر اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .
وأُنشدني بيتاً له في خطباء إباد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة ه وحى الملاحظ خيفة الرقباء
وأُنشدني في عي الخطيب واستعانته بمسح العُشون وقتل الأصابع :
مليء بيهر وأنفات وسُعلة ه ومسحة عُشون وقتل الأصابع

مر بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب ، وهو يعلم
فتيانهم الخطابة : فوقف بشر يستمع ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ،
أو يكون رجلاً من النظارة ؛ فقال بشر : أضربوا عما قال صفحاً ، وأطوا عنه
كشعاً . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقة وتجبيره ، فيها :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك
الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى
في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف ،
ومعنى بديع ؛ واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكذ
والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن
يكون مقبولاً قصداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ، وكما خرج من يذبوعه ونجم

بشر بن المعتمر
وابن جبلة

- من معدنه ؛ وإياك والتوعر ، فإن التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما ؛ فكن في ثلاثة منازل : فأول ذلك أن يكون لفظك رشيماً عذباً ، أو فخماً سهلاً ؛ ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، وإقاعند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإقاعند العامة إن كنت للعامة أردت ؛ والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ؛ وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال ؛ وكذلك اللفظ العامي والخاصي ؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ، ولطف مداخلك ، وقدرتك في نفسك - أن تُفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلتطف عن الدهماء ، ولا تجفوا عن الأكفاء ، فانت البليغ التام .

١٥

فقال له إبراهيم بن جبلة : جعلتُ فداك ، أنا أحوج إلى تعلبي هذا الكلام من هؤلاء الغلبة .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حجة الوداع

- ٢٠ إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللَّ فلا هاديَّ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و [أشهد] أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحشاكم على طاعة الله ، وأستفتح
بالذي هو خير .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم
بعد عامي هذا في موقفي هذا ! أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ،
إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل
بلغت ، اللهم أشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي أتمننه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية
موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب : وإن دماء
الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد
قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو
من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي
أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً
ويحرمونه عاماً ليؤاخطوا عتة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض ، وإن عتة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في
كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ،
وواحد فرد : ذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى
وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم أشهد !

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً : لكم عليهن
أن لا يؤطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تسكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ،
ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن
في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ؛ فإن اتتهن وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ،
أخذتموهن بأمانة الله ، وأستحللتن فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله في النساء
واستوصوا بهن خيرا [الأهل بلغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لأمريئٍ مال أخيه إلا عن طيب
نفسه . الأهل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم
أعناق بعض ؛ فأني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا [بعده] كتاب الله
وأهل بيتي ، الأهل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب ،
أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . الأهل
بلغت ؛ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لو ارث
وصية في أكثر من الثلث ؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر ؛ من دُعِيَ إلى غير
أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله
منه صرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبي بكر

١٥

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على
رسلك . ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ،
وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمتهم
رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلمنا قبلكم ، وقدّمنا في القرآن عليكم ،
فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
أتبعوهم بإحسان ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفناء ، وأنصارنا على العدو ؛ آوئتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ،

٢٠

فجن الأمراء، وأتم الوزراء، لاتدين العرب إلا لهذا الخي من قريش، فلا تنفسوا
على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حقٍ
فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسددوني ؛ أطيعوني ما أطعتُ الله
فيكم ، وإذا عصيْتُهُ فلا طاعة لي عليكم . ألا إن أقوامك عندي الضعيف حتى
آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ! أقول قولي هذا
وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة

والسلام ، قال :

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوک !

فرفع الناس رُءوسهم ، فقال :

مالکم أيها الناس ؟ إنکم لَطعانون عَجَلون ، إن من الملوک من إذا مَلَک

زَهده الله فيما بيده ، ورَغِبَ فيما بيد غيره ، واننقصه شَطْرَ أَجله ، وأشرب قلبه

الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، ويسأم الرخاء وتنقطع

عنده لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسکن إلى اثقة ، فهو كالدرهم القبي ،

والسراب الحامد ، جذيل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ، ونضب

عُمره ، وضحا ظله ، حاسبه الله ، فأشد حسابه ، وأقل عفوه . ألا وإن الفقراء

هم المرحومون ! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم

وإنکم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدی مُلکا عضوا ،

وملکا عنودا ، وأمة شعاعا ، ودما مباحا ؛ فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق

جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن

واعتصموا بالطاعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ،

أى بلاد خَرَسَنَة إن الله سيفتح لکم أقصاها كما فتح علیکم أَدناها .

وخطب أيضا فقال :

- الحمد لله ، أحمدده وأستعينه ، وأستغفره وأؤمن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يعز من يشاء ويُذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - إلى الناس كافة ، رحمة لهم وحبطة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون : فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ .

- أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، ١٥ من يكذب يفجر ، ومن يفجر يهلك ، وإياكم والفرج ؛ وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود ، هو اليوم حي وغداً ميت ! فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى ، وما أشكل عليكم فردوا عليه إلى الله ، وقدهوا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحضراً ، فإنه قال عز وجل : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحضراً وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويُحذركم الله نفسه ، والله رءوفٌ بالعباد ﴾ فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرها وكبيرها ، إلا ما غفر الله ، إنه غفورٌ رحيم ، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ إن الله ودلائيكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليت على أحد من خلقك ؛ وزكنا بالصلاة عليه ، وأحقتنا به ، واحشرننا في زمرة ، وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك ، وانصرنا على عدوك .

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُتَنُوا عليه بما هو أهله ، وأن تَخْلُطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ ثم أعلموا عباد الله أن الله قد آرتهم بحقه أنفسهم ، وأخذ على ذلك موثيقكم ، وعوضكم بالقليل الغاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تنفى عجائبه ، ولا يُطفأ نوره ، فثَقُّوا بقوله ، وانتصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، ووَكَل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ثم أعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِبَ عنكم علمه ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضى الآجال [إلا] وأتم في عمل الله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله - فسابقوا في مهل بأعمالكم ، قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوحي الوحي والنجاء النجاء ؛ فإن وراكم طالبا حثيثا مره ، سريعا سيره .

خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبا بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذا بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المسال فليأتني ؛ فإن الله جعلني له خازنا وقاسما ؛ إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطمين ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ،
ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومنّ رجلٌ إلا منّا راحلته . إني
قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي ، فابتليتُ بكم وابتليتم بي ، وإني لن يحضرنّني من أموركم
شيءٌ فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسننّ إليهم ، ولئن
أساءوا لأنكئنّ بهم .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ، ورحمنا بنبيه صلى الله
عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ،
ونصرنا على عدونا ، ومكّن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ؛ فاحدوا
الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدقكم الوعد
بالنصر على من خالفكم ؛ وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة ، فقلبا كفر قوم
بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزّهم وسلّط عليهم عدوهم .

أيها الناس : إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها وأظهر فلاحها ونصرها
وشرفها ، فاحدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه : جعلنا الله وإياكم
من الشاكرين .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس ؛ تعلموا القرآن [تعرفوا به] ، واعملوا به تكونوا من أهله ؛
واعلموا أنه لم يبلغ من حق مخلوق أن يطاع في معصية الخالق [ألا وإني أنزلت
نفسى من مال الله بمنزلة والى اليقيم ، وإن استغنيتُ عَقَفْتُ ، وإن افتقرتُ أكلت
بالمعروف ، تقرّم البهمة الأعرابية] ، القضم دون الخضم .

وخطبة له أيضا :

أيها الناس ؛ إنه قد أتى على زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن [إنما]
تريدون به الله عز وجل وما عنده ؛ [ألا وإنه قد] تحيل إلى أن قوما قرءوه

إذ ينزل الوحي وإذا رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحي
 وذهب النبي، وإنما نعرفكم بما أقول لكم؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً
 وأحبهنا عليه، ومن رأينا منه شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم
 وبين ربكم؛ ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسُلتكم، ولا أبعثهم
 ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم؛ ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إلى،
 ٥ فوالذي نفسي بيده لا أقصنكم منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت أن بعثت عاملاً من
 شما لك فأدب رجلاً من رعيتك فضربه، أتقصه منه؟
 قال: نعم، والذي نفسي بيده لا أقصنه منه؛ فقد رأيت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه.
 ١٠

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم، وأمروا
 بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم
 على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال: هو موضعي ولي أن أحكم
 فيه، فإن أخذوا على يده سلم وسلبوا، وإن تركوه هلك وهلكوا معه! وهذا
 ١٥ مثل ضربته لكم. رحمتنا الله وإياكم.

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله:

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، استغفروا ربكم إنه كان غفارا، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك
 اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبار رجائه، فإنك تقول وقولك
 الحق ﴿وأما الجدار فكان لِعِلامين يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
 ٢٠ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾؛ فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه؛ اللهم
 آغفر لنا إنك كنت غفارا، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة
 بمضيعة، اللهم قد ضرع الصنير ورق الكبر وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم

السِّرِّ وأخفى : اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئا لك ياساقى الحرمين .

وخطب إذ ولي الخلافة :

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إني داعٍ فآمنوا : اللهم إني غليظٌ فليسنني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلمٍ مني لهم ، ولا اعتداء عليهم : اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدر الآخرة : اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين : اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك : اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات : اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت : إنك على كل شئ قدير .

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم أفاك .

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرة ، ولا تجعلني من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضى الله عنه

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أرتج عليه ؛ فقال :

٥ أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

١٠ خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يدعين مدع إلا على نفسه ، شغل من الجنة والنار أمامه . ساع تجا ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : [ثلاثة : واثان] : ملك طار بجناحيه ، ونبي أخذ الله بيده ، لا سادس . هلك من ادعى ، وردى من اقتحم . اليمين والشمال مصلة ، والوسطى

١٥ والجادة : منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة ؛ إن الله داوى هذه الأمة بدوامين : السوط والسيف ، فلا هوادة عند الإمام فيهما ، استتروا بيوتكم ،

وأصلحوا ذات بينكم : فالموت من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمدين . أما إني لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله

عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، ويلاه ! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ! انظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتم

٢٠ فأزوروا . حق وباطل ، ولكل أهل ؛ ولئن أمر الباطل لقديم فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ؛ ولقلما أدبر شئ . فأقبل ؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ،

وإني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

ألا إن الأبرار عترتي ، وأطايب أرومتي ، أحلم الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت من علم الله علينا وبحكم الله حكمتنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهمتدوا ببصائرنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معناراية الحق ، من تبعها الحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن

وبنا تلخ ربة الذل من أعناقكم ، وبنا فُتح وبنا يختم .

وخطبة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله ، أين التعب بالليل والنهار ، المقتحم للبحر ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدق بالرواح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيتته ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، ووافي القيامة محسورا :

أيها اللاهي الغاز بنفسه ، كأنى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بدىلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ، ولا يرحم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤدبك إلى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية ! أين من سمى واجتهد ؛ وجمع وعدد ، وبني وشيّد ؛ وزخرف وتجد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتع ؛ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؛ أضجرا رفاتا ! تحت الثرى أمواتا ، وأتم بكأسهم شاربون ، ولسبيلهم سالكون .

عباد الله ! فاتقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذى تسير فيه الجبال ، وتشقق السماء بالانفام ، وتطير الكتب عن الايمان والشمائل ؛ فأى رجل بومئذ تراك ؛ أقاتل هاؤم اقرء واكتابه ! أم : ياليتنى لم أوت كتابيه انسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعدة كتاب الله الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجبه على جميع خلقه ، الذي
٥ ناصية كل شيء بيده ، ومصير كل شيء إليه ، القوي في سلطانه ، اللطيف في
جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ،
ومستخرم بمشيئته ، وفي العهد ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛
أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكل
المتسلم لقدرته ، المنبرى من الحول والقوة إليه ؛ وأشهد شهادة لا يشوبها شك
١٠ أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة
ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن وكبره
تكبيراً ، وهو على كل شيء قدير ، قطع ادعاء المدعى بقوله عز وجل :
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ؛ وأشهد أن محمداً صلى الله عليه
وسلم صفوته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمراً ،
١٥ وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق داعياً ؛ على حين فترة من الرسل ، وضلالة
من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تم به الوحى ،
وأنذر به أهل الأرض .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى
كل نجاة ؛ فكأنكم بالجثث قد زابلتها أرواحها ، وتضمنتها أجدائها ، فلن
٢٠ يستقبل معتم منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله ، وإنما دنياكم
كفيء الظل أوزاد الراكب ؛ وأحذركم دعاء العزيز الجبار عبده ، يوم
تعنى آثاره ، وتوحش منه دياره ، ويبتئ صغاره ، ثم يصير إلى حفير من
الأرض ، متعفراً على خذته ، غير موسد ولا مهد ؛ أسأل الذي وعدنا
على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويحبنا نعمته ، ويهب لنا رحمته . إن أبلغ

الحديث كتاب الله . *الحديث كتاب الله .*

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمحل اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ؛ فمن أخلص فى أيام أمه قبل حضور أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أمه ؛ ومن قصر فى أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمه ؛ ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبا ، ولم أر كالنار نام هاربا ؛ [ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى] ؛ ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي على الأنبار فى خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٥

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النصف ؛ ألا وإنى دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، سرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكتم وتحاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه وراكم ظهريا ؛ حتى شئت عليكم الغارات ؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى ؛ وأزال خيلكم عن مسالحها ؛ وقتل منكم رجلا صالحين ، وقد بلغت أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيزعج حجلها وقلبها ورعاها ، ثم انصرفوا وافرین ما كلم رجل منهم ؛ فلو أن

٢٠

رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندى ملوما ، بل كان به عندى
 جديرا : فواجباً من جد هؤلاء فى باطلهم وفشلهم عن حقيكم ؛ فقبحاً لكم وترحا
 حين صرتم غرضاً يُرمى ؛ يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تُغزون ،
 ويُعصى الله وترضون ؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم فى أيام الحز ، قلتهم : حمارة
 القبط ؛ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحز ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى فى الشتاء ،
 قلتهم : [صبارة القز] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القز ! كل هذا فراراً من الحز
 والقز ؛ فأتتم والله من السيف أفر ! يا أشباه الرجال ولا رجال ! ويا أحلام
 أطفال وعقول ربات الحجال ! وددت أن الله أخرجنى من بين أظهركم ، وقبضى
 إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ! معرفة والله جرت وهنا ! [لقد
 ملأتم قلبى قبحاً] ووريتم والله صدرى غيظاً ، وجرعتمونى الموت أنفاساً ،
 وأفسدتم على رأى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبى طالب
 شجاع ولكن لا علم له بالحرب ! لله أبوه ! وهل منهم أحد أشد لها مراساً وأطول
 تجربة منى ؟ لقد مارسها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد نيفت على الستين ،
 ولكن لا رأى لمن لا يُطاع !

وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال : ١٥

أيها الناس المجتمععة أبدانهم ، المخلفة أهواؤهم ! كلامكم يوهى الصم
 الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم : تقولون فى المجالس كيت وكيت ؛ فإذا
 جاء القتال قلتهم : [حيدى] حياذ ما عرت دعوة من دعاكم ؛ ولا استراح قلب
 من قاساكم ؛ أعاليل بأباطيل ؛ وسألتمونى التأخير ؛ دفاع ذى الدّين الممطول ؛
 ألا [لا] يدفع الضيم الذليل ، ولا يُدرك الحق إلا بالجد . أى دار بعد داركم
 تمنعون ؟ أم مع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غرّتموه ؛ ومن
 فاز بكم فاز بالسهم الأخييب ! أصبحت والله لا أصدق قولكم ؛ ولا أطمع
 فى نصرتكم ؛ فزق الله بينى وبينكم ، وأعقبى بكم من هو خير لى منكم !
 وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فراس بن غنم ، صرف

الدينار بالدرهم ! له به ربحه ثلاثة آلاف درهم ، قال له عليه السلام : والله ما كنت أرى

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن
رضي الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر
المرسلين ، أما بعد : فإن الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ،
والناس في اختلاف ، والعرب بشرّ المازل ، مستضيئون للشاءات بعضهم على
بعض ، فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به
السبل ، وحقق به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المحشنة
للصدور : ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ،

١٠ كريماً عند ربه نُزله : فيالها مصيبة عمّت المسلمين ، وخصّت الأقرين : وولى
أبو بكر ، فسار بسيرة رضيها المسلمون : ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبي بكر
رضي الله عنهما : ثم ولى عثمان ، فقال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كان من
أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقتلتم لي : بايعنا ! فقلت لكم :
لا أفعل ! وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتم كفي فجذبتموها ، وقلتم :

١٥ لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ! وتدا ككتم على تداكك الإبل الميم
على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض :
فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم ما لبنا أن استأذنانا للعمرة فسارا
إلى البصرة فقتلنا بها المسلمين وفعلا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست
بدون واحد من مضي ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعاً قرابتي ،
٢٠ ونكثا بيعتي ، وألبا على عدوي : اللهم فلا تُحکم لهما ما أبرما ، وأرهما المسامة
فيما عملا وأملا !

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة
للتسليم على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فإني لجالس تحت منبره ، وعليه
عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فن دعا إليها فاقتلوه وإن كان

تحت عمامي هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه .
وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ما ندرى ما نضنع بك ؟ وقام إليه
رجل أحدب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتنبى عنها اليوم ، فأنت
كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

٥ أَصْبَحْتُ أَذْكَرُ أَرْحَامًا وَأَصِيرَةٌ هـ بَدَلْتُ مِنْهَا هَوِيَّ الرِّيحِ بِالْقَصَبِ

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ،
حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكنت الوثقى
التي لا تقلع ، ولكن بمن ؟ وإلى من ؟ [أريد أن] أداوى بكم [وأتم دأى] ؛

إنى والله بكم كنا قش الشوكة بالشوكة ، ياليت لى بعض قومى وليت لى من بعد
خير قومى ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكان ، اللهم سلط

١٥ عليهما بحرك ، وازع منهما بصرك ؛ ويل للزعة يا أشتان الركي ! [أين الذين]
دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشمر فأحكموه

وهيجوا إلى الجهاد فولهوا [ولَه] اللماح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف
أعمادها ضرباً ضرباً ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحماً زحماً ، لا يتباشرون

١٥ بالأحياء ، ولا يُعزَّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولَئِكَ إِخْوَانِي آلِذَاهِبُونَ هـ فَحَقُّ الْبُكَاءِ لَهُمْ أَنْ يَطْبِئَا

رُزِقْتُ حَبِيبًا عَلَى فَاقِيَةٍ هـ وَفَارَقْتُ بَعْدَ حَبِيبٍ حَبِيبًا !

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه ! فقال :
نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقومهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر

٢٥ الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شىء كان ولا من

شىء خلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ،

- فليست له صفة تنال ، ولا حدٌ يضرب له فيه الأمثال ، كلٌّ دون صفته تحبيرٌ اللغات ، وضلت هناك تصاريُف الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون عليه جوامعُ التفسير ، وحالت دون غيبه حُجُبٌ تاهت في أدنى دنوِّها طامحاتُ العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعدُ الهمم ، ولا يناله غوصُ الفطن ؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود ، وسبحان الذي ليس له أولٌ مُبتدأ ، ولا غايةٌ منتهى ، ولا آخرٌ يفنى ؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعمته ؛ أحاط بالاشياء كلها عليه وأتقنها صنعُه ، وذلَّلها أمره ، وأحصاها حفظُه ؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى ، ولا مكنونُ ظلم الدجى ، ولا مافي السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحدُ الصمد الذي لم تغيِّره ظروف الأزمان ، ولا يتكاده صنعُ شيء منها كان ؛ قال لما شاء أن يكون : كن ! فكان ؛ آبتدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛ وكل عالم من بعد جهلٍ يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالاشياء كلها علماً ، ولم يزد بتجربتها خُبراً ؛ عليه بها قبل كونها كعمله بها بعد تكويناها ؛ لم يكنونها لتسديد سلطان ، ولا خوف زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند مكاث ، ولكن خلاق مرهوبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذي لا يُثوده خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما عليم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاءً مُتَقَن ، وعلم محكم ، وأمرٌ مُبرَم ، توحد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ، واستخلص المجد والسناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فأنفرد بالتوحيد ، وتوحد بالتعجيد ؛ بجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ؛ فليس له فيما خلق يدٌ ، ولا فيما ملك ضد ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث للأبد الذي لا يبديد ولا ينفد ، ملك السموات العلى ، والأرضين السفلى ، ثم دنا

فعلا . وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله رب العالمين ؛
 ثم إن الله تبارك وتعالى - سبحانه وبحمده - خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
 صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وحيه ، وخزنة له على أمره ،
 إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أنبياء ، مهديين
 نجباء ؛ آستودعهم وأقرهم فى خير مستقر ، تناخضهم أكارم الأصلاح ، إلى
 مطهرات الأمهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف ، حتى انتهت
 نبوة الله وأفضت كرامته إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
 محتدأ ، وأكرم المغارس منبتا ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكرمة
 من الشجرة التى صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، معتدلة
 العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يانعة الثمار ، كريمة
 المحتنى ، فى كريم نبتت ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتعت ، حتى أكرمه
 الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، فختم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
 [وجعله] خليفته على عباده ، وأمينه فى بلاده ؛ زينه بالتقوى وآثار الذكرى ؛
 وهو إمام من اتقى ، ونصر من آهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وزند برق لمعه ،
 وشهاب سطع نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، وأستنارت به البلاد ؛ وطوى به
 الأحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صاحته الملائكة ، وأذعنت له
 الألسنة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فصل ،
 وحكمه عدل ؛ فصعد صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
 دعوته ؛ وأظهر فى خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلق] بالربوبية ،
 وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم نخص محمدًا بالذكر المحمود . والحوض
 المورد . اللهم آت محمدًا الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل فى المصطفين محلته ،
 وفى الأعلين درجته ، وشرف بنيانه وعظم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
 حوضه ، واحشرنا فى زمرة ، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين

- ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين : اللهم أعط محمداً من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم أتمه : حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكاناً ، ولا أحظى عندك منزلة ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقاً - ولا شفاعة ، من محمد : واجمع بيننا وبينه في ظل العيش ، وبرد الرّوح ، وقرّة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة النعيم : فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة . وجاهد في سبيلك . وأوذى في جنبك ولم يخف لومة لائم في دينك . وعبدك حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين : اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام : بلغ محمداً منا السلام : اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .
- وخطبته الزهراء :

- الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليّه ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارع إليه ، وكل شيء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكأنت دونه الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضى في الأمور غيره ، ولا يتم شيء منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم سلطانه ؛ تسبح له السموات العلى ، ومن في الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحوّل والقوة ، يقضى بعلمه ويعفو بحلمه ؛ قوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف وعز كل ذليل ، وولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، وكاشف كل كربة المظلم على كل خفية ، المحصي كل سريرة ، يعلم ما تكن الصدور ، وما ترخى عليه الستور ؛ الرحيم بخلقّه ، الرؤوف بعباده ؛ من تكلم منهم سمع كلامه ، ومن سكت منهم علم ما في نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رزقه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛ أحاط بكل شيء علمه وأحصى كل شيء حفظه ، اللهم لك الحمد عدد ما تحي

وُئيت ، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح
 وتحمله السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم -
 حمداً لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده : اللهم أنت قبل كل شيء ، وإليك مصير
 كل شيء ، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كل شيء ، وأنت وارث كل
 شيء ، أحاط عليك بكل شيء ، وليس يُعجزك شيء ، ولا يتواري عنك شيء ،
 ولا يقدر أحد قدرتك ، ولا يشكرك أحد حق شكري ، ولا تهتدى العقول
 لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدك ؛ حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك
 عين فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت . لا نعلم اللهم كيف عظمتك ، غير أنا
 نعلم أنك حتى قيوم ، لا تأخذك سِنَّةٌ ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدرِكْكَ
 بصر ، ولا يقدر قدرتك ملكٌ ولا بشر ؛ أدركت الأبصار ، وكنمت الآجال ،
 وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصي والأقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة
 ملأت كل شيء عظمة ، فلا يُردُّ ما أردت ، ولا يعطى ما منعت ، ولا ينقص
 سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك ؛ كل سرٍّ عندك علمه ،
 وكل غيب عندك شاهده ؛ فلم يستتر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتُك
 على ما تقضى ، كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف
 وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات ؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد ،
 لا منجى إلا إليك ؛ بيدك ناصية كل دابة ، وبإذنك تسقط كل ورقة ؛ لا يعزب
 عنك مثقال ذرة ؛ أنت الحي القيوم ؛ سبحانه ! ما أعظم ما يرى من خلقك !
 وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما أقلهما فيما غاب عنا منه ! وما أسيغ نعمتك
 في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة ! وما أشد عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في
 عقوبة الآخرة ! وما الذي نرى من خلقك ، ونعتبر من قدرتك . ونصف من
 سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصرت أبصارنا عنه وكانت عقولنا دونه ، وحالات
 الغيوب بيننا وبينه ، فمن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقت عرشك ، وكيف
 ذرات خلقك ، وكيف علقت في الهواء سمواتك ، وكيف مددت أرضك - يرجع

- طرفه حاسراً، وعقله مهوراً، وسمعه والهيا، وفكره متحيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطرت الخلق، ولا أحد حضرك حين ذرأت النفوس، فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملا قلوبهم، من رعدٍ تفرع له القلوب، وبرقٍ يخطف الأبصار،
- ٥ وملائكة خلقهم وأسكنتهم سمواتك، وليست فيهم فترة، ولا عدم غفلة، ولا بهم معصية؛ هم أعلمُ خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومهم بطاعتك، ليس يغشاهم نومُ العيون، ولا سهوُ العقول؛ لم يسكنوا الأضلاب؛ ولم تضمهم الأرحام؛ أنشأتهم إنشاءً، وأسكنتهم سمواتك، وأكرمهم بجوارك، واتممتهم على وحيك، وجنتهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتهم من الذنوب؛ فلولا
- ١٠ تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يشبوا، ولولا رهبتك لم يطيعوا، ولولاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكاتبتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك - لو يعانون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فسبحانك خالقا ومعبودا ومحمودا، بحسن بلائك عند خلقك! أنت خلقت ما دبرته
- ١٥ مطعما ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعي أجبنا، ولا فيما رغبنا فيه رغبنا، ولا إلى ما شوقنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضنا على بعض حرصاً لما يرى بعضنا من بعض، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على جبا، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بأذان غير سميعة، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت
- ٢٠ أقبلوا إليها، وقد عاينوا المأخوذين على العزة كيف فجأتهم الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون؛ فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة الفوت وحسرة الموت؛ فاعترت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباههم، وشخصت أبصارهم، وبردت أطرافهم،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدهم لبين أهله ، ينظر ببصره ، ويسمعُ بأذنه ؛
ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت
عند ذلك حجته ، وعان هول أمرٍ كان مغطى عليه فأحد لذلك بصره ؛ ثم زاد
الموتُ في جده حتى بلغت نفسه الخلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقاً
لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكباً ؛ فنزعوا ثيابه وخاتمه ، ثم وضنوه وضوه
الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً في أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ،
فدلوه في حفرة ، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير ،
مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مشواه حتى يبلى جسده ويصير تراباً ؛ حتى إذا
بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاء أمر من خالقه ، أراد به
تجديد خلقه - أمر بصوت من سمواته فسارت السموات مورا ، وفزع من فيها ،
وبقي ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلق رفات لا يشعرون
فأرج أرضهم وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالها ونسفها وسيرها ، ودك بعضها بعضاً
من هيئته وجلاله ، وأخرج من فيها فجددهم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرقهم ، يريد أن
يخصيهم ويميزهم ، فريقا في ثوابه ، وفريقا في عقابه ، فخلد الأمر لأبده ، دائما خيره
وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن
يجازى هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجواره ، وحلول داره ،
وعيش رغد ، وخلود أبد ، ومجاورة للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ،
حيث لا ظعن ولا تغيير ؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛
ولا تشخصهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فخلدهم في النار ، وأوثق منهم الأقدام
وغلّ منهم الأيدي إلى الاعتاق ؛ في لب قد اشتد حره ، ونار مطبقة على أهلها
لا يدخل عليهم بها روح ، همهم شديد ، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضي ،
ولا أجل للقوم ينتهى .

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد
غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذي قام به عرشك وكرسيك وسمواتك

وأرضك ، وبه ابتدعتَ خلقك — الصلاة على محمد ، والنجاة من النار برحمتك ، آمين ؛ إنك وليُّ كريم .

- وخطب أيضا فقال : أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها لم تظفروا بمثلها : ألا لايرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ٥
ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له ؛ ولا خير في قرارة إلا بتدبير ولا في عبادة إلا بتفكير ، ولا في حلم إلا بعلم ؛ ألا أنبشكم بالعالم كل العالم ؛ من لم يزين لعباد الله معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكره ، ولم يؤيسهم من روجه . لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضى الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا ١٠
على خير هذه الأمة عذاب الله ؛ فإنه يقول : ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ؛ ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله ، فإنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون .

• • •

- ومن كلامه رضوان الله عليه : قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ١٥
ثم قال :

يا أنصار المرأة وأصحاب البيمة ارضا فأجبتهم وعقرَ فهربتم ؛ دخلت شر بلاد [أقربها من الماء ، و] أبعداها من السماء . بها يغيض كل ماء ، ولها شر أسماء ؛ هي البصرة ، والبصرة ، والمؤتفة ، وتدر . أين ابن عباس ؟ فدُعيت . فقال لي : ٢٠
مر هذه المرأة فليترجع إلى بيتها الذي أمرت أن تقر فيه .

وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكيم :

زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ . سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَشْتَمُرُ

وَأَجْعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَتِ الْمُنْتَشِرِ

خطب معاوية

قال القحذمي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله مارذ عليهم شيئاً حتى صعد المنبر : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسبني هذا مجالدة ، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ؛ وأردتها مثل ثنديات^(١) عثمان ، فأبت عليّ ؛ فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة : مؤالفة حسنة ، ومشاركة جميلة ؛ فإن لم تجدونني خيراً كم فإني خير لكم ولاية ؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشني به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له ذبراً أذني وتحت قدمي ؛ وإن لم تجدونني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه ، فإن أتاكم مني خيراً فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عتني ، وإذا قلّ أغنى ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضاً لمعاوية

حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون) . ولست واسعاً كل الناس ؛ فإن كانت محمداً فلا بد من مدمة ، فلوناً هوئناً إذا ذكر غيري ؛ وإياكم والتي إن أخفيت أوبقت ، وإن ذكرت أوثقت . ثم نزل .

(١) في بعض الاصول : وعلى مسنيات .

وخطبة أيضا لمعاوية

- صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :
- يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق ؛ يعيبون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعة نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ماوراءنا شرٌّ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكراً زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرثق خير من الفتق ، وفي كلِّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

وخطبة لمعاوية أيضا

- قال العتيبي : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
- ١٠ إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ . قومهوا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

- قال ابن دأب : لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره ، فجعل يتصدى له بخلوة ليسبر من رأيه ماكره أن يُشرك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلاب وإشغال الخاصة واقتران العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه ، فغظن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفح
- ٢٠ وجوه القوم ، ثم قال :

صريح العقوق مكاتمة الأذنين ، لا خير في اختصاص وإن وفرّ ، أحمد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللاواء ، وأستهديه من عمى مجهد ، وأستعينه على
عدو مرصد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنتقذ بالأمين الصادق من شقاء هاوٍ ،
ومن غواية غاوٍ ، وصلوات الله على الزكي ، نبي الرحمة ، ونذير الأمة ، وقائد
الهدى ؛ أما بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظن فرع ، وفزع صدع ،
حتى طمع السحيق ، ويئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلهم متحفر
للعداوة ، وقد قلص الإزرة ، وشمر عن عطافه ، ليقول : مضى زياد بما
استلحق به ، وولّى على الدنيا من مُستلحقه . فليت أمير المؤمنين سلم في دَعته ،
وأسلم زياداً في ضَعته ، فكان رب عاقته ، وواحد رعيتته ، فلا تشخص إليه
عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلق عليه ألسن كَلَمته حيا ونبشته ميتا ؛ فإن
تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك
زياد بجذ هصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائم الشرس ، وذلت صعبة
الاشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المتبع ، وتقهر
بهما البزيع ، حتى مضى والله يغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحقٍ فأنزلنا منازل
الأقربين ، فإن لنا بعده ما كان له ، بدالة الرحم ، وقرابة الحميم ؛ فقالنا يا أمير المؤمنين
نمشي الضراء ونذب الخفاء ، ولنا من خيرك أكمله ، وعليك من حوبنا أثقله ،
وقد شهد القوم ، وما ساءنى قريهم ليُقرّوا حقاً ، ويردّوا باطلا ؛ فإن للحق مناراً
واضحاً ، وسبيلاً قصداً ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمرئك شئت ، فما نأرز إلى غير
جُحرنا ، ولا نستكثر بغير حقتنا ، وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفّحهم باحظه رجلا
رجلا وهو متبسم ، ثم أتجه تلقاءه وعقد جبوته وحسر عن يده وجعل يومي بها
نحوه ، ثم قال معاوية : *يا أمير المؤمنين : هذا الذي كنت...*

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل
شئ خاضع له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق
أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصدق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أما بعد ، فرب خير مستور ، وشر
مذكور ، وما هو إلا السهم الأخبب لمن طار به ، والحظ المرغب لمن فاز به ،
ففيهما التفاضل ، وفيهما التغابن ، وقد صفقت يداي في أيبك صفقة ذى الخلة
من ضوارع الفُصْلان ، عامل اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميت به
إلا انتصل ، ولا انتضيته إلا غلَّق جفنه ، وزلت شفرته ، ولا قلت إلا عاند ،
ولا قلت إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بختره ، ودل على حقه ،
وقد كنت رأيت في أيبك رأيا حضره الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ مني
بخط الغفلة ، وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأقار بالسوء ؛ فما برحت أهانة
أيبك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكك المبرم . وانحل عقد الوداد . فيا لها
توبة توتنتف من حوبة أورثت ندما أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليهنأ
الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أيبك جدا وجسورا : هما أوفيا به على
شرف التقم . وغمط النعمة ؛ فدعهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ،
وبهما مشيت الضراء وديبت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فأنت تجل الدغل ، وعثرة
النغل ؛ والأخر شر .

١٥ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك
زيد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التنظي ، ولا تغيّرهما التهم ، وأهلوه
أهلوك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فسافرت به الركببان ، وسمعت به
أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتحجر يا أمير المؤمنين
ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

٢٥ فأنحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نفس عليه ببيعته ، وطعن
في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ؛ يا لرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبدّهم
يزيد وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخي ، إنى لأعرف بك من أيبك ،
وكأنى بك في غمرة لا يخطوها السابح ؛ فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقا .

نخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أياما ، حتى رَمَى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرّي ، والضحاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغنا عنى يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فمتعهده : وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزّل عامل في كل يوم فاعزله عنهم ، وإن عزّل عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدرى علام أنت تمليه منهم : ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدوّ ريبٍ فارميه بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن علي ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقذه الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذّل أخاه وأما ابن الزبير فإنه حَبَّ صَبَب ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

ومات معاوية ؛ فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :

إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ومحلون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتة حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول :

أصير يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ . وأشكرُ حِبَاءَ الذي بالملكِ حاباكا

لارزءَ أعظمُ في الأقوامِ قد علّوا * مِمَّا رُزِمَتْ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا

أصبحتَ راعيَ أهلِ الدينِ كُلهِمُ . فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا

وفي معاوية الباقي لنا خلفاً . أما نُعَيْبٌ فلا يُسْمَعُ بِمَنْعَاكَ

قال فانفتح الخطباء بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من

قريش يتباشرون بموتك ! قال : ويحك ! لم ؟ فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم
وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فِيهِ الْحَسَنُ
مَسِيئًا ، ويزداد الظالم فِيهِ عُتُورًا ، لا ننتفع بما علينا ، ولا نسأل عما جهلنا ،
ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنع

١٠ من الفساد في الأرض إلا مهانةً لنفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره ؛ ومنهم
المصلت لسيفه ، المجلب برجله ، المعلن بشره ؛ قد أشرط نفسه ، وأوبق دينه ؛
لحطام ينتزه ، أو مقنب يقوده ، أو منبر يفرعه ؛ ولبئس المنجر أن تراهما لنفسك
ثمنا ، وبما لك عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب
الآخرة بعمل الدنيا ؛ قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوره ، وشمر عن ثوبه ،

١٥ وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن

طلب الملك ضُتُولَةً لنفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أملة ؛ فتحلى
باسم القناعة ، وتزياً بلباس الزهادة ؛ وليس من ذلك في مراح ولا مغدى ؛ وبقى
رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ؛ فهم بين
شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكت مكعوم ، وداع مخاص ، وموجع ثكلان ؛

٢٠ قد أخلتهم التَّقِيَّةُ ، وشملتهم الذلَّةُ ؛ فهم في بحر أجاج ؛ أفواهم ضامزة ، وقلوبهم
قرحة ؛ قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ؛ وقيلوا حتى قلوا ؛ فلتسكن
الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرظ ، وقراضة الجلودين ؛ واتعظوا بمن كان
قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، وآرفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان
أشغف بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض
ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبلاً من حبال الله ، مده ما شاء أن يمه ،
ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله ، وخيراً مما يأتي بعده ،
ولا أزره عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه ؛
وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أني على طلب علم ؛ وعلى
رسلكم إذا كره الله شيئاً غيره ؛ وإذا أحب شيئاً بغيره .

وخطبة ليزيد أيضاً

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي
له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
اصطفاه لوحيه ، واختاره لرسالاته ، بكتاب فصله وفضله ، وأعزه وأكرمه ،
ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال وحرّم فيه الحرام وشرع
فيه الدين إعداراً وإنذاراً ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويكون
بلاغاً لقوم عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه
وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرف دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا .
فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفاني ، وتحيبت
بالعاجل . لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعتها ، أكالة عوالة غرارة . لا تبقى
على حال . ولا يبقى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمانة أهل
الريفة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ
مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ . نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا
وهولانا أن يجعلنا وإياكم من فرج يومئذ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعدة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

خطبة بني مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت أن تحصى ، وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني .

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال في خطبته :

إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف — يعني عثمان — ولا بالخليفة المداهن — يعني معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعني يزيد .

قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسبيك من هذا المداهن ؛ لكنت منها أبعد من العميق . والله ما أخذتها بوراثه ، ولا سابقة ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى في الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا تؤخرن إماماً قدم الله ، ولا مقدم إماماً أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملته عرشه من الموت ، موت ولي هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذي كان عليه من أشدة تلي المرئيب . واللين تلي أهل الفضل والدين ، مع ما أقام

من منار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وانيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الغد ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل .

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكيها ، وتُبكي ضاحكها ، وتُخيف آمنا ، وتُؤمّن خائفنا ، وتُفقر مثرها ، وتثرى مقترها ميثالها ، غرارة ، لغابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عسعس .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتيبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علائقكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم ، وإن امراً ليس بينه وبين آدم أبّ حتى كُمرق في الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغبوا . ولا يطولن عليكم الأمد ، فتفسدوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم . فإنه ما بُسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسي بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمن عواقبها . فإن من

يُداوي من الدنيا كلَّما أصابته جراحة من ناحيةٍ أُخرى ، فكيف يطمئن إليها ؟
أعوذ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسي ؛ فنخبر صفتي ، وتظهر عيَّلتى ، وتبدو
مسكنتى ، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شبيب بن شيبه عن أبي عبد الملك قال كذت من حرس الخلفاء قبل عمر ،
فكنا نقوم لهم ونبدوهم بالسلام ؛ فخرج علينا عمر رضى الله عنه في يوم عيد
وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فثقلنا بين يديه وسلنا عليه ، فقال :
مه ! أنتم جماعة وأنا واحد ؛ السلام على والرُّد عليكم ، وسلم ، فرددنا ، وقزبت
له دابته ، فأعرض عنها ، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ،
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا
فردوا على فقرائهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم . ثم قال : مالي
وللدنيا ؟ أم مالي ولها وتكلم فأزق حتى بكى الناس جميعاً يميناً وشمالاً ، ثم قطع
كلامه ونزل ؛ فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما
أرق قلوبهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوج ما كانوا إليه ؛ فقال : يا رجاء ، إني
أكره المباهاة .

خطبة عبد الله بن الأهمم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهمم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفجأ إلا وهو
قائم بين يديه يتكلم ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال :
أما بعد ، فإن الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ؛ والناس
يومئذ في المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشرٌ تلك المنازل ؛ أهل الوبر وأهل
المدر ، تُحتازُ دونهم طيبات الدنيا ورفاهة عيشها ؛ ميتهم في النار وحيهم أعمى ،
مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه ؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم

رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عتبتوا حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، ولقبوه في اسمه ، ومعهم كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ؛ فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لو أنه ، فأفلج الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته . وفارق الدنيا تقياً صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّته وأخذ سبيله ؛ وارتدت العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى السيف من أعمادها ، وأوقد النيران فى شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الباب الذى خرجوا منه ، وقزهم بالأمر الذى نفروا منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه . وحبشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غصّة فى حلقه عند موته ، وثقلا على كاهله ، فأذاه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ففصر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، وحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمر أقرانها وللحرب آلتها ، فلما أصابه قن المغيرة بن شعبة ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يثبتون قاتله ؟ فلما قيل له قن المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق فى الفىء ، فبيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفاً فكسر بها رباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأذى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه .

ثم إننا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعرج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها ، وألصقتك ثديها ، فلما وليتها ألقيتها وأحببت لقاء الله وما عنده ؛ فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شىء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج . سكبت الناس
كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت ا

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخُصْرَة خطبة لم يخطب بعدها
حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثا ، ولم تُتْرَكوا سدى ؛ وإن لكم معادا
يحكم الله بينكم فيه ، نخب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ،
وحرّم جنة عرضها السموات والأرض ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم
وباع قليلا بكثير ، وفانيا بياق ؛ ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيخلفها

١٠ من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم في كل يوم
تُشيّعون غاديا وراثحا إلى الله ، قد قضى نحبّه ، وبلغ أجله ، ثم تغيّبونه في صدع
من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسّد ولا مُمهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب
وواجه الحساب ، [مرتها بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ما قدم ؛ وآيم الله
إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما

١٥ عندي ، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تبالغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها
ما عندنا إلا سدّناها ، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولحمي
الذين يلونني ، حتى يستوي عيشنا وعيشكم ؛ وآيم الله إني لو أردت غير هذا
من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه
مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى
عن معصيته .

٢٠

ثم بكى ، فتلقى دموع عينيه بردائه ، ونزل ؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد
حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قتل الوليد بن يزيد

بقي بن مخلد قال : حدثني خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
قال : حدثني إبراهيم بن إسحاق أن يزيد بن الوليد لما قتل الوليد بن يزيد قام
خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إني ما خرجت
أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك : وما بي إبطاء نفسي
ولا تزكية عملي ، وإني لظلمت نفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجت غضباً لله
ودينيه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه ، حين درست معالم الهدى ، وطفي نور أهل
التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمه ، والراكب البدعة . والمغير السنة ؛
فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقبل ، على كثير من ذنوبكم وقسوة
من قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من
أجابه منكم ؛ فاستخرت الله في أمري ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ؛ وهو ابن
عمي في نسي ، وكفئي في حسي ؛ فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ،
ولاية من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته
وولايته وعونه .

أيها الناس ، إن لكم على إن وليت أموركم أن لا أضع لينة على لينة ولا حجراً
على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخصاصة أهله] ، وأقيم
مصالحه ، بما يحتاجون إليه ويقوون به ؛ فإن فضل شيء ردّدته إلى البلد الذي
يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تسنقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا
فيه سواء ، ولا أجهركم في بعوثكم فتفتنوا وتفتن أهاليكم ؛ فإن أردتم بيعتي على
الذي بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن ملت فلا بيعت لي عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً
أقوى عليها مني فأردتم بيعته ، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته : أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي ولكم .

خطب بني العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدى : خطبتنا جعفر بن سليمان الهاشمي
خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما درينا أوجهه كان أحسن أم كلامه ! قال : أولئك
قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل مروان بن محمد قال :
(ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها
وبئس القرار) تكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ، يتسكعون بكم
الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطنون بكم حرم الله وحرّم رسوله . ماذا
يقول زعمائكم غدا ؟ يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار !
إذا يقول الله عز وجل (لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) أما أمير المؤمنين فقد
انتف بكم التوبة ، واغفر لكم الزلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضله على نقصكم
وبحلمه على جهلكم ، فلنفرخ روعكم ولنطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم
فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

خطب المنصور

خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي . لما قتل الأمويين ،
فقال :

أحرز لسان رأسه . اتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ في يومه لغيره ؛ فشئ القصد
وقال الفصل ، وجانب الهجر .

ثم أخذ بقائم سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأما زعيم
لكم بشفائه ؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به ؛ فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شِدْشِنَةً أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ . هـ مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُنَكِّمُ
مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفَيْتُمْ ، والنخطي
إلى ما حُذِرْتُمْ ، قبل أن تتلف نفوس ، ويقلَّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أتم
وذاك ؟ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إراث المستضعفين من مشارق الأرض
ومغاربها حقاً ؟ والجحْدَ الجحد ، ولكن خب كامن ، وحسد مُكْمَد ، فبعداً
للقوم الظالمين .

وخطب أيضاً

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة ، فحمد الله
وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ...
فقام إليه رجل فقال : أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين .
قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكر به ، وأعوذ بالله أن أذكر به
وأنساه فتأخذني العزة بالإثم : لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأما أنت
- والتفت إلى الرجل فقال - والله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال : قام فقال
فوقب فصبوا وأهون بها [وإيالك] لو كانت العقوبة [فاهتبلها إذ عفرت] ؛
وأنا أنذركم أيها الناس أختها : فإن الموعدة علينا نزلت ، وفيها انبثت .
ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه
وتسديده وتأيبده ؛ وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛
فقد جعلني الله عليه فقلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم وقسم أرزاقكم ؛
فإن شاء أن يقفاني عليها أقفاني : فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف

الذي وهب لكم من فضله ما أعلسكم به في كتابه إذ يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أن يوفقي للرشاد وللصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم : أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة لسليمان بن علي

- ٥ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ قضاء مبرم ، وقول فصل ، ماهو بالهزل : الحمد لله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضاً ، والفيء إرثاً ، والدين هزواً ، وجعلوا القرآن عِضِينَ ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكأن ترى من بئر معطلة وقصر مشيد ؛ ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد ؛ أهملوا والله حتى نبذوا الكتاب ، واضطهدوا العترة ، ونبذوا السنة ، [وعندوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم ، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً ؟

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

- ١٥ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ يأهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في الأجسام ، فحذرهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْي يُؤْفَكُونَ ﴾ . فقاتلكم الله أني تصرفون !
- ٢٠ جثث مائلة ، وقلوب طائرة ، تشبُّون الفتن وتولون الدبر إلا عن حرم الله فإنه دريتكم ، وحریم رسوله فإنه مغزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتفترن خفافاً وثقالاً ، أو لا وسعناكم إرغاماً ونكالا .

وخطب صالح بن علي

يا أعضاء النفاق وعبد الضلالة ، أغزكم لين إيسامى وطول إينامى ؛ حتى ظن
جاهلكم أن ذلك لفلول حد ، وفنور جد ، وخور قناة ! كذبت الظنون ؛ إنها
العيرة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفظام وسيف
يقده الهام ، وإني أقول :

أغزكم أنى بأكرم شيمه * رفيق وأنى بالفواحش أخرق
ومثلى إذا لم يحز أحسن سعيه . تكلم نعماه بفيها فتنطق
لعمرى ! لقد فاحشفتني فغلبتني . هنيئاً مرثياً أنت بالفحش أرفق

وخطب داود بن علي بالمدينة

فقال : أيها الناس . حتم يهتف بكم صريخكم ؟ أما أن لراقدم أن يهب من
نومه ؟ (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ! أغركم الإهمال
حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيات منكم وكيف بكم والسوط في كفي
والسيف مشهر :

حتى يُبيد قبيلة فقبيلة . ويعض كل مُتَمِّفٍ بالهام
ويُقيمن ربات الخدور حوابراً . يمسحن عرض ذوائب الأيتام

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة : شكراً شكرياً ! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً
ولا لنبتني فيكم قصراً ، أظن عدو الله أن لن يُظفر به ، إذ مُد له في عنانه ، حتى
عثر في فضل زمامه ! فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مشرقها ،
والآن تولى القوس باربها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقره ،
في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله وأسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا
النعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُنتح هلكتكم ، وتزيل النعم عنكم .

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمدُه على آلائه ،
 وأُجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر
 لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ،
 ونبيه المجتبي ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء ،
 وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة
 وتضامن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم ،
 فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ،
 ويُذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ
 عَن بَيْتِنَا وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

١٠

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ؛
 وأحسبكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاؤ إلى ما يقرب من
 رحمته ويُنجي من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛
 فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم
 توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار ﴿ يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِأَذْنِهِ . فَنهَم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأُيُوهِ ،
 وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ
 عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ
 لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دار غرور ، وبلاء
 وشُرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهي
 عائدة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركن إليها صرَعته ، ومن وثق بها خانتها ؛ ومن أمأها
 كذّبتها ، ومن رجاها خذلتها ؛ عزّها ذُل ، وغناها فقر ؛ والسعيدُ من تركها ، والشقيُّ

١٥

٢٠

فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها : فالله عباد الله
 والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية
 قبل أن يؤخذ بالكظم ، وتدموا فلا تقولون بالندم ، في يوم حسرة وتأسف
 وكآبة وتلهف ؛ يوم ليس كالأيام ، وموقف ضحك المقام ، إن أحسن الحديث
 وأبلغ الموعدة كتاب الله : يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذا قرئ القرآن
 فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم !
 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألهاكم السكاثر حتى زرتم المقار . كلاً سوف تعلمون .
 ثم كلاً سوف تعلمون . كلاً لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين
 اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ .

أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى
 لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله ؛ تحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على
 أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه مفوضين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعنه الله على فترة من
 الرسل ، ودروس من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً
 بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد
 في الله ، فأدى عن الله وعده ووعدته حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبي من الله
 صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف
 الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار ،
 وتبلى فيه الأسرار ، يوم البعث ويوم التغابن ، ويوم التلاقي ويوم التنادي ،
 يوم لا يُستعْتَب من سيئة ولا يُزاد من حسنة ؛ ﴿ يوم الآزفة ، إذ القلوبُ

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ، يعلمُ خائنةَ الأعين
وما تُخفي الصدور ؛ واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ، ثم تُوفى كلُّ نفسٍ
ما كسبت وهم لا يُظلمون ﴿ .

- عباد الله ؛ إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدىً ؛ حصّنوا إيمانكم
بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء في الخبر أن النبي
٥ صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ،
ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سَفَرٌ مجتازون وأتم عن قريبٍ تنتقلون من
دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ؛
وإلى الهدى بالأمانة ؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته
للتائبين ، وهُداة للمتقين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿ ورحمى وسعت كلَّ
شئ ، فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ . وقال ﴿ وإني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ . وإياكم والأمانى ، فقد غزت وأوردت وأوقفت
كثيراً حتى أكذبتهم مناياهم ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين
ما يشتهون ؛ فأخبركم ربكم عن المثالات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب
الأمثال ، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالى
١٥ جيلاً بجيل ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم
من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت
عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب
والعقاب ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .
- ٢٠ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل ﴿ وإذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من
الشیطان الرجيم إنه هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد ،
الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . أمركم بما أمركم الله به ،
وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر الله لى وانكم .

خطبة المأمون في يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ؛ أحمدُه وأستعينُه ،
وأؤمن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره
المشركون . أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ،
والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له
وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبقى
بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جُدت بكم ، واستعدوا للموت
فقد أظلمكم ، وكونوا كقوم صيح بهم فانتهبوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم
بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ،
وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها
اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة ، وإن غائباً يحدوه الجديدان
الليل والنهار لجدير بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق
لأفضل العدة ، فاتق عبُد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته ، فإن أجله
مستور عنه ، وأهله خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ،
ويؤمنه التوبة ليسوقها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيألف حسرة
على كل ذي عفلة أن يكون عمره عليه حُججة ، أو تؤذيه أيامه إلى شقوة ؛
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقصر به عن طاعة ربه
غفلة ، ولا يحل به بعد الموت فزعة ، إنه سميع الدعاء ، بيده الخير وهو على كل
شئ قدير ، فعّال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب
تشريفه ، وعظّم حرمنه ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وأبلى فيه خليله ، وفدى

فيه من الذبح العظيم نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النفر ، يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل :
 ﴿ وَأُذِّنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾
 فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت ، ثم قال :

- ١٠ وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين : الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، والحقُّ لا الكِذْبُ . وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزانُ والحسابُ والصراطُ والقصاصُ والثوابُ والعقابُ . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد غاب ، الخير كله في الجنة ، والشّرُّ كله في النار .

١٥

وخطبة المسامون في الفطر

- قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومكم هذا يوم عيدٍ وسنة ، وابتهاج ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله [خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعقباً لمفروض صيامكم ، ومُتفلاً قيامكم ، أحلّ الله لكم فيه الطعام ، وحزم عليكم فيه الصيام ، فأطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفار ، ولا صغير مع تمسّد وإصرار .

ثم كبر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ، ثم قال :

اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تستقال بعده عثرة ، ولا تحظر قبله توبة ؛ واعلموا أنه لا شيء [قبله إلا دونه ، ولا شيء] بعده إلا فوقه ؛ ولا يعين على جزعه وعَلَّوْه وكرَّبه ، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول مطلعته ومسألة ملكيه — إلا العمل الصالح الذي أمر الله به ، فمن زالت عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاتته استقالته ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالله عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ مُنِعَهَا الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم ؛ فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يشغل به وما يميل في صحيفته الحافظة لما عليه وله ، فقد حكى الله لكم ما قال المفردون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره :

(وَوَضَعَ الْكِتَابَ قِطْرًا مِثْقَالَ حَبَّةٍ فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا) . وقال : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَاسِبِينَ) ! ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها ، فإن كل ما بها يحذر منها وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم ما رآته أعينكم من فجائتها وزوالها ، ذم كتاب الله لها والنهى عنها ؛ فإنه يقول تبارك وتعالى : (فَلَا يَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) . وقال :

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها وجانبوا خدائنها ، وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة بما يتركون منها .

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بني ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيبُّ لك مني لهم ! فقام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذي أَلَفَ بين قلوبنا وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذي لا يُجحد نعمائه ، ولا يزول ملكه ؛ له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمداً صلى الله عليه وسلم فاختاره بعلمه ، واثمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعواناً قَدَفَ في قلوبهم تصديقه ومحبته ، فأمنوا به وعزروه ووقروه وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الراجح ، وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

أيها الناس ، رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنا مع والٍ حافظ ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ، ويخفض بنا في الظهار ، ويتخذ الليل جملاً ، يعجل الرحلة من المنزل الجذب ، وبطيل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى اتبينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقة السلاح فأقنا أياماً نجيم كراعنا ! ونصاح سلاحنا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصالح ، فكانت هذه أبعد ؛ فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة ، نأناهم وتختاف رسلنا إليهم ، فلما يتس منهم ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يوماً ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبتنا وباتوا
 وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون في خمرهم وملاعبيهم ؛
 فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس ، فزحبت بعضنا على بعض ،
 فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبتنا
 غنائم كثيرة ، وقيثا واسعا ، بلغ فيه الخس خمسمائة ألف ؛ فصفق عليها مروان
 ابن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغنصهم النفل ، وأنا رسولهم إلى
 أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من الشرك ؛ فاحمدوا
 الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي يرد عن القوم المجرمين .
 ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض
 والله سميعٌ عليهم . يا بُني : ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمر مرة ويصفر
 مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه لليب
 الخطاب ! قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير
 ملوم ! ثم تكلم فقال :

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدينا والآخرة ؛ يُؤتى المُلْكُ من يشاء ،
 وينزع المُلْكُ ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء . أما بعد :
 فإنه لم يُعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنام طرأ ؛ ولم يُذل
 من كان الحق معه ، وإن كان فردا . ألا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا
 وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى
 ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرحنا فإن قتل المصعب له
 شهادة ولنا ذخيرة ، أسله النعام المصلم الأذان ؛ ألا وإن أهل العراق باعوه
 بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن
 عمه ، وكانوا الخيار الصالحين . وإنا والله لانموت حنفا ، ولكن قعصاً بالرماح ،

وموتاً تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ! ألا إنما الدنيا عارية
من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقبل الدنيا على
لم أخذها أخذ الأشر البطر ؛ وإن تُدبر عنى لم أبلِك عليها بكاء الخرق المهين
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال : قدم
زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفسق
بالبصرة ظاهر فاش . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل
قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه .
اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً .

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفى بأهله على
النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلاؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير
ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله
من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزمن
السرمدى الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه
الشهوات ، واختار الغانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام
الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة
المسلوبة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن
دلج الليل وغارة النهار ؛ قرتهم القرابة ، وبعادتم الدين ؛ تعذرون بغير العذر ،
وتنضون على المختلس ؛ كل أمرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف
عاقبة ولا يرجو معادا : ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون
من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أظرقوا وراءكم ،

كنوساً في مكائس الرّيب ؛ حراماً علىّ الطعم والشراب حتى أسويها بالأرض
هدماً وإحراقاً .

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، : لين في غير
ضعف ، وشدة في غير عُنف ، وإني أقسمُ بالله لأخذنّ الوليّ بالمولى ، والمقيم
بالباطن ، والمقبِلَ بالمدر ، والصحيح بالستيم ؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول
انجُ سعد فقد هلك سُعيد ! أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة الأمير بقاء مشهورة
فاذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . مَنْ نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن
لما ذهب له ؛ فإياي ودلّج الليل ، فإني لا أوتي بمدج إلا سفكتُ دمه ، وقد
أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ؛ وإياي ودعوى
الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعاها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن
وقد أحدثنا لكل ذنير عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً
أحرقناه ، ومن نقب بيننا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنناه فيه حياً ؛ فكفوا
عني ألسنتكم وأيديكم ، أكفّ عنكم يدي ولساني ؛ ولا يظهرنّ من أحد منكم رية
بخلاف ما عليه عاقبتكم إلا ضربت عُنقه . وقد كانت بيني وبين قومٍ إحنٌ فجعلت
ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ؛ فمن كان محسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً
فلينزح عن إساءته ؛ إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السلّ من بُغضي لم أكشف له
قباعاً ولم أهتِك له سترأ حتى يُبدي لي صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا
أموركم ، واستمعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتس بقدمنا سيّسراً ؛ ومسرور
بقدمنا سيّبتس .

أيها الناس ؛ إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ؛ نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما
أجبنا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولينا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيتنا بمنّا حتىتكم لنا ؛
وآعلموا أني مهما أقصّر عنه فلن أقصر عن ثلاث ؛ لست محتجبا عن طالب حاجة
ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً عن إبانه ، ولا جُمراً لكم بعثنا ؛

فادعوا الله بالصالح لأمتكم : فإنهم ساسكم المؤذون لكم ، وكهنتكم الذي إليه
 تأوون ؛ ومتى يصلحوا تصلحوا ؛ ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم ؛ فيشتد لذلك
 أسفكم ، وبطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ؛ مع أنه لو استجيب لكم
 فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يُعين كلا على كل . وإذا رأيتموني أنفذ فيكم
 ٥ أمراً فأنفذوه على أذلاله ، وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ
 منكم أن يكون من صرعاى ، ثم نزل .

فقام إليه عبد الله بن الأهم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة
 وفضل الخطاب ! قال له : كذبت ! ذاك داود صلى الله عليه وسلم .

فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ،

وإنما لن نثنى حتى نبتلى . قال له زياد : صدقت !

١٠ فقام أبو بلال [مرداس بن أدية] وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله تعالى
 بخلاف ما قلت ؛ قال الله تعالى : ﴿ إبراهيم الذي وفى ، أن لا تزوروا زرة وزر
 أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ . فسمعها زياد ، فقال : إنما لا تبلغ من
 أصحابك ما تريد حتى نخوض إليهم الباطل خوفاً .

١٥

وخطبة لزياد

استوصوا بثلاث منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لا يأتيني
 شيخٌ يحدث استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهل استخف به إلا أثلكت به
 ولا يأتيني شريفٌ بوضع استخف به إلا ضربته .

وخطبة لزياد

٢٠

خطب زياد على المنبر فقال :

أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعملون منا أن تنفعوا بأحسن ما تستمعون منا ،
 فإن الشاعر يقول :

أعمل بقولى وإن قصرتُ في عملى • ينفعك قولى ولا يضرك تقصيرى

وخطبة لزياد

العبي قال : لما شهدت الشهود لزياد قام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : *لما رأيتك قد طردت من بلادك فقلت يا زياد ما فعلك*
هذا أمر لم أشهد أوله ، ولا أعلم لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ،
وشهدت الشهود بما سمعتم ، فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا
ما ضيعوا ، فأما عبيدُ فإنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربي

وكان شيخا صالحا خطيبا لسنأ ، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط :
بنيها في غير بلدك ، وأورشها غير ولدك !

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقم مذهبهم وتسخط طريقتهم ، فقال
له جامع : أما إهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لنسبك ، ولا لبلدك
ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقرُّ بهم إليك ، والتمس العافية
من دونك ، تعطها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعدك بعد وعذك .

قال الحجاج : إني والله ما أرى أن أرد بنى اللكيفة إلى طاعتي إلا بالسيف !
قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج :
الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعله الله . وغضب الحجاج
فقال : يا هناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

وللحرب سُمينا وكنا محارباً ، إذا ما ألقنا أُمسى من الطعنِ أحمرا
والبيت للخضري . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب
به وجهك !

قال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن غششناك أغضبتنا الله ، فغضب الأمير
أهون علينا من غضب الله ! قال : أجل .

وَسُغِلَ الحجاج ببعض الأمر ، فانسَل جامع ، فر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ؛ فلما رأوه أشروا بوا إليه وبلغهم خروجُه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم ! عُموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التَّعَادِيَّ ما عاداكم ، فإذا ظفرتم [به] تراجعتم وتعاقبتم . أيها التميمي ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسي ، هو أعدى لك من التَّغْلِيَّيِّ ؛ وليس يظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي معه .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزفر بن الحارث .

١٠

خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال : اللهم أرني الغيَّ غيًّا فأجتنبه ، وأرني الهدى هُدًى فأتبعه ، ولا تنكأني إلى نفسي فأضلَّ ضلالاً بعيداً ! والله ما أحب أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

قال الهيثم بن عدي : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق ، فراعته ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يأهل العراق ، يأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبنى اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإمام ، والفقع بالقرقر ؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله

وإنما يراد به الشيطان ؛ وإنما مثل ومثلكم ما قال ابن بركة الهمداني :

وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزَوْتُهُمْ • فهل أنا في ذا يالْهُمْدَانَ ظالمٌ ؟

مَنْ تَجَمَّعَ القَلْبَ الذَّكِيُّ وصارِماً • وأنفًا حَمِيماً تَجْتَنِبُكَ المَظالمُ !

أما والله لا تفرع عصاً بعصاً إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهل العراق فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم بخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف : ثم أفضى إلى المخاخ والصماخ ، ثم ارتفع فعشش : ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعمكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ أستم أصحابي بالأهواز حيث رمتكم المنكر : وسعيتم بالعدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لؤاذا : وتتهزمون سراعا : ثم يوم الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم ؛ إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم : وما دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

يا أهل العراق والكفريات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الحترات ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثكم إلى ثغوركم غلنم وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتهم ، وإن خفتهم نافقتهم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يا أهل العراق : هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتموه وعزرتموه ونصرتموه ورضيتموه .

يا أهل العراق ؛ هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو نعنق ناعق ، أو زفر زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظلم الذابّ
عن فراخه ؛ ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكنّؤها من المطر ، ويحميها
من الضباب ؛ ويحرسها من الذئاب ؛ يا أهل الشام ، أتمّ الجُنّة والرداء ، وأنتم
العدة والحذاء .

وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، جلست قريبا من المنبر ، فصعد
الحجاج ثم قال :

- امرؤ حاسب نفسه ؛ امرؤ راقب ربه ؛ امرؤ زورَ عمله امرؤ فكر فيما
يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه ؛ امرؤ كان عند همه آمرا ، وعند هواه
زاجرا ؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخظام جملة ، فإن قاده إلى حق
تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . إننا والله ما خلقتنا للفناء ، وإنما خلقتنا
للبقاء ، وإنما تنتقل من دار إلى دار .

خطبة الحجاج بالبصرة

- اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها مشوبة . ثم قال : « واسمعوا وأطيعوا » .
فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان ، والله لو أمرت
الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره ، لكانت دماؤهم لي حلالا
من الله ، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا . عذيري من هذه الخمر ، يري
أحدكم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون لي أن يقع هذا خير . والله لأجعلنهم
كأمس الدابر ؛ عذيري من عبدي هذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن
كأنه رجز الأعراب ؛ والله لو أدركته لقتلته .

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة
فليتّه كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجُهالكم

لا يتعلمون ، وشراركم لا يتوبون ؟ مالي أراكم تحرصون على ما كُفيتم ، وتُضَيِّعون مابه أمرتم ، إن العلم يوشك أن يُرفع ، ورفعه ذهابُ العلماء . ألا وإنى أعلم بشراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤون القرآن إلا هُجْراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا ؛ ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرُّ والفاجر ؛ ألا وإن الآخرة أجلُّ مستأخر يحكم فيه ملكٌ قادر : ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ألا وإن الخير كله بخدافيره في الجنة ؛ ألا وإن الشر كله بخدافيره في النار ؛ ألا وإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال : يا أهل العراق إنى لم أجد لكم دواءً أدوى لدائكم من هذه المغازى والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل ، فإنها تعقب راحة وإنى لا أريد أن أرى الفرحَ عندكم ولا الراحةَ بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقاتي ، أنا والله لرؤيتكم أكره ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَلْتُ نفسى مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم ؛ والله أسألُ حُسْنَ العون عليكم ! ثم نزل .

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهل العراق ، إنى أردتُ الحج ، وقد استخلفتُ عليكم آبني محمدا ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الانصار ؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ! ألا وإنكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفى ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ! وإنى أعجل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة ! ثم نزل .

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [فجأة] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز ، فقال : عليّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهثموا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الشّيايا . متى أضع العِمامةَ تعرفوني
صليبُ العودِ من سلّفي رياح . كنصلُ السيفِ وضّاحُ الجبين
وماذا يبتغي الشعراءُ مني . وقد جاوزتُ حدّ الأربعين
أخو خمسينَ مجتمِعُ أشدّي . وتجدّني مُداورةُ الشُّثور
وإني لا يعودُ إلى قرّني . غداةَ العبءِ إلا في قرين

أما والله إنى لأحمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله : وإني لأرى رءوساً قد أينعت وحن قفافها ، وإني لصاحبها : وإني لأنظر الدماء بين العمام والمحي تترقرق :

١٥ . قد شمّرتُ عن ساقها فشمّر .

ثم قال :

هذا أوان الشّد فاشتدّي زيمٌ . قد لفّها الليل بسواقِ حطّم
ليس براعي إبِل ولا غنمٌ . ولا بجزّارٍ على ظهرٍ وضم

ثم قال :

٢٠ . قد لفّها الليل بعصبي . أروعَ خراجٍ من الدوى

مهاجرٍ ليس بأعرابي

ثم قال :

قد شمرت عن ساقها فشدوا . ما علّتي وأنا شـيخُ إد
والقوسُ فيها وترٌ عرْدٌ . مثل ذراعِ البكرِ أو أشدُّ

إني والله يأهل العراق ، ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوي الأخلاق ، لا يُعْمز
جانبي كتنّماز التّين ، ولا يُتعمّق لي بالشنان ؛ ولقد فررتُ عن ذكاه . وقد شئتُ
عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه
ثم عجم عيداتها ، فوجدني أمرها عوداً وأشدّها مكسراً ، فوجهني إليكم ، وربما كم بي ،
فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن وسنتم سنن الغي ؛ وآيم الله لألحوتكم لحو
العصا ، ولأقرعنكم قرع المروّة ، ولأعصبنكم عصب السّلمة ، ولأضربنكم
ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أعد إلا وفيت ؛ ولا أخلق إلا فريت ؛
فإياي وهذه الشفعاء ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً . وما يقولون ؛ وفيهم
أنتم وذاك ؛ والله لتستقيمن على طريق الحق ، أو لأدعن لكلّ رجلٍ منكم شغلاً
في جسده ! من وجدته بعد ثلاثة من بمث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله
وهدمت منزله .

فشمر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولي
العراق خيرُ ذكر .

خطبة الحجاج لمسامات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه
فقال ﴿ إنك ميّت وإنهم ميّتون ﴾ ؛ وقال ﴿ وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من
قبله الرسلُ أفين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ ؛ فمات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معارضة ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي

جربته الأمور ، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ،
واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزيغ ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين
الراشدين ؛ فاختر الله له ما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شبهه في العقل
والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

- ٥ أيها الناس ؛ إياكم والزيغ ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتي
فيكم ، وعرفت خلافتكم ، وقبلةكم على معرفتي بكم ؛ ولو علمت أن أحداً أقوى
عليكم مني ، أو أعرف بكم ، ما وليتكم ؛ فإياي وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن
سكت مات بدائه غمًا ! ثم نزل .

خطبة الحجاج

- ١٠ لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ! أما والله لقد كنت أحبّ أنهما معي
في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة ؛ وآيم الله ليوشكن الباقي
مني ومنكم أن يفنى ، والجديد مني ومنكم أن يبلى ، والحي مني ومنكم أن
يموت ؛ وأن تُدال الأرض منا كما أدلنا منها ؛ فتأكل من لحومنا ؛ وتشرب
من دماننا ؛ كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ؛ ثم
١٥ يكون كما قال الله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .
ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميّة * وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عنى راضياً * فإن سرور النفس فيما هُنالك

- ٢٠ خطب الحجاج في يوم الجمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن
الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرک ! فأمر به إلى الحبس ؛ فأتاه آل الرجل
وقالوا : إنه مجنون ! فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله . فقال
الرجل : لا والله لا أزعم أنه أبتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق ؛ وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والنفاق ! نفخ إبليس في مناخركم فقلتم : مات الحجاج ،
 ومات الحجاج فمة ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخير كله إلا بعد
 الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلود لأحد من خلقه ، إلا لأهونهم
 عليه : إبليس ؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربه فقال ﴿ ربِّ آغفرْ لي
 وهبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدى إنك أنت الوهابُ ﴾ . ففعل ؛ ثم
 اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

خطب فقال في خطبته :

سوطى سببى ، ونجاده فى عنقى ، وقائم فى يدى ؛ وذبابه قلادة لمن اغترنى !
 فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغزه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار ؛ ثم أتى زوجته ، فمنعته نفسها
 فأتى ابن شبرمة يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى أمض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج
 إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرك أن تزنى .

هذا ما ذكرناه فى كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقى منها فهى مستقصاة
 فى كتاب القيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبتنا
 فى كتابنا هذا أن نأخذ من كل شىء أحسنه ونحذف الكثير الذى يُجتزأ
 منه بالقليل .

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال :

- الحمد لله مالك الملك ، يُؤتي الملك من يشاء ، وينزعُ الملك ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء ؛ ولا يُصلحُ عملُ المفسدين ، ولا يَهْدِي كَيْدَ الخائنين ؛
 ٥ إنَّ ظهورَ غَلَبَتِنَا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا ، بل اختار الله لخلافته — إذ جعلها عموداً لدينه ، وقواماً لعباده — من يستقلُّ بأعبائها ، ويضطلعُ بحملها .

خطبة عبد الله بن طاهر

- خطب الناس وقد تسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه ، الذابون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاهِ أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوه وأهل معصيته ، الذين أشروا وتمردوا وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ، وعدتكم التي تستظهرون ؛ فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها ؛ غضوا أبصاركم ، وأخفوا أصواتكم في مصافكم ، واهضوا قُدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله ؛ فإنه يقول : ﴿ إِذَا لَفِئَتُهُمْ فَتَّةٌ فَانْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفَاجِحُونَ ﴾ . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر .

خطبة قتيبة بن مسلم

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أندرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان — يعنى هبنقة القيسي —
 كأني بأمر مزجاء وحكم قد أناكم يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم .
 ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يجمع
 فرخ الخربق من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ، ويأكلون
 الهبيد ، فحملتهم على الخيل ، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجي بهم
 النفي . قالوا : مرنا بأمرك . قال : غرؤوا غيري .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل العراق ، ألسنتُ أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة ،
 وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعليجة بظراء لا تمنع رجلها ، وأما هذا الحى من
 عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزدي فعلوجُ خلق الله
 وأنباطه : وآيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحى من تميم
 فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان .

وقال الشاعر :

إذا كنت من سعدٍ وخالك منهم ٥ بعيداً فلا يغررك خالك من سعدٍ
 إذا ما دعوا كيسانَ كانت كهولهم ٥ إلى الغدر أدنى من شباهم المرء

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل خراسان ، قد جزبتم الولاية قبلي ؛ أناكم أمية فكان كاسمه أمية الرأي ،
 وأميه الدين فكنتب إلى خليفته ؛ إن خراج خراسان لو كان في مطبخه لم يكفه ؛
 ثم أناكم بعده أبو سعيد ثلاثاً ، لا تدرن أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته ؟ ثم لم يجب
 فيناً ، ولم يبيلُ عدواً ؛ ثم أناكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة ؛ منهم ابن رحة ،
 حصان يضرب في عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ! ثم أصبحتم وقد
 فتح الله عليكم البلاد [وأمن لكم السبل] حتى إن الظعينة لخرج من مرو إلى
 سمرقند في غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة . وقوله : ابن رحمة : يريد يزيد

ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

- أيها الناس ، إني أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء
 أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معي ، وأثنان على ،
 وما مسلمة إلا جرادة صفراء . وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أتاكم في
 برابرة وصفالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط : أقبل إليكم الفلاحون والأوباش
 كأشلاء اللحم ، والله ما لقوا قط حداً كحدكم ، ولا حديداً كحديدكم ، أعيروني
 سوا عدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله
 بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

ابن عباس قال : قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أيكم يعرف قس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا :

- هلك ! قال : ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب
 الناس ويقول :

أسمعوا وعُوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ؛ إن
 في السماء لحبيرا ، وإن في الأرض لعبيرا ، سخائب تمور ، ونجوم تغور ، في فلك
 يدور . يُقَسِّم قَسَّ قَسَمَا : إن لله ديننا هو أرضي من دينكم هذا .

- ثم قال : مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟
 أم تركوا فناموا .

أيكم يروي من شعره ؟ فأشد بعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا للهوت ليس لها مصادرُ
ورأيتُ قومي نحوها هتمضي: الأكارب والأصاغرُ
لا يرجعُ الماضي ولا ه يبقى من الباقيين غارُ
أيقنتُ أني لا عمار ه لة حيث صار القوم صائرُ

خطبة عائشة أم المؤمنين

رحمها الله يوم الجمل

قالت: أيها الناس صه صه: إن لي عليكم حق الأمومة، وحق الموعدة؛
لا يهمني إلا من عصى ربه؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري
وتحري؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة، له اذخرني ربي وخلصني من كل بضع؛
وإن مبيز مؤمنكم من منافقكم، وإن أخص الله لكم في صعيد الأبواء؛ ثم
أبي ثاني اثنين الله ثالثهما؛ وأول من سمي صديقاً، مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم راضياً عنه؛ وطوقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب جبل الدين بعده؛
فسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض تبع الردة، وأطفأ ما حشيت
يهود؛ وأنتم يومئذ جحوظ العيون، تنظرون العدو، وتسمعون الصيحة؛ فأب
الثأى، وأود من الغلظة، وامتاح من الهوة؛ حتى اجتجى دفين الداء؛ وحتى
أعطن الوارد، وأورد الصادر، وعل الناهل؛ فقبضه الله إليه واطنا على هامات
النفاق، مذكياً نار الحرب للشركين؛ فانتظمت طاعتكم بحبله؛ فولى أمركم
رجلاً مريعاً إذا ركن إليه، بعيداً ما بين اللابئين إذا ضل، عركة للأذاة بجنيه
صفوحا عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام؛ فسلك مسلك
السابقية؛ ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاد ما جمع القرآن، وأنا نصب المسألة عن
مسيري هذا؛ لم ألتبس لئماً، ولم أؤرت فتنة أوطئكموها؛ أقول قولي هذا
صدقا وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً؛ وأسأل الله أن يصلي على محمد، وأن يخلفه
فيكم بأفضل خلافة المرسلين.

خطبة عبد الله بن مسعود

- أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثقُ العُرَى كلمةُ التقوى ، خيرُ زاد ؛ وأكرمُ الممل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخيرُ السنن سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وخيرُ الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألمى ، لنفسٍ تحبها خير من إماراة لا تُحسبها . خيرُ الغنى غنى النفس . خيرُ ما ألقى في القلب اليقين . الخمرُ جماع الآثام . النساءُ جنائِلُ الشيطان . الشبابُ شعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المعجزة . شرُّ من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هُجْرًا . سببُ المؤمن فسوق ، وقتاله كُفر ، وأكلُ لحمه معصية من يتألَّ على الله يُكذبه ، ومن يغفر يُغفر له . مکتوب في ديوان المحسنين : من عفا عَفِيَ عنه . الشقُّ شقٌّ في بطن أمه . السعيدُ من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . ملائِكُ الأمر خواتيمه . أحسنُ الهدى هدى الأنبياء . أقيح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة لعنبة بن مروان

بعد فتح الأبله

- حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :
 إن الدنيا قد تولت [حذاء مدبرة] ، وقد آذنت أهلها منها بصرم ، وإنما بقي منها صباية كُصباية الإناء يضطبها صاحبها ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا تحالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ؛ ألا إن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُرمى به في شفير جهنم فيهب في النار سبعين خريفًا ، وليجهم سبعة أبواب ، بين كل بايين منها مسيرة خمسمائة عام ، وليأتين عليها ساعة وهي كظيظ بالزحام ؛ ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعًا ما لنا طعام إلا ورق البشام ، حتى قرحت أشداقنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابن مالك تمره فشققتها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أميرٌ على مصرٍ وإنه لم يكن نبوةً قطُّ إلا تناخنت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وفي أعين الناس صغيراً .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

٥ لما عقد معاوية يزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى حلمه وسِعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جذع قارح ، سويق فسق ، وموجد فوجد ، وقورع فقورع ؛ فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه .

١٠ فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرغ الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقعده عليه وغمض عينيه وعليه جبة خز قرمز ، ومطرف خز قرمز ، وعمامة خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه ؛ فقال :

٢٠ ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغركم أنكم فعلتم ما فعلتم ففعلتمنا عنكم ؟ أما إنه لو أثبتتم بالأولى ما كانت الثانية ؛ أغركم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثأرنا منا رفيقا ، قد فنى غضبه وبقى حلمه ؟ اغتموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقتبل ، البعيد الأمل الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد ، لين شديد

رقيق كئيف ، رقيق عتيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر
ببصره ، واستقبله بأشره ، فهو إن عض نهمس ، وإن سطا فرس ، لا يُقلِّل له
الحصى ، ولا تُقرع له العصا ، ولا يمشى السَّمهى .

قال : فما بقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قسمه الله .

خطبة لعمر و بمكة

العتبي قال : استعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة ابنه عمرو بن
سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن
نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حار ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال :
ما منعه من ذلك إلا ما استقبلتني به ؛ والله ما كنتني ، ولا أتمت اسمي ، وإنما
أنهك عن النكبر على أكتافك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك .
قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني
لخلق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكنناها حنيفة ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك
كنا إذا رُفعت لنا لهوة بعد لهوة أخذنا أسنانها ، ونزلنا أعلاها ؛ ثم شدخ أمر
بين أمرين ، فقتلنا وقتلنا ؛ فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دما ،
وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ؛ فولي رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله
إياه ، واختياره له ؛ ثم ولي أبو بكر لسابته وفضله ؛ ثم ولي عمر ؛ ثم أجيال
قداح نزعن من شعب حول نبعة ، ففماز بحظها أصلبها وأعتقها ، فكنا بعض
قداحها ؛ ثم شدخ أمر بين أمرين ، فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا
حتى شرب الدم دما ، وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ، وعاد الحرام حلالا ،
وأسكت كل ذي حس عن ضرب مهند ، عركا عركا ، وعسفا عسفا ، وخزا
ونهسا ، حتى طابوا عن حقنا نفسا ، والله ما أعطوه عن هوادة ، ولا رضوا
فيه بالقضاء ؛ أصبحوا يقولون : حننا غلبنا عليه ، فجزناه هذا بهذا ، وهذا
في هذا .

يا أهل مكة ، أنفستكم أنفسكم ! وسفهاءكم سفهاءكم ! فإن معي سوطا نكالا ،
وسيفا وبالا ، وكل منسوب على أهله . ثم نزل .

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا في الدين
وشركاؤنا في الصهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ؛
والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من
تميم الشام ؛ فإن استشرف شئنا نكم وأبى حسد صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا
سعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فكم مؤملا أملا لا يبلغه ، وجامع
مالا لا يأكله ، ومانع عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطل جمعة ، ومن حق منعه
أصابه حراما ، وأورثه عدوا حلالا ، فاحتمل إضره ، وباه يوزره ، وورد على
ربه أسفا لهفا ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر
والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ؛ ألا إن الخير كله
بخذافيه في الجنة ؛ ألا إن الشر كله بخذافيه في النار ، فاعملوا ما عملتم وأنتم في
يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضة أعمالكم على الله ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
حَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صعد المنبر يوم جمعة وهو والي مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه
خيرا ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سايهان بن عبد الملك يأمره فيه بستم

الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان قد علم الله من غشه وخبثه ما خفي على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلعننه] ، فالعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين ، تتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علّا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يُدبِحُ أبناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وأشار بيده نحو الشام ﴿ وَزُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿ وَنُمْسِكَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَدِرُونَ ﴾ وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

قال : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضيع والنعلب : أتيا الضب في جعره فقالا : أباحسب . قال : أجبتكما . قال : جنناك نخنصم . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضبيع : فتحت عيني . قال : فعل النساء فعلت . قالت : فلقطت تمرة . قال : حاولوا اجتنبت . قالت : فاخطفها تُعالةُ ! قال : لنفسه

بغى [الخير] . قالت : فلطمته لطمه ! قال : حقاً قضيت . قالت : فلطمنى أخرى
قال : كان حراً فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدث امرأةً حديثين ،
فإن أبتُ فاربّع ، أى : اسكت .

خطبة شيب بن شيبه

٥ قيل لبعض الخلفاء : إن شيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعدله ، فلو أمرته
أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد ،
فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد
الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر
فأشبهه منه صولته ومضاهه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاءه ،
وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه
وبهائه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموقفٍ مثل حدِّ السيفِ قُتُّ به . أحمى الذمارَ وترمى به الحدقُ
فما زلقتُ وما ألقيتُ كاذبةً . إذا الرجالُ على أمثاله زلقوا

خطب لعتبة بن أبي سفيان

١٥ بلغه عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا لل سيف حصيداً ، فإن الله فيكم ذبيحاً لعثمان
أرجو أن يوليني نسكك : إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقة ، فأعطى كل ذى
حقٍ حقه وكان والله أذكركم إذا ذكر بخطه ، وأصفحكم بعد المقدره عن حقه ؛
٢٠ نعمة من الله فيكم ، ومنة منه عليكم ؛ وقد بلغنا عنكم نجم قول ، أظهره تقدّم
عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتنة وإماتة

السُّنن ؛ فأطأكم الله وطأة لارهق معها ؛ حتى تنكروا مني ما كنتم تعرفون ،
وتستخشنون ما كنتم تسلمون ؛ وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور .

وخطبة لعتبة بن أبي سفیان

- ٥ يا حاهلي ألام أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفاري عنكم ليلين
مسي إياكم ، وسألتم صلاحكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أيتم إلا الطعن
على الولاة ، والتنقص للسلف ، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطون السياط ، فإن
حسنت دأبكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا
جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى .

وخطبة لعتبة بن أبي سفیان

- ١٠ لما اشتكى شكاته التي مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :
يا أهل مصر ، لا غنى عن الرب ، ولا مهرب من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت مني
إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ،
فليتني لا أكون آخرت دنيائي على معادي ، فأصلحتكم بفسادى ؛ وأنا أستغفر الله
منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خفمت ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوت ما كنت
١٥ أخاف آغتيالاً به ، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه ؛ والسلام عليكم ،
سلام من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

وخطبة لعتبة

- العبي قال : سعد القصر : احتبست عنا كتب معاوية ابن أبي سفیان حين
٢٠ أرجف أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب
في يده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وظلمات السيوف ،

حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تسيغه حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها
 جفونكم ، أئخين اشتدت عرى الحق عليكم عقداً واسترخت عقدُ الباطل منكم
 حلاً ، أرجفتم بالخليفة ، وأردتم تهوين الخلافة ، وخصتم الحق إلى الباطل ، وأقدم
 عهدكم به حديث ، فأربحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم ؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين
 بالخبر السار عنه والعهد القريب منه ؛ واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون
 قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا مآظهم ، نكلكم إلى الله فيما بطن ؛ وأظهروا خيرا وإن
 أضمرت شرا ، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون ؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين .
 ثم نزل .

خطبة عتبة في الموسم

١٠ سعد القصر قال : قال مولى عتبة بن أبي سفيان : دفع عتبة بن أبي سفيان
 بالموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس حديث عهدهم بالفتنة ، فقال بعد أن
 حمد الله وأثنى عليه :
 إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضعف الله فيه للمحسنين الأجر ، وللمسيئين
 الوزر ؛ ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع
 من دوننا ؛ ورب متمم حنقه في أمنيته ، اقبلونا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها
 منكم ، وإياكم ولوأفان لوأ قد أنعبت من قبلكم . ولن تريح من بعدكم : فأسأل الله
 أن يعين كلاً على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة . قال : لست به ولم تبعد
 فقال : يا أخاه ! فقال : أسمعته فقل .

٢٠ فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسننا
 فإن كان الإحسان لكم فما أحقكم باستقامه ، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا .
 رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويختص إليكم بالختولة ، وقد كثر

عِيَاله ، ووطنه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .
فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأسأله العون عليكم ، وقد أمرت لك بغناك ،
فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

سعد القصر قال :

وجه عتبة بن أبي سفيان ابن أخي أبي الأعور السلمي إلى مصر فمنعوه
الخراج ، فقدم عليهم عتبة فقام خطيباً فقال :

يأهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم ؛ فقد
وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ؛ فإن رددتم ردكم بيده ، وإن
استعصيتم ردكم بسيفه ، ثم رجأ في الآخر ما أمل في الأول ؛ إن البيعة مُشايعة ،
فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ؛ فأئنا غدر فلا ذمة له عند
صاحبه ، والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عُقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم
حتى بذلناها لكم ، ناجزاً بناجز ، ومن حذر كمن بشر . قال فنادوه : سمعاً سمعاً ،
فناداهم : عدلاً عدلاً .

١٥

وخطبة لعتبة

قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر : إن قبلك قوما يطعنون على الولاية
ويعيبون السلف . فخطبهم فقال :

يأهل مصر ، خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل
وأتم تأتونه ، كالخمار يحمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه ثقلها ، وآيم الله
لا أدوايكم بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة ،
ولا أبطئ عن الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى ؛ فالزموا ما أمركم الله به ،
تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ؛ وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهمًا . فهذا اليوم ليس قبله عقاب ،
ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا

٥ سعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو
ابن تميم - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أقابعد ، فإنى أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خِضرة ، حُفَّت بالشهوات ،
ورافت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالأمانى وزينت
بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن فجعتها ؛ غدارة ضرارة ، وحائلة زائلة ،
١٠ ونافذة بائدة ؛ لا تعدو - إذا [هى] - تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها والرضا
عنها - أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كَلِمَةٌ أَنْزَلْنَاهَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ . مع
أن امرءًا لم يكن منها فى حيرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ؛ ولم يلق من سرائها
بطنا ، إلا منحتة من ضرائها ظهرا ؛ ولم تطلَّ منها ديمة رخاء ، إلا هطلت عليه
مُرنة بلاء ؛ وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له خاذلة متنكرة ؛ وإن
١٥ جانب منها اعذوذب واحلولى ، أمر عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن لبس امرؤ من
غضارتها ورفاهيتها نِعْمًا ، أرهقته من نوائبها غمًا ؛ ولم يُمس امرؤ منها فى جناح
أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غرارة ، غرور ما فيها ؛ باقية ، فان
ما عليها ؛ لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى ، من أقل منها استكثر مما
٢٠ يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر
مما يوبقه ؛ كم واثق بها قد فجعتَه ، وذى طمأنينة إليها قد صرعتَه ، وكَم من
ذى اختيالٍ فيها قد خدعتَه ؛ وكَم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا وذى نخوة
فيها قد ردته ذليلا ، وذى تاج قد كبته للدين والفم ؛ سلطانها دول ، وعيشها

رُتِقَ ، وَعَذَّبُهَا أَجَاجَ ، وَحُلُوها مَرَّةً ، وَغِذَاؤُهَا سِمامَ ، وَأَسبابُها رِمامَ ، وَقِطافُها
 سَلَعٌ ؛ حَيْثُا بَعَرَضَ مَوْتٌ ، وَصَحِيحُها بَعَرَضَ سَقَمٌ ، وَمُنِيعُها بَعَرَضَ اهْتِضامٌ ؛
 مَلِيكُها مَسلوبٌ ، وَعَزِيزُها مَغلوبٌ ، وَصَحِيحُها وَسليمُها مَسكوبٌ ؛ وَحائِزُها
 وَجامِعُها مَحروبٌ ؛ مَعَ أَنَّ مَن وَراءَ ذَلِكَ سَكِرَاتُ المَوْتِ وَزَفَرَاتُها ، وَهولَ
 المَطَّلَعِ ، وَالوقوفِ بَيْنَ يَدَيِ الحَكَمِ العَدْلِ ؛ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساءُوا بِما عَمَلُوا وَيَجْزِيَ
 الَّذِينَ أَحسَنُوا بِالْحَسَنِي .

أَلَسَمَ فِي مَساكنَ مَن كانَ أَطولَ مَنكمَ أَعماراً ، وَأَوْضَحَ آثاراً ، وَأَعَدَّ
 عَديداً ، وَأَكثَفَ جَنوداً ، وَأَعَدَّ عَتادا ، وَأَطولَ عَمادا ؛ تَعَبَّدُوا لِلدُنْيا أَيْ
 تَعَبَّدَ ، وَأَثروها أَيْ إِثارَ ، وَظَعَنُوا عَناها بِالكَرهِ وَالصَّغارِ ؛ فَهَلْ بَلَغكمَ أَنَّ الدُنْيا
 سَمِحَتْ لَها نَفْساً بَفيديَّةً ، وَأَغْنَتْ عَنها فِيمَا قَدِ أَمَلْتَهُمُ بِهَ بِخُطْبِ ! بَلْ أَثَقَلْتَهُمُ
 ١٠ بِالْفَوادِحِ ، وَضَعَعْتَهُمُ بِالنَوائِبِ ، وَعَقَّرْتَهُمُ لِلنِناخِرِ ، وَأَعانَتْ عَليهِمُ رَبِّبا
 المَناونِ ، وَعَقَّرْتَهُمُ بِالمِصابِ ؛ وَقَدِ رَأَيْتُمُ تَنكَرَها لِمَن دَانَ لَها وَأَثَرُها وَأَخَلَدَ
 إِليها ، حَتى ظَنَعُوا عَناها لِفِراقِ الأَبَدِ إِلى آخِرِ الأَمَدِ . هَلْ زَوَدْتَهُمُ إِلا الشِقاءَ ،
 وَأَحَلَّتَهُمُ إِلا الضنكَ ، أَوْ تَوَّرتَ لَها إِلا الظلمَةَ ، وَأَعقَبْتَهُمُ إِلا التَدامَةَ ؛ أَفَهِدَها
 ١٥ تَوَّثِرُونَ ، أَمْ عَليها تَحَرِّصُونَ ، أَمْ إِليها تَطمَئِنُّونَ ؟ يَقولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى
 ﴿مَن كانَ يُريدُ الحِياةَ الدُنْيا وَزِينَتَها نُوفِّ إِلَيْها أَعمالَهُمُ فِيها وَهَمُّ فِيها لا يَبخَسُونَ هـ
 أُولئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَها فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَباطِلُ ما كانوا
 يَعمَلُونَ﴾ ؛ فَبَسَّتِ الدارَ لِمَن لَمْ يَتَّهَمِها ، وَلَمْ يَكُنْ فِيها عَلى وَجَلٍ مَنا ؛ أَعَمَلُوا
 وَأَنتُمُ تَعَلُّونَ أَنَّكمُ تاركوها لا بَدَّ ؛ فَإِنما هِيَ كَما نَعَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَعبٌ وَلَهوٌ
 ٢٠ وَزِينَةٌ وَتَفاهُرٌ بَينَكُمُ وَتَكاثُرٌ فِي الأَموالِ وَالأولادِ﴾ . فَاتَّعَظُوا فِيها بِالَّذِينَ
 يَبنُونَ بِكُلِّ رِيعِ آيَةٍ يَعبَثونَ ، وَيَتَخَدُّونَ مِصانِعَ لَعَلَّهُمُ يَخلدونَ ، وَبِالَّذِينَ قالوا
 ﴿مَن أَشَدُّ مَنا قَوَّةً﴾ ؛ وَاتَّعَظُوا بِمَن رَأَيْتُمُ مَن إِخوانِكُمُ كَيفَ حُمِلوا إِلى
 قُبورِهِمُ فلا يُدْعَونَ رِكاباً ، وَأُزِلُّوا [الأَجداثُ] فلا يَدْعَونَ صِيفاناً ، وَجُعِلَ لَها
 مَن الضَرِيحِ أَكبانٌ ، وَمَن الترابِ أَكفانٌ ، وَمَن الرُفاتِ جِيرانٌ ؛ فَهَمُّ جِيرة

لا يُجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا
لم يقنطوا ، جمع وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناون وهم يزرون ولا يزورون ،
حلباء قد ذهبت أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجئهم ،
ولا يُرجى دفعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فَبِمَا كُنْتُمْ لَمْ تَسْكُن
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ استبدلوا بظهر الأرض بطنا ، وبالسعة
ضيقة ، وبالآل غربة ، وبالنور ظلمة ، بخاءوها حفاة عراة فرادى ، غير أن ظعنوا
بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كما بدأنا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعُدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ،
وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم
أداء حقه . ثم نزل .

خطب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشاربي بمكة ، فصعد المنبر متوكئاً على قوس عربية ،
فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يا أهل مكة ، تعيروني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ نعم الشباب مكتهلين ، غميمة عن الشر
أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجاهم ، قد نظر الله إليهم في آناه الليل مُنْشِئَةً
أصلابهم بمثنى القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا
مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلال
ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عبادة ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم ورؤسهم ،
مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستفلون لذلك
في جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعده الله ، [حتى] إذا رأوا سهام
العدو قد فوقت ، ورماحهم قد أشرعت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت
الكتيبة ورعدت بصواعق الموت - استهانوا بوعيد الكتيبة لوعده الله ، فضى

الشباب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد رُمِلت محاسن وجهه
بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير
السماء ؛ فكم من مُقَلَّة في منقار طائر ، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من
كفٍ بانث عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خدي عتيق
وجين رقيق ، قد فلق بعمد الحديد ارحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها
في الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، إلا عابد وثن ، أو كفرّة أهل الكتاب ،
أو إماما جازا ، أو شادا على عضده .

وخطبة أبي حمزة بالمدينة

- قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر
وردت المرتاب ، قال :
- أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،
وصلة الرحم ، وتعظيم ما صفرّت الجبارة من حق الله ، وتصغير ما عظّمت من
الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع
الله ويعصى العباد في طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ،
ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا
ولا لهوا ولا لعبا ؛ ولا لدولة مُلك نريد أن نخوض فيها ولا لنارٍ قد نيل ، منا ؛
ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الادعاء في
الدين ، وعُجِل بالهوى ، وعُطلت الأحكام ، وقُتِل القائم بالقسط ، وعُتِف القائل
بالحق — سمعنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ،
فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ،
فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا .

يا أهل المدينة ، أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ؛ إنكم أطعتم قراءكم
وفقهائكم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛
فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يا أهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ما أصح
أصلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آباؤكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر
النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم

والآماني فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدين فسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا
ففتحتموه ؛ سراع إلى الفتنة ، بطاء عن السنة ؛ عُثِمِي عن البرهان ، صُمِّي عن
العرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نِعْم ما ورثتكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس

ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛
كان عدد آباءكم قليلا طيبا . وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعتم الهوى فأرداكم واللهم
فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزددجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون ، سألناكم

عن ولائكم هؤلاء فقلتم ؛ والله ما فيهم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ،
فوضعوه فى غير حقه ؛ وجاروا فى الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا
بقيتنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا فى مهور النساء

وفروج الإماء . وقلنا لكم ؛ تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وجاروا
فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم ؛ لا تقوى على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا
من يكفيننا ، فقلنا ؛ نحن نكفيكم . ثم الله راع علينا وعليكم ، إن ظفرنا لتُعطينَّ

كل ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم
لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ؛ فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا نعلمه
لكان أعذر ؛ مع أنه لا عذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم

ويأخذكم به فى الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة ؛ حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو

متبعاه ، أو راضيا بعمله .

أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنه على الخلفاء ، فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفر من بعدهما ، فلعنة الله عليه : إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلا أصغى إلى الملامى والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مضيق للدين والدنيا ، اشتري له بردان بألف دينار ابتزر بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعد حبابة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، فقال : يا حبابة غنيتي ، وبسلامة اسقيني ؛ فإذا امتلأ سكرًا وازدهى طربا شق ثوبيه وقال : ألا أظير ؟ فطُر إلى النار وبئس المصير ! فهذه صفة خلفاء الله تعالى .

وخطبة لأبي حمزة

- ١٠ أما بعد ، فإنك في ناشئ فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثومها ، واشتد عليك غمومها ، وتلوت مصايد عدو الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يهد عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذى بيده ملك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم : ألا وإن الله بقايا من عباده لم يتحيروا في ظلها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصايح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ؛ ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه في خطبته

- ٢٠ أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ؛ وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يسراً إن شاء الله .

عثمان بن عفان

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يا أهل الشام

يزيد بن أبي
سفيان

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيِّ بيانا ؛ وأتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .
صعد ثابت قطنه منبر بيجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

فإن لا أكنّ فيهم خطيباً فإني • بسينق إذا جدّ الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي ، كَخَصِرَ ، فقال : أيها الناس ، إني كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فحُجِّبَتْ عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال في كتابه ؛ وأتم إلى إمام عدل ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإني أمركم بما أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لي ولكم .

وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرتج عليه ، فنكتك مليا لا يتكلم ؛ ثم تهاى له الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يجيء أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسح عند مجيئه سَيِّبه ، ويعزّ عند عزوبه طلبه ؛ ولربما كوير فأبى ، وعولج فنأى ؛ فالتأني لجيئه ، خير من التعاطي لأبيّه ؛ وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرْتَج على البليغ لسانه ، ويُخْلَج من الجريّ جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله .

وصعد أبو العنيس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل .

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم؟ قالوا: بعضنا يدري، وبعضنا لا يدري. قال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري! ثم نزل.

وأتى رجل من بني هاشم اليمامة، فلما صعد المنبر أرتج عليه: فقال: حيّا الله هذه الوجوه وجعلني فداءها: قد أمرت طائفي بالليل ألا يرى أحداً إلا أثنى به: وإن كنت أنا هو! ثم نزل.

هاشمي

وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقته: فيينا هو يخطب يوماً إذ وقعت جرادة على ثوبه، فقال: سبحان من الجرادة من خلقه، أدمج قوائمها وطرفها وجناحها، وسلطها على ما هو أعظم منها.

خالد بن عبد الله

خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضخى، فأرتج عليه، فكثت ساعة ثم قال: والله لا أجمع عليكم عيًّا ولو ما. من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها على.

عبد الله بن عامر

قيل لعبد الملك بن مروان: عجّل عليك المشيب يا أمير المؤمنين. فقال: كيف لا يعجل وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين.

عبد الملك

خطب النكاح

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته، فأقعده على فخذه، وكان حدثاً، فقال:

عنبسة بن أبي سفيان

أقرب قريب، خطب أحب حبيب، لا أستطيع له رداً، ولا أجد من إسعافه بُداً؛ وقد زوجتكها وأنت أعز عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك؛ فأكرهها يعذب على لساني ذكرك، ولا تُهنّها فيصغر عندي قدرك؛ وقد قرّبتك مع قرّبتك. فلا تبعد قلبي من قلبك.

٢٠

وخطبة نكاح

العتبي قال : زوّج شبيب بن شديدة ابنه بنت سوار القاضي ، فقلنا : اليوم
يعبُّ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :
الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ، فإن المعرفة منا ومنكم بنا
وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

وخطبة نكاح

العتبي قال : كان الحسن البصرى يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله
والثناء عليه :
أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،
وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج [واضح] من أمره : وقد حَظب إليكم
فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخبروا الله وردّوا
خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

العتبي قال : حضرت ابن الفقير حَظب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال :
وما حسنٌ أن يمدح المرء نفسه . ولكن أخلاقاً تُندم وتُمدح
وإن فلانة ذُكرت لي .

وخطبة نكاح

العتبي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره :
فخطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبي سفیان] إلى عمر بن عبد العزيز أخته ،
فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر :

الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظننا من
أودعك كريمته ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد زوجتكمها على كتاب الله :
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطبة نكاح

خطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

بلال

أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالين فهدانا الله ، عبيد فاعتقنا الله ، فقيرين
فأغنانا الله ؛ فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعان الله .

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :

عمر بن عبد العزيز

١٠

قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين
خييرا ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة .

نكاح العبد

الأصمعي قال : زوج خالد بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد :

خالد بن صفوان

١٥ لو دعوت الناس وخطبت ! قال : آدعهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم
خالد بن صفوان فقال :

إن الله أعظم وأجل من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين ! وأنا أشهدكم
أنى زوجت هذه الزانية ، من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

٢٠ الأصمعي قال : خطب أعرابي فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممر ،
والآخرة دار مقر ؛ فخذوا من مترك لمترككم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى

لبعض الأعراب

عليه أسراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها
حيثم ، ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ،
إن الرجل إذا هلك قال الناس : ماترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ فقدّموا
بعضاً يكون لكم قرضاً ، ولا تتركوا كلاً فيكون عليكم كلاً ، أقول قولي هذا
والحمد لله والمصلي عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر .
قوموا إلى صلاتكم .

وخطبة لأعرابي

الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعمق
في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا ينثنى حتى يُثنى عنه ، والله تبارك وتعالى
لا يدرك واصف كنه صفته ، ولا يبلغ خطيب منتهى مدحته ، له الحمد كما مدح
نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصلي .

خطبة أعرابي لقومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويجتنبه ، وقد قال الأول :
ودع ما أمت صاحبه عليه * فدمم أن يلومك من تلوم
ألمننا الله وإياكم تقواه ، والعمل برضاه .

[إلى هنا ينتهي كتاب الواسطة في الخطب ، وقد ألحقت به في بعض الأصول
الخطبة الآتية للإمام علي كرم الله وجهه ، وقد فات الناسخ أن يثبتها في موضعها
من الكتاب ، ولو خطبة المأمون في الفطر ، فألحقها بالكتاب في هذا الموضع] .

جاء رجل إلى علي كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ،
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب علي كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ؛ ثم صعد المنبر وهو مُغضَبٌ متغيّرُ اللون ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

والحمد لله الذي لا يفرُّه المنع ، ولا يُكديه الإعطاء ، بل كلُّ مُعطٍ ينقص سواه ؛ هو المنان بفراند النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضمنت عياله الخاق ، ونهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وهب ما أنشقت عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ، من فلز اللجين ، وسبائك العقيان ، وشذر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عبادِه — ما أثر ذلك في ملكه ولا في جوده ولا أنفد ذلك سعة ما عنده ، فعنده من الأفضال ما لا يُنفده مطلبٌ وسؤال ، ولا يخظر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحين بالحوائج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون . فما ظنكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

أيها السائل ، أعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل أحداً بعدي ؛ فإني أكفيك مئونة الطلب ، وشدة التعمق في المذهب ؛ وكيف يوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولٍ ولهم إليه ، وتعظيمهم جلال عزته ، وقربهم من غيب ملكوته — أن يعلموا من عليه إلا ما عليهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فظروهم عليه ، فقالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فمدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً ؛ فاقصروا على هذا ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذي لم يحدث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير في ذاته بمرور الأحوال ، ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالي — هو الذي خلق الخلق على غير مثال أمثله ولا مقدار احتدى عليه من خالق كان قبله ؛ بل أرانا من ملكوت قدرته ، وبجانب

ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متناهيا ، وما زال إذ هو الله الذي

ليس كمثل شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون

بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وفات لعلوه

عن الأشياء مواقع وهم المتوهمين ؛ وليس له مثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال

عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزها ، وكيف يكون من لا يُقدر قدره

مقدراً في رويّات الأوهام ، وقد ضل في إدراك كيفيته حوأس الأنام ؛ لأنه أجل

من أن تحذه ألباب البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى

عن إفك الجاهلين .

ألا وإن الله ملائكة صلى الله عليهم وسلم . لو أن ملكا هبط منهم إلى الأرض

لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته من سد الآفاق بجناح من

من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته من السموات إلى حوزته وسائر بدنه

في جرم الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبته ؛ ومن ملائكته من لو اجتمعت

الإنس والجن على أن يصفوه ما وصفوه ، لبعده ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب

صورته ؛ وكيف يوصف من سبعةائة عام مقدار ما بين منسكيه إلى شحمة أذنيه ؟

ومن ملائكته من لو ألقيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الدهرين ؛ فأين

أين بأحدكم ؟ وأين أن أن يُدرك ما لا يدرك ؟

؛ بالهيكال من الله ؛ ما هو خالصه ؛ لا ربه ؛ ملك بالهيكال

أول من خلقه من الأرض والسموات ؛ ما هو خالصه ؛ لا ربه ؛ ملك بالهيكال

وسم ؛ قل مرة بثلاثة سنة ؛ كنه من خلقه ؛ فلما أنقض بالهيكال

الأرض من الشرق ؛ وجد كل يوم كتابه فكتبوا به ؛ فكان إسماعيل عليه

السلام والصلوة ؛ ما هو خالصه ؛ لا ربه ؛ ملك بالهيكال

فيله من خلقه ؛ ما هو خالصه ؛ لا ربه ؛ ملك بالهيكال

كتاب المحببة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتابة

فرش الكتاب

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الخطب وفضائلها وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، وفضل الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأرفعه قدرا ، وأعظمه من القلوب موقعا ، وأقله على اللسان عملا ؛ ما دل بعضه على كاه ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ؛ ومنه قولهم : **رُبُّ إِشَارَةٍ أْبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ** . أليس أن الإشارة آيين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت أبلغ ؛ لحفة مؤنتها ، وقلة حملها .

لأبروز

قال أبروز لكتابه : **أَجْمَعُ الْكَثِيرَ** بما تريد من المعنى ، في القليل بما تقول . يحضه على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار في كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعض الصحابة يقول : **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ** ؛ قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : **الْمُهْمَبُ** الذي يتخال بلسانه تخال الباقر ، ويشول به شولان الروق .

لأنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **« أَبْضُكُمُ إِلَى الثَّرَاوُنِ الْمُتَشَدِّقُونَ »** يريد : أهل الإكثار والتعكير في الكلام .

ولم أجد أحدا من الساف يذم الإيجاز ويقدم فيه ، ولا يعيبه ويطن عليه .

وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهرها من التثميل والتطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لأن الحركة عمل والسكون راحة .
ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أجد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومن إلى الشيء قدستغنى عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لَمَحَّةٌ دَالَّةٌ .

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري كتابا، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع في ظهره: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيبا .

وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود، فأمر عبدة الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلحاه ويمنفه، فكتب وأكثر، فاستنقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله: أما إنك لو علمت عددا أقل من واحد، ولوناً شراً من أسود، لبعثت به .

وتكلم ربيعة الرأي فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عنكم يا أعرابي؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب . قال: فما تعدون العمى؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم . فكأنما ألقمه حجرا .

أول من وضع الكتابة

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب، آدم صلى الله عليه وآدم عليه السلام وسلم، قبل موته بثلاثمائة سنة؛ كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتبهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب .

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

- بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم .
- وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .
- وعن عمرو بن شبة بأسانيد ، أن أول من وضع الخط العربي ، أجدو وهوز وخطى وكلبن وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجبلية الآخرة ، وكانوا نزولاً مع عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس .
- وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلبسوا وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهي : الثاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحقن في حروف الجمل .
- وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيمما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيدر .
- وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا بيقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قوم من الأنبار .
- وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنساناً ، وهم : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجُهيم بن الصلت ابن مخزومة .

إسماعيل عليه السلام

قوم من القدماء

بنو إسماعيل

طيئ

في الإسلام

استفتاح الكتب

إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تستفتح : باسمك اللهم ، حتى أنزلت سورة هود وفيها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ فَكُنْتُ بِسْمِ اللَّهِ ؛ ثُمَّ نزلت بسورة بنى إسرائيل : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ، فَكُنْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ؛ ثُمَّ نزلت بسورة النمل : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَاسْتَفْتَحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَتْ سُنَّةً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .

وكذلك كانوا يكتبون إليه : يدهون بأنفسهم ؛ فمن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر ، والعلاء بن الحضرمي ، وغيرهما ؛ وكذلك كتب الصحابة والتابعين ؛ ثُمَّ لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ رجع الأمر إلى رأى الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم .

ختم الكتاب وعنوانه

وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المنليس ، فلما قرأها ختمت الكتب وعنوت ؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال : مَنْ عُنِيَ بِهِ ؟ فسمى عنوانا .

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَحَّوْا بِأَسْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ ۝ يُقَطَّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقِرْآنًا

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمخت بها ۝ جعلتها للذي أحببت عنوانا

لبعض المفسرين وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ الْكِتَابَ كَرِيمًا ﴾ : أي مختوم ؛ إذ كانت كرامة الكتاب ختمه .

تأريخ الكتاب

لا بد من تأريخ الكتاب ؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر إلى ماضى من الشهر وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت : بقيت . وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرخت إلا بما مضى من الشهر ؛ لأنه معروف وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .

ولا تجعل سخاءة كتابك غليظة ، إلا في كتب العهود والسجلات التي يحتاج إلى بقاء خواتمها وطوابعها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عماله على العراق كتابا ، وجعل سخاءة غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عمالك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها ؛ ولا تعظم الطينة جدا ، ووطن كتبك بعد كتبك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكتاب ، فإن طيبت قبل العنوان فأدب منتحل .

تفسير الأمي

فأما الأمي فمجازه على ثلاثة وجوه : قولهم أمي ؛ منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أمي ؛ إذا كان من أم القرى ، قال الله تعالى : ﴿ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وأما قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ ﴾ ، فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والامية في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ؛ لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟

قال المأمون لأبي العلاء المنقري : بلغني أنك أُمِّي ، وأنتك لا تقيم الشعر ، المأمون والمنقري ،
وأنتك تلحن في كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لسانى
بالشئ منه ، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ،
وكان لا يُنشدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني
رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة
وفيك وفي أمثالك نقیصة .

شرف الكتاب وفضاهم

فمن فضاهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بالقلم ، مما أثر في فضاهم
علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كراماً كاتبين ﴾ ، وقوله : ﴿ بأيدي
سفرة كرام بررة ﴾ .

وللكتّاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينسبون إليها ويتقلدون
التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أودُ الدين وأمور العالمين .

فمن أهل هذه الصناعة : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مع
شرفه ونبله وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحي ، ثم أفضت
عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان - كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب
أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، يكتبان بين يديه
في حوائجه .

وكان المغيرة بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينوبان
عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين
القوم في قبائلهم وميادهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء .

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوک عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز .

- وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوک مع ما كان يكتبه من الوحي ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

- وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمعلى وأفضى للحاجة .

- وكان معيقب بن أبي فاطمة يكتب مغامم النبي صلى الله عليه وسلم .
- وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صبي ، ابن أخي أكرم بن صبي الأسيدي ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزهني وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

- ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : ألق خالداً وقل له : لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحكى أنه من قول الجن وهذا محال :

- يا عجب الدهر لمحزونة * تبكي على ذي شئبة شاحب
 إن تسألني اليوم ماشقني * أخبرك قبيلاً ليس بالكاذب
 إن سواد العين أودى به * وجدى على حنظلة الكاتب

لما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسبغ القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُبُع الثالث تيميا وأسدًا وغطفان وهوازن ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سُير إلى يزدجرد يدعوه إلى الإسلام .

وكان الحصين بن نمير من بني عبد مناة شهيد بيعة الرضوان ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صالح الحديدية فأبى ذلك سهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب علي بن أبي طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ! فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رَضاع — فقال : يا رسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصاري مُطيف به ومعه سيفه ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصاري : لقد تلوَمْتُك أن توفيَ بنذرك ! فقال : هلا أوَمَّضتَ إلي ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لي أن أوَمِّض .

أيام أبي بكر رضى الله عنه

كتابه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت .

وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا . ولما تقلد الخلافة دعا يزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهتمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى : فتتبع القرآن فأجمعه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَمَنْ لِلقَوَائِي بعد حَسَانِ وَأَبْنِهِ . وَمَنْ لِلثَّانِي بعد زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعي — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن ولى عبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسي .

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو حبرة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني همدان ، من قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاه ، ومُحران مولاه .

أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛ وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان عبد الله بن أبي رافع يكتب له ، وسمك بن حرب .

[أيام بني أمية]

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان : سعيد بن أنس الغساني .

وكتب يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .

وكتب مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .

وكتب عبد الملك بن مروان : سالم مولاه ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ،

وهو عبد الحميد الأكبر .

وكتب الوليد بن عبد الملك : جناح مولاه .

كتاب بني أمية

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .
 وكاتب عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم ؛ وكتب له
 رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد
 الحسني على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .
 ٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضا ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى
 أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أحكام
 البلاغة ، وسهّل طرقها ، وفكّ رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر : أبا أيوب المورياني الأهوازي .
 ١٠ وكاتب محمد المهدي بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .
 وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي : إبراهيم بن ذكوان الحراني .
 وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي : يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن
 الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .
 وكاتب محمد - بن زبيدة - الأمين : الفضل بن الربيع .
 ١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسين
 ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .
 وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة :
 الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .
 وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضا .
 ٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى
 لبني العباس .
 وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الخصيب .
 ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلتهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعز ، فقلد المعز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل .

وكاتب المهدي محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد : وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللوفيق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقله ، الذي يوصف خطه بالجودة : ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبيد الله بن أحمد الكلوزاني ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعميد الدولة ، وكان يكذب على كتيبه : « من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة ، وذكر لقبه على الدنايزر والدرهم : ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد : محمد بن علي بن مقله ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني .

وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

علي بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم محمد
ابن القاسم الكرخي ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى
ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للمتقى بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبه أحمد بن محمد
ابن الأفضس ، ثم أبو إسحق القراربطي ، ثم علي بن محمد بن مقلة . ٥

وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكنفي بالله : الحسين
ابن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولي
للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

١٠ كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً
بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري — مع نبهه وفقهه وورعه وزهده —
كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز
فقيل له : من وليت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيد التابعين الحسن بن أبي
الحسن البصري . ١٥

وكان محمد بن سيرين — مع علمه وورعه — كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زياد بن أبيه — مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في ادعائه — يكتب
للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم
لأبي موسى الأشعري ؛ فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع
إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له :
لا ترجع لأبي موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعن خيانتك صرفتني أم عن تقصير؟
قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عمك علي الرعية ! ٢٠

ثم وليَ بعد الكتابة العراق .

وكان عامر الشعبي — مع فقهه وعلمه ونبله — كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضی الله عنهما .

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .

وكان يزيد بن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

أشرف الكتاب

١٥

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتب له عشرة كتّاب : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولَدَا سعيد ابن العاص ؛ وعمر بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

من أشرف
الكتاب

- وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة .
 وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .
 وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة
 فُقُتِلَ دونها .
 وكان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .
 وكان الحسن بن أبي الحسن البصرى كاتباً للربيع بن زياد الحارثى
 بخراسان .
 وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلاً .
 وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن
 عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس .
 وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع ، وهو والى الكوفة لعبد الله
 ابن الزبير .
 وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس .
 وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .
 وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتباً نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي
 بكر وعمر على مكة .
 وكان عبيد الله بن أوس الغساني سيد أهل الشام كاتباً معاوية .
 وكان سعيد بن نمران الهمداني سيد همدان كاتباً على بن أبي طالب ، ثم ولى
 بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .
 وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة
 لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة .
 وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .
 وكان يزيد بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبيل بالكتابة وكان قبل خاملا

سرجون بن منصور الرومي : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ،
 ٥ وعبد الملك بن مروان ؛ إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتراني فيه ، ورأى منه
 عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون
 يُدُلُّ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه ، فما عندك فيه
 حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولت الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ،
 قال : أنظرني أعاني ذلك . قال : لك نظرة ماشئت . فحوّل الديوان ، فولاه
 ١٠ عبد الملك جميع ذلك .

لبعضهم

وحسان النبطي كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد
 الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبله بن عبد الرحمن ، وقحذم ، جد الوليد بن هشام
 القحذمي ؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .

ومنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسري .
 ١٥ ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ،
 وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن
 سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام
 الجنديسابوري ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ،
 وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء
 ٢٠ نبِلُوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ،

منهم

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزيد ، وأحمد بن الخصيب ؛
فهؤلاء لطحوا أنفسهم بالكتابة ومادانوها .

لبعض الشعراء
في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حماراً في الكتابة يدعيها . كدغوى آل حربٍ في زيادٍ
فدع عنك الكتابة لست منها . ولو غزقت ثوبك في المداد

لأبي أيوب في رثاء
أم سليمان

ومنهم أبو أيوب بن أخت أبي الوزير . وهو القائل يرثي أم سليمان بن
وهب الكاتب :

لأم سليمان علينا مُصيبةٌ . مُفَلَّقةٌ مثلُ الحُسامِ البَوَاتِرِ
وكنتِ سراجَ البيتِ يا أمَّ سالمٍ . فأضحى سراجُ البيتِ وسَطَ المقارِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي : ماتت أمي
فرثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل اسمي من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

للشيباني

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر
الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة
الشئانل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الزبي ؛ حتى قال بعض المهالبة لولده : تزَيُّوا
بزي الكتاب ؛ فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة ، أن يكون الكاتب
نقى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المرومة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ،
صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح
الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ،
متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة
لا يليق بصاحبها الذكاء والفتنة .

لابن حميد

وأنشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس .

رَأَيْتُ لَهَا زِمَ الْكُتَّابِ خَفْتُ ۝ وَلِهَزِمَتَاكَ شَأْنَهُمَا الْقَدَامَةَ
وَكُتَّابِ الْمُلُوكِ لَهُمْ بَيَانٌ ۝ كَيْشَلِ الدُّرَّ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ
وَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا ۝ يَلُوكُ بِمَا يَقُوهُ بِهِ لِجَامِهِ

لبعض الشعراء وقال آخر :

عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِقٍ رَشِيقٍ ۝ زَكِيٍّ فِي شِمَائِلِهِ جِدَارَةٌ ۝
تُنَاجِيهِ بِطَرْفِكَ مِنْ بَعِيدٍ ۝ فَيَفْهَمُ رُجْعَ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

ونظر أحمد بن الحُصَيْبِ إلى رجل من الكتاب قَدَّمَ المنظر ، مضطرب
الحَلَق ، طويل العُنُون : فقال : لأن يكون هذا فنطاس مركب ، أشبه من
أن يكون كاتباً . لابن الحُصَيْبِ

١٠ فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو
الكاتب البليغ ، والأديب النحرير : وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ،
وقعدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص الجمال ، مُنْكَسِفُ الْحَسَنِ ،
منحوس النصيب .

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه

١٥ قال إبراهيم الشيباني : أول ذلك حسن الخط ، الذي هو لسان اليد ، وبهجة
الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان
عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .
ولست أجد لحسن الخط حداً أوقف عليه ، أكثر من قول علي بن رَبن
النصراني الكاتب في الكاتب ، فإني سألته واستوصفته الخط ، فقال . أعطك الخط
في كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك . فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ
٢٠ مجهودك في كتابة الحرف ، وتعمل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه
ثم تنتقل إلى ما بعده .

ولم ياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تميز بالحرف المعضل الذي

تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجِه ؛ فإن سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشكّل الحرف على الفارئ أحبُّ إلى من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشؤون في كتبكم . يعنى النقط والإعجام .
ومن ذلك : أن يُصلح الكاتب آتته التي لا بد منها ، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنعم ربها وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عقدا ، وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ؛ لتكون عوناً له على برّي أقلامه ، وبريها من ناحية نبات القصبه ؛ واعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرح من الفارس .

قال العتابي : سألت الأصمعي يوماً في دار الرشيد : أى الأنابيب للكتابة لأصمعي
أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما تشف بالهجير ماؤه ، وسره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور ، الدرية الظهور ؛ الفضية الكسور . قال : فأى نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطنة ، التي عن يمين سنها قرنة تؤمن معها الحجة عند المذة والمطة ، للهواء في شقها فتيق ، والريح في جوفها تحريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتابي : فبقى الأصمعي باهتاً إلى ضاحكا لا يخير مسألة ولا جواباً .

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .
وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تطيلن صدر كتابك إطالة تخرجه عن حذو ، ولا تقصر به دون حذو ؛ فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .
وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت في أبدان متفرقة .
فأما الكاتب المستحق أسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من ينايبعها ، وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

بين العتابي
وصديق له

بلغني أن صديقا لكثوم العتابي أتاه يوما فقال له : اصنع لي رسالة . فاستمد مدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إليّ موضعه ؛ ثم أجتني لك أحسنها .

بين يزيد
وكاتب له

قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يملى عليّ كاتب له ؛ فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب يا حمار ! فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كلّ القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد مطّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان

في القلم .

فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة ، فنصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نواذر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ، وبطول به قلبك ؛ وأنظر في كتب المقامات والخطب ، وبجأوبة العرب ، ومعالي العجم ، وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكائدهم في حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات والأمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنتزع آي القرآن في مواضعها ؛ واختلاف الأمثال في أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

ما يحتاج إليه
الكاتب

فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض
للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد في أهيتيه .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من
الثغر وصار بناحية الرقة ، قال لعمر بن مسعدة : ما زلت تسألني في الرُّخَجِيِّ
حتى وليته الأهواز ، فقعد في سرّة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه إلينا
بدرهم واحد ؛ أخرج إليه من ساعتك . فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير
مستحشا على عامل خراج ؟ ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت :
أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا .
١٠ خلفت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت ففرش لي زورق بالطبري وعُثِّي
بالسُلخ ، وطرح عليه الكز ، ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هزقل ودير
العاقول ، إذا رجل يصيح : ياملاح ، رجل منقطع ! فقلت للهلاح : قرب إلى
الشط . فقال : ياسيدي ، هذا شحاذ ، فإن قعد معك آذاك . فلم ألتفت إلى قوله ،
وأمرت الغلمان فأدخلوه ، فقعد في كوثل الزورق ، فلما حضر وقت الغذاء عزم
أن أدعوه إلى طعامي ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة ، إلا أنه نظيف
١٥ الأكل ؛ فلما رفع الطعام ، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص :
أن يقوم فيخسل يده في ناحية ؛ فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ، فلم يغمز فثشاغلت عنه
ثم قلت : يا هذا ما صناعتك ؟ قال : حائك ! فقلت في نفسي : هذه شر من
الأولى . فقال لي : جُعِلت فداك ، قد سألتني عن صناعتي فأخبرتني ، فما صناعتك
أنت ؟ قال : فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكر له الوزارة
٢٠ فقلت : أقتصر له على الكتابة ؛ فقلت : كاتب .

قال : جُعِلت فداك ، الكتّاب على خمسة أصناف : فكاتب رسائل يحتاج
إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهاني والتعازي والترغيب والترهيب

والمقصود والممدود وجملا من العريية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشغال والطسوق والتقسيم والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الأَطعام وشيات الدواب وحلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والدييات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني ، إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أمه ، فكيف تكتب له : أهنيه أم تعزبه ؟

قلت : والله ما أفق على ما تقول .

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول - أصلحك الله - وقد ولاك السلطان عملا فبئت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتؤثر حسن الأعدوة وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف في العمود وأنظر كم مقدار ذلك .

قال : إذا تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذا تظلم السلطان . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين ، اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟

قال : كنت أكتب : أحمد الأعلم ، وأحمد الأعم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلم صاحب الألف . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب جند :
فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول - أصلحك الله - في رجل توفي
وخلف زوجة وسريّة . وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ، فلما كان في تلك الليلة
أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه :
هذا ابني . وقالت هذه : هذا ابني . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟

قلت : والله لست أدري ! قال : فلست بكاتب قاض ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول - أصلحك الله في رجل وثب على رجل
فشجّه شجرة موصحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجرة مأهومة ؟ قلت ما أعلم . ثم
قلت : أصاحك الله ، ففسّر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه ، فتكتب
إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجري بغير محابّ المخلوقين ، والله يختار للعباد ،
نخار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها ! والسلام .

وأما القراح ، فتضرب واحدا في مساحة العطوف ، فمن ثمّ بابه .
وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعم ؛ والمقطوع
الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن ابن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبنتها] أخفّ فهي
صاحبة البنت .

وأما الشجة ، فإن في الموصحة خمسا من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثا وثلاثين
وثلثا ، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا .

قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي كان عاملا على
ناحية ، فخرجت إليه فألقيته بعزولا ، فقطع بي ، فأنا خارج أضطرب في المعاش .

قلت : ألسنت ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ؛ ولست بحائك الثياب .
قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرح عليه شيثامان

ثياني ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرُّحَجِيَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
 ورجع معي ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟
 فأخبرته خبري ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لي : هذا لا يُستغنى عنه ، فلاي
 شيء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين
 البناء والمرمة : فكنت والله ألقاه في الموكب النبيل ، فينحط عن دابته ، فأحلف
 عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أفدتها .

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ : مارأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء
 الكتاب : فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً .
 وقال بعض المهالبة لبنيه ، تزيوا بزى الكتاب فإنهم جمعوا أدب الملوك
 وتواضع السوق .

وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بجمعهم : فرفعوا إليه
 رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا . فهبنا للكرام الكاتبينا

فغفا عنهم وأمر بتخليه سيبلهم .

وقال المؤيد : كتاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم
 الناطقة : والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة جلييلة تحتاج
 إلى آلات كثيرة .

وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التي إليها يتناهى الفضل ،
 وعندها تقف الرغبة .

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ،
 والعلماء ، والكتّاب : والمخطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسوقهم ؛

مخاطب كلا على قدر أبعته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته ؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : منها الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخر وهي دونها أربع ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها .

٥ فالخذ الأول الطبقات العليا ، وغايتها القصوى الخلافة ، التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها ، الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بآرائهم .

١٠ الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه وحظه ، وغناؤه وجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

١٥ وأما الطبقات الأربع الأخر ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها .

والثانية وزراءهم وكتابهم وأتباعهم ، الذين تفرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم .

والثالثة هم العلماء ، الذين يجب توقيرهم في الكتب بشرف العلم ، وعلو درجة أهله .

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والخلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بمدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار ، باستغنائهم بمهنتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .
ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراها في
مراسلتك إياهم في كتبك ، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ،
وتوفيه نصيبه : فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن
طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ،
وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ؛ فلا تعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا لا تقا
بمن كاتبته ، وملاسا لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى — وإن صحَّ وشرف —
لفظا متخلفا عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عاداته ، تهجين للمعنى وإخلال
بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص ما يجب له ؛ كما أن في اتباع تعارفهم ،
وما انشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعا لعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ،
وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم .

فن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات
والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلا ، وعمرك مليا .
وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله
طويلا ؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا ، وأنه قدراً في المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا :
أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلا في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جعلت فداك ،
على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداه من
الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أرم فداك
أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا
بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراً في مخاطبة
الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قام محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سَرَّ مَنْ رَأَى مِنَ النَّاسِ * سِوَى مَنْ قَدْ يُدْخِلُ الْأَمْلَاقَ

لو رأى الكلب مائلاً بطريق • قال للكلب : يا جعلت فداك !

وكذلك لم يميزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ؛ إلا في الابن

والخادم المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :
 أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ نَلْتِ مُلْكًا فَتِهَتْ فِي كُتُبِكَ
 أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
 أَمَا كَانَ حَقًّا كِتَابَ ذِي مِقَّةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ ؟
 أَنْعَبْتَ كَفَيْكَ فِي مُكَاتِبِي * حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعْبِكَ
 فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
 أَنْكَرْتُ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ * وَلَنْ تَرَاهُ يُحْطُّ فِي كُتُبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَمَّاكَ مِنْ قِبَلِي * فَعُدُّ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَاعْفُ فِدَتَكَ النَّفْسُ عَنْ رَجُلٍ * يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ
 ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن ، يبغي للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحرص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَدَّقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
 وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام ؛ لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجب على العامة ، والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزني بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ما استودعت ، وإنك لتصدق في وعدك وتفي بعهدك ؛ فكأنه قد أتني بما يجب ؛ ولو قصد بثنائه إلى مقصده كان أشبه في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا في الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلاً فقلت: إنه لعاقِل
 كنت مدحته عند الناس، وإن قلت: إنه لكَيْس كنت قد قصّرت به عن وصفه،
 وصغّرت من قدره، إلا عند أهل العلم باللائحة: لأن العامة لا تلتفت إلى معنى
 الكلمة. ولكن إلى ماجرت به العادة من استعمالها في الظاهر؛ إذ كان استعمال
 العامة لهذه الكلمة مع الحدائثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن.
 وقد روينا عن علي كرم الله وجهه أنه تسمى بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة،
 فقال في ذلك:

أما تراني كَيْسًا مُكَيْسًا * بنيتُ بعدَ نافعٍ مُخَيِّسًا
 حصنًا حصينًا وأميرًا كَيْسًا

وقال الشاعر:

* ما يصنعُ الأحقُّ المرزوقُ بالكَيْسِ *

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء.
 كذلك روينا عن ابن عباس.

وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يُلَبِّي ويقول في تليته: لبيك يا ذا

المعارج. فقال: نحن نعلم أنه ذو المعارج، ولكن ليس كذا كنا نلبي على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما كما نقول: لبيك اللهم لبيك.

وكان أبو إبراهيم المزني يقول في بعض ما خطب به داود بن خلف الأصهباني:

* فإن قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله، فقص ذلك عليه داود، وقال فيما
 ردّ عليه: نحمد الله على أن نُخْرِجَ أَمْرًا مُسْلِمًا من الإسلام؟ وهذا موضع

استرجاع، وللحمد مكان يليق به، وإنما يقال في المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ﴾.

فأمثل هذه المذاهب، وأجر على هذه القواعد، وتحفظ في صدور كتّيبك
 وفصولها [وافتاحها] وخواتمها وضع كل معنى في موضع يليق به، وتخيّر لكل
 لفظه معنى يشاكلها، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل:

نسأل الله دفع المخدور ، وصرف المكروه ؛ وأشباه هذا ؛ وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ،
والشكر لله واجباً ، [وما يشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب
أن يتفقدتها ويتحفظ فيها ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في
موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقها من المعنى .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما]
خاطب بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه — جل ثناؤه — أمره ونهيه ومراده ؛
والرسائل إنما يخاطب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .

وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن
ذهب يكتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، احتاج الكاتب
أن يبين معناه : أسأل أهل القرية وأهل العير ، وبلى مكركم بالليل والنهار ، ومثل
هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيّد بالوزن والقوافي ؛ فذلك
أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ؛ واعتفروا
فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ؛
وذلك كله غير سائغ في الرسائل ، ولا جائز في البلاغات ، فمما أُجيزَ في الشعر
من الحذف مثل قول الشاعر :

قَوَانِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا .

يعنى الحمام ؛ وقول الآخر :

صَفْرُ الْوِشَاحِينَ صُمُوتُ الْخَلْجَلِ .

يريد الخللخال ؛ وكقول الآخر :

دارٌ لِسَلَمَى إِذِهِ مِنْ هِوَاكَ *
 كَمَا لَمَسَتْ نَظْمًا

يريد إذهى ؛ وكقول الخطيئة :

فِهَا الرَّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ * جَدَلَاءُ مَسْرُودَةٍ مِنْ نَسِجِ سَلَامٍ

يريد سليمان ؛ وقول الآخر :

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ * وَالشَّيْخِ عُثْمَانَ أَبِي عَفَانَ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وَسَائِلُهُ بِعُغْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ * وَقَدْ عَلِقَتْ بِعُغْلَبَةَ الْعَلُوقُ

وأراد ثعلبة بن سيار ؛ وكما قال الآخر :

١٠ ولستُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ * وَلَاكِ أَسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

أراد ولكن .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغَّرَ الاسمُ في موضع التعميم ، وإن كان

ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دوهية » تصغير داهية ، « وجذيل » تصغير جذل ،

« وعنديق » تصغير عنديق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

١٥ وكلُّ أَنَايسٍ سَوِّفَ تَدْخُلُ بِيْنَهُمْ * دُوْبِيَّةٌ تَصَغَّرُ مِنْهَا الْأَنَايِلُ

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : أنا عذيقها المرَّجَّبُ ، وجذيلها

المُحَكِّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلمت إياك ،

وأعنى إياك ، وهو جائز في الشعر :

٢٠ وَأَحْسِنِ وَأَجْمِلِ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْمِرْ كَأَيَّاكَ أَسِرُّ

وقال الراجز :

فَتَخَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لِقِظًا وَأَجْزَلَهَا مَعْنَى ، وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا

حَسَبًا ، وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا ؛ فَإِنَّ حَوَاتِ صِنْعَةَ رِسَالَةٍ

فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرّضت ، وعيار الكلمة بمعيارها
 إذا سنّحت ؛ فإنه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : أنا
 فاعل ، أحسن من أن تكتب : أنا أفعل ، وموضع آخر ، يكون فيه : استفعلت ،
 أحلى من : فعلت ؛ فأدر الكلام على أما كنهه ، وقلبه على جميع وجوهه ؛ فأى
 لفظه رأيتها أخف في المكان الذي نديتها إليه ، وأنزع إلى الموضع الذي راودتها
 عليه فأوقعها فيه ؛ ولا تجعل اللفظة قَلَقَةً في موضعها ، نافرة عن مكانها ؛ فإنك
 متى فعلت [ذلك] هجّنت الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذي
 أردت إصلاحه ؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدك بها إلى غير
 مصابها ، إنما هو كترقيق الثوب الذي لم تتشابهه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاءه ،
 خرج عن حد الجذّة وتغيّر حسنه ، كما قال الشاعر :

إن الجديد إذا ما زيد في خلقه • تبيّن الناس أنّ الثوب مرقوق

كذلك كلما أحلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ولوجاً
 في الأسماع ، وأشدت اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لاسيما إن كان المعنى
 البديع مترجماً بلفظ موق شريف ومُعياراً بكلام عذب لم يسمه الشكاف بمسيمه
 ولم يفسده التعقيد باستغلافه .

وكتب عيسى بن طبيعة إلى أخيه أبي الحسن ، وزور كلامه وجاوز المقدار في
 التنطع ؛ فوقع في أسفل كتابه :

أنى يكون بليغاً • من اسمه كان عياً

وثالث الحرف منه • أذ كُفيت مُسيّاً

قال : وبلدنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج
 عنه ومر بباب الطاق ، فإذا بطير يدعى الشفانين ، فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب
 كتاباً يتنطع في بلاغته ، وذكر : إنه يقال له شفانين ، أرجو أن يكون شفاءً من
 أنين ! فوقع في أسفل الكتاب : والله لو عطست ضباً ما كنت عندنا إلا نبطياً ،
 فأقصر عن تنطعك وسهل كلامك .

قوله : لو عطست ضبًا ، يريد : أن الضباب من طعام الأعراب وفي بلدهم يقال : لو عطست فنثرت ضبًا من عطاسك ، لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا . وقد جاء في بعض الحديث : أن القط من نثرة عطسة الأسد ، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيا .

اخلد يهجو حبيبا

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو حبيبا :

أنت عندي عربي . ليس في ذلك كلام
 شعرُ ساقينك وفخ . نذيك خزامي وئمام
 وقدي عينيك صمغ . ونواصيك نعام
 وضلوعُ الصدر من شد . بوك نبع وبشام
 لو تحركت كذا لانه . يجفلك منك نعام
 وظباء راتعات . ويراييع عظام
 وحمام يتغسني . حبذا ذاك الحمام
 أنا ما ذنبي لأن . كذبتني فيك الأنام ؟
 وفنتي يحلف ما إن . عرفت فيه الكرام
 ثم قالوا جاسمي . من بني الأنباط حام
 كذبوا ما أنت إلا . عربي والسلام !

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ؛ وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضائل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كتناؤل الحسنة في الأظهار الرثة .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛ وقد ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى

٥

١٠

١٥

٢٠

التَّصْيِية ، والتَّصْيِية الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليك بغير يد ؛ وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني وسافرة عن وجوهها .

وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجُمان ؛ فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهاج ، إلى حد الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان ، الحيُّ الناطق .

وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح .

وقال علي بن عبيدة : إنما يبين عن الإنسان ، اللسان وعن المودة العينان .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه .

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصغران : لسانه . ومعقوله ، والجسمُ حَلَقُ مَصُورٌ

فإن طُرَّةَ راقَتِكَ يوماً فرَّبَّما . يَمَزَّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضر

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه

الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه في الإيضاح عند المشهد ويفضله عند المغيب ؛

لأن الكتب تقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس في كل

عصر وزمان ، وبكل لسان ؛ واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يعدو سامعه

ولا يُجاوزه إلى غيره .

البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشد من البلاغة .

- لجعفر
 وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ،
 والدلالة بالقليل على الكثير .
- لابن المقفع
 وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحَصْر ، والجرامة على البشر .
 قيل له : فما العي ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتحنُّج من غير علة .
- لبعضهم
 وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل .
- لأعرابي
 وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .
- لأرسطاطاليس
 وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .
- لجالينوس
 وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .
- للخليل
 وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرُب طرفاه ، وبعُد منتهاه .
- لابن صفوان
 وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة .
- وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير
 الباطل في صورة الحق .
- لإبراهيم
 وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار في الكتب

- وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه
 ١٥ أدب يجب معرفته ، وقد تعلققت العاقبة بكتاب القمّي والأصبهاني .
- الأصبهاني : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليّة من
 تبديل الحروف ، وذلك يمكن لكل إنسان ، غير أنّ اللطيف من ذلك أن تأخذ
 لبناً حلياً فتسكتب به في القُرطاس ، فيذرّ المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد
 القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بهاء الزاج الأبيض ،
 ٢٠ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت
 أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السُّلحفاة .

قولهم في الأرقام

لبعضهم

قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة ، من معان معمودة بحروف معلومة مؤلفة ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، وتاجها التدبر ، تخرس منفردات ، وتنتطق مزدوجات ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسنٍ محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرف باريه قَطَّته ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه ، فهناك استمدت القلم بشقه ، ونثر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكير ، وجرى على ألسنته الكلام الذي سداه العقل ، وألمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظنه الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء .

لأبي الحسن
الهاشمي

وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :
وأسمَرَ طَوايِى الكَشْحِ أحرَسِ ناطِقٍ • له ذَمْلانٌ فى بطونِ المَهَارِقِ
إذا استعجلته الكُفُّ أمْطَرٌ وبَلَه • بلا صرْتِ إرعادٍ ولا ضوءِ بارِقِ
إذا ما حَدا غُرَّ القوافى رأيتَها • مُجَلَّـة تَمْضى أمامَ السُّـوابِقِ
كأنَّ عليه من دَجى الليلِ حُلَّة • إذا ما استَهَلَّتْ مُزْنُه بالصَّواعِقِ
كأنَّ اللَّالى والزَّبَرَجْدُ نطقَه • وتوم الخُزامى فى عيونِ الحدائقِ

للعلى

وقال العلى فى صفة القلم :

وعُربانَ من خِلَعِه مُكْتَسِى • يَمِيسُ من الوشَى فى يَلْمَقِ
تَحْدَرُ من رأسِه رِيقَةٌ • تَسيلُ على ذِرْوَةِ المَفرِقِ
فكم من أسيرٍ له مُطَلِّقٍ • وكم من طَلِيقٍ له مُوثِقِ
يُقيمُ ويُوطنُ غُربَ البلادِ • وَيَنهى ويَأمرُ بالمَشرقِ
قليلٌ كثيرٌ ضُروبِ الخُطوبِ • ط وأخرسُ مُستمعُ المنطقِ

يسير بِرُكْبٍ تَلالٍ عَجالٍ . إذا ما حدا الفكر في مهرقٍ

لبعضهم في القلم وقال آخر في القلم :

لك القلمُ المطيعُك غير أنا . وجدنا وسمه غير المطاع

له ذوقان من أرى هنيئاً . ومن شرى وبني ذى امتناع

أحدُ اللفظِ ينطقُ عن سِواه . فيسمع وهو ليس بذى استماع

إذا استسقى بلاغتك استهلت . عليه سماء فكرك باندفاع

وقال :

وبيتٍ بعلياء الفلاة بينته . بأسمر مشقوق الخياشيم يُرْعَف

كأن عليه مُلبساً جِلْدَ حية . فما يمضى ولا يتخلفُ

جليلُ شئونِ الخطبِ ، ما كان راكباً . يسير ، وإن أُرْجِلْتُهُ فمضعفُ

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلمُ الأعلى الذي بِشباته . يُصابُ من الأمرِ الكلى والمفاصلُ

لعاب الأفاعى القاتلاتِ لعابه . وأرى الجنى أشتارته أيدٍ عواسيل

له ريقَةٌ طلٌّ ولكن وقمها . بآثاره في الشرق والغربِ وابل

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ . وأعجمُ إن خاطبته وهو راجل

إذا ما امتطى الخمس اللطافَ وأفرغت . عليه شعابُ الفكر وهي حوافل

أطاعته أطرافُ القنا وتقوضت . لِنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافل

إذا استغزَرَ الذهنَ الجليَّ وأقبلت . أعاليه في القِرطاس وهي أسافل

وقد رفدته الخنصرانِ وسدّدت . ثلاثَ نواحيه الثلاث الأنامل

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ . ضنني ، وسميناً خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخشعي ، فقال لابن الزيات :

ما حُطِبَةُ القلمِ التي أُنبِئْتُها . وردت عليك لشاعر مجرود

للبيهقي في قلم

وأشدد البيهقي لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تآلق في الندى كلامه الـ مصموم خلت لسانه من عضبه

وإذا دجت أقلامه ثم أنتجت * برقت مصابيح الدجى في كنهه

باللفظ يقرب فهمه في بعده * متأ ، ويعد نيله في قربه

حكم فسأحها خلال بنائه * متدفق وقلبيها في قلبه

وكانها والسمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محببه

لأبن أبي طاهر

وأشدد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :

قلم الكتابة في يمينك آمن * مما يعود عليه فيما يكتب

قلم به ظفر العدو مقلم * وهو الأمان لما يخاف ويرهب

يبدى السراير وهو عنها محجب * ولسان حجبته بصمت يعرب

لأبن عبد ربه

ومن قولنا في القلم :

بكفه ساحر البيان إذا * أداره في صحيفة سحرا

ينطق في عجمة بلفظته * نصم عنه ويسمع البصرا

نوادير تفرع القلوب بها * إن تستبينها وجدتها صورا

نظام در الكلام ضمه * سلكا لخط الكتاب مستطرا

إذا امتطى الخنصران أذكر من * سخبان فيما أطال واختصرا

يخاطب الغائب البعيد بما * يخاطب الشاهد الذي حضرا

ترى المقادير تستدف له * وتنفذ الحادثات ما أمرا

شخب ضليل لفعله خطر * أعظم به في ملبه خطرا

تمج فكاه ريقة صغرت * وخطها في القلوب قد كبرا

يواقع النفس منه ما حدرت * وربما جنبت به الخدرا

مهفهف تزدهى به صخف * كأنما حلت به دررا

كأنها تُرفع العيون بها • خلال روضٍ متكلي زهرا

إن قزبت مرطت طوابعها • ما فضّ طين لها ولا كسيرا

يكاد عنوانها لروعته • ينيك عن سرّها الذي استترا

ومن أحسن ما شبت به الأقلام وشبه بها ، قول ذى الرمة : لدى الرمة

كأن أنوف الطير في عرصاتها • خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدى بن الرقاع : لابن الرقاع

يخرجن من فُرجات النقع دامية • كأن آذانها أطراف أقلام

ومن قوله في ولد البقرة :

تُزجي أعن كأن إبرة روقه • قلم أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول المأمون : للمأمون

كأنما قابل القرطاس إذ مشقت • منها ثلاثة أقلام على قلم

ومثله قولنا فيه : لابن عبد ربه

إذا أدارت بنائه قلباً • لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا في الأقلام :

ومعشّر تنطق أقلامهم • بحكمة تلقنها الأعين

تلفظها في الصكّ أقلامهم • كأنما أقلامهم السن

ومن قولنا في الأقلام :

يا كاتباً نقشت أنامل كفه • سحر البيان بلا لسان ينطق

إلا صقيل المتن ملبوم القوى • حُزّت لهازمه وشق المفرق

فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً • في مغرب أصغى إليه المشرق

يدلي بريقة أريه أو شريه • يبكي ويضحك من نداء المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يُخدم الإرادة ؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكتا ؛ على أرض بياضها مظلم ،
وسوادها مضيء .

وقال سليمان بن وهب وزير المهدي : كل قلم تطيل جلفته ؛ فإن الخط
يخرج به أوقص .

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعد ، فليكن قلبك بحريا لا سمينا ولا رقيقا ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق
النقب ، فأبره بريا مستويا كمنقار الحمامة : أعطف قطنه ، ورقق شفرته ؛ وليكن
مدادك صافيا خفيفا ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه في الدواة ؛ وليكن قرطاسك
رقيقا مستويا النسيج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست
تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس
الذي في يسارك ، وأقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة
ثلاثة أحرف ولا أربعة . ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فزقت القليل
كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سمجا ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ،
واخطه بعرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة
العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، ورأس كل مرسل
برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والحاء والذال والذال والراء ، والمطة السفلى
من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والزين ، بالسن السفلى من القلم
وامطط بعرض القلم ، وامط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب
العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة . والسلام .

وقال ابن طاهر لكتابه : ألق دواتك ، وأطل سن قلبك ، وفزج بين السطور ،
وقرمت بين الحروف .

وقال إبراهيم بن جبلة : مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطأ رديئا ، فقال لي :
أ [لا] تحب أن يجود خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطل جلفه القلم وأسمنها ؛
وحزف قطنك وأيمنها . ففعلت فجاد خطي .

- وقال العتابي : يبكاء القلم تبتسم الكتب . للعتابي
- وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم . لبعض الحكماء
- وقال حبيب الطائي : لحبيب
- لولا مُناشدةُ القُرْبى لغادرَكم * حصائدُ المرهقين : السيف والقلم
- وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنِّ أعلامهم . لأرسطاطاليس
- وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فر بنى عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقال : أجلُّ قلبك . فقصمت من قلبي قصمة ، فقال : هكذا نوره كما نوره الله . لأبي حكيمة
- وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مشفا ، وقال : أجود الخط أبيضه . لابن سيرين
- وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم بإسبال ذوائبها . لابن وهب
- وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملاً أقطار الظنون . لابن مسعدة
- وذكر علي بن عبيدة القلم فقال : أصمُ يسمع النجوى ؛ أعيان من باقل ، وأبلغ من سبحان واتل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان ألسناً ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضمها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة . لابن عبيدة
- وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في خدود الكتب . لابن يوسف
- وقال العتابي : الأقلام مطايا الفطن . للعتابي
- وتخاير غلامان في بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يفضّل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطُّك أنت فوشىُّ محوك . وقال للآخر : وأما خطُّك أنت فذهب مسبوك ؛ تكافأتما في غاية ، وتوافيتما في نهاية . لغلامين

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان ،
وعليه مكتوب :

وا بآبي ا وا بآبي * من كف من يكتب بي

لأبي هفان

وقال أبو هفان يصف القلم :

وإذا أمرَّ على المهارق كفه * بأناملٍ يحملن شخناً مرهفا
ومُقصرّاً ومطوّلاً ومقطّعا * وموصّلاً ومُشتتاً ومؤلّفا
كالحية الرقشاء إلا أنه * يستنزل الأروى إليه تَلطُّفا
يهفو به قلم يمجُّ لعابه * فيعود سيفاً صارماً ومثقفا

لبعض الشعراء

وقال آخر في وصف الدواة :

ومُسوذة الأرجاء قد خضتُ جالها * ورويت من قعر لها غير مُنبط
تخص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سرّ الأمين المسلط

لبعض الكتاب

وقال بعض الكتاب :

وما روضُ الربيع وقد زهأه * ندى الأسحار يارجُ بالغدأة
بأضوع أو بأسطع من نسيم * تؤديه الألافة من دواة

وقال آخر في وصف بحيرة :

ولجة بحر أجم العبا * ب بادٍ وأمواجه تزخر
إذا غاص فيه أخو غوصة * سريع السباحة ما يفتتر
فأنفس بذلك من غائص * بديع الكلام له جوهر
وأكرم يبحر له لجة * جواهرها حكم تُنثر

لابن أشرس

وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرته الأقلام ، لم تطمع في درسه الأيام .

ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تحط خطاً حسناً ، فقال فيها :

وزادت لدينا خطوة حين أطرقت * وفي إصبعيها أسمر اللون أهيف
أصمُّ سميع ، ساكن متحرك * ينال جسيات المنى وهو أعجف

- لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :
 إذا ما التقينا وانتصينا صوارماً . يكاد يُصم السامعين صريرها
 تساقط في القرطاس منها بدائع . كمثل اللآلى نظمها ونثرها
- لابن المعتز قال بشر بن المعتز : القلب معدن ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم
 صانع ، والخط صيغة .
- لابن هارون وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا عرف أعلن أسراره وأبان آثاره .
 وقالوا : حُسن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجّة ، ويمكن له درك البغية .
 وقال آخر : الخط الرديء زمانة الأديب .
- لابن وهب وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة بري القلم ،
 وإطالة جلفته ، وتحريف قطته ، وحُسن التأنى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة
 بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على
 الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
- لابن حميد وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلبه في أحسن أجزائه ،
 وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه .
- لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : كلُّ كتاب غير مخنوم فهو عُقل .
 وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴾ قال : مخنوم .
- لابن طاهر ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إجماعها ، فقال : ما أحسن
 ما كتبت إلا أنك أكثرت سُؤنيَها .
- لأبي عبيدة وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة ،
 ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوان ؛ ولا قلم إلا إذا بُرى ،
 وإلا فهي قصبه .
- لبعضهم وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخمّنين عند النخاسين ،
 وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

لابن الأزهر

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه :

أما بعد ، فإنما على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم : خلقت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُّحْرِيَّةَ أسرع في الكواغد ، وأمرّ في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأشدُّ لتصريف الخط فيها ؛ ونحن في بلد قليل القصب رديته ، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام بحرية ، وتتأنق في انتقائها قبلك ، وتطلبها في مظانها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تسيم في اختيارك منها الشديد المُحصّ ، الصلبة المقصّ ، النقية الجلود ، القليلة الشعوم ، المكتنزة اللعوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الجفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرقاق القُضبان ، المقومات المُتون ، المُلس المعاهد ، الصافية الفشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهي قائمة على أصولها ، لم تُعجل عن إبان ينعها ، ولم يؤخّر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رقيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعديتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

قال بعض الكتّاب : عَطَّرُوا دَفَاتِرَ آدَابِكُمْ بِجَمِيدِ الْخَبْرِ ، فَإِنَّ الْأَدَبَ غَوَانِي

٢٠ والخبر غوالي .

ونظر جعفر بن محمد إلى قتي علي ثيابه أثر المداد وهو بستره ، فقال له :

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمَدَادِ فَإِنَّهُ عَطَّرُ الرِّجَالَ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

وأتى وكيع بن الجراح رجلاً يمت إليه بحرمة ، فقال له : وما حُرْمَتُكَ ؟ قال له : وكيع وقريب له

كنت تكتب من محبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنائير ، وقال له : أعذر فما أملك غيرها .

وفي الأقلام

أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاماً ؛ فكتب إليه :
 إنه لما كانت الكتابة - أبقاك الله - أعظمَ الأمور ، وقوامَ الخلافة ،
 وعمودَ المملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يخفُّ بحمله ، وتثقلَ قيمته ، ويعظمَ نفعه
 ويجلَّ خطُّه ؛ وهي أقلام من القصبِ النابت في الصُّعر الذي نشف في حر
 الهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ؛ فهي كاللآلئ المكنونة في الصدف ،
 والأنوار المحجوبة في السدف ؛ تيرية القشور درية الظهور ، فضية الكسور ؛
 قد كسستها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر ، وفرند الديباج المنير .

لابن الحرون

قولهم في الصحف

نعمَ الأنيسُ إذا خلوتَ كتابٌ • تلهو به إن ملكَ الأحبابُ

لامفشيًا سرًّا إذا استودعته • وثقادُ منه حكمةٌ وصوابُ

وقال آخر :

ولكلِّ صاحبٍ لذةٌ متميزةٌ • أبدأ ، ونزهةٌ عالمٍ كُتبه

وقال حبيب :

مدادٌ مثلُ خافيةِ الغرابِ • وقِرطاسٌ كرقاقِ السرابِ

وألفاظٌ كالألفاظِ المشاني • وخطٌّ مثلُ وشمِّ يدِ الكعابِ

كُتبتُ ولو قدرتُ هوىً وشوقاً • إليك لكنتُ سطرأ في الكتابِ

وقال في صحيفة جاءت من عند الحسن بن وهب :

لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ • جوِّ وأصابَ شاكِلَةَ الرَبِيِّ

فَضَضْتُ خِتَامَهُ فْتَبَلَّجَتْ لِي • غَرَابُهُ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ

وَكَانَ أَعْضَى فِي عَيْنِي وَأَنْدَى • عَلَى كَيْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجِنِيِّ

لبعض الشعراء

حبيب

وأحسن موقعا عندى ومنى * من البشرى أتت بعد النعى
 وضمن صدره ما لم تضمن * صدور الغايات من الحلى
 فكان فيه من معنى خطير * وكان فيه من لفظ بهى
 فيا ثلج الفؤاد وكان رصفاً * ويا شيعى بروقه وريى
 فكم أفصحت عن برّ جليل * به ووأيت من وأي سنى
 كتبت به بلا لفظ كربه * على أذن ولا خط قسى
 رسالة من تمتع منذ حين * وتمعنا من الأدب الرضى
 لئن غربتها فى أرض بكر * لقد زفت إلى قلب وفى
 وإن يك من هداياك الصفايا * فرب هديّة لك كالهدي

١٠ وقال ابن أبي طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * من رأيه وتدّى كفيه عن مثل
 من خط أقلامه خط القضاء على الـ * أعداء الموت بين البيض والأسل
 لعابها عيل فى الصدر تنفثه * وربما كان فيه النقع للغلل
 كأن أسطارها فى بطن مهرقها * تورّ يضاحك دمع الواكف الخضل

١٥ وقال البحرى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطّل الناس فنّ عبد الحميد
 فى نظام من البلاغة ما شد * لك امرؤ أنه نظام فريد
 وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى روتق الربيع الجديد
 ما اغتدت منه فى بطون القراطيد * يس وما حملت ظهور البريد
 حجاج تُخرس الألد بالفا * ظى فرادى كالجوهر المعدود
 حزن مستعمل الكلام اختياراً * وتجنّب ظلمة التعقيد
 كالعدارى غدوّن فى الحلال البى * ض إذا رحن فى الخطوب السود

لابن أبي طاهر

البحرى

لابن الجهم

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءته بخط جيد :

مارُقعةً جاءتك مَثنِيَّةً * كأنها خُدتُ على خدِّ

نثرُ سوادٍ في بياضٍ كاذُ * رفِيتُ المِسكِ في الوردِ

ساهِمَةُ الأسطُرِ مصروفةٌ * عن جِهَةِ الهزْلِ إلى الجِدِّ

٥ يا كاتِباً أَسألُني عَتْبُهُ * إليك، حَسبي مِنكَ ما عندِي !

لأبان

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى

الفضل بن يحيى بن خالد، رقعةً بأبياتٍ له يَصِفُ فيها قامته ، وكثافةَ لحيته ، وحلاوةَ

شماله ، وبراعةَ أدبه ، وبلاغتهَ قلبه ؛ فقال :

أنا مِن بُغِيَّةِ الأميرِ وكَنزُ * مِن كُنوزِ الأميرِ ذو أرباج

١٠ كاتبٌ حاسِبٌ أديبٌ لبيبٌ * ناصِحٌ زائدٌ على النَّصِاحِ

شاعِرٌ مُفلقٌ أخفٍ مِنَ الرِّيدِ * شَهٍ مِمَّا يَكُونُ تحتِ الجِناحِ

لِي في النَّحوِ قِطْنةٌ ونِقاذُ * أنا فيه قِلادةٌ بوشاج

لو رَمَى بي الأميرُ أصْلَحَهُ اللهُ * رِماحاً صَدَمْتُ حدَّ الرِّماحِ

ثم أروى من ابن سيرين في الفقه * به بقولٍ مُنَوَّرِ الإفْصاحِ

١٥ لستُ بالضَّخْمِ في رِوائِي ولا الفِذِّ * مِ ولا بالمَجْعَدِ الدَّحْجِ

لِحِيَّةِ كَثَّةٍ وأنفٍ طَوِيلِ * واتَّقادُ كَشَعْلَةِ المِصْباجِ

وكثيرُ الحديثِ مِنْ مُلْحِ النِّا * سِ بصيرٍ بِخافِياتِ مِلاجِ

كَمْ وكَمْ قد خَباتُ عِنْدِي حديثاً * هُوَ عِنْدَ الأميرِ كالتَّفْجِ

أَيَمُّ النَّاسِ طائِراً يَوْمَ صَيْدِ * في غُدُوٍّ أو بُكْرَةٍ أو رِواجِ

٢٠ أَعْلَمُ النَّاسِ بالجِوارِحِ والصَّيِّ * بِدِ وبالْحُرْدِ الحِسانِ المِلاجِ

كُلُّ هذا جَمَعْتُ والحمدُ لِلَّهِ * عَلَي أَنِّي ظَرِيفُ المِزاجِ

لستُ بِالنَّاسِكِ المُشَمَّرِ ثَوْبِي * بهِ ولا الفاتِكِ الخَلِيعِ الوِجاجِ

لو دَعاني الأميرُ عَينَ مَتِي * شَمْرِيًّا كالْبَلْبِلِ الصِّجاجِ

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له :
أجب . فأجاب بما في غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم ؛ وكنا نراه أول
داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابُه مع ركابه .

لأبي نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نُوَاس ، فقال :

أنتَ أولى بِقِلَّةِ الحِظِّ مِنِّي * يا مُسَمَّى بالبلبِلِ الصِّدَاحِ ٥

قد رأوا منه حين عَنَى لَدَيْهِمْ * أَخْرَسَ القَوْلِ غَيْرَ ذِي إِفْصاحِ

ثم بالرَّيشِ شَبَّهَ النَّفْسَ فِي الحِجِّ * نَفَقَةٍ مِمَّا يَكُونُ تَحْتَ الجِنَاحِ

فإذا الشَّمُّ من شَمَارِيخِ رَضوى * خِيفَةٌ عِنْدَهُ نوى المِشْبَاحِ

لم يَكُنْ فِيكَ غَيْرُ شَيْئَيْنِ مِمَّا * قَلتَ فِي نَعْتِ خَلْقِكَ الدَّحَاحِ

لحِيَّةٌ جَعْدَةٌ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ * وَسِوى ذاكَ ذاهِبٌ فِي الرِّياحِ ١٠

فِيكَ ما يَحْمِلُ المُلوكَ عَلى السُّنخِ * فِى وَبُزْرِى بِالمَاجِدِ الجِجْجَاحِ

بارِدُ الطَّرْفِ ، مُظْلِمُ اللَّبِّ ، تَيًّا * هُ ، مُعِيدُ الحَدِيثِ ، سَمِجُّ المُزَاحِ

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ! فبعث إليه

أبو نواس : لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فيقال :

إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبي نواس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد رُميَ ١٥

بخمس في بيت لا يقبله على واحدة منهن إلا جاهل . فقييل له : كذب عليه .

فقال : قد قيل ذلك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبان بن

عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ، ويعطى

كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إني ٢٠

أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفر نصيبك عندي . فهجاه لذلك .

والألف مائة ألف درهم من ناس .

فمن الجاهل الذي لا يقبله على واحدة منهن إلا جاهل . فقييل له : كذب عليه .

فقال : قد قيل ذلك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبان بن

عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ، ويعطى

كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إني

أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفر نصيبك عندي . فهجاه لذلك .

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان بينه ، فوَقَّع في أسفل كتابه : **أَبْنِ مَا يُسْكُنُكَ مِنَ الْهَوَاجِرِ وَأَذَى الْمَطَرِ .**

ووقع إلى عمرو بن العاصي : **كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .** ٥

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر **بِوَجْءِ** أعناقهم : **(فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) .**

ووقع في قصة رجل شكوا عيلة عليه : **قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ .** ١٠

علي بن طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : **فِي بَيْتِهِ يَوْتَى الْحَكْمِ .**

ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضى الله عنه : **رَأَى الشَّيْخَ خَيْرَ مِنْ مَشْهَدٍ^(١) الْغَلَامِ .**

ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ - : **يُحَاسَبُونَ كَمَا يُرْزَقُونَ .** ١٥

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة : **بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَنْمَى عَدَدًا .**

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره : **مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ ؟**

وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء : قيمة كل امرئ ما يحسن .

معاوية بن أبي سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه ، فوقع في أسفل كتابه : بيت
أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام ، فأنت تراه .

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقَطِّعه مالا بالطائف : عش رجبا
تر عَجَباً .

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته : إن
أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في سلاح واحد ، وذلك حلف لا يحله
سوء أدبك .

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة
بأثنى عشر ألف جذع : أدرك في البصرة ، أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته : أحكم لهم
بأماهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحزة ، فوقع في أسفل
كتابه : ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ .

وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج : قليل
العتاب يُحكَم مرائر الأسباب ، وكثيره يَقطع أواخى الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجة ،
والأفعال متباينة ؛ فخذ لرحمك من فعلك .

وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فاحرص أن
تكون كلها .

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أناه من الحجاج [يشكو إليه نفرًا من بني هاشم ويُغريه بهم]

جُنُبِي دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه

في قتل أشرافهم ، فوقع له : إن من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن

شؤمه أن يختلف به المؤتلفون .

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضغفك قوى ، وبخرقك طلع .

ووقع في كتاب ابن الأشعث :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه . حفاظًا ، وينوي من سفاهته كسرى ؟

ووقع أيضاً في كتاب :

كيف يرجون سقاطى بعدما . شمل الرأس مشيبً وصلع

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، ينكر ذلك

عليه ويعرفه أنه على غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمعن المال جمع من يعيش

أبدا ، ولأفرقنه تفريق من يموت غدا .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد رأب الله بك الداء ، وأوذم بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهده بالخلع ، فوقع في كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً * أبشر بطول سلامة يا مربع

(١) ووقع في كتابه أيضاً : العاقبة للمتقين .

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده : ﴿ وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مَرَمَّة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : أيها بالعدل ، ونقَّ طرُقها من الظلم . ٥

وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حَسَنُهَا وَنَفْسُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ .

وإلى رجل ولاه الصدقات ، وكان دميماً فعدل وأحسن : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : أَرْضْ لَهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ، وخذ بجرأتهم بعد ذلك . ١٠

وإلى عدى بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إِنَّ آخِرَ آيَةٍ أَنْزَلْتُ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة - وكتب إليه أنه فعل في أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب - : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ آقَدَهُ ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك - وعمرُ عامله على المدينة - فوقع في كتابه : اللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ خَلِيفَةِ تَمُوتُ . ١٥

وأناه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لَا تَطْلُبْ طَاعَةَ مَنْ خَذَلَ عَلِيًّا ، وكان إماماً مرضياً .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعْطِيَهُ مَوْضِعاً بَيْنِيهِ ، فوقع : كُنْ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَذَرٍ . ٢٠

وفي قصة متظلم : العدل أمامك .

وفي رقعة مجبوس : تُبُّ تَطْلُقُ .

وفي رقعة رجل قتل : كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وفي رقعة متنصح : لو ذكرت الموت شذاك عن نصيحتك .
 وفي رقعة رجل شكا أهل بيته : أتما في الحق سيان .
 وفي رقعة امرأة حُبس زوجها : الحق حَبسه .
 وفي رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصِفك منه فأنا ظالمُك .

يزيد بن عبد الملك

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغررُك حسنُ رأى ، فإنما تفسدهُ عشرة .
 وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقل .
 وفي قصة متظلم : (سيعلمُ الذين ظلموا أيُّ مقلبٍ ينقلبون) .
 وفي قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صَفَحْتَ عنه
 واستوصلتني .

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحلَّ بك النكال إن كنت
 كاذبا ؛ فتقدم أو تأخر .
 وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما ادَّعَيْتُم عليه عزلناه وعافيناه .
 وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر لياليَ البيات .
 وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهبهم له .

وقع في رقعة مجوس لزمه الحد : نزل بحدِّك الكتابُ .
 ووقع في قصة رجل شكا إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حرمة : راه

لعبالك في بيت مال المسلمين سهم ، ولك بحرمتك منّا مثلاه .
 وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَعُ سيفك في كلاب النار ، وتقرب

إلى الله بقتل الكفار .

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم : لِنُفُورِ ضَنْكُم فِي خِصْمِكُمْ دُونَكُمْ .

وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار فى بلده : مُرُّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ .

وإلى سهل بن سيار : خَفِ اللهُ وَإِمَامَكَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أَرَاكَ تُتَقَدَّمُ رِجْلَا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيِّمَا شِئْتَ .

وإلى صاحب خراسان فى المسوِّدة : نَجْمٌ أَمْرٌ أَتَتْ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مَنَى بِسَالِمٍ .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم : تَحَوَّلَ الظَّاهِرُ يَدِلُّ عَلَى ضَعْفِ البَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الأَمْرُ مُضْطَرِبٌ ، وَأَنْتَ نَائِمٌ ، وَأَنَا سَاهِرٌ :

١٥ وإلى حوثرَةَ بن سُهَيْلٍ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى قَحْطَبَةَ : كُنْ مِنْ بِيَاتِ المَارِقَةِ عَلَى حَذَرٍ .

ووقع حين أتاه عَرَقُ قَحْطَبَةَ وَانْهَزَامِ ابْنِ هَبِيرَةَ : هَذَا وَاللَّهُ الإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَنَ رَأَى مَيِّتًا هَزَمَ حَيًّا ؟

وفى جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرِهِ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ كَجَمْرِهِ

٢٠ الحَاضِرُ يَرَى مَا لَإِبْرَى الغَائِبِ ، فَأَحْسِمِ الثُّؤُلُوبَ .

فكتب نصر : الثُّؤُلُوبُ قَدْ أَمْتَدَّتْ أَغْصَانَهُ ، وَعَظَمَتْ نِكَايَتَهُ .

فوقع إليه : يَدَاكَ أَوْكُنَّا وَفُوكَ نَفْتَحُ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أُسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم .

ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حلّك أفسد علمك ، وتراخيك أثر في طاعتك ، فخذلي منك ، ولك من نفسك .

ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولست مني إن لم تقتله .

١٠ وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحجّ وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذنك لك .
ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك في النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .

وإلى عامل تُظلم منه : ﴿ وما كنتُم تتخذون المضلّين عضداً ﴾ .
١٥ وفي قوم شكروا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعداً للقوم الظالمين ﴾ .

أبو جعفر

وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها .

٢٠ ووقع إليه أيضا : ﴿ أذفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم ﴾ فاجعل الحظ لك دوني يكن لك .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوت فأشكيناك ، وعتبت
فأعتبتناك ، ثم خرجت عن العاقبة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يؤمر عليكم .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ .

وفي قصة رجل شكى عيلة : سئل الله من رزقه .

وفي قصة رجل سأله أن يبني بقر به مسجدا فإن مُصلاه على بعد : ذلك

أعظم لشوايك .

وفي قصة رجل قطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا

مُمنك لها وما يُمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وفي قصة رجل شكى الدين : إن كان دينك في مرضاة الله قضاه .

وإلى صارورة سأله أن يحج : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع

إليه سبيلا ﴾ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد

يعطك النيل القيادة .

وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكتابك

وإلا استبدل بك .

وإلى صاحب أرمينية : إن لي في قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما

أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا

أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وقيت

لم ينتهبوا .

المهدى

وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق
كما يقاد الجمل الخشوش . يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : (خُذِ العفو
وأُمرْ بالعرفِ وأَعْرِضْ عن الجاهلين) .

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفي قصة قوم أصابهم قحط : يقدر لهم قوت سنة القحط ، والسنة التي تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبي حفصة — : أسرفت في مديحك فقصرنا
في جباتك .

١٠ وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك
وتقر به عينك .

وفي قصة رجل شكوا الحاجة : أتاك الغوث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسرأنا إليك يقوم بإبطاننا عنك .

١٥ وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إثناسه إلى بابه : قد أنصف القارة
من رامها .

وفي قصة رجل حبس في دم : (ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب) .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل في
المكيال والميزان .

وإلى يوسف البرم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيمانى .

٢٠ موسى الهادى

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أنكرتناك منذ لزمنا
أبا حنيفة ؛ كفاناه الله .

وإلى صاحب أفريقية في أمر فَرَطَ منه : يابن اللخناء أنى تتمرس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحَكَ لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُخرب خِزانتى وخزانة أخى يوسف فيأتيك
منى ما لا قِبَلَ لك به ، ومن الله أكثر منه .

ووقع في قصة رجل من البرامكة : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الخزم .

وإلى خزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية :
لا أم لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفي قصة محبوبس : من لجأ إلى الله نجا .

وفي قصة متظلم : لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السند إذ ظهرت العصبية : كل من دعا إلى الجاهلية تَعَجَّلَ
إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز ، وكان بالمنظّم عارفاً : قد وليتاك
موضعه ، فتشكّب سيرته .

وفي كتاب بكار الزبيرى إليه : يخيره بسرّ من أسرار الطالبين : جرى الله
الفضل خيرَ الجزاء في اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يا محفوظ ، اجعل خرج مصر خَرَجًا
واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا
ليلى بالسهاد ، ونفوا عن عيني لنيد الرقاد .

ووقع إلى السندي بن شاهك : حَفِ اللهُ وإمامك ، فهما نجاتك .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحييت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عنم وكده كندة وطبي : فهلا قابلتهم بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كروان ابن عمك إذ خرج مصلناً سيفه متمثلاً بيت الجحاف بن حكيم :

مُتَقَلِّدِينَ صَفَاتِهَا هِنْدِيَّةً هـ يَتَرَكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كَمَنْ لَمْ يُولَدِ
فجالد به حتى قتل : لله أم ولدته ، وأب أنهضه .

وكتب متملك الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي ، وكل بطل في جندي . فوقع في كتابه : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَاْفِرُ لِمَنْ عُنِيَ الدَارِ ﴾ .

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم . فوقع فيه الرشيد : الحكم الذي رضيت في الآخرة لك ، هو أعدى الخصم في الدنيا عليك ، وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرفُ قضاؤه .

المسأمون

وقع إلى علي بن هشام في أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأى الرجلين أنت ؟
وإلى هشام : لا أدنيك ولك يباني خصم .

وإلى الرستمى في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارك طاو .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، عمّر نعمتك بالعدل : فإن الجور يهدمها .

وفي قصة متظلم من أبي عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ .

وفي قصة لمنظلم من حميد الطوسي : يا أبا غانم ، لا تعتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان .

٥ وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمد أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فمالك موضعٌ تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده .

وفي كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدت الله في مناجاتي إياه .

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فدك حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فدك ، كما أرضى الله رسوله فيها .

١٠ وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بذاك وشكاسة خلقتك ، فأما ظلك للرعية فإننا لانحتمله .

ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها .

١٥ وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن غفرت فبفضلك ، وإن أخذت فبحقك . فوقع في كتابه : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله .

ووقع في رقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة لآزمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد فخطك الرويا .

٢٠ ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته ، وثمامة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركة ما لا يعنيه ، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللعلی بخمسمائة ألف لصحيح سننه ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقته ، ولأحمد بن أبي خالد بألف لمخالفة شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعه ، وللمريسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه ،
ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقعات الأمراء والكبراء

زياد

- ٥ وقع إلى بعض عماله : قد كنت على الذعار وإخالك ذاعرا .
وكتبت إليه عائشة في وصاة برجل ، فوقع في كتابها : هو بين أبويه .
وإلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه : استر بعض دينك ببعض ،
وإلا ذهب كله .
- ١ وإلى عامله بالكوفة أمط الحدود عن ذوى المروءات .
وفي قصة متظلم : أنا معك .
- ١٠ وفي قصة قوم رفعوا على عامل ربيعة : من أماله الباطل قومه الحق .
وفي قصة مستمنح : لك المواساة .
- وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساء تخاربهن دونك .
وفي قصة سارق : القطع جزاؤك .
- ١٥ وفي قصة امرأة حبس زوجها : حكمه إلى الله .
وفي قصة قوم نقبوا : تنقب ظهورهم .
وفي قصة نباش : يدفن حيا في قبره .
وفي قصة متظلم : الحق يسعك .
- ٧ وفي قصة متنصح : مهلا فقد أبلغت إسماعى .
- ٢٠ وفي قصة متظلم : كيف .
وفي قصة رجل شكاه إليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء
تأديب الوالد !

- وفي قصة رجل شكوا الحاجة : لك في مال الله نصيبٌ أنت آخِذُهُ .
 وفي قصة رجل جارح : الجروح قصاص .
 وفي قصة مجبوس : التائبُ من الذَّنْبِ كمن لا ذنب له .
 وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لا تعرضَ فيما تفرد الله به .
 وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به .

الحجاج بن يوسف

- وقع في كتاب أتاها من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ،
 وما حل بالناس من القحط : إذا أزيفَ خراجك فانظر لرعييتك في مصالحها ،
 فبيتُ المال أشدُّ اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذو العيلة .
 ١٠ وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لاتخاطِرُ بالمسلمين
 حتى تعرفَ موضعَ قدمك ، ومرمى سهامك .
 وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم :
 ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه ؟
 ١٥ وفي قصة مجبوس ذكروا أنه تاب : (ما على المحسنين من سبيل) .
 وإلى قتيبة : خذُ عسكريك بتلاوة القرآن ، فإنه أَمْنَعُ من حُصونك .
 وفي كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهي حتى تستنظف خراجك .
 وفي كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهوديُّ قبلك منبراً .
 وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم : أنت أبو عبيدة هذا القرنُ .

أبو مسلم

- ٢٠ وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي : (لكل نبيٍّ مستقرٌ وسوف تعلمون) .
 وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة : قلَّ طريقٌ سهلٌ تُلَقَّى فيه الحجارةُ
 إلا عاد وعرأً ؛ والله لا يصلحُ طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبداً .

- وإلى ابن قحطبة : لا تنس نصيبك من الدنيا .
 وإليه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .
 وإليه : ﴿ ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ .
 وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿ وأما بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .
 وكتب إليه قحطبة : إن بعض قوادح خرج إلى عسكر بن ضبارة راغبا . فوقع
 في كتابه : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار
 جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ .
 وإلى عامله بيلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .
 وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً
 وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ .

جعفر بن يحيى

- وقع في قصة مجبوس : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ .
 وفي مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطلقه .
 وفي قصة متنصح : بعض الصدق قبيح .
 وفي رجل شكاً بعض عماله : قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدلت ،
 وما اعتزلت .
 وفي قصة رجل شكاً بعض خدمه : خذ بأذنه ورأسه فهو مالك .
 وإلى عامل فارس في رجل كذب إليه بالوصاة : كن له كأبيه لو كان مكانك .
 وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب
 في اصطناعه .
 وفي قصة متظلم من بعض عماله : إني ظلمتكَ دونه .
 وفي قصة مجبوس : الجنابة حبسته والتوبة تطلقه .
 وإلى قوم : عين الخليفة تكلمكم ونظره يعصمكم .

- وفي رقعة ضرورة استأذنه في الحج : من سافر إلى الله أنجح .
 وفي قصة رجل شكوا عزوبة : الصوم لك وجاء .
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : لا أولى بعض الظالمين بعضا .
 وفي قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه : غيبة يوسف
 صلى الله عليه وسلم كانت أطول . ٥
 وفي قصة رجل أظلم من عماله : إنا لَمِثْلُهُ حتى تُنصفك .
 وفي قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .
 وفي قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يدرُ لغيرك كما در لك .
 وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابُ غمّه وكرهه : كثرة ملاحاة الأوداء ،
 رُبما أراقت الدماء . ١٠

- وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدك .
 وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا .
 وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضمك .
 ووقع إلى متصل من ذنب : حكم الفلتات خلاف حكم الإصرار .

الفضل بن سهل

١٥

- كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما بييت خليفة الله إلا على ذكرك .
 وإلى طاهر : لخير ما أتضعت .
 وإليه : لشر ما سموت .
 وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يحملُ ماعدت .
 وفي قصة منظم : كفى بالله للظلم ناصرا . ٢٠
 وفي قصة نقب بيت المال : يُدرأ عنه الحد إن كان له فيه سهم .
 ووقع إلى حاجبه : تمهل وتمهل .

وإلى صاحب الشرطة : تَرَفَّقَ مُتَوَفَّقٌ .

وإلى رجل شكَا غلبة الدين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وستشفعُها بمثلها ،
ليُرغِبَ المستمنحون .

وفي قصة متظلم : طَبَّ نَفْساً فَإِنَّ اللهَ مع المظلوم .

- ٥ . وإلى رجل شكَا إليه الدين : الدين سوء يهيبض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه .
- وفي قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجلهم من خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدنيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

- ١٠ . وفي أمرئِ قاتِلٍ شهد عليه العدو فشفع فيه : كتاب الله أحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ .
- وفي قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبابكر وعمر : يُضْرَبُ دون الحد
ويُشهر ضربه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

- وَقَعَ فِي قصة متظلم : يُنظَرُ فيما رَفَعَ ، وَإِنَّ الحقَّ منبع ، وإلا فشفاه السقيم
دواء السقم .
- ١٥ . وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الحقُّ أُولَى بنا ، والعدل بُغْيَتنا ، وَإِنْ
صح ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه .
- وفي قصة امرأة حُبِسَ زوجها : الحقُّ يَحْبِسُه والإِنصافُ يُطَلِّقُه .
- وفي رقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق
الكفاية مع الاقتصاد .
- ٢٠ .

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النُّومِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَساً هـ وَلي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ

فقال قومٌ لهم فهمٌ ومعرفةٌ . رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
 رؤياك فسّرْ غداً عندَ الأميرِ تجذُ . تعبيرَ ذلك وفي النومِ التباشيرُ
 فوقع في أسفل كتابه ﴿ أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويلِ الأحلامِ بعالمين ﴾
 وأطلق له ما التمسهُ .

ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :
 أغفيتُ عند الصبحِ نومَ مسهدٍ . في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامها
 فرأيتُ أنك رُعنتي بوليدةٍ . رُعوبةٍ حسِنَ على قيامها
 وببدرٍ حُملتُ إلى وبغلةٍ . دهماً مُشْرِفةٍ يَصِلُ لجامها
 فدعوتُ ربِّي أن يُثيبك جنةً . عوضاً يُصديك برُدِّها وسلامها
 تلك المنابرُ يابنَ مروانَ الندى . أضحتُ وأنتَ خطيبها وإمامها
 فقال له : أبشر في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإنني لا أملك إلا شهباً ،
 فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباً ، إلا أني غلِطت .

طاهر بن الحسين

وَقَعَ في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب : طلبت الحق في
 دار الباطل .
 وفي قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت
 صلاحاً ما كنت لها موضعاً .

وإلى السندي بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عِشْ ما لم أرك .
 وإلى خزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنعة باستدامتها . وإلى الغاية
 ما جرى الجواد ، فحمد السابق وذم الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته :
 وليس أخو الحاجات من بات نائماً . ولكن أخوها من يبيت على رحل

- وفي رقعة متنصح (سَدَنظَرُ أَصَدَقَتِ أُمُّ كَنْتَ مِنَ السَّكَذِبِينَ) .
- وفي قصة مجبوس : يُطَلَّقُ وَيَعْتَقُ .
- وفي رقعة مستوصل : يُقَامُ أَوْدُهُ .
- وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم
- أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق
- يتبعك أهله .

توقيعات العجم

- وقع أردشير في أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيته
- محزونون . ثم أمر ففرق في الكور جميع ما في بيوت الأموال .
- ١٠ ورفع رجل إلى كسرى بن قباد رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد
- فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان ؛ فوقع في أسفل كتابه : إنما
- أملك ظاهر الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأخص عن
- الأعمال لا عن السرائر .
- ووقع كسرى في رقعة مدح : طوبى للمدوح إذا كان للمدح مستحقا ،
- ١٥ وللداعي إذا كان للإجابة أهلا .
- وكتب إليه متنصح أن قوما من بطانته اجتمعوا للبنادمة ، فعاوبه وتلبوه ،
- فوقع : لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك
- أرغب ، ولسانك أكذب .
- ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع :
- ٢٠ ما أنصفكم من إلى الشككية أحوجكم . ثم فرق بينهم ما وسعهم وأغناهم .
- ووقع أنوشروان إلى صاحب خراجه : ما استنزر الخراج بمثل العدل ،
- ولا استنزر بمثل الجور .
- ووقع في قصة رجل آظلم منه : لا ينبغي للبلك الظلم ومن عنده يلتبس

العدل ، ولا يينخل ومن عنده يُتوقع الجرد . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدي الموبذ

ووقع في قصة محبوس : من ركب مأنهى عنه حيل بينه وبين ما يشتهي
ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف
كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فثقلتته ، وأحسن إليك فكفرتته فنب إلى
الله يتب عليك .

ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان أحفظ رأسك .
ووقع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة المالك ظلمه وأخذ ماله : لاتصلح
العامه إلا ببعض الحيف على الخاصة ؛ فإن كنت صادقاً أتجتك جميع ما يملكه .
فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته .

فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :
أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد
علمت أني استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعه ، واعتمدتك من الرغبة
فيك بما لم توله .

وفصل لأبي علي البصير : قد أكد الله بيننا من الود ما نأمن الدهر على حل
عقده ونقض ممراره ، وما يستوى منه ثقمتنا بأنفسنا لك وثقتنا بما عندك .
وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأانس والثقة ، وبسط
اللسان بالاستزادة ؛ وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي
تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعها حبها ، والصناعة تؤلفنا
أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في لقاء ، أو تخلاف في مكانة ، موضح بيننا ،
يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صبُّ إليك ، سأمي الطرف نحوك ، وذكرك
ملصقُ بلساني ، وأسَمكُ حُلُوٌّ على لهُواتي ، وشخصك مائلٌ بين عيني ، وأنت أقرب
الناس من قلبي ، وآخذهم بمجامع هوأى .
وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديت مودتي رغبةً إليك ، ورضيت بالقبول
منك مثوبةً ، فصرتَ بقبولها قاضيا لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالترجع إلى
الهدية ، والتنظرُ للمثوبة ، مرتين اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .
وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد لك
بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضُها بعضاً .
وقال أبو العتاهية :

وللقلبِ على القلبِ ٥ دليل حين يلقاهُ

وللناس من الناسِ ٥ مقاييسٌ وأشباة

وفصل له : لساني رطبٌ بذكرك ، و [مكانك من قلبي] معمورٌ بمحبتك ،

حضرت أو غبت ، سرت أو أقمت . كقول أخى أبي دلف :

لعمري لئن قزت بقربك أعينٌ ٥ لقد سخنت بالبين منك عيونُ

فسر أو قيف ، وقف عليك مودتي ٥ مكانك من قلبي عليك مضمون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب مخبر وسائل ، فأما الإخبار

فمن تصرف الخطوب بما يوجب العذر عند صديق العزيز على في إبطائي بالتعدله ،

وأما السؤال فمن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر
كاشف ما سلف ، مصلح لما استأنف .

فصول في الزيارة

كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تضحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء
تكلها ، فهي شرقة بمائها ، حالية بنوارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من
استمتاع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :

هذه صفة لو كانت في أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحث المطي في
ابتغائها ؛ فكيف في موضع أنت تسكنه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك
وطيب شماتك ! وأنا الجواب !

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه
وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي ؛ فكتب :
عندي من أنا عنده ، وحجّتنا عليك إعلامنا إياك .

وفصل : إنه من ظمئ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرى من زيارتك .
ثم كتب تحت هذا :

سر إلينا تفديك نفسى من السوء . فقد طال عهدنا بالتلاق
واجعلن ذاك - إن رأيت - جوابي . فلقد خفت سسطة الإشتياق

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبك ، وفرط الحزن من فراقك ،
وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا أظلم العيش بعدها . وعند غروب الشمس يُعرف فقدها

وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرت كأنها
ساعات - يفوت الصفاء ؛ وما يجتده ويكثر دواعيه ، تصاقب الديار ، وقرب
الجوار ، تم الله لنا النعمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة
معها ، ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلنا أعزك الله في قرب تجاورنا وُبعد تزاورنا ، ما قيل في
أهل القبور :

لهم جيرة الأحياء ، أما مزارُهُم ۞ فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيدُ ا
وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، للشغف بك ، والثقة بحسن
نيتك ؛ وسنأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرتها ۞ وتعتلُّ عن إتيانها فتُعذرُ
وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العُمُرِ أقلُّ من أن تُحتمل
الهجر والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعة الصديق : لأنها لا تخلو
من أحد وجهين إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل : وكلاهما حجة فيه .
وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا تتناكر عند الالتقاء ، وقد
جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تماما ، وجعل المشاهد موجشة إذا
خلت منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء ۞ ما توالى من هذه الأنواء
فسلام الإله أهديه منى ۞ كل يوم لسيد الوزراء
لست أدري ماذا أقول وأشكو ۞ من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالشك ۞ بل وأدعو لهذه بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمداً فإذا التقينا ۞ تكلمت الضائر في الصدور
فارجع لم ألمه ولم يلني ۞ وقد رضيت الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص :
 كتابي إليك خططته يميني ، وفزغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ،
 أتراني أقبل العذر فيها ، وأقصر في الشكر عليها ؟ وابن أبي الشيص قد عرفته
 ونسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط بیره ما عدانا إلى غيرنا ، فاكتف بهذا منا .
 ٥
 وفصل : كتابي إليك كتاب معني بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ،
 ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب :
 حامل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا والسلام .

١٠
 وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكك إياك
 في أمره ، فإن الصنعة حرمة للصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعه ، فبسط الله
 يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .
 وفصل له : موصل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتي
 وحلتي ، فبلسانه أشكر ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

١٥
 كتب أحمد بن يوسف :
 لولا حسن الظن بك - أعزك الله - لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن
 الطلبة إليك ، ولكن أمسك برهق من الرجاء على برأيك في رعاية الحق ، وبسط
 يدك إلى الذي لوقبضتها عنه ، لم يكن له إلا كرهك ، ذكرراً ، وسوددك شافعاً .
 ٢٠
 فصل : أما بعد البرء من مريض داؤه في دوائه ، وعلمته في حميته أنا منك
 كالغاص بالماء لا مساغ له .

وكما قال الشاعر :

كنت من كُرْبتي أفرُّ إليهم • وهُم كُرْبتي ، فأين الفرارُ ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين : عتبي تكون منك ، أو عقبني

تغني عنك !

٥ فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كلُّك ، فاجعل لنا بعضك ، ولا نرضى إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أبقى على ودِّك من عارض يغيِّره ، أو عتاب يقدهح فيه ، وآمل عائدا من حسن رأيك ، يغني عن اقتضائك .

١٠ فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل . لو أن كل من نازع إلى الصرْم قلدناه عنان الهجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن تَرُدُّ عليك من نفسك وتأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين :

أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعني أولك في إخوانك ، وآيسني آخرك من وفائك ؛ فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فأقنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف !

١٥ فصل : إذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف في حكومته ، فأين المومل من جورك ؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدة ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكائك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحق من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سببا !

٢٠ وقال الشاعر :

عجبتُ لقلبي كيف انقلب • ومن طول ودِّك ، أني ذهب

وأعجبُ من ذا وذا أني • أراك بعين الرضا في الغضب !

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عتبك على من اللؤم وإن إمساكى !
عنها فى حال ضرورة إليها مع علمى بكرمك فى السخط والرضا ، لعجزى ؛ غير أنى
أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك ، مساءلتك ما سئح من الحاجة ؛ إذ كنت
لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تخنلجنى فى صحة مودتك وكريم إغاثك
ودوام عهدك ، لطال عتبي عليك ، فى تواتر كنى وأحتباس جواباتها عنى ؛ ولكن
الثقة بما تقدم عندى ، تعذرک وتُحسن ما يُقبَّحُه جفاؤك ، والله يديم نعمته
لك ولنا بك .

١٠ وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتقريع اللطيف ؛
فلولا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غمماً بعتابك ، الذى لطف
حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفتنة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛
فلا أعدمى الله رضاك مجازياً به على ما استحقَّه عتبك ، فأنت ظالم فيه ، فهو
ولى المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خيرٌ من فقده .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ ۝ ويبقى الودُّ ما بقى العتابُ

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ ۝ وتعتب فى كلِّ يومٍ علياً

طلبتُ رضاك ، فإن عزى ۝ عددتُك ميثاً وإن كنت حياً

٢٠ ولا تُعجبن بما فى يدك ۝ فأكثر منه الذى فى يدى !

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب ؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،
ووعيدك بعد وعدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فىك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلبنى

اليأس منك إلى العزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصفح لا تثرىب معه ، وإن
تصاديت فهجر لا وصل بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيم أملى فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً مخظناً
ولا متممدا ، ولعل فلتة لم ألق بالآ ، فأوطئ لها اعتذارا ، وإلا تكن فنفته
حاسد زخرفها على لسان واش ، نبذها إليك في بعض غزاتك ، أصابت مني مقتلا
وشفت منه غليلا .

وفصل : ليس يُزِيلُنِي عن حُسن الظنِّ بك فعلٌ حَمَلَكَ الأعداءَ عليه ، ولا يَقْطَعُنِي
عن رجائك عَتَبَ حَدَثَ عَلِيٍّ مِنْكَ ؛ بل أرجو أن تتقاضى كرمك إنجاز وعدك ،
إذ كان أبلغ الشفعاء إليك ، وأوجب الوسائل لديك ،

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء
على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان ، بل جنه على لسان واش ، فأما قولك : إنك
لا تسهل سبيل العذر ؛ فأنت أعلم بالمكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ
لذماماته من أن ترد يد مؤمِّلك صفرًا من عفوك إذا التمسه ، ومن عذرِكَ إذا جعل
فضلك شافعاً فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت
بالمذنب معذرتة .

وفصل : يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر الدهر
عندى ، وأنى معلق فى حباتل من لا يعرف موضعى ، ولا يحلو عنده موقعى ،
أطلب منه الخلاص فيزيدنى كلفا ، وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنًا ، فالثواء ثواء
مقيم ، والنية نية ظاعن والزمام زمام مرتحل ؛ ما أذهب إلى ناحية من الخيلة
إلا وجدت من دونها مانعاً من العوائق ؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله
بالشكوى ، وأسأله جميل العقبي وحسن الصبر .

فصول في حسن التواصل

للمفضّل أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حجة عليه فيما منع . وكن كيف شئت ، فإني قد أوليتك خالصة سريرتي ، أرى ببقائك بقاء سروري ، وبدوام النعمة عندك دوامها عندي .

٥ فصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك ؛ لأن حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نجاح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك .

وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعجلت راحة اليأس بمن يوجد بالوعد وبضن بالإنجاز ، ويجب أن يفضّل ويزهّد في أن يُفضّل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

١٠ فصل : صغني — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك . أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .

١٥ فصل : لا أزال — أبقائك الله — أسأل الكتاب إليك ، فرة أتوقف توقف المخفف عنك من المثونة ، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المنة ؛ لا أعدنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلاقنا من الصنع لك ؛ فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعماً إلا في ذلك ؛ ولئن كانت الرغبة إلى بشر من الناس خسارة وذلاً ، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزاً ؛ لأنك لا نعرف حراً قعد به دهره ، إلا سبقت مسألته بالعطية وصدت وجهه عن الطلب والذلة .

٢٠ فصل : لي عليك حق التأميل والشكر ، بما ابتدأت من المعروف ، ولك عليّ حق الاصطناع والفضل ، والتنويه بالاسم والشكر ؛ وليس يمنعني عليك بزيادة حقك عليّ ما أبلغه من شكرك ، من مساءلتك المزيد ؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود ، وخرجت من منزلة الإضاعة وللتقصير ، وإذ كنت تسمح بالحق عليك ، وتطيب نفسك عن حتمك اليسير ، ولا تكلم أحداً شكرك عليّ الكثير .

فصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومعروف
يوجب عليك الربَّ والإتمام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُنجِزَ لى ما لم تزل الفِرَاسَةُ تُعدُّنيه فيك .

فصل : قد أجلَّ اللهُ قدرَكَ عن الاعتذار ، وأغناكَ فى القول عن الاعتلال ،

وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت ، ونرضى بما أتيت ، وصَلت أو قطعت .

فصول فى الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيأت كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ،

أو زيادة منتظرة له ، لكفى .

ثم قال محمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما

وجهٌ حسن .

وفصل للحسن بن وهب : مَنْ شَكَرَكَ على درجة رفَعته إليها أو ثروة

أقدَرتهُ إليها ؛ فإن شكري لك على مهجةٍ أحييتَها ، وحُشاشةٍ أبقيتَها ، ورمق

أمسكتَ به وقُمتَ بين التلف وبينه ؛ فليكل نعمة من نعم الدنيا حد يُنتهى

إليه ، ومدى يُوقفُ عنده ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطَّرْفُ ، خلا

هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشكرَ وتجاوزت قدره . وأنت

من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن

نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكذف كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ

جهدُ المجتهد ؟

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مالى ولم تَمُنْ علىَّ به . وقبلَ رَدِّكَ مالى قد حققت دِى

فأينَ مِنكَ وقد جَلَلَنى نَعَمًا . هى الحياتان من موتٍ ومن عُدْم

فلو بَدَلْتُ دمي أبنِي رضاكَ بِهِ . والمالَ حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ من قَدَمِي
 ما كانَ ذاكَ سِوَى عارِيَةٍ رَجَعْتَ . إِلَيْكَ لو لم تُعَرِّها كُنْتَ لم تَلَمْ
 البرُّ بِمِنكَ وطَى العُدْرَ عِنْدَكَ لِي . فِيمَا أَتَيْتُ فلم تُعْتَبْ ولم تَلَمْ
 وقامَ عَلَيْكَ بِي يَحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي . مقامَ شَهِيدِ عَدْلِ غَيْرِ مُتَهَمٍ

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصل كتابك ، فما رأيت
 كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملس متوناً ، ولا أكثر عيوناً ، ولا أحسن مقاطع
 ومطالع منه : أنجزت فيه عدة الرأي ، وبشرى الفراسة ، وعاد الظن يقيناً ، والأمل
 مبلوغاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فصل : الكلام كثيرة فنونه ، قليلة عيوبه ؛ فنه ما يُنمَّكُ الأسماع ، ويُؤنِّس
 القلوب ، ومنه ما يُحمَلُ الأذان ثقلاً ، ويملأ الأذهان وحشة .

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

إن جميع أكتافك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا اتتهوا إليك أقروا لك
 ويتنافسون في المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ؛ فزادك الله وزادنا بك وفيك
 وجعلنا ممن يقبله رأيك ويُقدِّمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك ،
 ويجرى فيها على سبيل طاعتك .

وفصل له : إن من النعمة على المثني عليك ، أن لا يخاف الإفراط ، ولا يأمن
 التقصير ، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد
 فضلك تجاوزها ، ومن سعادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة المشايخين له
 والمؤمنين معه .

وفصل : إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك ، ويزيدني بصيرة في العلم
 بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحققها ، واستوجبها بما فيك من أسبابها ؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف ، وكل شيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ونزل في مغرسه ، ضرب بعرقه ، وسمق بفرعه ، وتمكن تمكن الإفاة . وتفتكك تفتك الطبيعة .

وفصل : إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالخبر عن ضوء النهار الزاهر ، والقمر

- ٥ الباهر ، الذي لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت من الشناء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزمتم من الوفاء طريفة محمودة ، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يبتدرون ودك ، ويتمسكون بحبالك ؛ فمن أثبت الله له عندك ودًا فقد وضعت خلتته موضع حرزها .

١٠

وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جده ويظهر فرنده ، للين طبيعته ، وكرم جرهره ؛ ولم أصف نفسي لك عجبا ، بل شكرا .

وفصل له : زاد معروفك عندي عظما أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس

١٥

مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندي عظما . أنه عندك مستور حقير

تتناسأ كأن لم تأته . وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ،

٢٠

المسدود به ثلهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمُجيبا به أيام سعيهم . وإنه لم يخمل من كنت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ، ولا آتحت أعلام من خلفته في رتبته .

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقاً أو عراً من طريقه إليك ، فالمعروف
لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتك في المعروف أن تحقره ،
وفى وليه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ،
فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ، فازددت بهما بُعداً مما فيك تقربت ، وقرباً
مما فيه تبعدت ، وقد قسمت اللائمة بينى وبينك ؛ لأنى أخطأت في سؤالك ،
وأخطأت في معنى ؛ أمرت باليأس من أهل البخل فسألتهم ، وهبت عن منع
أهل الرغبة فمنعهم ؛ وفى ذلك أقول :

فررت من الفقر الذى هو مُدْرِكِي ۞ إلى بُخْلِ مَحْظُورِ النِّوَالِ مَنُوعِ
فَأَعَقَبَنِي الحِرْمَانُ غِبَّ مَطَامِعِي ۞ كَذَلِكَ مَن يَلْقَاهُ غَيْرَ قَنُوعِ
وغيرُ بَدِيعٍ مَنَعُ ذِي البُخْلِ مَالَهُ ۞ كما بَدَّلُ أَهْلَ الفَضْلِ غَيْرَ بَدِيعِ
إِذَا أَنْتَ كَشَفْتِ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ ۞ لِأَعْرَاضِهِمْ مَن حَافِظٍ وَمُضْبِعِ

وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت
شين القبيح ، ورأيتك آثر القول عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا ،
كما قال زهير بن أبي سلمى :

وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يُحْسِبُ أَنَّهُ ۞ مُصِيبٌ فَمَا يُلْعِمُ بِهِ فَهُوَ قَاتِلُهُ
عِبَاتٌ لَهُ جِلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ ۞ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار ، تميل معهما وتصرف في
آثارهما ؛ وقد كنت أجل مودتك بالمحل النفيس ، وأنزلها بالمنزل الرفيع ، حتى
رأيت ذلك عند القلة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتثيرك عند الاستغناء ، وإطراحك

لإخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذري في قطيعتك ، عند من يتصفح
أمرى وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابي : تأتينا إفاقتك من سكرتك ، وترقبتنا انتباهك من رقذتك ،
وصبرنا على تجوُّع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبر
عن وجه الغلظ فيك ؛ فهذا أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعديك لطورك ،
وآطراحك حق من غلظ في اختيارك .

فصول في الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إن من أمارات الحزم صحة الرأي في الرجل : يترك التماس ما لا سبيل إليه ،
إذا كان ذلك داعيةً لغنى لا عزة له ، وشقاء لا درك فيه ؛ وقد سمحت في أمر
تُخبرك أوائله عن أواخره ، ويُنبئك بدوّه عن عواقبه ، لو كان لهذا المخبر
الصادق مستمعٌ حازم . ورأيتُ رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلاً
أيأس من رغب فيك ، ودل عدوك على معاييك ، وكشف له عن مقاتلك ؛
ولولا علمي بأن غلظ الناصح يؤدى إلى نفع في اعتقاد صواب الرأي ، لكان غير
هذا القول أولى بك ، والله يوفقك لما يجب ، ويوفق لك ما تحب .

وفصل : أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدّم على
نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرى أن يُخطئ
في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون

الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق

من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حر ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَعْتَمٍ ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكرًا لما مضى ، فاعذر فيما بقي .

وفصل للعتابي : أما بعدُ ، فإن قريبك من قرب منك خَيْرُهُ ، وابن عمك من عمك نفعه ، وعشيرك من أحسن عِشْرَتِكَ ، وأهدى الناس إلى مودتك مَنْ أهدى برّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالي - أكرمك الله - في الاغتمام بعلتك حال المشاركة فيها بأن ينالني نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع عليّ منها أنى مخصوص بها دونك ، مؤلّم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل كأنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك ، أن يخصني بما فيك ، فإنها شاملة لي ولك .

وفصل : إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوائك ؛ فلو قلتُ إن الحق قد سقط عني في عيادتك لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٍ في ضميرك ، وأثرٌ بادٍ في حالي لغيبتك ؛ وأصدق الخبر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة ، لمّا أغفل قلبي ذكرك ، ولا لسانى فصاً عن خبرك فخص من تقسم جوارحه وصبك ، وزاد في ألمها ألمك ؛ وذن متصل به أحوالك في السراء والضراء ، ولما بلغتني إقامتك كتبت مهنتاً بالعافية ، مُعْتَمِياً من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وصَبَ العلة ونصَّبها ، ووفّر أجرها

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعُقبها ، أضعاف ما كان عنده من السرور
بقبح أولها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

٥ يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنيت به فكرتك فما هو إلا سعيد يوتر
أوشق يوتر .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود
السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة ، محمود النقية ، مؤفياً
بما أخذ الله عليه ، مضطلعاً بما حمّله منه ، مؤدياً إلى الله حقه ، مقرراً له
١٠ بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ؛ ولا ينطق إلا فصلاً عبثاً لدينه
وأمانته ؛ كافاً ليده ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حقّ الأولياء على السلطان : تنفيذ
أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسّتهم ،
ويؤخر مسيئتهم ؛ ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .

١٥ وفصل له : إن من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ؛
تحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب ماراعاه
الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

وفصل له : إن الله أوجب لخلقائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ،
ولعبيده على خلقائه بسطّ العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة ؛ فإذا أدى كلٌّ
٢٠ إلى كلّ حقه ، كان ذلك سبباً لتتمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ،
ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يجتدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة ، إلا اتصلت
برعيته عاقبة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتدبيره وذبّه عن دينه حفظ حريمهم ، وبجياطته حقن دماهم وأمن سبيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيدا بالنصر ، معززا بالتمكين ، موصول البقاء للنعيم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معمود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحتهم ، مشحودا السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا ، وبراً وبحرا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالأمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ، ليس في واحدة منهما عنر يوجب حجة ولا يزيل لأئمة : إما تقصير في عملك دعائك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإما مظاهره لأهل الفساد ومداهنة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة النكر بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ؛ وفي حسن ما أقلت من عظيم العثرة ، ما يوجب اجتهادك في تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي :

أما بعد ، فإنه عزيز على أن أكذب إلى أحد من يدت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغني فقليل ما كتبت به كثير لك ^(١) ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت في أسفل كتابي أياتا فتدبرها :

(١) في بعض الأصول : وفكثير ... قليل .

- رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقَ فِرْصَتَهُ . جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْبَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوَى بَدْنِيَا يَصِيبُ الْمَخْطُونَ بِهَا * حَظُّ الْمَصِيبِينَ ، وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورٌ
 فَازْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ * فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مَصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ * فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورٌ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفِرْتَ بِهِ * قَالُوا جُهُولٌ أَعَانَتْهُ الْمَقَادِيرُ !
- فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتَمِّمُ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، الْهَادِي
 إِلَى شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِنَ
 الْفَضَائِلِ مَا فَزَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تَرَاتِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِمَخْلَافَتِهِ ،
 وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

فصول لعمر بن بحر الجاحظ

- ١٠ منها فصول في عتاب :
- أما بعد ، فَإِنَّ الْمَكَافَأَةَ بِالْإِحْسَانِ فَرِيضَةٌ ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَى غَيْرِ ذَوِي
 الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .
- أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك .
- ١٥ أما بعد ، فلا ترهّد فيما رَغِبَ إِلَيْكَ ، فَتَكُونَ لِحَظِّكَ مَعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ جَاحِدًا
 أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَى ضِدَانٌ ، فَفَرِّقْ الْعَقْلَ التَّوْفِيقَ ، وَفَرِّقْ الْهَوَى
 الْخِذْلَانَ ، وَالنَّفْسَ طَالِبَةَ ، فَبِأَيِّهِمَا ظَفِرْتَ كَانَتْ فِي حَرْبِهِ .
- أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتَ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَاظَ كَالثَّمَارِ .
- أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ وَالْعُقُولَ مَعَادِنٌ ، فَسَا فِي الْوَعَاءِ يَتَفَدَّى إِذَا لَمْ
 يَمُدَّهُ الْمَعْدِنُ .
- ٢٠ أما بعد ، فَسَكْفِي بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ، وَبِتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ عِظَةً ، وَبِأَخْلَاقٍ مِنْ عَاشَرْتِ
 مَعْرِفَةٍ ، وَبِذِكْرِكَ الْمَوْتِ زَاجِرًا .
- أما بعد ، فَإِنَّ احْتِمَالَ الصَّبْرِ عَلَى لَذَعِ الْغَضَبِ . أَهْوَى مِنْ إِطْفَائِهِ بِالشَّمِّ وَالْقَدْحِ .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الاستعداد للنواب ؛ وما عظمت
نعمة امرئٍ إلا استغرقت الدنيا همته ، ومن فزع لطلب الآخرة شغله جعل الأيام
مطايا عمله والآخرة مقيلاً مُرْتَجِلَهُ .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير
ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم أمسك ، وقد يستجهل الحلِيم حتى يستخفه الأهجر .
أما بعد ، فإن أحببت أن تتم لك المقة في قلوب إخوانك فاستقل كثيراً
بما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة ، من لطف حتى كلف حرب عدوه
بالصفح والتجاوز ، واستل حقه بالرفق والتعجب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه :
أما بعد ، فلو كففت عنا من غربك لكننا أهلا لذلك منك ، والسلام .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبیح .
وله فصول في وصاة :

أما بعد ، فإن أحق من أسعفته في حاجته ، وأجبت إلى طلبته ، من توسل
إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة ، وطالب حاجة رددته ،
ومثار حجبته ، ومنبسط إليك قبضته ، ومقبيل إليك بعنانه لويت عنه ، فثبتت
في ذلك ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم .

أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك
عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن
رأيك ، ويكون مكافأة لحقه علينا .

أما بعد ، فقد أتانا كتابك في فلان ، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يُبكاني حرمته ويؤدي شكره .

وله فصول في استنجاز وعد :

أما بعد ، فقد رسفنا في قيود مواعيدك ، وطال مقامنا في سجون مَظَلِك ، فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة أو [لا] مريحة .

أما بعد ، فإن شجر مواعيدك قد أوردت ، فليكن ثمرها سالما من جوائح المظل .

أما بعد ، فإن سحاب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالما من صواعق

المظل والاعتلال .

وله فصول في الاعتذار :

أما بعد ، فنعم البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار .

أما بعد ، فإن أحق ما عطفت عليه بحلمك من لم يتشفع إليك بغيرك .

أما بعد ، فإنه لا عوض من إخوانك ، ولا خلف من حسن رأيك ، وقد انتقمت

مني في زلتى بجفائك ، فأطلق أسير تشوقى إلى لقائك .

أما بعد ، فإننى بمعرقى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من

زلتها عندك .

أما بعد ، فإن من جهد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذب نفسه بما

يبدو للناس منه .

أما بعد ، فقد مسنى من الألم ما لم يشفيه غير موصلتك ، مع حبسك الاعتذار

من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغتفره مودتك ، فامن علينا بصلتك ، تكن بدلا

من مسامتك ، وعوضا من هفوتك .

أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع

لهنات الإخوان .

أما بعد ، فإن أولى الناس عندى بالصفح ، من أسلمه إلى ملكك التماس رضاك

من غير مقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذمستنى على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة !

وله فصول التعازي :

أما بعد ، فإن الماضيَ قبلك الباقي لك ، والباقي بعدك المآجور فيك ﴿ وإنمَّا يوفى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

أما بعد ، فإن في الله العزاء من كل هالك ، والخلفَ من كل مصاب ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة .

أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من الصبر ، تنل به الذي تطلب ، وتدرك به الذي تأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولنوى الألباب زاجرا ؛ فعليك بالتلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .
أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر في دوام نعمته ، وحاط الرعية بطول مدته .

صدور إلى ولي عهد

متَّع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعلَ الجميل ، وآنس بولايته المؤمنين .

مدَّ الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأئمة ، وجعله غياثا ورحمة .
أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، ومتعَّ به الخاصة والعامة .
متعَّ الله بسلامتك أهل الحرمة ، وجمع لك شمل الأئمة ، واستعملك بالرافة والرحمة

صدور إلى والي شرطة

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك بالثبوت ، ووقفك للصواب .

- أرشدك الله بالتوفيق ، وأنطقك بالصواب ، وجعلك عصمة للدين ، وحصناً للمسلمين
 أعانك الله على ما قلدك ، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك .
 سدّدك الله وأرشدك ، وأدام لك فضل ما عودك .
 زادك الله شرفاً في المنزلة ، وقدرًا في قلوب الأئمة ، وزلفه عند الخليفة .
 نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كربة الملهوف ، وأعانك على أداء الحقوق . ٥

صدور إلى قاض

- ألهمك الله الحجة ، وأيدك بالتثبيت وردّ بك الحقوق .
 ألهمك الله الاعتصام بجبله بالعلم ، والتثبيت في الحكم .
 ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب ، وجعلك إماماً لذوى الألباب .
 زين الله بفضلك الزمان ، وأنطق بشكرك اللسان ، وبسط يدك في اصطناع المعروف . ١٠
 أدام الله لك الإفضال ، وحقق فيك الآمال .

صدور إلى عالم

- جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة ، وسبباً إلى النجاة ، وزلفه عند الله .
 نفع الله بعلمك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المتحرّمين ، وأوضح بك سنن
 الدين ، وشرائع المسلمين . ١٥
 أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأتمنك
 مكروه العواقب .

صدور إلى إخوان

- متع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام أفتك ، ولا أخلانا من جميل
 عشرتك ، ووهب لك من كريم نفسك ، بحسب ما تنطوى عليه مودتك ، وأبهج
 الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأنس بك ، وصرف الله عن ألفتنا عواقب
 القدر ، وأعاد صفوة إخواننا من الكدر ، وجعلنا من أنعم الله عليه فشكر . ٢٠

مَنْ اللهُ عَلَيْنَا بِطَوْلِ مَدَّتِكَ ، وَأَنْسَ أَيَّامَنَا بِمَوَاصِلَتِكَ ، وَهِنَا نَا نِعْمَةَ بِسَلَامَتِكَ .
 قَرَّبَ اللهُ مِنَّا مَا كُنَّا نَأْمَلُ مِنْكَ ، وَجَمَعَ شَمْلَ السَّرُورِ بِكَ .
 نَزَّ اللهُ بِقَرْبِكَ الْقُلُوبَ ، وَبَرَّوَيْتِكَ الْآبْصَارَ ، وَبِحَدِيثِكَ الْأَسْمَاعَ .
 أَقْبَلَ اللهُ بِكَ عَلَيَّ أَوْذَانِكَ ، وَلَا ابْتِلَاهُمْ بِطَوْلِ جَفَائِكَ .
 أزال اللهُ حَرَدَنَا مِنْ فَتُورِكَ عَنَا ، وَرَغَبَتَنَا عَنْكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي أُمُورِنَا .
 حَفِظَ اللهُ لَنَا مِنْكَ مَا أَوْحَشْنَا فَقَدَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نَأْلَفُهُ وَنَعْتَهُدُهُ .
 رَحِمَ اللهُ فَاقَةَ الْحَنِينِ إِلَيْكَ ، وَمَا بِي مِنْ تَبَارِيحِ الْحُزَنِ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ حَرَمَتَنَا
 مِنْكَ الشَّفِيعَ لَدَيْكَ .

يَسِّرَ اللهُ لَنَا مِنْ صَفْحِكَ مَا يَسِعُ تَقْصِيرِنَا ، وَمَنْ حَلَبِكَ مَا يَرُدُّ سَخَطَكَ عَنَا .
 زَيْنَ اللهُ أَلْفَتَنَا بِمَعَاوِدَةِ صِلَتِكَ ، وَاجْتِمَاعَنَا بِزِيَارَتِكَ .
 أَعَادَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ إِخَائِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ مَا يَكُونُ مَعَهُودًا مِنْكَ بِالْوَفَاءِ لَكَ .

صدور في عتاب

أَنْصَفَ اللهُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ مِنْ جَفَائِكَ لَنَا ، وَأَخَذَ لِيْرًا بِكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ عَنَا .
 وَكُتِبَ "مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَبَلَّغَهُ عَنْهُ أَمْرٌ : وَقَفَّقَكَ اللهُ لِرَشْدِكَ ؛
 بَلَّغْنِي كَلَامَكَ ، فَإِذَا أَوَّلُهُ بَطَّرَ ، وَآخِرُهُ حَوَّرَ ؛ وَمَنْ أَبْطَرَهُ الْغَنَى أَذَلَّهُ الْفَقْرُ ، وَهَمَّا
 ضِدَانِ مَخَادِعَانَ لِلْهَرَمِ مِنْ عَقْلِهِ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ مَنْ يَبِينُ لَهُ الدَّاءُ ، وَالسَّلَامُ .
 فَأَجَابَهُ : طَاوَلْتِكَ النِّعْمَ وَطَاوَلْتَ بِكَ ؛ عَلُوْا إِنْصَافَكَ يَوْمَنْ سَطُوْةَ جُورِكَ ؛
 ذَكَرْتَ أَنِّي نَطَقْتُ بِمَا تَكْرَهُ وَأَنَا مَخْدُوعٌ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي مَلْتُ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَلَمْ
 أَخْدَعُ ، وَمِثْلَكَ شَكَرَ مَسْعَى مُعْتَذِرٍ ، وَعَفَا زَلَّةَ مُعْتَرِفٍ .

تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ويليهِ إن شاء اللهُ الجزء الخامس
 وأوله : كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صحيفة	صحيفة
٥٨ قولهم في الدين . ٥٩ قولهم في النوادر والملح .	٢ كتاب العسجدة في كلام الأعراب
٦٤ قولهم في التلصص . ٦٥ قولهم في الطعام .	خالد بن صفوان وأعرابي .
٦٩ أخبار أبي مهدية الأعرابي .	٣ قول الأعراب في الدعاء . لعمر بن عبد العزيز :
٧٠ خبر أبي الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .	٤ لأعرابي في العواف ٥ لأعرابي بعرفات
٧٦ الرشيد والاصمعي .	٦ لأعرابي بمخى . لآخر في فلاة .
٨٨ كتاب المجنبة في الأجوبة	٨ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابي مات ابنه .
٧٨ جواب عتيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه .	قولهم في الرقائق .
٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .	٩ لأعرابي في حزنه على ولده . لآخر في ذهاب
٨١ ابن أبي مليكة في ابن عباس .	شبابه . لآخر في نحول جسمه . لآخر في الكبر
٨٣ ابن عباس وابن العاص .	١٠ لأعرابي في القطيعة . لآخرين في تغير الديار .
٨٥ مجاوبة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير	١١ لأعرابية ترى ابنها . لأعرابي في وصف بلد .
٨٩ ابن الزبير ومعاوية .	قولهم في الاستطعام . معن بن زائدة وأعرابي .
٩٠ مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه .	١٢ المهدي وأعرابية في الطواف . بين عتبة بن أبي
٩٢ مجاوبة بين معاوية وأصحابه .	سفيان وأعرابي .
٩٣ مجاوبة بين بني أمية . ٩٥ الجواب القاطع .	١٣ أعرابي أغير على إبله . بين خالد القسري وأعرابي .
٩٧ مجاوبة الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة	١٤ ابن طوق وأعرابي .
٩٨ معاوية والاحنف . معاوية وعدي . الاحنف	١٥ أعرابي في حلقة يونس
وشامى لعن عليا .	١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبي بكر . شعر
٩٩ معاوية وعتيل في أمر علي .	لبعض الأعراب .
١٠٠ معاوية وابن الخطل . معاوية وخريم الناعم .	١٧ الاصمعي يروي بعض أخبار الأعراب .
عبد الملك وعطاء . المضحك	١٨ هشام وأعرابي .
عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن	١٩ المأمون وأعرابي . أعرابي في جماعة .
عبد الملك وزيد بن علي	٢١ قولهم في المواظ والزهد . هشام وأعرابي .
١٠٢ عمر بن الخطاب وأبو مریم .	لأعرابي يعظ أخاه ٢٢ لابن عباس .
١٠٣ معاوية والانصار .	٢٣ أخبار متفرقة للأعراب . ٣٠ قولهم في المدح .
١٠٤ عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير . الرشيد	٣٥ قولهم في الذم . ٤٢ قولهم في الغزل .
وابن مزيد . المأمون وابن أكرم	٤٦ قولهم في الخيل . ٤٧ قولهم في الغيث .
١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسري .	٤٩ قولهم في البلاغة والإيجاز .
١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .	٥٠ قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه .
١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .	٥٢ قولهم في المناكح . ٥٧ قولهم في الإعراب .

- ١٠٨ جواب في هزل . المغيرة وأعرابي يؤاكلة . ابن عتبة وإبراهيم بن عبد الله في حضرة هشام .
- ١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعي والأعشى . ابن أسماء في سجن الكوفة .
- ١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
- ١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوف .
- ١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
- ١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منه . ولهي . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق وعبد الجبار والمجاشعي .
- ١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب في نجر . الأبرش وخالد بن صفوان
- ١١٥ هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبد الرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
- ١١٦ احمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قريش وقيس . عتبة وأعرابي .
- ١١٧ فيروز ورميلة . بن سميح وشقيق . قتبية بن مسلم وهبيرة
- ١١٨ أجوبة لابن أبي دواد جواب في تفحش .
- ١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوي ورجل من الأزد . بين أعرابيين
- ١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
- ١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجاهل والضعيف
- كتاب الوسطة في الخطب
- لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلمة .
- ١٢٣ لمعاوية في زياد . لأبي دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
- ١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
- ١٢٦ خطب أبي بكر .
- ١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
- ١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب على بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ١٤٧ خطب معاوية .
- ١٤٨ عبيد الله بن زياد عند معاوية .
- ١٥٣ ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
- ١٥٤ خطبة لعبد الملك بن مروان خطبة للوليد بن عبد الملك .
- ١٥٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
- ١٥٦ خطبة لعبد الله بن الأهمم بين يدي عمر بن عبد العزيز
- ١٥٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
- ١٦٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
- ١٦٢ خطبة لسليمان بن علي . خطبة لعبد الملك بن صالح
- ١٦٣ خطب لصالح بن علي . ومن خطب داود بن علي .
- ١٦٤ خطبة المهدي . ١٦٥ خطبة هارون الرشيد
- ١٦٧ من خطب المأمون
- ١٧٠ من خطب عبد الله بن الزبير
- ١٧٢ الخطبة البراء لزياد ١٧٥ خطب لجامع المحاربي
- ١٧٦ من خطب الحجاج
- ١٨٤ خطب لطاهر بن الحسين . خطبة عبد الله بن طاهر . خطبة قتبية بن مسلم .
- ١٨٦ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادي
- ١٨٧ خطبة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل
- ١٨٨ خطبة لعبد الله بن مسعود . خطبة لعنبة بن مروان
- ١٨٩ من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
- ١٩١ خطب للأحنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائي .
- خطبة لخالد بن عبد الله القسري
- ١٩٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
- ١٩٣ خطبة لشبيب بن شذبة . من خطب لعنبة بن أبي سفيان

٢٥٨ توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الوليد وسليمان بن عبد الملك	١٩٧ من خطب الخوارج . خطبة لقطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا
٢٥٩ توقيعات عمر بن عبد العزيز	١٩٩ من خطب ابن أبي حمزة
٢٦٠ توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك	٢٠٢ من أرتج عليه في خطبته
٢٦٠ توقيعات مروان بن محمد .	٢٠٤ خطب النكاح ٢٠٦ خطب الأعراب
٢٦٢ د السفاح . توقيعات المنصور .	٢٠٧ خطبة لعلي كرم الله وجهه
٢٦٤ د المهدي . توقيعات موسى الهادي .	٢١٠ كتاب المجنب الثانية
٢٦٥ د هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .	لابن عبد ربه . للنبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٧ د الأمراء والكبراء . توقيعات زياد .	٢١١ أول من وضع الكتابة
٢٦٩ د الحجاج بن يوسف . توقيعات أبو مسلم	٢١٢ الكتابة في الإسلام
٢٧٠ توقيعات جعفر بن يحيى .	٢١٣ استفتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢٧١ د الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل	٢١٤ تأريخ الكتاب تفسير : الأيمى
٢٧٣ د طاهر بن الحسين . ٢٧٤ العجم .	٢١٥ شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبي ﷺ
٢١٥ فصول في المودة .	٢١٧ كتاب أبي بكر رضى الله عنه
٢٧٧ د في الزيادة .	٢١٨ كتاب عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم .
٢٧٩ د في وصاة . فصول في عتاب .	كتاب نبي أمية
٢٨٢ د في التنصل .	٢١٩ كتاب بنى العباس ٢٢١ من كتب لغير الخلفاء
٢٨٣ د في حسن التواصل .	٢٢٢ أشرف الكتاب
٢٨٤ د في الشكر .	٢٢٤ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا . من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحها
٢٨٥ د في البلاغة . فصول من المدح .	٢٢٥ صفة الكتاب
٢٨٧ د في الذم . ٢٨٨ في الأدب .	٢٢٦ ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه
٢٨٩ د إلى عليل .	٢٢٩ خبر حائك الكلام
٢٩٠ د إلى خليفة وأمير .	٢٣٢ فضائل الكتابة . ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز
٢٩٢ د لعمر بن بحر الجاحظ .	٢٤١ البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٩٥ صدور إلى خليفة . صدور إلى ولي عهد .	٢٤٢ تضمين الأسرار في الكتب
صدور إلى والى شرطة .	٢٤٣ قولهم في الأقلام ٢٥١ قولهم في الجد
٢٩٦ صدور إلى قاض . صدور إلى عالم .	٢٥٢ قولهم في الصحف
صدور إلى إخوان .	٢٥٦ توقيعات الخلفاء . عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم
٢٩٧ صدور في عتاب .	٢٥٧ توقيع معاوية رضى الله عنه . توقيع يزيد ابنه



ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد
العقد الفريد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032505

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



